

الأزهر في ألف عام

دكتور محمد عبد المنعم خفاجي   دكتور على على صبح

الطبعة الثالثة

مزيدة ومحققة ومنقحة

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٩م

الجزء الثالث

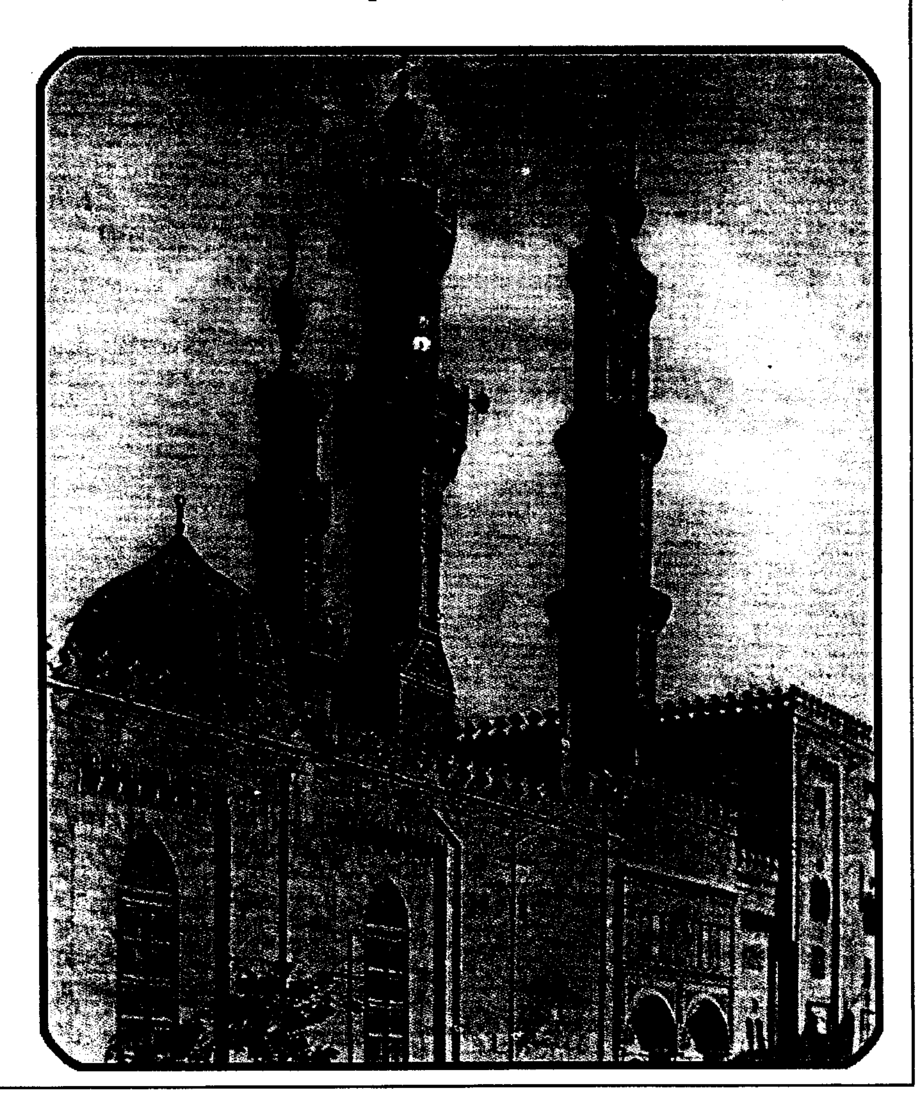
الناشر

المكتبة الأزهرية للتراث

(٩) درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر الشريف - ت: ٢٥١٢٠٨٤٧

AL AZHAR
MAGAZINE

Rabi - El-akar 1413,higrah- October 1992.- Vol.65 part IV



بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

الحمد لله رب العالمين: ﴿الرَّحْمَنُ ① عَلَّمَ الْقُرْآنَ ② خَلَقَ الإِنسَانَ ③ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ١-٤].

والصلاة والسلام على سيدنا رسول الأنام، خصه الله تعالى بجوامع الكلم، والبيان، كما ورد فى الحديث الشريف: «أعطيت سبعا لم يعطهن أحد من قبلى: «. . . وأعطيت جوامع الكلم. .» وفى حديث شريف ثان: «أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش»، وفى حديث شريف ثالث: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» فاجتمعت فيه كل الفضائل والخلائق، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، وفى حديث عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها: «كان خلق رسول الله ﷺ القرآن الكريم»، اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه وأتباعه رضى الله عنهم أجمعين.

وبعد: فهذا هو الجزء الثالث من كتاب: «الأزهر فى ألف عام»، فى طبعته الجديدة بعد وفاة العلامة الكبير الأستاذ الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى «سيوطى العصر الحديث»، بعد أن أضفنا إليه كثيراً من الموضوعات والأعلام والصور للأزهر وجامعته تقريبًا، مع التنبيه إلى ما سبق ذكره مما نشرناه قبل ذلك فى كتابنا «الحركة العلمية للأزهر فى القرنين التاسع عشر والعشرين»، لكى نكمل بهذه الإضافات الموضوعات والأعلام التى لم تذكر، وكذلك الصور وهى جديدة لم تنشر، ولم توضع من قبل، حتى تتكامل الصور والمعلومات فى مجموع الكتابين: هذا الكتاب: «الأزهر فى ألف عام» وكتابنا: «الحركة العلمية للأزهر فى القرنين التاسع عشر والعشرين»،ليكون هذا العمل العلمى والتاريخى والأدبى موسوعة، متنوعة فى ساحة التأليف والترجمة والحركة العلمية والفكرية والأدبية للأزهر الشريف، وجامعته المتجددة والمتطورة فى حياتنا المعاصرة، ليظل قلعة للشريعة الإسلامية وعلومها، وحصنا حصينا للغة العربية وآدابها، والله تعالى وحده ولى التوفيق.

دكتور على على صبح

فى رمضان ١٤٣٠هـ سبتمبر ٢٠٠٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

إن للعلم أزهراً يتسامى	كسماء ما طاولتها سماء
حين وافاه ذو البناء، ولولا	منة الله ما أقيم البناء
رب إن الهدى هداك وآيا	تك نور تهدى به من تشاء
منذ تناهى أرخت باب علوم	وفخار به يجاب الدعاء

●●●

الأزهر الشريف

للدكتور حسن جاد حسن

يحتفى الشاعر حسن جاد بالأزهر الشريف فى قصيدته: «الأزهر فى عيده الألفى» يصور فيها دور الأزهر الشريف فى حضارة الأمة الإسلامية قديمًا وحديثًا وفى كل العصور، يقول:[(١)]

أرأيت كيف طوى القرون الأزهر	وأدال عمر الدهر وهو معمر
مرت عليه الألف لم توهن له	عزمًا ولا أوهنت قواه الأعصر
وأشاب ناصية الزمان ولم يزل	وإهابه غض الشباب منضَّر
الله ناط به الكتاب وهديه	حفظًا فلا يبلى ولا يتغير
وحبا كنانته به فأحلها	شرفًا تطول به السما وتظهر
هرم من الأهرام إلا أنه	حرم يلوذ به الحجيج ومَشْعَر
أبدًا تشد له الرحال حثيثة	ويؤم بعد المسجدين ويؤثر
لا تغترر يومًا بصرح شاده	وهم على عقل البناة مسيطر
ليس الذى يبنى الحجارة مثل من	يبنى العقول النيرات ويعمر
ما شاد بان فى الكنانة مثلما	شاد المعز الفاطمى وجوهر
يا معهدًا عم المشارق نوره	فمشى على أضوائه المتحير
واستنهض الدنيا فرجع شرقها	عنه وجاوب غربها المتحضر
ووعى علوم الدين والدنيا معًا	متوثب الخطوات لا يتعثر
وحمى الشريعة وهو حصن كتابها	وبه يفيض نميرها المتفجر

---

(١) ديوان الدكتور حسن جاد المخطوط بكلية اللغة العربية بالقاهرة من ٩٩/ ١٠٢ وانظر كتابنا «الحركة العلمية للأزهر فى القرنين التاسع عشر والعشرين» د. خفاجى، ود. على صبح لترجمة د، حسن جاد.

وتعهد الفصحى فكان لسانها ... وعليه ألوية البلاغة تنشر

كم أطلعت آفاقه من أنجم ... زهر وكم تنساب منه الأبحر

من كل ركن فى الشريعة يستبى ... فى العلم أفذاذ العقول ويسحر

من كان يلتمس الحقيقة حرة ... فلديه جوهر لبها المتخير

كم فى رحاب الأرض من طلابها ... حجوا إليه خاشعين وكبروا

***

ماضر لو سلك الشباب سبيله ... فى الحق واستهدوا به واستبصروا

طلبوا الهدى من غيره فتطرفوا ... وتخبطوا فى الوهم حتى كفَّروا

ولو استبانوا الرشد لم يتشددوا ... فالدين أسمح فى الأمور وأيسر

علل النفوس خطيرة لكنما ... علل التدين والعقيدة أخطر

من ذا سواه يروض جمح نفوسهم ... بهداه وهو على الرياضة أقدر؟

كم ذا رماه بالتأخر مغرض ... فهل الأصالة رجعة وتأخر؟!

حسبوا الحفاظ على التراث تحجراً ... فهل الحفاظ على التراث تحجر؟

إفك تورط فيه كل مضلل ... لما تولى كبره المستعمر

من لم يؤسس بالقديم جديده ... فجديده واهى الأساس مزور

***

مرت عليه الحادثات فجازها ... متجلداً حيناً وحيناً يزأر

كم قاد ثورات النضال وشبها ... ناراً على المستعمرين تسَّعر

وجرى زكيًا من بواكيه دمٌ ... عبق بأنفاس الخلود معطر

وإذا استضيم الشعب أو ريع الحمى ... صرخت مآذنه وضج المنبر

من أشعل الحرية الحمراء فى ... ساحاته نوراً وناراً تصهر؟

ومـلاحـمًـا يجـثـولهـا تاريخـه — غــرًا بـأقـــلام الخلـود تسطر[1]

من بـث روح الوعى حــرًا لـم يزل — يلـد البطـولات التى لا تـقـــهـــر؟

إن المـوكــل بـالحـنـيـف وهـديـه — أحـرى وأخلق بالجـهـاد وأجـدر

يا أزهر المـاضى المجـيـــد تحـيـــة — النَّـدُّ فَـوحُ أريجـهـــا والعنبـــر

غـــراء يوجـبـهـــا الوفـــاء وذمـــة — نرعـى الحـقـــوق ومـنة لك تشـكر

أنا من غـراس يديـك فـرع خـمـيلة — كـرمت منابتـهـــا وطاب العنصـر

يجـرى البـيـان الحق فى أعـراقـهـا — عـذبًا فـتطلـع نابهـيـه وتثـمـر

تتـفـيـأ الفـصـحى ظليل ظلالـهـا — وغـصـونهـا للعـبـقـرية مـزهر

مــاض عليـه من الجــلال مــهـــابة — يحنـو لهـا المخـتـال والمتـجـبـر

إنى لأذكـره فـيـبـهـر خــاطرى — والمجـد حـقـا مـا يروع ويبـهـر

***

لبـيك شـيخ الجـامـعــات ومن به — مـصــر على الدنيـا تـتيـه وتفـخـر

كنـت الســـمـــاء منـارة ومكـانة — طلع الشـيــوخ بهـا نجـومًـا تزهر

كـــانـوا ملوكًـــا للمـلوك وكلـهم — فى وجـه طغـيـان الملوك غـضـنفـر

لم يـغــرهـم جــاه ولا أزرت بـهـم — دنيـا ولا استـهـوا همـو مـا ينكر

من مــد فى وجــه الخـديـوى رجله — زهدًا وضم يـديه وهو المقـــتــر؟[2]

من صـيـر الأمراء فى سـوق الحـمى — سلعًــا تقــوَّم قـبـل أن يتـأمـروا[3]

والراسخ الإيـمـان ليس يخـيـفـه — من دهـره إلا العـلى الأكـــبـــر

والعلم كـــان مناهلاً يروى الـصـدى — ظمـــآنه مـنهـــا وعنهـــا يصـــدر

---

(١) ديوان الدكتور حسن جاد حسن المخطوط بكلية اللغة العربية بالقاهرة من ٩٩/ ١٠٢.

(٢) هو الشيخ البـاجورى الذى لم يحفل بـالخديوى حين زار حلقـته وكان يمـد رجليه فلم يضمـهـا ثم أنه لم يقبل هدية الخديوى التى بعث بها إليه مع فقره.

(٣) هو العز بن عبد السلام سلطان العلماء الذى أفتى ببيع أمراء المماليك واعتبرهم من مال بيت المسلمين.

حلقاته الغراء حول شيوخه ... هالات أقمار سناها أقمر
كانت خلايا النحل عند دويها ... وبهاجناها الحريق السكر
وبساحاتها شتى المذاهب تلتقى ... فالساح حشد والأئمة حضر
تغشى مجالسها الملائك خشعًا ... ويحفها مدد السماء النير
وتعمها النفحات من أنفاسها ... وكأنها المسك الفتيق الأزفر
فالعلم قصد الطالبين لذاته ... لا يبتغى جاه به أو مظهر
ما باله أضحى غثاء تجارة ... تلغوا بها سوق ويلهو متجر
عمت معاهده المدائن والقرى ... أترى كمظهرها يسر المخبر؟
وترى بكل مدينة كلية ... أترى كمنظرها يروق الجوهر؟
يلقى إلى القطط السمان زمامها ... فيسومها (الدلال) و«الشَّهْبَنْدَر»
يتقاسمون الغنم فيما بينهم ... فالربح وفر والجهالة أوفر
من كل نهاز تسلق للذرا ... وضميره بثرى الحضيض معفر
ومهرِّج يعلو مناكب عصبة ... تحميه وهو الأحمق المتهور
ينهى ويأمر باسمها متبجحا ... وكذاك ينهى (العُصْبجى) ويأمر
أشلاء مجد مزقته مخالب ... خرقاء فى سمت التقى تتستر
وتراث أسلاف قد انفردوا به ... فى النهب دون تحرج واستأثروا
وقف على الجبناء من أذنابهم ... أما الأبى العبقرى فمهدر
لكنما حريتى وترفعى ... وكرامتى أغلى الكنوز وأندر
حسبى من الدنيا غناى بها وإن ... كانت ذنوبًا عندهم لا تغفر

***

قالوا التطور قلت صبغ حائل ... إن الأصيل الحر لا يتطور

أمن القشور الهامشية يرتجى — علم سوى أو سلوك خير؟

لا يخدعنك بها كتاب أبيض — من بعد ما هجر الكتاب الأصفر

***

يا أزهر الماضى وكم فى النفس من — ذكرى يؤججها أسى وتحسر

عذراً إذا شط اليراع فأنت من — يعفو إذا شط اليراع ويعذر

عقدت لسانك عجمة ولطا لما — قد كان باللغة الفصيحة يهدر

من أهمل القرآن حفظًا غاله — عى اللسان الأعجمى فيُحْصَر

جيل لعمرك ما يصحح آية — حتى غدت منه المنابر تسخر

نفثات أشجان زحمن مشاعرى — ومن الشجون مقيد ومحرر

أشدو وفى عينى وبين جوانحى — دمع يجول ومهجة تتفطر

لكننى فى عيدك الألفى لا — أنسى الرجاء فرب كسر يجبر

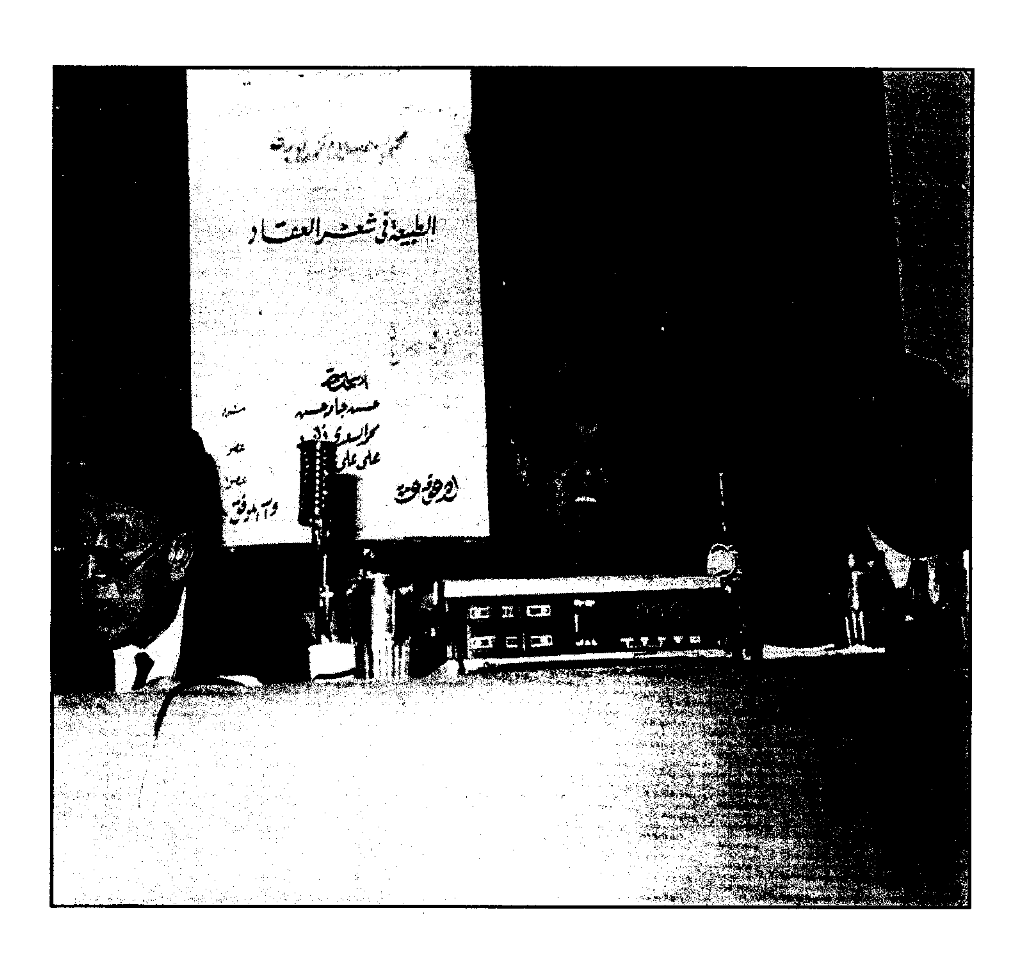
مهما نظم لك الوفاء وصغته — درا فإنى فى الوفاء مقصر

يكفيك أنك أنت مصر ومجدها — يوم الفخار وأن مصر الأزهر[1]

❁❁❁

---

(١) انظر كتابنا «الحركة العلمية للأزهر فى القرنين التاسع عشر والعشرين» د. خفاجى، د. على صبح تحدثنا عنه حـ٣ صـ٥٦١ القاهرة ٢٠٠٧ -المكتبة الأزهرية للتراث وفيه ترجمة تاريخية للدكتور حسن جاد.



على الترتيب من اليمين أ.د. على صبح المؤلف عميد كلية اللغة العربية وأ.د. محمد السعدى فرهود رئيس جامعة الأزهر، وأ.د. حسن جاد حسن عميد كلية اللغة العربية.

الأزهر

للشاعر عزيز أباظة

منبـــر فى ثرى الكنانة قـــدسى	تتـــمنى لو قـــد حـــوته الثـــريا
مـــا ارتقى الأنبـــيـــاء أعـــرق منه	شـــرفًا سـامـقًـا وعـتـقًـا سنيـا
إنه الأزهـر الشـــريف أجــد[1] الله	فى صــــحنه السنا العـــربيـــا
واجـــتـبـاه مـجـاهدًا خـاشى الله	مــقـيـمًـا حدوده مــخـشـيًّـا
درجت حـولـه القـرون فلم تعـرفه	تحت الأحــــداث إلا جــــريا
سل طواغـيـت كل عـصــر بمصر	كـــيف هابـوا المعـــمم الأزهـريا
آنســوا فـيـه مـغـاوير عـمـرو[2]	شـبـهـا واضح السـمـات جليـا
عـــزة عـفـــة وأنفـا حـــمـيـا	وإباء عـلى الهنات عـــصـــيـــا
فـــإذا مـــا دعـــاه للحق داع	لم يبت نـاكـــلا ولا قـــعـــديا
فى حـــمى الأزهـر الرحب وفـى	أفنائه الحـانيـــات عـشنا مليـا
يوم هبت تذود عن عـــرضـــهـــا	مـصـر كـمى منهـا يبـارى كـمـيا
والمنايـا من حـولـهم حـاشـــدات	يتـــخـطفن رائحـــات غــديا
نبـــــذ الأزهـر المتـــــون وألقى	بالحـواشى وانقض ليـثـا عـتـيـا
سل أبـناؤه إلى الـنصـــر عـــزمـــا	حيـــدريًا[3] وصـارمًـا خـالديا[4]
يا أبا الجامـعات فى الشـرق والغرب	ويا شـيـــخـهـا الوقـور الفـتـيـا
كم بـنيت الأفـــذاذ فكـرا وعلمـــا	عـــبـــقــرى منهم يـلى عـــبـــقـــريا

---

(١) أجد: جَدَّدَ. (٢) عمرو بن العاص رضى الله عنه.

(٣) على بن أبى طالب رضى الله عنه.

(٤) خالد بن الوليد رضى الله عنه من قصيدة ألقيت فى رثاء الشيخ محمد على النجار عضو مجمع اللغة بقاعة الشيخ محمد عبده بالأزهر.

الأشـــــداء في يقـــين ودين والأرقـاء في السجـود البكيـا

النواوي والمراغي والعـــدوى والـرازقي والبــشــــريا[١]

والبحــيري من مـحلـة نصـر مالىء العصـر كابن رشد دويا[٢]

مـصلحا مـخضـعا فتاوه للفكر وحـبـرا مـجـدداً سلفـيًّـا

يتحرى النقلي في العلم بالبحث ويغـــزو بعـقله العـقليـا

صفـوة من بنيك عـزت بهم مصـر وكـادت علوا تشـق السميا[٣]

لست أحـصي ولا أخـصـص بل أجنيت مـن زحـمـة الحلى حـليا

من رسـول الأزهريين شـيـخـا وفتـيـا ودانيـا وقـصـيـا

أدركـوا الصـدع قـبل أن يصـبح الصدع على الرائين صعبا عصيًّا

وشبـاب يستمـرئون ذليل العجـز ورداً رنقـا ومـرعى وبيـا

ركبـوا الجهل والسهولة والوشك[٤] وليـسـت للراشـدين مـطيـا

أرسلوا الشعـر طمطمات فـلا غربي نسج سـداه[٥] ولا شـرقـيـا

وانتـحـوه كـأنما هو ثأر حـين رضـوا وزنـا وهضـوا رويا

مـذهب من مـذاهـب السـوء يطوى بجـلال الفصـحى العداء الضـريا

يتعدى بهـدمها فض شمل العرب فـضـا كـمـا نثـرت العـصـيـا

يتـعـدى بهـدمـهـا أن يـبيت الدين لا راعـيـا ولا مـرعـيـا

واسـتـبـاحـوا كـرامـة الحق والفن دعي منهـم يمـالي دعـيـا

---

(١) الشيخ حسونة النواوي والشيخ محمد مصطفى المراغي والشيخ مصطفى عبد الرازق والشيخ سليم البشري.

(٢) الشيخ الإمام محمد عبده وابن رشد الفيلسوف الفقيه الطبيب الأندلسي.

(٣) جمع سماء.

(٤) الوشك: السرعة.

(٥) سدى الثوب أقام سداه وهو ما يمد من خيوط.

هاتكًا حرمة المعايير والأخطار حتى عدوا الفصاحة عيا

فغدا الذم عندهم أن يقولوا شاعر يؤثر البيان السريا

أو يقولوا أسف واعتاقه العجز فجارى الشريف والبحتريا

أو يقولوا عن كاتب ماله هان فأمسى أسلوبه جاحظيا

إنه الزيغ فاضربوا حوله الإيمان سدا يوأد دنيا شقيا

لن تضام الفصحى وفينا كتاب الله يتلى صبيحة وعشيا

وعد الله أن يصون حماها إنه كان وعده مقضيا

لا ومن أنزل القرآن على المبعوث الحق مرسلا ونبيا المبعوث الحق مرسلا ونبيا

❁❁❁

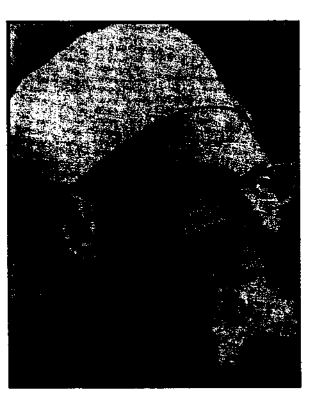
الباب الرابع

أعلام من الأزهر في العصر الحديث



الفصل الأول: شيوخ الأزهر

[٤٠] فضيلة الإمام الأكبر الدكتور الشيخ عبد الحليم محمود



الأزهر الشريف الذى سمقت مآذنه إلى السماء منذ ألف عام ونصف تقريبًا، وستظل مآذنة سامقة نيرة مبهرة الإشعاع بواسطة مصابيح العلماء الأجلاء من الأزهر.. وإنى على ثقة ويقين، أن إشعاع الأزهر لن يخبوا أبدًا ما دام فيه العلماء الغيورون على القرآن والسنة.. أمثال فضيلة الإمام د. سيد طنطاوى حفظه الله وأبقاه حيث أعاد حفظة القرآن وشجع الكتاتيب ورصد لها الملايين من النقود. سيظل الأزهر أعظم ضوءًا، وأروع إشراقًا.

ونواصل الحديث عن إمام جليل من أئمة الأزهر أعاد للأزهر سمعته وهيبته، ونشر مدارس ومعاهد فى كل ربوع مصر إنه فضيلة الإمام الدكتور عبد الحليم محمود الإمام الأربعون للأزهر الشريف.

«نسبه وبيئته ونشأته.. وتوليته المشيخة»:

إن الحديث عن هذا الإمام لا يكفيه كتب أو مجلدات.. لأنه تاريخ وسجل حافل بالعطاء فى خدمة الإسلام والمسلمين والأزهر الشريف، وسأوجز مع عدم الإخلال بالمعنى. ومن أراد المزيد عنه وهو كثير، فليتصل بابنه أ. د. منيع -عميد كلية أصول الدين بالقاهرة سابقًا- وقد أفاض المؤرخون والمثقفون فى الحديث عنه، وذكر مآثره، ومفاخره، فهو عالم إسلامى كبير، فسيح الآفاق عميق الأغوار، جمع بين ثقافة الشرق والغرب، وتأثر بالمعارف الدينية، كما انتفع بالعلوم الفلسفية، ومارس الحياة الواقعية، كما حلق فى الآفاق الصوفية، وكابد من المشقات ما كابد.. ولكنه تسامى فوقها جميعًا. لأنه أثر حياة الآخرة على الحياة الدنيا، وتعلقت آماله بالله، فلم يعد بحاجة إلى أحد سواه.. إذا قرأت عنه قلت

هو فقيه كبير، وإذا سمعته قلت: هو خطيب ممتاز. وإذا عاشرته قلت: هو قطب من أقطاب التصوف، ويكفى أن تقول: هو الدكتور الإمام عبد الحليم محمود وكان لى الشرف أن درس لى وأنا طالب فى كلية أصول الدين فى الستينيات.

وإمامنا نشأ فى أحضان القرية وربوع الريف الجميل ذات التقاليد القائمة على الشهامة والرجولة والمروءة والسخاء، لأن هذه التزامات البيئة الريفية، التى تلتزم النجدة، وإغاثة الملهوف، والتعاون على البر والتقوى، والصون والعفاف والمحافظة على شعائر الدين، وصلات الأرحام، والحفاظ على الجوار.. إلخ وهذه المؤثرات كلها، انطبعت فى نفس الطفل، منذ نشأته وظلت ملازمة له طيلة حياته.

ولد د. عبد الحليم.. لأبوين كبيرين فى مايو سنة ١٩١٠ فى قرية ريفية جميلة تسمى «أبو حمد» من ضواحى مدينة بلبيس شرقية والقرية منسوبة إلى جده «أبو حمد» الذى أنشأ القرية، وأصلح أرضها، وبث فيها الخصب والنماء، وهى تقع على ترعة الإسماعيلية، التى تبعد عن القاهرة حوالى خمسين ك.م. والبيئة لها أثرها على مجتمعها.. ولهذا فإن القرية:

تقع فى منطقة جميلة عامرة بالحدائق، التى تنافس كبار رجال الدولة فى إنشائها، والآن تسمى «السلام» نشأ فى أسرة صالحة مشهورة بتمسكها بشعائر الإسلام، حريصة على التقاليد العربية الكريمة، والخلق الإسلامى القويم. وكان أبوه الشيخ «محمود على» من الشغوفين بالثقافة الدينية فى حلقات الأزهر العلمية، وكان يتمنى أن يستكمل دراسته بها، ولكن والده الشيخ على توفى.. فاضطر أن يعود لقريته لرعاية أسرته، وقضاء ما لهم عليه من حقوق، وهكذا دائمًا واجب الابن الكبير.. حق عليه رعاية الأسرة مهما كانت الأمور. ترك الشيخ محمود الأزهر وقلبه معلق به، ومشاعره الفياضة نحوه، وكان لا يكف عن الذكر والتذكير بالدعوة إلى الله، واتصل ببعض مشايخ الطرق الصوفية فتجاوبوا معًا، وكثيراً ما كان يستعيد ذكرياته الدراسية فى رحاب الأزهر، ويذكر أساتذته وزملاءه بالخير.

وكان يتمنى أن يرزقه الله طفلاً نجيبا يستكمل به ما فات، وما لم يستطع تحقيقه من الدراسة، واستكمال تعليمه، حتى رزقه الله بابنه عبد الحليم محمود، صاحب هذه الذكرى -الشيخ محمود- مشهوراً فى قريته والبلاد المجاورة،

بالتقوى والصلاح وحدة الذكاء وحسن التأنى والتصرف فى حل المشكلات مع التمسك بالحق والجهر به. والدعوة إليه، فنال ثقة الناس به وانقياده للناس وانقيادهم له فى كل المنطقة وما جاورها. . «فاتجه الناس إليه جميعًا فى حل مشكلاتهم وفض خصوماتهم، فكان يدرسها ويعيها ويصدر أحكامه ،فيلتزم بها الجميع دون مراجعة أو اعتراض، سواء كان عمدة أو فلاحًا. . وقد لفت هذا نظر الحكومة، فعينته قاضيًا فى المحاكم الإقليمية المعروفة فى ذلك الحين باسم «محاكم الخط» وكان المسئولون يراعون اختيار القضاة من الوجهاء المشهورين بالتقوى والصلاح والعقل الرشيد وحب الناس لهم. وإنى أناشد وزارة العدل أن تعيد إحياء هذه المحاكم -لأنها ستخفف الأعباء عن المتخاصمين، وسرعة الفصل فى القضايا، ولاقتناع الناس عادة بالحكم العرفى -القبلى- ومراعاة إحلال الوئام محل الخصام، وأيضًا ستخفف الكثير جدًا عن المحاكم الرسمية فى قضاياها التى تأخذ فى حلها سنين طويلة.

كل هذا نشأ فيه عبد الحليم الطفل والصبى والشاب فى حجر والديه الكريمين، مع العناية والرعاية، والعطف والحنان، لكن مع الحزم إذا لزم الأمر، وأن يرده إلى الجادة[1].

ذهب الطفل إلى كتاب القرية مع والده وقابله الشيخ الذى سيحفظه القرآن، وأعطاه بسخاء، فعنى بالطفل عناية تامة، حتى حفظ القرآن الكريم كله فى وقت قصير -فقوم لسانه، وأمده بثروة لغوية وبيانية كانت خير رصيد له فى الكتابة والخطابة والتحدث فيما بعد. . ولقد تأثر الطفل بالوراثة الصالحة من أبيه. . وبيئته الجميلة، ثم زاد تأثره بمشايخ الصوفية الذين كانوا يتوافدون على والده وكرمه معهم، وكان يصغى بانتباه إلى أحاديثهم الدينية وسبحاتهم الروحية، وقصصهم الهادفة، فتنطبع على صفحات قلبه، وتمتزج بروحه، فتترك فيها الأثر العميق وبعد أن درس المواد التى تجيز له الالتحاق بالأزهر. . وبعد أن حفظ القرآن الكريم كاملاً. . ألحقه والده الشيخ محمود بالأزهر سنة ١٩٢٣م تحقيقًا للأمل الذى كان يصبو إليه، فظل عامين يدرس فى الأزهر بالقاهرة ويتنقل بين حلقاته، وأبوه سعيد

---

(١) صوت الأزهر ص ١٠ فى ٨ من رجب ١٤٢٩/ ١١/ ٧/ ٢٠٠٨. د. عبد الله نصر.

كل السعادة لما رآه فيه من الجد والاجتهاد.. ولما تم إنشاء معهد الزقازيق الدينى الأزهرى بالشرقية، وذلك سنة ١٩٢٥م ألحقه والده به لقرب الزقازيق ثم تمَّ افتتاح معهد مسائى للمعلمين فتهافت عليه طلبة معهد الزقازيق حيث رأوا فيه فرصة سانحة لاختصار سنوات الدراسة الطويلة بالأزهر، والحصول على عمل مدرس بالمدارس الأولية فى زمن قصير، فالتحق الطالب عبد الحليم مع كثير من زملائه بمعهد المعلمين -ولم يترك دراسته بالمعهد الدينى بل جمع بين الدراستين، ونجح الطالب فى المعهدين، ووصل إليه خطاب تعيينه مدرسا، ولكن والده رفض قبول هذا التعيين، لأنه كان يعد ابنه لمستقبل أفضل وأكرم، وعمل أعظم لا يعدل به غيره بأى حال. والتفت الطالب إلى التعليم الدينى، وانكب عليه بكل مواهبه وطاقاته، ثم تكرر الموقف مرة ثانية حينما حاول الالتحاق بتجهيزية دار العلوم «القسم الثانوى» ليستكمل من بعد دراسته فى قسمها العالى -والملاحظ أن كثيراً من طلبة الأزهر يميلون كثيراً للالتحاق بدار العلوم، أو مدرسة القضاء الشرعى.. وهما على كل حال منبثقتان عن الأزهر، وإن الإصلاح والتنظيم فى مواد الأزهر وصل إليهما قبل الأزهر. الذى بقيت فيه كتب الحواشى والشروح الكبيرة والكم الهائل من كتب المراجع الكبيرة. التى ينوء بها كاهل الطالب ترهقه فى التحصيل، ولهذا كانت حركة الإصلاح بالأزهر موضوع صراع طويل بين أنصار التجديد وأنصار المحافظة على القديم.

عاد عبد الحليم إلى الأزهر لتحقيق ما كان والده يتمناه، وبذل جهوداً كبيرة فى الدراسة والتحصيل، ورأى أن يختصر مرحلة التعليم الثانوى إلى عامين بدلاً من خمسة أعوام، وكانت الدراسة بالأزهر تعطى للطالب فرصة اختزال ودمج الخمس سنوات فى سنتين، فعكف الطالب على الاستذكار فى بيته وتقدم من منزله إلى شهادة إتمام الدراسة الثانوية بالمعهد فحصل عليها سنة ٢٨ ١٩م، وكان هو الطالب الوحيد الذى نجح من بين المتقدمين من منازلهم.. وواصل دراسته العالية فى جد وعزم وتصميم، وكان لا يكف عن القراءة والاطلاع. - سواء فى موسم الدراسة أو الإجازات، وكانت متعته الكبرى فى البحث والدرس والتحصيل حتى أتم دراسته، ونال العالمية سنة ١٩٣٢م. وكانت فرحة الوالد لا تقدر فى تحقيق أمله فى

ابنه الذى كان أيضًا أصغر الناجحين، وكان كل زميل من زملائه أمله أن يكون مدرسًا لأحد المعاهد الابتدائية أو إمامًا بأحد مساجد الأوقاف، ولكن طموح الشاب وسعة آماله وقوة ذكائه وشدة عزيمته جعله يتطلع إلى اسمى من هذا، وهو أعلى الدرجات العلمية وهو أمل الموهوبين، وكان أمل الشاب أن يكمل دراسته الأزهرية، ويواصل دراسته فى الجامعات الأجنبية، وآثر التعب على الراحة، واختار الكفاح على الهدوء، واختار لدراسته -جامعة السوربون- فى باريس. فشد إليها الرحال، وهى مغامرة جريئة من شاب لا يعرف لغات أجنبية إلا لماما.. ولا يعلم عن الثقافة الفرنسية إلا أحلامًا تراود خياله حينا بعد حين- سافر الشاب إلى فرنسا على نفقته الخاصة، وهذا أمر مرهق تمامًا، ومخاطرة لا يعلم مداها إلا الله -سبحانه وتعالى- إلا أنه سافر مزودًا بإيمانه القوى، وعزمه الفتى، وآماله المرجوة، واثقًا بربه، مؤمنًا بأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، وفعلاً لاقى الشاب من المتاعب ما لاقى، وتحمل!! وظل محتفظًا بالتقاليد الإسلامية التى تربى عليها فى بلده، وذلك بين أقوام لا يعرفون هذه التقاليد، حتى ولو عرفوها لا يعيرونها اهتمامًا[1].

ومضى فى طريقه بعزم وإيمان صادق، فلم تجد المغريات بجميع أنواعها سبيلاً إلى نفسه، ولا الحضارة المادية طريقًا إلى قلبه، بل ظل سائرًا بكل حرص، وحكم نفسه وسيطر عليها تمامًا -ومن حكم نفسه حكم الرجال- مصرًا على الوصول إلى غايته بأسرع ما يكون، وفضل أن يدرس تاريخ الأديان والفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس، وحصل فى كل منها على شهادة عليا -وكان عليه قبل ذلك أن يتقن الفرنسية إتقانًا تامًا.. بحيث يستطيع الإطلاع وقراءة المصادر لأبحاثه، وأن يؤدى بها امتحانه، وأن يكتب بها رسالة الدكتوراة، وقد وفقه الله فى كل هذا، والله لا يضيع أجر العاملين.

وفى نهاية سنة ١٩٣٧م التحق بالبعثة الأزهرية، فزالت عن كاهله أعباء ثقال، ونجح فيما اختاره من علوم وآثر أن تكون رسالته للدكتوراه -فى التصوف الإسلامى -وأن يكون موضوعها.. أستاذًا من عمالقة الصوفية..

---

(١) صوت الأزهر ص ١٠ فى ١٥ من رجب ١٤٢٩هـ-١٨/١٧/٢٠٠٨ د. عبد الله سلامة نصر.

وهو «الحارث بن أسد» فإن بينهما مشابهات قوية فى الفطرة الروحية، والمشاعر الوجدانية، والسلوك الصوفى، وكلاهمـا يرى الكتاب والسنة أساس التصوف، وكلاهمـا تقى ورع عف اللسان، وزاهد فى الدنيـا ومتـاعها، لا عن فـقر أو ضعف، ولا عن حرمان، وإنما عن غنى وعفاف وسعة رزق.

وفى أثناء إعداد رسالـته، قامت الحرب العالميـة الثانية ١٩٣٩ وفضل كـثير من زملائه العودة للوطن فـراراً من مشاكل الحرب ولكن إيمـانه القوى بالله، جعله أن يبقى حتى يتم رسالته هو وقلة من زملائه، منهم الدكـتور «محمد الفحام». وبلغ هدفه معتصمًـا بقول الله سبحانه: ﴿**قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ [التوبة: ٥١]. ومضى فى كتابة رسالته حتى أتمها، وتحدد لمناقشته سنة ١٩٤٠ وتمت المناقشة ونال درجة «الدكـتوراة» بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى، وقررت الجامعة طـبعها بالفرنسية على نفقـتها، وهو تقدير نادر وعظيم، وبعد هذا الجهد، وبعد أن نال بغيته وحقق أمله الذى كان يهفو إليه طوال حياته.. قرر العودة إلى وطنه عن طريق البـحر. إسبانيا -وبدخول إيطاليـا الحرب تعذرت عليه سبل المواصـلات فظل عاما ونصف العام يتـردد بين إسبانيا وفرنسـا، وأخيراً قرر السفـر عن طريق رأس الرجاء الصالح حول قارة إفـريقيا ، وهو طريق طويل حافل بالأخطار والـعواصف، . ولكن لم يكن أمامـه سبيـل غير ذلك.. فـقضى أربعة أشهـر قاسى فيها من المتـاعب أشدها، ووصل وطنه الحبيب -مصـر- أخيراً متوجًا بالفوز والنصر وذلك فى أواخر سنة ١٩٤٠.

«مناصب تولاها قبل المشيخة»:

بدأ الدكتور عبد الحليم مـحمود حياته العملية عقب عـودته من فرنسا. مدرسًا لعلم النفس بكليـة اللغة الـعربيـة، ثم أستـاذا للفلسفـة بكلية أصـول الدين سنة ١٩٥١م ثم عمـيداً لها سنة ١٩٦٤ فألزم الطلبـة بحفظ القرآن الكريم والامـتحان فيـه. وقد أتيح له أن يلتقى بالكثـير من أفراد الشـعوب الإسلاميـة، وأن يعلم ما تقاسـيه تلك الشـعوب من ويلات الاستـعمار، ومن يتـعاونون مـعه وأن الثقـافة الإسلامية فى تلك الشعوب ضعيفة، مغلوطة الترجمة، فيجب تنقيتها.

ثم عين عضواً بمجمع البحوث الإسلامية، ثم أمينا عاما له، وأعانه ذلك على بلوغ ما يصبو إليه من أهداف.. حيث إن مجمع البحوث الإسلامية. هو الهيئة الإسلامية العليا التى تقوم بدراسة الثقافة، وتجديد الثقافة الإسلامية وتجريدها من الفضول والشوائب، وآثار التعصب السياسى والمذهبى، وإعادتها إلى جوهرها الأصيل الخالص، وتوسيع نطاق العلم بها، لكل مستوى وكل بيئة، وبيان الرأى فى كل ما يستجد من مشكلات مذهبية أو اجتماعية تتعلق بالعقيدة، وحمل الدعاة تبعة ذلك، ويجب أن تكون الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ويجب على جامعة الأزهر التعاون فى توجيه الدراسات العليا، والدكتوراة» والإشراف عليها فى امتحاناتها.

بدأ الدكتور عبد الحليم بتكوين الجهاز الإدارى والفنى بمجمع البحوث الإسلامية من خيار موظفى الأزهر، ونظمه خير تنظيم.. ثم اختار له مكانًا مناسبًا، وجهزه بمكتبة علمية ضخمة، واختار مكانًا مؤقتًا بمدينة البعوث الإسلامية، واستغل صلاته وصدقاته بكبار رجال الدولة والمؤلفين والباحثين وأصحاب المروءة، فتوالت الهدايا العديدة من الكتب القيمة على هذا الجهاز الفنى. وبهذا أمكنه إنشاء المكتبة وإيجاد المكان دون أن يكلف الدولة جنيها واحدًا.. ولكنه مع هذا كان يخطط للمستقبل البعيد[1].

استطاع أن يقنع المسئولين فى الدولة، بتخصيص قطعة أرض فسيحة بمدينة نصر لتضم المجمع وجميع أجهزته العلمية والإدارية، إلى جانب قاعات فسيحة لاجتماعات المجلس على مستوى عالمى لائق بسمعة الأزهر وسمعة مصر، تعقد فيه المؤتمرات العالمية، كما اقنع المسئولين فى الدولة برصد ميزانية للتنفيذ. وفعلا توجد الآن قاعة المؤتمرات للأزهر على أرقى مستوى عالمى. لإقامة المؤتمرات الكبرى يحضرها رئيس الدولة ووفود العالم، ثم أقيم بجانب المجمع مبنى رئاسة قطاع المعاهد، ووضع التصميم لهذه المبانى الكبيرة أشهر المكاتب الهندسية الكبرى.

---

(١) صوت الأزهر ص ١٠ فى ٢٢ من رجب ١٤٢٩هـ ٢٥/ ١٠/ ٢٠٠٨م بقلم وريشة د. عبد الله سلامة نصر.

ثم عنى بمكتبة الأزهر الكبرى المقامة الآن على قطعة أرض كبيرة بأرض الخالدين بالدراسة، بعدما كانت داخل الجامع الأزهر، ثم بدأ بتنظيم لجان المجمع من أعضائه بحسب تخصص كل منهم. ولم ينتظر رصيدًا لميزانيته الخاصة، بل أخذ فى التنسيق والإعداد حتى يختصر الوقت، وكان من أهم المشكلات التى واجهها توفير الكفاءات العلمية التى تتلاءم، ورسالة المجمع العالمية وتوفير المناصب اللازمة لهذه الكفاءات. وظل ينظم ويخطط لنشاط لجان المجمع، وقامت بأداء واجبها، فاجتمع مجلسه وتعددت اجتماعاته، وفى عهد رئاسته له أيضًا تم عقد المؤتمر المؤلف من كبار علماء المسلمين فى العالم الإسلامى، ولم يكتف الإمام د. عبد الحليم محمود بإصدار القرارات، بل اهتم بتنفيذ هذه القرارات، سواء السابقة أو اللاحقة لعهده، وظل يواصل العمل لتحقيق هذه القرارات لا تثنيه قلة المال ولا ضعف الوسائل، والظروف، ثم واصل الاهتمام بالمجمع بعد تعيينه وكيلاً للأزهر، ثم وزيرًا للأوقاف وشئون الأزهر، ثم شيخًا للأزهر.

واللجان القائمة بمجمع البحوث الإسلامية الآن تعمل متساندة متعاونة، يكمل بعضها بعضا، ويعينها على أداء مهمتها السامية بأناة وحرص برئاسة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية وهو فضيلة الشيخ على عبد الباقى، ويرأس هذه اللجان وأعضاؤها العاملون الذين أحسن اختيارهم، وعدد هذه اللجان إحدى عشرة لجنة على سبيل المثال وليس الحصر.

ثم صدر قرار جمهورى بتعيينه وكيلاً للأزهر سنة ١٩٧٠ فازدادت أعباؤه واتسعت مجالات جهوده ولم يحاول أن يقلل من هذه الأعباء ولم يحد من جهوده، ولم يترك الأمر لكبار موظفى الأزهر يحملونه عنه، ولكنه ضاعف جهوده وجهاده فى القيام بكل ما يخدم الدعوة الإسلامية، وكان مع هذا يرعى مجمع البحوث الإسلامية ويلقى محاضراته فى كلية أصول الدين ومعهد الدراسات العربية والإسلامية ومعهد تدريب الأئمة، إلى جانب محاضراته العامة فى الجمعيات والأندية بالقاهرة وغيرها من الأقاليم، وكان مع هذا كله يوالى كتابة الدراسات والمقالات فى المجلات الإسلامية الكبرى، ويصنف المؤلفات القيمة ويشرف على رسائل الدكتوراة ويشترك فى المؤتمرات والندوات العلمية ويتابع إلقاء الأحاديث فى الإذاعة والتليفزيون.

ولم يقتصر نشاطه على مصر وحدها، بل امتد وشمل العالم الإسلامى كله، فكان لا يكاد يستقر إلا وهو على سفر إلى دولة خارجية، فقد تعلقت به آمال المسلمين جميعًا فى كل قطر، ومن أمثلة جهوده التى بذلها فى مراحل حياته قبل ولايته لمشيخة الأزهر وأثنائها سفره إلى جميع بلاد العالم العربى والغربى والإسلامى.

توليه وزارة الأوقاف:

اختاره المسئولون وزيرًا للأوقاف وشئون الأزهر، وذلك لكفاءته العلمية، ومواهبه العقلية والإدارية، وسلوكه القويم، فنظم الأجهزة وزودها بالكفاءات الممتازة، وأقام المساجد ووضع منهجًا دقيقًا لتحفيظ وتعليم القرآن الكريم -فى جميع قرى ونجوع مصر ومدنها، ورصد مكافأة مجزية للمحفظين من الجنسين، وبلغ عدد الكتاتيب وحلقات تحفيظ القرآن أكثر من أربعة آلاف حلقة وكتاب لا يقل عدد الحافظين عن أربعين حافظًا فى الكتاب الواحد، وضم إلى وزارة الأوقاف فى عام واحد أكثر من ألف مسجد، وأنشأ بمساجد الوزارة فصولاً للتقوية فى العلوم ينتفع بها طلاب الشهادات، جذبت آلاف الطلاب إلى الصلاة فى المساجد وربطهم بشعار الدين، فتح مكتبه لكل الجمهور يوم الخميس من كل أسبوع، واسترد أوقاف الوزارة المغتصب منها والمجهول والمنسى بعد أن كانت خرابا فأصلحها وأنشألها هيئة كبرى لإدارتها، وبهذا زاد دخل الوزارة عشرات الملايين من الجنيهات، ثم أنشأ مراكز إسلامية فى العالم، وعمل على توثيق الروابط بين الجامعات والمعاهد الإسلامية، وكان حريصًا على أن يرد للأزهر اعتباره ومنزلته وهيبته العالمية فاستصدر قرارًا جمهوريًا بأن شيخ الأزهر بمرتبة -رئيس وزراء- له كل مميزاتها[1].

توليته المشيخة:

صدر قرار رئيس الجمهورية بتعيين فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود شيخًا للأزهر فى مارس ١٩٧٣م وكان هذا هو المكان الطبيعى الذى يليق بتلك الشخصية الفذة النادرة، فالوزارة لها اتجاهات لا تتفق مع برنامجه الإصلاحى الدينى -فهو لا

---

(١) صوت الأزهر ص ١٠ فى ٢٠ من رجب ١٤٢٩هـ ١/٨/٢٠٠٨ بقلم وريشة د. عبد الله سلامة نصر.

يريد الوزارة- فمثل هذا المنصب يستنفذ وقته فى شئون روتينية، وفضيلته خلق ليكون عالمًا متحدثًا دارسًا باحثًا، ومؤلفًا، ومصنفًا، مع تصوفه الواضح.. وليكون مصلحًا اجتماعيًا كبيرًا، وكأنما أعدته العناية الإلهية ليتولى قيادة الدعوة الإسلامية، والنهضة الدينية فى العصر الحديث.. فبعد توليه منصب مشيخة الأزهر، لم يضيع وقتًا، فقد باشر السعى فورًا لتحقيق أهدافه العلمية السامية، ورفعة شأن الأزهر وانتشاره.. فقد سعى وهو وزير للأوقاف برد أوقاف الأزهر بعد اغتصابها منذ أكثر من مائة عام، حيث قال: «لقد كان موقوفًا على الأزهر مالاً كثيرًا لا يكاد يحصى من كثرته، وكان الأزهر يعيش فى حدود أوقافه المخصصة له كريم النفس رافع الرأس، ولا يشعر بأى ضيق مالى، يصرف الرواتب الشهرية للطلاب وشيوخه، ويبنى ويشيد المؤسسات والمساجد والمعاهد، ولا يمد يده لأى حكومة أى كانت، وبهذا يكون صاحب كلمة مسموعة وصاحب قرار.. وكان الحكام وذوو السلطة فى الدول يضيقون بذلك أحيانًا، فما كان لهم من سبيل لاخضاع الأزهر إلا من جهة رزقه، وأخذ الحاكمون من بداية عصر محمد على وخلفائه، يحتالون للأمر.. حتى أمكنهم بالمكر والخديعة، أن يستولوا على أوقاف الأزهر، ويعطوه من خزينة الدولة ويضيقون عليه سنة بعد أخرى، مع وقف نمو الأزهر وعدم انتشاره، وعدم تطوره، وأصبح الأزهر فى ضيق يزداد يومًا بعد يوم.. وحتى يكتموا صوت علمائه ضد ظلم الحكام. وتابع فضيلته فقال: «أما أوقاف الأزهر التى سلبت منه بالحيلة، فإنها شرعًا وقانونًا من حقه.. وما زالت له، ولأن أوقاف البر لا تؤخذ هكذا، ولا يغير مصرفها.. وكل هؤلاء الذين استولوا عليها إنما يأكلون حراما، ولا يقبل الله عملهم لأنهم يأكلون أموال الأزهر، لابد لهم من رد مال الأزهر إليه.. وهذه الأوقاف ثابتة فى حجج محفوظة، وكما اغتصبت دولة محمد على هذه الأوقاف فإنها يجب أن تسترد ثانية».. واعتبرت هذه الصرخة الجريئة فتوى فقهية صدرت من شيخ علماء المسلمين وإمامهم.. وهى واجبة التنفيذ فورًا.. حفاظًا على استقلال الأزهر وتاريخه المجيد.

ولقد واصل فضيلة الإمام الدكتور سيد طنطاوى وعمل على استرداد باقى حقوق الأزهر وأوقافه بعد كفاح مرير مع الدولة ومحاكم القضاء، وتم استرداد

باقى حقوق الأزهر وأوقافه بعد كفاح، وتم استردادها جميعًا حتى التى كانت تابعة لوزارة الأوقاف سنة ٢٠٠٧م.

ولقد أعد الدكتور عبد الحليم محمود نفسه للجهاد الشاق فى سبيل الله -بفكره وحكمتـه ولسانه، وشـمل ذلك العالم الإسلامى، وكـانت هناك مشكلات قـائمة أمامه ومن أهمها:

١- تطبيق الشريعة الإسلامية.. لقد حـاول الاستعمار أن يصرف المسلمين عن القرآن الكريم.. لأنه أساس الشـريعة، ولأن الاستعمـار يدرك تمامًا أنه لا بقاء له فى العالم الإسلامى إلا بالقضاء على القرآن الكريم، قال اللورد -جلاد استون- فى مجلس اللوردات البريطانى ممسكًا بالمصحف الشريف فى يده قائلاً لأعضاء المجلس: «ما دام هذا الكتاب على الأرض»، فـلا سبيل لنا فى اخضاع المسلمين»، كـما فشل الاستعـمار فى القضاء على اللغة العـربية أيضًا.. وذكرنا ذلك فى حلقـات سابقة، ولكن الاستعمـار نجح تمامًا فى فرض قوانينه الوضعية علـى المسلمين وصرفهم عن شرع الله سبحـانه!! ورفع الإمام صوته عاليًا مدويًا، ينبه الأمة الإسـلامية إلى تحرير نفسها من قيـود الاستعمار وقوانينه والرجوع إلى قانون شـرع الله وترك قوانين البشر المتغيرة -حسب الزمان والمكان، مثل قوانين- أفلاطون والنازية، والفاشية والشيوعية ولهذا نزلت الأديان هداية للبشر والعقل. ولقـد انتصرت أمة الإسلام فى السابق فى ظل إيمانها بالإسلام، واحتـرامها الأمم، ثم بدأت تنهار شيئًا فشـيئًا لما ابتعدت عن شرع الله.. وخرج الاستعمار وجنوده، وزرع مدارس الحقوق، وكان نصيب تدريس الشريعـة الإسلامية سـاعات قليلة من اثنتين وعشـرين ساعة فى الأسبـوع، وكانت النتيجة: أن المحامى والقاضى ووكيل النيـابة يتخرج فى كلية الحقوق بفكر أوروبى، فى القياس والحكم والتوصية وهذا ما يريده الاسـتعمار!! ولقد طالب الإمام مجلس الشعب فى قوة وحزم بتطبيق شريعة الله[1].

٢- استقلال الأزهر.. ويتبعها ست مشاكل أخرى لا يتسع لها المقام الآن، كما أكد على إقـامة لجان للعـمل على تقارب الأديان والمذاهب الفكرية، بخـاصة بين النصرانية والإسلام.

---

(١) صوت الأزهر ص ١٠ فى ٧ من شعبان ١٤٢٩هـ ٨/٨/٢٠٠٨م بقلم وريشة د. عبد الله سلامة نصر.

وبينما كان الإمام ماضيًا فى ثورته الإصلاحية.. فوجىء -بغتة- بصدور قرار جمهورى كاد يجرد شيخ الأزهر من اختصاصاته، ويمنحها لوزارة الأزهر، وينص القرار على أن شيخ الأزهر صاحب الرأى فى كل ما يتصل بالشئون الدينية والمشتغلين بالقرآن وعلوم الإسلام، ويرأس المجلس الأعلى للأزهر!! فغضب الدكتور عبد الحليم.. لا لنفسه وإنما غضب للأزهر ولمكانة شيخه التى اهتزت واهتز بها مقام الأزهر فى مصر والعالم الإسلامى كله. وهنا لم يجد الإمام بدا من تقديم استقالته.. فى يوليو ١٩٧٤م إلى رئيس الجمهورية شارحًا فيها موقفه وأن الأمر لا يتعلق بشخصه وإنما يتعلق بالأزهر وقيادته الروحية للعالم الإسلامى، وتوسط الوسطاء لإثنائه عن عزمه فأصر عليها، وانقلبت الدنيا، وهذا موجود فى جلسات ومحاضر المجلس الأعلى للأزهر وشئون الأزهر.. ونتيجة لهذا صدر قرار رئيس الجمهورية.. بإعادة الأمر إلى نصابه، ورد كل الحقوق لشيخ الأزهر، وأن شيخ الأزهر هو الإمام الأكبر، وصاحب الرأى فى كل ما يتصل بالأزهر، وبناء على هذا سحب الإمام استقالته، ودعا إلى تحمل أعباء الأزهر من جديد ووضع هيبة الأزهر فى أعلى درجاتها، وأصبح منصب شيخ الأزهر فى المقام المناسب، وصدر قرار رئيس الجمهورية بمساواة منصب شيخ الأزهر بمنصب رئيس الوزراء من حيث المرتب والمكافآت والمعاش والإدارة.. وهذا جهد مشكور للدكتور عبد الحليم ولقد تم له ما أراد من رفعة الأزهر.

٣- وهناك مشكلة أخرى قابلت الدكتور عبد الحليم.. حيث تثار من آن إلى آخر فى المجتمع الإسلامى.. وهى مشكلة «قانون الأحوال الشخصية» ويختلف فيها الكتاب تبعًا لأهوائهم، وبعضهم يستجيب للنص القرآنى، لا يريد لغيره بديلاً.. وبعضهم يأخذ فى محاولة الالتواء بالنص ليقربه مما يجرى العمل به فى الغرب أو ليقربه من أهوائه التى ينحرف بها تلبية لرغبة جامحة منحرفة يريدون تحريف شرع الله، والعجيب عندما تسأل بعض هذه الفئة، فإنهم يقولون نحن مع الوحى.. ومع الرأى الإسلامى، ولا يستطيعون قولا خلاف ذلك.. خوفًا من تأليب الرأى العام عليهم.. وأريد أن أقول هنا قبل عرض رأى الإمام -إن النتيجة الحتمية التى ينتهى إليها كل باحث مخلص لبحثه وعلمه تاريخيًا وإسلاميًا فالمعروف

فى كل الديانات السماوية والوضعية أن الطلاق بيد الرجل يوقعه أينما يشاء لحكمة يراها، لا قيد عليه فى ذلك ولا تحديد.. هذا ما سار عليه التشريع الإسلامى منذ بدايته، وهذا الأمر يلجأ إليه الغرب الآن. الذى أخذ بمبدأ الطلاق متقربًا إلى الإسلام، فهل نحن نحاول الابتعاد عن الإسلام بالتقرب من الغرب. الذى.أخذ يتخلى عنها.. إذن فلا مناص من أن الطلاق من الرجل يوقعه متى يشاء. وعلى أن من المباح أيضًا أن تشترط المرأة عند العقد.. أن يكون لها حق تطليق نفسها إذا وقع عليها ضرر. ولماذا نحكم على زوجين بأن يعيشا معًا حياة شقاء وعذاب طول حياتهما.

وأن تعدد الزوجات يبيحه الإسلام، ونص عليه القرآن وهو ضرورة تاريخيًا واجتماعيًا.. وحينما منع التعدد ومنع الطلاق فى الغرب كثرت العوانس والأمراض السرية، وكثر اللقطاء.. وإباحة التعدد ليست فرضا، وليس كثيرًا، فنادرا ما نسمع رجلا جمع بين زوجتين، وأما الثلاث والأربع فيكاد يكون معدومًا مع إباحته.

٤- ووجه الدكتور عبد الحليم محمود نداء إلى مجلس الشعب حول الطلاق والتعدد، وأن لا ينساق المجلس إلى آراء تنحرف عن الإسلام، وأنه لا قيود على الطلاق إلا من ضمير المسلم، وكذلك التعدد.. والمصيبة أن قانون «الأحوال الشخصية» المقترح ملىء بالمواد التى تجرد الرجل من كل صنوفه الزوجية وتجرد المرأة من كل واجب عليها نحو الزوجية، وبهذا تنتشر الرذيلة بين الجنسين، ونحن نعلم أن الإسلام يراعى مصلحة الطرفين.

٥- كما تصدى فضيلته للشيوعية، وأنها ربيبة اليهودية، وله فى ذلك مؤلفات كثيرة ومقالات، ولقد عنى عناية فائقة بالقرآن الكريم -عناية تفوق كل شأن فى حياته، فهو يستمد منه عباداته وهداياته وهو يتخلق بأخلاق القرآن فى كل علاقاته وحياته بالمجتمع.

ولما كان عميدًا لكلية أصول الدين -فرض حفظ القرآن على طلبة الكلية بحيث لا يتخرج الطالب إلا وهو حافظًا للقرآن كله، ويشرف بنفسه على الامتحانات، وظلت عنايته بالقرآن الكريم تتوالى وهو وكيلاً للأزهر، ووزيرًا للأوقاف، وشيخًا للأزهر.

آثاره العلمية وتأثيره:

إضافة لما سبق نجد أن الإمام د. عبد الحليم محمود -اعتنى بأداء رسالته العالمية، لكن هذا لم يشغله عن النهضة التعليمية بالأزهر، ليستطيع خريجوه أن يحملوا راية الدعوة الإسلامية بالداخل والخارج على السواء. فبدأ ببرنامج ضخم.. نشير إلى بعض بنوده باختصار.

١- مكاتب تحفيظ القرآن الكريم، فقد قام بتشجيع هذه الكتاتيب التى بلغ عددها عشرات الآلاف فى جميع مدن ومراكز وقرى مصر. ورصد لها ميزانية تزيد على المليون ونصف المليون، واتفق مع المسئولين على احتساب سنتين اعتباريتين أقدمية لكل من يحفظ القرآن الكريم عند تعيينه أو ترقيته للوظائف الأعلى، أو عند تسويته المعاش، وإضافة عشرين درجة مئوية إلى مجموع درجات الثانوية العامة لكل حافظ للقرآن عند التحاقه بجامعة الأزهر.

٢- اهتم اهتمامًا كبيرًا بالمعاهد الابتدائية وعين محفظين للقرآن الكريم بها، وجعل لكل عشرة آلاف نسمة من السكان -معهدًا ابتدائيًا أزهريًا نموذجيًا- وفى كل مدرسة على الأقل فصلا لتحفيظ القرآن.

٣- المعاهد الإعدادية والثانوية -ومعاهد الفتيات، ومعاهد القراءات، ومعاهد المعلمين والمعاهد العسكرية، وكانت همة الإمام الأكبر لا تقف عند حد أو هدف معين. فإنه إذا وصل لهدف تطلع للوصول إلى هدف آخر اسمى منه، فوضع خطة إلى مضاعفة تعداد المعاهد الأزهرية بجميع مراحلها، ولا ننسى ما فعله من أجل جامعة الأزهر، وانتشارها فى جميع محافظات مصر، ونتابع آثاره العلمية التى يوضحها لنا فى فكره وعقله ولسانه وقلمه الذى يفيض بالعلم ويشع بالحكمة، فهو محدث لبق، يعالج قضايا الفكر المعقدة فى رفق ولين ومنطق.

وإنى لأعجب كيف استطاع وحده أن يقدم لنا هذا الإنتاج الغزير.. لكن الله سبحانه -هو المعين، وهو الذى ألهمه فتفجرت منه ينابيع العلم الغزيرة، وتنوع إنتاجه فألف فى «الفلسفة -الفقه- التصوف- السيرة- القضايا الاجتماعية- التراجم- أعلام الصوفية» هذا إلى جانب الكتب التى ألفها بالفرنسية، وترجمت

للعربيـة وعلى الرغم من أعبائه الكبـيرة كان يواصل التـدريس فى بعض الكليات ويحاضر فى الجمعيات إلخ[١].

مؤلفاته ومصنفاته:

إن مؤلفات د. عبد الحليم محمود -لا تحصى عددا- ويمكن ارجاع مؤلفاته إلى ثلاثة أقسام:

الأولى: ما كتبه من دراسات علمية بالفرنسية، ونقله عنه إلى العربية منها:

١- الحارث بن أسد المحاسبى -بـالفرنسية، طبع فى باريس سنة ١٩٤٠م وطبع بمصر «أستاذ السائرين».

٢- وزان الأرواح -مترجم عن الفرنسية سنة ١٩٥٩م.

٣- الفلسفة اليونانية -مترجم عن الفرنسية.

٤- المشكلة الأخلاقية -والفلاسفة- مترجم عن الفرنسية.

٥- الأخلاق فى الفلسفة الحديثة، مترجم أيضًا عن الفرنسية.

٦- محمد رسول الله مترجم إلخ.

القسم الثانى: ما حققه ونشره عن التراث الإسلامى القديم مع ما أضافه إليه من الحواشى والهـوامش، والتعقيـبات الجيدة وهى تزيد على أربعـة عشر مؤلفًـا نذكر منها.

١- الرعاية لحقوق الله سبحانه -للمحاسبى- دار الكتب ١٩٥٨م.

٢- الفلسفة الهندية للبيرونى ١٩٥٨م.

٣- التعرف لمذاهب أهل التصوف -للكلاباذى.

٤- اللمع -للطوسى.

٥- تفسير التسترى «جزآن».

٦- الطريق إلى الله ١٩٧٣م.

---

(١) صوت الأزهر ص ١٠ فى ١٤ من شعبان ١٤٢٩هـ ١٥/٨/٢٠٠٨ بقلم وريشة د. عبد الله سلامة نصر.

٧- الرسالة القشيرية.

٨- المنقذ من الضلال.

القسم الثالث: وهو ما ألفه فى موضوعات علمية متعددة الموضوعات تزيد عن الخمسين مؤلفا.

نذكر بعضًا منها على سبيل المثال:

١- الفيلسوف المسلم.

٢- التصوف عند ابن سينا.

٣- أوروبا والإسلام.

٤- الإيمان.

٥- أسرار العبادات فى الإسلام.

٦- التصوف الإسلامى إلخ.

وفاته لكل أجل كتاب:

كان رحمه الله -عفيف اللسان متساميًا عن اللغو، وامتاز حيا وسيرة فى وقت الشدة والأزمات يتجلى فيه صفاء العزيمة، وجودة الرأى وسرعة البديهة، وقوة الصبر، وطول البال، فى أدب وتواضع كبير. يزينه الوقار والجلال، تخلق بأخلاق القرآن.

وبعد هذه الحياة الحافلة المجيدة -وكان عائدًا من الأراضى المقدسة، أحس بآلام شديدة تلقاها بالصبر والهدوء، وأشار الأطباء بأجراء عملية جراحية عاجلة فأمهلهم حتى صلى ركعتين، وكأنه يشعر بالنهاية المحتومة، وكللت العملية بالنجاح لولا الأجل المحدود والقضاء المحتوم.. فلقى الإمام ربه فى مستشفى الشبراويشى يوم الثلاثاء الخامس عشر من ذى القعدة سنة ١٣٩٨هـ ١٧ أكتوبر سنة ١٩٧٨م وكانت آخر كلماته «لا إله إلا الله محمد رسول الله» الله حق، وفاضت روحه الطاهرة إلى بارئها، وكان نبأ وفاته مباغتا لكل الدنيا.. فغصت القلوب

بالحسرات، وفاضت العيون بالعبرات، وامتلأت الأفواه بالزفرات. . فقد كان رحمه الله ملىء الأسماع والأبصار ومهوى النفوس والقلوب، ولقد كان آخر ما يباشره من أعمال: التخطيط ليضع الأزهر على أعلى قمة بين الدول، وكان وقتها العالم الإسلامى يستعد لاستقبال القرن الخامس عشر الهجرى واحتشدت الألوف المؤلفة من العلماء والوجهاء والكبراء من زملائه وتلاميذه وعارفى فضله، وفى موكب رهيب شيعت جنازته إلى مقره الأخير -ومع أن السائرين فى الجنازة يعلمون تمامًا أن الموت حق- وأن كل نفس ذائقة الموت.

لكن بكاءهم ونحيبهم لم ينقطع حسرة على لوعة الفراق، والسراج الوهاج الذى خبا ضوؤه ووصل جثمانه الطاهر إلى مقره الأخير قريته «السلام» وتلقت الحكومة المصرية كما تلقت أسرته عشرات الآلاف من البرقيات من جميع ملوك ورؤساء وزعماء الدول فى الشرق والغرب على السواء.

تغمد الله الفقيد برحمته وأسكنه فسيح جناته بقدر ما أعطى وبقدر ما عمل وأسكنه مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

ولقد نعاه كبار الدولة -من الأدباء والشعراء فى كلمات وقصائد تفيض حنانًا وتمزق القلوب المكلومة وقد نشر بعضها. . ونذكر مقتطفًا من واحدة من القصائد بعنوان «هول المصاب».

ما كدت أهتف فى الورى بحياته	حتى سعيت مشيعًا لوفاته
فتمزق القلب الكليم من الأسى	متدفقا ينساب فى عبراته
كان العزاء لنا إذا جد الأسى	واليوم مات عزاؤنا بمماته
شيخ الشيوخ مضى لساحة ربه	مستروحا بالفيض من رحماته
قد كان للإسلام حصنا باذخا	يدعو له ويذود عن حرماته
وسما فحقق كل مجد سامقا	وأفاض سباقا إلى غاياته
ملأ العيون بسمة ووقارة	وحوى القلوب بحلمه وأناته

مـا كف عن ذكـر المهـيـمـن لحظة	فى صـحـوه أو عـمـيق سـبـاته
يـبـدو جـلال الصـدق فى كلمـاته	ويشـيع نور الطهـر فى قـسمـاته
يعـطى ويـعطى لا يمـل من الـندى	ويـزيـد إعطـاء عـلـى عـلاتـه
يـا من ورثـت المصـطـفى فى هديـه	وتبـعـتـه مـتـرسـمـا خطواته
أحـيـيت سنتـه وصنت سـبـيله	وعـمـلت بالمأثور مـن كلمـاته
وقـضـيـت عـمـرك رافـعًـا لـكتـابه	مـتـدبـراً مـا راع من آيـاته
أرضـيت ربـك جـاهداً ومـجـاهداً	فـانـعم مـع الأبرار فـى جنـاته[1]

❁❁❁

(١) صوت الأزهر ص ١٠ فى ٢١ من شعبان ١٤٢٩هـ ٢٢/٨/٢٠٠٨ بقلم وريشة د. عبد الله سلامة نصر.

[٤١] فضيلة الإمام الأكبر الشيخ الدكتور محمد بيصار

رؤية فنية تاريخية:



الإمام الحادى والأربعون للأزهر الشريف.

ظل الأزهر بدون شيخ وبدون وكيل لفترة زمنية.. فصدر قرار جمهورى بتعيين الدكتور عبد المنعم النمر وكيلاً للأزهر، ومشرفًا على شئونه، حتى يتم تعيين شيخ للأزهر: بعد أن تركه الإمام الراحل الدكتور عبد الحليم محمود، وبعد بضعة شهور صدر قرار جمهورى بتعيين فضيلة الإمام الدكتور محمد بيصار شيخًا للأزهر.

مولده وبيئته ونشأته وتوليته للمشيخة:

فى بيت ريفى متواضع، وفى قرية من قرى مركز «فوة» تسمى -السالمية- التابعة لمحافظة كفر الشيخ.

ولد محمد عبد الرحمن بيصار فى ٢٠/ ١٠/ ١٩١٠م ويقول المؤرخون.. إن أباه كان من أهل العلم، ونال حب واحترام أهل القرية جميعًا، وقد حاول أن يكون من طلاب العلم بالأزهر، ومن رجاله المرموقين، غير أن الظروف لم تكن فى صالحه، فسأل الله سبحانه أن يعوضه عما فاته فى ولده محمد، وقد أجاب الله دعاءه وحقق رجاءه، وجعل ابنه هذا إمامًا للإسلام، تعنو له الدنيا، وتخطب وده الأيام، وكما ذكرنا أن محمد عبد الرحمن بيصار، ولد بقرية -السالمية- التى حفظ فيها القرآن الكريم، على يد والده، وجوده على أشهر القراء فى بلدته، ثم ولى وجهه للأزهر فالتحق بمعهد دسوق الدينى -وكان أمل والده فيه كبيراً، وظهرت نجابة الابن مبكرة منذ نشأته، فأتم دراسته بالمعهد فى تفوق ظاهر، ثم التحق بمعهد طنطا ليكمل فيه دراسته الثانوية، وكان بفطرته، ميالا للتجديد والإصلاح، شغوفًا بالدراسات الأدبية والثقافية، فألف رواية سماها «بؤس اليتامى»، عالج فيها ما يتعرض له الأيتام من الظلم والبؤس من الأوصياء عليهم، وكذا من المجتمع.

ولقيت رواجًا واقبالاً من كل الناس، ومن المعروف أنه كان مولعًا بالرياضة البدنية، والعجيب أن نشاطه هذا جر عليه مشاكل وغضبًا من إدارة المعهد لاشتغاله بالتأليف، وهو عيب كبير فى نظرها، ومهانة لا تليق بكلية العلوم الدينية والشرعية، فأجرت معه تحقيقًا كانت نتيجته أنه ترك معهد طنطا، والتحق بمعهد الإسكندرية، حيث وجد فيه عقولاً متفتحة تشجع المواهب المفكرة، وتساعد الطلاب النابغين فى شتى المجالات.

وفى هذه الفترة كان الأزهر يموج بحركة الإصلاح والتجديد، ويمر بعوامل ثورة فكرية، متأججة ويمر بأزمة مالية عنيفة، صنعها العثمانيون والمماليك، وكانت الأبواب موصدة أمام خريجى الأزهر، والقائمون على شئونه لا يحاولون حل هذه المشاكل، فكان بعض طلاب الأزهر يتحولون من دراستهم الدينية، ليشتغلوا صيارفة فى الأقاليم بعد فترة دراسية -قصيرة- وبعضهم كان ينتقل إلى مدارس المعلمين.. ليعمل مدرسًا بالمدارس الابتدائية إلخ.. وانفعل الطالب محمد بيصار بهذه الأحداث، وكان شابًا طموحًا، متوقد الذهن، تغمره أمال المستقبل، فترك المعهد، وعاد إلى بلده ليفكر مع أبيه فى شأن مستقبله فى غير الأزهر.. وكان والده حكيمًا بعيد النظر، فقال لابنه: «هل عدت إلينا لنفاذ ما معك من النقود»؟ فقال: لا.. وإنما عدت لأفكر معك فى مستقبلى بعيدًا عن الأزهر، فقال له الأب: «ما بعثتك للأزهر لتكسب منه نقودًا.. وإنما بعثتك إليه لتتعلم شئون دينك.. لتنفع نفسك وينتفع منك الناس» يا ابنى إن الدين ليس سلعة تجارية، والرزق بيد الله وحده، والذى خلقك، هو المتكفل بك، فعد إلى دراستك، واتكل على الله، فإنه «لا تدرى نفس ماذا تكسب غدًا»، والله لا يتخلى عن عباده «وكل شيء عنده بمقدار»، واقتنع الشاب بنصيحة أبيه، وآمن بها، وعاد ليواصل دراسته، فى قوة وعزم وإيمان، وأتم دراسته بمعهد الإسكندرية الدينى الأزهرى، والتحق بكلية «أصول الدين» وواصل دراسته فيها بتفوق، حتى تخرج فيها سنة ١٩٣٩م وسار فى دراساته العليا فى تخصص «قسم العقيدة والفلسفة» حتى حصل على العالمية بدرجة أستاذ سنة ١٩٤٥، وفى سنة ٤٦ عين مدرسًا بكلية أصول الدين -فجذب إليه الطلبة، كما لفت أنظار الأساتذة، وفى سنة ١٩٤٩م اختاره الأزهر عضوا فى بعثاته التعليمية،

إلى إنجلترا، فتنقل بين الجامعات الإنجليزية حيث غرف من علومها ما استطاع من علوم ومعرفة، واستقر به المقام أخيرًا بكلية الآداب بجامعة «أدنبره» ونال منها الدكتوراة بتفوق فى الفلسفة العامة، وموضوعها «حجة الإسلام، الإمام الغزالى، والفيلسوف «ديكارت» وكلا الفيلسوفين. اتخذ منهج الشك وسيلة للوصول إلى المعرفة، وكلاهما انتهى من أبحاثه إلى الإيمان بالله على بصيرة ويقين.

«وقبل توليته منصب مشيخة الأزهر.. نجد أنه قد تولى مناصب عديدة.. نوجزها فى التالى: فى سنة ١٩٥٥م عين أستاذًا بكلية أصول الدين -ولقد رشحته مواهبه وثقافاته، وأخلاقه لتولى منصب- مدير المركز الثقافى الإسلامى- بواشنطن، فقام بشئون المركز على أعلى مستوى.. وجعله مصدر إشعاع يضىء العقول والقلوب، ويجذب إليه الأسماع والأبصار سواء بين الطوائف الإسلامية المتعددة فى أفكارها والمنشورة فى أرجاء ولايات أمريكا، قد كانت الولايات المتحدة -ومازالت- تموج بجماعات عديدة إسلامية أو قريبة من الإسلام، ولكنها مختلفة العقائد والأهواء كالقديانية والبهائية، والشيعة وطوائفها، وكذا فرقة الإسماعيلية المنتشرة فى لندن على نطاق أوسع، ثم إلى جانب طوائف أخرى وثنية أو يهودية أو نصرانية إلخ[1].

ولقد استطاع الدكتور بيصار بذكائه ومعرفته وعلمه، ودرايته بأفكار أصحاب تلك العقائد والملل، أن يحظى باحترام وتقدير جميع تلك الطوائف، وتمكن فى وسط هذا الضباب المتماوج أن يقود سفينة الدعوة فى رفق وأناة، وأن يلفت إليه البصائر والأبصار، وظل يدير المركز الإسلامى إدارة حكيمة رائعة لمدة أربع سنوات ١٩٥٥ -١٩٥٩ ثم عاء إلى وطنه أستاذًا بكلية أصول الدين، لتخريج جيل من أئمة العلماء والقادة.. وفى سنة ٦٣ اختاره الأزهر رئيسًا لبعثته التعليمية فى «ليبيا» فواصل جهاده وجهوده فى نشر الدعوة الإسلامية بعلمه الغزير وبسلوكه القويم، وكما اكتسب خبرة عملية أعانته على فهم الطبائع المختلفة، والنزعات النفسية العميقة كان موفقًا فى كل ما يباشره من أعمال.

ولقد صدر قرار جمهورى بتعيينه أمينًا عامًا للأزهر، وذلك سنة ١٩٦٨، وهذا المنصب يتيح له المشاركة فى الأعمال الإدارية والتوجيهية فى الأزهر، واستطاع

(١) صوت الأزهر ص ١٠ فى ٢٨ من شعبان ١٤٢٩هـ ٢٩/٨/٢٠٠٨ بقلم وريشة د. عبد الله سلامة نصر.

بخبرته أن ينهض بأعباء هذا المنصب الهام، وأداء واجبه، كما تولى منصب الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية، وهو منصب علمى خطير، لأنه هو الهيئة العليا للدراسات الإسلامية المختصة بتجديد الثقافة الإسلامية، وتجريدها من الفضول والشوائب وآثار التعصب السياسى والمذهبى، كما يشرف المجمع على مؤسسات علمية كثيرة هامة، وقد استطاع الدكتور «بيصار» فى هذا المنصب أن يقوم بنهضة علمية كبرى.

سنة ١٩٧٤ خلا منصب وكيل الأزهر، فكان الدكتور بيصار أول المرشحين لولاية وكالة الأزهر وتم تعيينه بقرار جمهورى.. والمعروف أن وكيل الأزهر هو المعاون الوحيد لشيخ الأزهر والمتولى تنفيذ قراراته، والقائم بأعماله حين غيابه أو مرضه أو استقالته، وقد كان الدكتور بيصار الساعد اليمين للإمام السابق د. عبد الحليم محمود، وموضع ثقته ويأخذ برأيه، ويثق فى علمه وخلقه، ولقد طلب تجديد خدمته أكثر من مرة إلى أن صدر قرار جمهورى بتعيينه وزيراً للأوقاف وشئون الأزهر عام ١٩٧٨.

توليته المشيخة:

لقد صدر قرار جمهورى فى ٢٩/ ١/ ١٩٧٩ بتعيين الدكتور محمد بيصار شيخًا للأزهر، ولما تقلد منصبه الجديد.. شمر عن ساعد الجد وراح يسلك كل طريق يرى فيه صالح الأزهر، ورفع مكانته وقد استهل عمله بعد توليه المشيخة بتأليف لجنة كبرى لدراسة قانون الأزهر ولائحته التنفيذية، ليستطيع الأزهر الأنطلاق فى أداء رسالته العالمية، وما أمتاز به هذا الإمام ولعه الشديد بتقديم المعونة لكل محتاج، والسخاء بما يملك من مال أو جاه، بجانب جمعه بين الثقافة الإسلامية العميقة، والغربية العصرية فى أحداث نهضاتها.. وهو يجيد الإنجليزية والفرنسية، وبهذا استطاع أن يجذب إليه القلوب من شتى أجناس أهل الأرض.. إضافة إلى أنه إدارى من الطراز الأول، يحترم القوانين ويطبقها تطبيقًا دقيقًا فى أناة ويسر، ويراعى العدالة المطلقة فى كل تصرفاته، ويدرك بفطنته الحكمة من سن القوانين، وكأنه هو الذى وضعها، وله جلد كبير على مواصلة العمل، وموالاة البحث والدراسة فى صبر وعزم وإخلاص، فتراه باحثًا ومحاضراً وخطيبًا فى وقت واحد،

مع طهارة قلب وصفاء نفس وضمير.. وله بديهة حاضرة تسعفه فى حل أعقد المشكلات فيدلى فيها بالرأى السديد، دون إرهاق ذهن، كما أعانته خبرته وتجاربه العلمية العديدة على إدارة أدق النزاعات فى قلوب المحيطين به، ويعاملهم بما يتسق معهم، وما من دعوة لنصرة الإسلام، وبيان صحته إلا وأسرع للإسهام فيها بكل ما يملك.

وقد قدر الأزهر والدولة له كل هذه الجهود الشاقة، وتلك المساعى المخلصة، فمنح قلادة الجمهورية، وهى من أرفع النياشين المصرية، وهذا تقدير للأزهر فى شخصه، وتقدير الشخصية فى رعاية الأزهر، ووضعه فى المكان اللائق به فى هذه الدنيا،، ولقد طالعت له أعمالاً جبارة، وأقف أمامها متعجبًا وأنا أطالع شريط حياة هذا الإمام.. كيف أدى هذه الجهود كلها، وهو رجل واحد.. إلا أن يكون له عون من الله -سبحانه وتعالى-.

ولقد كان لى شرف اللقاء به عندما كنت مبعوثًا للأزهر فى باكستان.. والتقى ببعض الطوائف الدينية من طائفة القاديانية والإسماعيلية، ومناقشتهم فى منطق رصين وعلم مكين، مما جعلهم يكنون له احتراما وتقديريًا لحكمته وعلمه، ووجدت فيه دائرة معارف ذات قدمين تمشى على الأرض.

آثاره العلمية وتأثيره:

إن الإمام الدكتور محمد بيصار زار أكثر بلاد الله، وأفاد من كل مكان حل فيه واستفاد من المعرفة من كل من التقى معه مهما كانت عقيدته.

وهو متخصص فى الفلسفة الإسلامية، وقد درس جوانب هذه الفلسفة دراسة علمية دقيقة، وتعمق فى بحوث وجوه الاختلاف والخلاف بين الفلاسفة وعلماء الكلام، والفقهاء والصوفية.. وسجل هذه البحوث فى كتبه ومحاضراته وخرج من هذه الدراسات بنتائج هامة.. لخصها فى بحث ممتع.. ألقاة فى المؤتمر الخامس لمجمع البحوث الإسلامية عام ١٩٧٠ وكان عنوان البحث «إثبات العقائد الإسلامية بين -النصيين والعقليين» وهو بحث جيد وممتع لأهل العقول الواعية[1].

---

(١) صوت الأزهر ص ١٠ فى ٣ من شوال ١٤٢٩هـ/ ٣/ ١٠/ ٢٠٠٨ بقلم وريشة د. عبد الله سلامة نصر.

وسأشير بإيجاز شديد لفقرة من فقرات هذا البحث أضعها أمام القارئ الكريم، وهى حول قضية من أخطر القضايا التى تشغل عقول الفلاسفة، وهى مشكلة الألوهية فى محيط الفكر الإسلامى، فإنها لم تكن مجرد نقل عن حضارات أخرى أو مستمدة من ثقافات غريبة عن البيئة الإسلامية، كما زعم بعض المستشرقين ومن على شاكلتهم، وإنما ساعد على خلق هذه المشكلات عوامل أهمها:

أ- الحرية الفكرية التى منحها الإسلام لأتباعه فى شئون عقيدتهم.

ب- حث القرآن الكريم.. الإنسان على التأمل والتفكير فى ملكوت السماوات والأرض، لإدراك حقائق الكون، وكشف أسراره ومكانة الإنسان منه.

جـ- تعظيم الإسلام للعلماء.

د- الرد على المشككين بمنطق عقلى.. إن الهدف من هذه الآراء المختلفة من المسلمين حول الألوهية. إنما كان للسمو بالذات القدسية، والحرص الشديد على تنزيه الله.. ولا ينبغى أن نلوم أحد هؤلاء الباحثين أو نتهمهم بالكفر.. ولكن علينا دراسة آرائهم بأسلوب علمى دقيق لإبراز ما وقع فيه من خطأ.. وأنه لا وجود لهذه المشكلات فى الواقع، إلا فى تصوراتنا نحن، لأن فكرة الإله والإقرار بوجوده أمر مستقر فى طبائع الناس «فطرة الله التى فطر الناس عليها» والهدف هو إزالة ما عساه أن يكون قد حال بين الناس وفطرتهم السليمة.. إلخ، ما جاء فى هذا البحث، ومن أراده فلينظره فى نطاقه.

وقد قضى فضيلة الإمام بيصار حياته معنيًا بالبحوث والدراسات الفلسفية والتربية السلوكية.. وقضى شطرًا كبيرًا من حياته أستاذًا ومربيًا لتلاميذه، والذين تخرجوا على يديه بعلمه وسلوكه وتوجيهاته الرشيدة.

مؤلفاته ومصنفاته:

لقد ظل الإمام الدكتور بيصار يواصل البحث والدراسة فى أدق المعارف الفلسفية والعلمية وصياغتها فى أسلوب واضح دقيق يصل العقول والقلوب معًا.. فكان يقوم بإلقاء المحاضرات العامة، وحضور المؤتمرات العلمية والندوات الدينية فى أجهزة الإعلام.

وقد شارك فى مؤتمرات كثيرة نذكر بعضها، مثل مصر- أمريكا- كندا- أوروبا- آسيا- أفريقيا. . وشارك فى منتديات ضخمة تناولت دراسات مختلفة، فى سائر العقائد والديانات، وكان حريصًا على إظهار الإسلام فى أجمل وجه، وللإمام مؤلفات كثيرة نوجزها فى الآتى:

١- الوجود والخلود فى فلسفة ابن رشد.

٢- العقيدة والأخلاق فى الفلسفة اليونانية.

٣- العالم بين القدم والحدوث.

٤- الواجب والممكن والممتنع.

٥- الإسلام بين العقائد والأديان.

٦- الإسلام والمسيحية.

٧- رجلان فى التفكير الإسلامى.

ولقد أعلن الإمام بيصار بعض آرائه القيمة فى كثير من المواقف الهامة التى تشغل العالم الإسلامى، وقد نشرت بعضًا منها «مجلة الأزهر» فى الأعداد ٤٢- ٥١ أبريل ١٩٧٩م ومن أراد المزيد فعليه بالرجوع إلى مؤلفات الإمام.

وفاته

وبعد الكفاح الطويل والجهود المضنية التى لا تكاد تحصى فى خدمة الإسلام والعلم، والنهوض بالأزهر، حامى الإسلام والمسلمين مفعل الحضارة.

أوصى الإمام فى أخريات أيامه علماء الأزهر أن يتزودوا باللغة الأجنبية لا لمجرد التحدث بها أو التخاطب مع الغير، وإنما يساعد على تكوين أجهزة فى الأزهر تكون ذات صلة قوية بما ينشر فى العالم الإسلامى حول الإسلام لترجمته والرد عليه ونشر ثقافة الأزهر بالخارج.

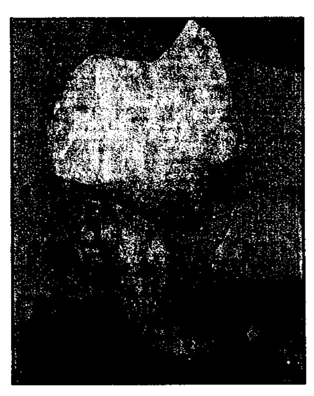
ولقد لبى الإمام بيصار نداء ربه فى ٢٨/ ٣/ ١٩٨٢م. ضاعف الله جزاءه وأجزل له عطاءه وأسكنه الفردوس الأعلى إنه سميع مجيب الدعاء[1].

---

(١) صوت الأزهر ص ١٠ فى ١٠ من شوال ١٤٢٩هـ ١٠/ ١٠/ ٢٠٠٨م بقلم وريشة د. عبد الله سلامة نصر.

[٤٢] الإمام الأكبر فضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق

مولده وبيئته ونشأته وتوليته المشيخة:



لقد أفاض المؤرخون والكتاب والصحافة والإعلام، عن فضيلة الإمام الشيخ جاد الحق على جاد الحق.. والكثير غيرهم تحدثوا عن أخباره وآثاره.. ونقتطف بعضًا عنه وعن حياته.. لأننا سنتحدث عنه مفصلا فى وقت لاحق ومكان آخر. ولد الشيخ جاد الحق فى أبريل سنة ١٩١٧م فى بيت ريفى متواضع، فى قرية تسمى -بطره- إحدى قرى مركز «طلخا» محافظة الدقهلية.

ولعادة أهل القرية أن يذهبوا بأحد أولادهم المعززين لديهم للكتاب لحفظ القرآن.. ليتوجه للأزهر فيما بعد.

ذهب الطفل جاد مع والده إلى محفظ القرآن الكريم فى القرية وهو شيخ له قدره عند الجميع.. فحفظ القرآن الكريم وجوده.. ثم تعلم بعض المواد والعلوم من رياضة وإملاء وخط وإنشاء، وهى بعض المواد التى كان يشترطها الأزهر على من يريد الالتحاق به.. ولا يدخله إلا بعد أن يجتاز الامتحان كاملاً فى القرآن شفويًا، ويجتاز المواد الأخرى بنجاح، وقبل فى معهد طنطا وبدأ دراسته فيه، وقبل أن يتم المرحلة الثانوية، توجه إلى معهد القاهرة الأزهرى، حيث حصل على الثانوية ثم يمم وجهه إلى التعليم فى الجامع الأزهر حيث التحق بكلية الشريعة. ودرس فيها بشوق ونهم حتى حصل على «الليسانس» سنة ١٩٤٣ ثم «العالمية».

وكان شغوفًا بالقضاء الشرعى فاتجه إليه منتسبًا، ونال الإجازة فيه وهى «العالمية»، كما ذكرنا.. مع إجازة القضاء الشرعى، وذاك سنة ١٩٤٥م، وأصبح فى سلك القضاة، وتفتحت أمام عينيه أبواب الوظائف القضائية، ووظائف الإفتاء أيضًا، وهذه الوظائف وغيرها من الوظائف الأخرى.. قد تولاها وشغلها قبل

توليته مقاليد مشيخة الأزهر، نوردها كما تذكر المصادر.. أنه شغل وظيفة القضاء سنة ١٩٤٦م فى يناير فى المحاكم الشرعية، وفى سنة ١٩٥٢م عين أمينا للفتوى فى دار الإفتاء، وبعد سنتين من هذا التاريخ تقريبًا، عين قاضيًا فى المحاكم الشرعية، وفى سنة ١٩٧١ عين رئيس محكمة ثم مفتشًا قضائيًا فى وزارة العدل، وظل فى منصبه هذا حتى عين مفتيًا للديار المصرية سنة ١٩٧٨م، وقبل أن يعتلى كرسى المشيخة، ترى أنه تقلد مناصب ووظائف كثيرة أكسبته خبرة وعلما وحنكة فى مهامه المقبلة التى نذكر منها على سبيل المثال وليس الحصر.. فقد عين بقرار جمهورى باختياره عضوًا فى مجلس مجمع البحوث الإسلامية سنة ١٩٨٠، وفى يناير ١٩٨٢م عين وزيرًا للأوقاف.. وغير ذلك.

توليته مشيخة الأزهر:

لقد أوجزت فى الكتابة عن هذا الإمام الجليل الشيخ جاد الحق تمشيًا مع منهج الكتابة عن شيوخ الأزهر السابقين وقلة المصادر والبحوث التى كتبها الكتاب والمؤرخون.. أما بالنسبة للإمام الشيخ جاد فقد عاصر الثورة العلمية والإعلامية المرئية والمسموعة والمقروءة.. من صحف ومجلات وتسجيلات.. وما كتب وسجل عنه مبعثر هنا وهناك، وحتى أهله وذويه.. لم يحتفظوا من آثاره إلا بالقليل، ولقد تحدثت مع د. رجب البيومى، فوعد بإمدادى ببعض ما سجله عن فضيلته وبخاصة بعد توليته مشيخة الأزهر، وكذلك فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف، وكيل الأزهر فى عهده وبعده، ولقد كنت مبعوثًا للأزهر فى دولة باكستان عندما زار الإمام الشيخ جاد الحق هذه البلدة المسلمة العظيمة، وقضى بها أسبوعًا كاملاً.

واستقبله الرئيس ضياء الحق. رئيس باكستان رسميًا فى مطار إسلام أباد، مع أن البروتوكول يقضى بخلاف ذلك، فالشيخ جاد الحق فى مرتبة رئيس وزراء فيستقبله مثيله.. لكن الرئيس ضياء الحق يعرف لشيخ الأزهر -شيخ الإسلام والمسلمين- قدره وشرفه، وقال كلمته المشهورة.. «أنا رئيس دولة.. لكن شيخ الأزهر رئيس المسلمين جميعًا فى كل الدنيا».. وقدم له التحية، واستعرض فرق الجيش أى حرس الشرف -أمام المنصة- وكنت ضمن أعضاء الجالية المصرية فى شرف استقباله بالمطار، كما صاحبته فى رحلته وزيارته لمدينة بشاور وزيارة المجاهدين الأفغان فى مخيماتهم، وكان بصحبته الشيخ محمد بركات المنشد

الدينى، ود. عبد العزيز عزت سكرتير بعثة الأزهر والعالم الجليل الشيخ عطية صقر، ولقد استقبل شعب إقليم سرجد.. بشاور -فضيلة شيخ الأزهر- استقبالاً رائعًا- فذبحوا الذبائح على طول الطريق حتى ممر خيبر على حدود أفغانستان، ونثروا الزهور والورود، وأقيمت الولائم العربية هذه لمحات سقتها للتعريف بقدر شيخ الأزهر عند بلاد المسلمين.

تبوأ الإمام الجليل الشيخ جاد الحق كرسى مشيخة الأزهر فى مارس ١٩٨٢، وكان لفضيلته مزايا كثيرة لا تحصى!! فهو مثال للنزاهة فى الحكم، بحكم أنه كان قاضيًا متمرسًا فى أحكام القضاء جريئًا فى الحق، والإخلاص فى أداء الواجب وإيثار مع أنه واصل اهتمامه بالأزهر اهتمامًا بالغًا.

فكانت له مواقف رائعة محمودة.. فى المؤتمرات الدولية، فى مصر وخارجها.. منها: مؤتمر السكان المنعقد فى القاهرة «مؤتمر -المرأة»، والمنعقد فى بكين، وكانت أحوال المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها هى شغله الشاغل.. وتجد منه عناية كبيرة، وانشغال باله بها. لاسيما الأقليات منها -كما هو الحال فى وقتها- فى البوسنة والهرسك، والشيشان، وكشمير، وأفغانستان، وفلسطين حيث كان لقضية القدس فى نفسه تأثير عميق ووقع أليم.. وكما ذكرت: أن الحديث عنه وعن مواقفه الآنفة الذكر أوسع بكثير من أن تتحمله هذه السطور، وسأقتصر على موقف واحد، وهو موقفه من «مؤتمر السكان» الذى عقد بالقاهرة والذى حضره الكثيرون من خصوم الإسلام، وأعداء مبادئه وتعاليمه، ولكن فضيلة الشيخ جاد لم يترك المجال للمتطرفين، وأعد فريقا مجندا من العلماء الأفذاذ، شمروا عن ساعد الجد، بعض منهم من أعضاء مجمع البحوث وبعض من غيره.. ووضع لهم الخطط والنصائح والتوجيهات، فألهب عزائمهم، وأضرم مشاعرهم، وجعلهم يذهبون للمؤتمر وكلهم حماس وثقة.. وافتتح المؤتمر وتحدث المتحدثون، وما كاد علماء الأزهر يتحدثون ويلقون كلماتهم مدمغة بالدليل والبرهان والحجة المنطقية والعقلية، حتى اتجهت إليهم الأنظار، وأصغت إليهم الآذان، وانعطفت نحوهم، الأنفس، ولم يجد المتطرفون أحدا يسمع لهم حيث لم يحضر جلساتهم إلا قلة يعدون على الأصابع، وهكذا ساد الفكر الإسلامى المؤتمر من أول جلسة وأول وهلة، وعاد رسل الأزهر ومفكروه وهم غالبون يحملون لواء الإسلام.

وأثناء توليته المشيخة حبس نفسه ووقته وجهده على إعلاء شأن الأزهر، وتمكن من أداء رسالته فى رعاية الإسلام، وعلومه ولغته[1].

آثاره العلمية.. وتأثيره:

لقد كان له شيوخ كثيرون، كما أن له تلاميذ أكثر تأثروا به واتبعوا نهجه، ولسنا فى حاجة لذكر هؤلاء الطلاب والعلماء.

وكان من أهم ما يميز أحكام فضيلته وأعماله العلمية، وهى فترة عمله بالقضاء، فقد شملت على بحوث وتعليلات فقهية، واجتهادات فى التطبيق.. كل ذلك موجود فى سجلات المحاكم المصرية على سعتها وانتشارها فى أرجاء الوطن. كما نشرت ذلك الصحف والمجلات، ونشرتها مجلات المحاماة وغيرها من المجلات القانونية، وفى الكثير منها ما استجد من مستحدثات لم تعالج من قبل، ولا ننسى عضويته لمجمع البحوث الإسلامية، وعضويته بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ومجلس الأمناء باتحاد الإذاعة والتليفزيون وكان رئيسًا للمجلس العالمى للدعوة والإغاثة -وأحاديثه الرمضانية كل عام فى الإذاعة والتليفزيون.. فقد كانت شيقة ومثيرة ومؤثرة.. ينتظرها سماعا ورؤية ملايين الناس من العالم الإسلامى كله.

ولقد قدر الأزهر والدولة جهود الرجل وأعماله فى خدمة دينه ووطنه، فمنح فى الاحتفال بالعيد الألفى للأزهر -وشاح النيل- وهو من أعلى الأوسمة فى الدولة، لا يمنح إلا لمن يستحقه، ومنحه ملك المغرب «وسام الكفاءة الفكرية والعلوم» من الدرجة الممتازة، وذلك بمناسبة مشاركته فى الدروس الحسينية فى مدينة الرباط، كما حصل على جائزة الملك فيصل العالمية، فى مجال خدمة الإسلام -ولقد تسلم شهادة التخرج من الملك فاروق -ملك مصر- آنذاك فى قصر رأس التين بالإسكندرية لتفوقه على دفعته، ولما قرب موعد احالته على التقاعد - طلبته دولة الكويت للعمل لديها فى ميدان القضاء، لكنه آثر البقاء فى بلده مصر - على الرغم من ضخامة الراتب المعروض عليه.

---

(١) صوت الأزهر ص ١٠ فى ١٧ شوال ١٤٢٩هـ ١٧/ ١٠/ ٢٠٠٨ بقلم وريشة د. عبدالله سلامة نصر.

مؤلفاته ومصنفاته:

لفضيلة الإمام الشيخ جاد الحق -مؤلفات ومقالات كثيرة لا يحصيها العدد.. ولا نستطيع الإلمام بها لتناثرها هنا وهناك، ولم ينبه لذلك أحد.. فقد انتشرت مقالاته وأحاديثه الدينية وغيرها على امتداد سنى عمره المديد. فقد ألف الفقه بجميع أبوابه -من طهارة وصلاة وزكاة، وصوم وحج. ولسنا فى حاجة للتحدث عن ذلك وأهمية الموضوع.

ومن تصانيفه النادرة وفتاويه على سبيل المثال:

١- بحوث وفتاوى إسلامية فى قضايا معاصرة.

٢- الأحكام القضائية -وهو مشتمل على بحوث واجتهادات فقهية فى التطبيق.

٣- البحوث الفقهية والتقارير الفنية فى التفتيش على أعمال القضاة فى المحاكم.

٤- الفقه الإسلامى، مرونته وتطوره.

٥- الاجتهاد وشروطه ونطاقه والتقليد والتخريج.

٦- القضاء فى الإسلام والتطرف الدينى وأبعاده.

وكتب أخرى. منها ما زال تحت الطبع.

وفاته:

واقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى، أن تفتح الدنيا له كل أبوابها، من سلطة وجاه ومال.

ولكنه يعرض عن هذا كله، ولم يحاول أن يستغل نفوذه حتى فى بناء شقة أو بيت له ولأولاده وظل ساكنا فى شقة متواضعة.

زاهدا فى الدنيا وما فيها، ولسان حاله يقول:

فكيف تفرح بالدنيا ولذتها   يا من يعد عليه اللفظ والنفس

لا يرحم الموت ذا جهل لعزته   ولا الذى كان منه العلم يقتبس

إن الحبيب من الأحباب مختلس   لا يمنع الموت بواب ولا حرس!!

ولقد وافته منيته.. وفارق الدنيا بعد حياة حافلة بكل الخير والعمل الصالح.. فى سنة ١٩٩٦م، اللهم اغفر له، وأسكنه فسيح جناتك مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا[1].

عود على بدء:

ذكرت فى بداية حديثى عن فضيلة الإمام الشيخ جاد الحق.. أننى أوجزت فى الكتابة عن هذا الإمام تمشيا مع منهج التزمته فى الكتابة عن الأئمة السابقين، حيث توخيت الإيجاز وما يفى بالغرض، وأيضًا لا يمل القارىء من طول المقال.. ولأننا سنعيد الكتابة عن هؤلاء الأئمة جميعًا باستفاضة تاريخية وعلمية فى مجلدات كبيرة، لعلنا نوفى بعض الحق لتلك القمم العظيمة، التى أنارت الدنيا علمًا وخلقًا، وعندما قرأ بعض الأخوة سيرة الشيخ جاد الحق. وأنها فى حلقتين موجزتين. سيرته الذاتية والمنزع الفكرى لآرائه الفقهية -أشاروا على بزيادة وتوضيح ما أوجزت، وتحليل بعض تلك الآراء ووضعه مع صفوة علماء الأزهر الشريف، ويحيط القارىء بهذه الآراء.

وإيفاء لحقه علينا فى ذكر مآثره وعلمه الفياض.. ولأن ذلك دليل اجتهاده، ورمز خلوده العلمى الدائم استجبت لرأى الذين أشاروا بالعودة لإتمام ما أوجزت ببعض التفصيل، بدون ملل وعلى رأسهم فضيلة الإمام الأكبر الشيخ طنطاوى -والأستاذ سعيد العراقى- مدير مطبعة الأزهر وناصر مصطفى، وسيادة المستشار محمد الخزرجى الأمين العام للأزهر. وغيرهم كثير، وسأسير على نفس النهج.. مبتدئًا. «بحياته وبيئته ونشأته» وأوجزناها فيما سبق، وأنه هو الذى كتب سيرته بنفسه، ونشرتها «مجلة الأزهر» بعنوان «شيخ الأزهر فى السنغال» عدد يونيو ١٩٩٥م.

أعماله وآثاره العلمية.. وتأثيره:

فهى كثيرة وصعب أن تحصى فى هذا المختصر -وما لا يدرك كله.. لا يترك كله- فالشيخ جاد الحق.. مجاهد غيور، وفقيه كبير، لم يكن محبًا للمظاهر ولما تكتبه عنه أجهزة الإعلام، ولم يعشق بريقها الخادع.

---

(١) صوت الأزهر ص ١٠ فى ٢ من ذى القعدة ١٤٢٩هـ ٣١/ ١٠/ ٢٠٠٨م بقلم وريشة د. عبد الله سلامة نصر.

لكنه كان مجاهدًا عمليًا، يصدع بكلمة الحق فى مكانها.. لم ينتظر جزاء إلا من الله سبحانه، فجهر على منبر الأزهر. أثناء الحرب الأفغانية، بعداوة «الروس» المغتصبين، واستقبل زعيم المجاهدين الأفغان معلنا وقوف المسلمين مع إخوانهم، مناديًا بوجوب التبرع بالمال والدم.. ثم مأساة «البوسنة والهرسك»، فدعا إلى نصرتهم.. وأشرف على جمع ملايين الدولارات لشد أزرهم ومساعدتهم، وأوفد بعثة من الأزهر إلى هناك للوقوف مع المجاهدين، وليعلموا أن وراءهم جميع المسلمين فى كل الدنيا!! كما أرسل وفدا من الأزهر لزيارة زعماء جمهوريات الشيشان، ونجح فى تأسيس، جامعة إسلامية مصرية هناك، وضاعف منح الدراسين للطلاب المسلمين الدارسين منهم فى الأزهر بمعاهده وكلياته.. هذا على الصعيد العالمى بالإضافة إلى مناداته لجميع دول الغرب بعدم الاعتداء على المسلمين وتركهم فى أوطانهم فى سلام.

أما من جهة الصعيد الداخلى للوطن العربى والمآسى التى حلت به، فقد نادى بتحريم زيارة إسرائيل حتى ينتهى العدوان على جميع الأراضى العربية.. ولقد واجه حملات شرسة من بعض أجهزة الإعلام المغرضة والمأجورة، ومن أنصار التطبيع ورفض أن يستقبل رئيس الدولة الصهيونية حين جاء إلى مصر معلنا صداقته الجديدة للمصريين، وقال فى تصريح واضح: «إن الصداقة صداقة أعمال لا أقوال». وحين أصدرت أمريكا قرارها بنقل سفارتها من تل أبيب إلى القدس، أصدر بيانا صرح فيه: «بأن أمريكا قد كشفت عن وجهها الحقيقى الحقير، وأنها عدوة للعرب والمسلمين جميعًا، ولا تريد سلامًا عادلاً معهم، بل تريد نصرة ظالم على مظلوم لاحتلال أرض العرب كلها». «وحث جامعة الأزهر على تنظيم ندوات خاصة عن مدينة القدس لفضح مزاعم إسرائيل».

هذا بعض ما ذكره عن الوطن الإسلامى الكبير.. أما فى داخل مصر.. فقد كان حربا على الآراء المنحرفة فى الدين، فهاجم ما يسمى «بمؤتمر السكان» مهاجمة شديدة كانت سببًا فى إفشال قراراته جميعها.

ووضحنا ذلك فى الحلقة السابقة، وفضح ما يسمى «بمؤتمر المرأة فى بكين»، حين خرج عن حدود الله، فيما قرر من فضائح، محذرًا المسلمين من اتباع التهتك والانحلال، وتحدث عن «الختان» وأنه مكرمة للمرأة، وساق الكثير من الأدلة

النقلية والعقلية، وترك ذلك ليقول كلمته مع التوضيح وذكر الأسباب، وأنشأ الكثير من المعاهد الأزهرية فى ربوع البلاد.. إلخ[1].

من مؤلفات الإمام الأكبر وبحوثه وبعضها تحت النشر:

١- مع القرآن الكريم.

٢- النبى ﷺ فى القرآن.

٣- مختارات من الفتاوى والبحوث.

٤- الفقه الإسلامى مرونته وتطوره.

٥- رسالة فى الاجتهاد.

٦- رسالة فى القضاء فى الإسلام.

٧- كتاب أحكام الشريعة الإسلامية فى مسائل طبية عن الأمراض النسائية.

٨- موسوعة الإمام الفقيه التى أصدرها فى عدة مجلدات صدر منها حتى الآن أربع مجلدات والخامس تحت الطبع.

٩- بحوث وفتاوى إسلامية فى قضايا معاصرة تحت إشراف الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر وبعض هذه الكتب مقررة فى المعهد العالى للدراسات الإسلامية وفى مركز الدراسات القضائية بوزارة العدل.

وفاته:

توفى الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق بالقاهرة فى يوم الجمعة الموافق ٢٥ من شوال عام ١٤١٧هـ الموافق ١٥/ ٣/ ١٩٩٦م، ودفن بقريته «بطرة» التابعة لمحافظة الدقهلية.

ثم رحل من حافظ على شرف القضاء والإفتاء ومشيخة الأزهر:

قال تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ [الأحزاب: ٢٣].

(١) صوت الأزهر ص ١٠ فى ١٧ من شوال ١٤٢٩هـ، ١٧/ ١٠/ ٢٠٠٨م بقلم وريشة د. عبد الله سلامة نصر.

وممن قضى نحبه من هؤلاء المؤمنين: الثلاثة الدعاة إلى الله عز وجل على بصيرة: الشيخ خالد محمد خالد والشيخ محمد الغزالى ثم الإمام الأكبر شيخ الأزهر جاد الحق على جاد الحق، نحسبهم كذلك والله حسيبهم ولا نزكى على الله أحدًا.

ومما قيل فى رثاء الشيخ الغزالى يرحمه الله تعالى: «كرس حياته لخدمة الدعوة الإسلامية وكان توفيق الله حليفه وعون المولى له فى سبيل جهاده بالكلمة الهادفة فقد كان حلته قناة لم تلن، وكان يتذرع بالصبر والحكمة، ويدعو إلى الله بالحكمة، والموعظة الحسنة والآداب الإنسانية السامية، وتحمل الكثير والكثير من الآراء المضادة والانتقادات الكثيرة من أصحاب الأقلام المسمومة.. لقد كان يعتمد على كلمات ربه سبحانه وتعالى فكان ما كان من أمره فى كل اجتهاداته ونحن إذ نودع فقيدنا إنما نودع عالما ومجتهدا وإنسانًا».

هذه الكلمات النيرة قالها شيخ الأزهر يرحمه الله وما كان يدرى أنه سيودعنا بعد أيام قلائل ولعل هذه الكلمات تشف عن نفس قائلها فنحن نرددها: وداعا لشيخ الأزهر والإسلام. كما قالها هو: وداعا للشيخ الغزالى. يرحمهما الله تعالى.

تخرج الإمام الأكبر فى كلية الشريعة، ثم حصل على الإجازة فى القضاء الشرعى فعين قاضيًا فى المحاكم الشرعية فى مصر قبل أن يقضى عليها، فحافظ على شرف القضاء فما كان يحكم بغير دليل معتبر، وما سمعنا عن قضية عدل فيها عن الحق، أو مال فيها إلى خصم بالهوى والتشهى، أو تعجل فى حكم أو مالأ أحدا، أو خاف من أحد غير الله عز وجل وهكذا حمل الأمانة بشرف.

ولما ألغيت المحاكم الشرعية سنة ١٩٥٥ احتفظ القضاء العادى بعدد قليل من القضاة الشرعيين المشهود لهم بالكفاءة، واختصوا بالقضايا الشرعية، فكان الشيخ الإمام يرحمه الله من الذين اختيروا.. وظل حتى أصبح رئيس محكمة ثم رقى إلى التفتيش القضائى بوزارة العدل، فما قصر فى عمله وما تخلى عن الأمانة التى حملها.

وترك سيرة عطرة فى القضاء ليختار بعدها مفتيا لمصر، فحافظ على شرف الإفتاء، وأمانة الفتوى، فالتزم مدة عمله فى جميع فتاواه بالكتاب العزيز والسنة المطهرة وما أجمعت عليه الأمة ثم بالأدلة الأخرى المعتبرة فى مواطن الخلاف، فلم تخرج من دار الإفتاء آنذاك فتوى ضالة مخالفة للكتاب أو السنة أو الإجماع، أو مستندة إلى غير الأدلة الشرعية المعتبرة. وظهرت فى فتاواه شخصية العالم الفقيه غير راغب فى ثواب أحد ولا عطاياه إلا الخالق سبحانه وتعالى، ولا خائف من عقاب أحد إلا ملك الملوك وخالق الخلق سبحانه وتعالى.

ولم نسمع أن أحدا قال: إنه أصدر فتوى تقربا أو خوفا من صاحب سلطان أو مال، أو إنه اجترأ عن الفتيا بغير علم أو بتعجل وغير فهم.. فظلت دار الإفتاء فى عصره -بفضل الله تعالى- شامخة يقدرها علماء الإسلام فى كل مكان فلم تسقط أو تزل أو تذل وتهن.. ولم يلجأ يرحمه الله إلى وسائل الإعلام يريد شهرة أو جاها وإنما ظل يعمل فى صمت بعيدًا عن الأضواء.. داخل دار الإفتاء يفتى المستفتين ويرد على السائلين، وفى القضايا الفقهية المعاصرة لم يخالف مجمع البحوث الإسلامية فى أى منها لأنه يقدر الاجتهاد الجماعى، ويعلم أن مجمع البحوث هو جهة الإفتاء العليا فى مصر تنفيذًا لقانون إنشاء الأزهر.

وهكذا حافظ على شرف الإفتاء وترك أثرًا طيبًا لا يزال باقيا وفتاوى محكمة صائبة نسأل الله تعالى أن ينفع بها وأن تكون فى ميزان حسناته.

وخرج من دار الإفتاء ليكون وزيرًا للأوقاف مدة وجيزة، فبعد أقل من عام أصبح، الإمام الأكبر شيخًا للجامع الأزهر سنة ١٤٠٢هـ «١٩٨٢»، وظل إلى أن لقى ربه، فأثبت أنه كان امتداد للصالحين من الأئمة الكبار المشهود لهم.. الذين تولوا مشيخة الأزهر قبله، وينظر كل مسلم الآن فى مجتمعنا ويتساءل: من سيخلفه؟ ويتابع الأسماء فيشعر بأن الجميع بالنسبة إليه أقزام لا يستطيعون أن يحموا الأزهر ويحفظوا هيبته وعالميته ويتصدوا للعلمانيين والمفسدين فى الأرض، بل إن بعض من تصدى لهم ليحمى المجتمع المسلم من شرورهم وتحمل الأذى فى سبيل كشف حقيقتهم وإبطال باطلهم.. بعض هؤلاء أصبحت أسماؤهم تتردد!!

ومن هنا أدرك المسلمون أن المصيبة فى فقد شيخ الإسلام كبيرة أليمة فادحة، وما قدمه للإسلام والمسلمين أشاد به الكثير أفرادا وجماعات، حتى الذين أساءوا إليه وتطاولوا عليه وهاجموه بألفاظ بذيئة، حتى هؤلاء وجدنا منهم من يعترف بفضله وحسن خلقه وعمق فقهه ودعوته إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة وعظيم أثره فى العالم الإسلامى كله.

ومنذ عام نال جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام، ومما يبين فضله وعظيم قدره ما ذكرته لجنة الاختيار فى أسباب اختيارها حيث قالت: إن الاختيار جاء لتعدد مجالات عمله فى خدمة الإسلام والمسلمين، وبخاصة من خلال مشيخته، للأزهر، ومن أبرز جهوده وحرصه المستمر على تأكيد الصلة بين المجتمعات الإسلامية فى مختلف الأقطار وشعوبها وبذله الجهد لتحسين أوضاع الأقليات المسلمة فى البلدان غير الإسلامية روحيا وفكريًا وماديًا. وأضافت أنه تم منحه الجائزة لرياسته مجلس الدعوة الإسلامية العالمية، وعقده لعدد من المؤتمرات لتتبع أحوال المجتمعات فى البلدان الأفريقية والآسيوية، وغيرها وحسن توجيهها وتركيز الدعوة إلى الله وتجنيبها كل أنواع المزالق.

وأيضًا لتكوينه فى الأزهر الشريف لجان بحوث عديدة فى مختلف أصول الدين وفروعه والمعارف الإسلامية بعامة مما كان له نتائج طيبة وفوائد قيمة. وذكرت اللجنة أن شيخ الأزهر كان له دور كبير فى إنشاء المعاهد الدينية والكليات ومكاتب الدعوة والإرشاد مما أدى إلى تضاعف عدد تلك المؤسسات داخل مصر وخارجها.. إلخ.

وهكذا حافظ -يرحمه الله- على شرف مشيخة الأزهر فظلت مرفوعة القدر عظيمة الشأن، ولم ينس -وهو شيخ للأزهر- أن يحافظ على شرف الإفتاء.. فلما تقرر عقد مؤتمر السكان بالقاهرة، وكانت وثيقته تدعو إلى إباحة الزنا والشذوذ والإجهاض وغير ذلك مما يتنافى مع الإسلام، وقال قائل: لقد قرأت الوثيقة كلها، وليس فيها شىء يخالف الإسلام بل إن تسعين فى المائة منها يتفق مع مكارم الأخلاق!! هكذا قال!! هنا جاء دور شيخ الأزهر الإمام الأكبر ليصدر القرار المعروف الذى بين فيه فضائح هذه الوثيقة وموبقاتها.

وجاء بعد مؤتمر المرأة فى بكين، فقال القائل نفسه: ليس فيه شىء حرام!! فكان موقف الإمام الأكبر صفعة أخرى للشيخ القائل بحل هذه الوثيقة الأخرى على الرغم مما احتوته من فواحش وفجور ومخالفات صريحة لمحكم كتاب الله تعالى، ولما صدرت فتوى تبيح للمسلمين زيارة القدس، والصلاة فى المسجد الأقصى، على الرغم من بقائه أسيرا تحت يد الصهاينة، بين الإمام الأكبر عدم جواز ذلك إلا إذا انسحبت إسرائيل من جميع الأراضى المحتلة.

أما موقفه يرحمه الله ممن أباحوا الفوائد الربوية فهو موقف شريف مشرف، رائد رائع، موفق بتوفيق الله عز وجل فى العام الذى تولى فيه مشيخة الأزهر نادى أستاذ للتاريخ بحل فوائد البنوك، وأفتى آخر بتحليل فوائد السندات الحكومية وهى شهادات الاستثمار فكتب بحثًا تحت عنوان «حكم ودائع البنوك وشهادات الاستثمار فى الفقه الإسلامى»، وبحثًا آخر عن حكم أعمال البنوك فى الفقه الإسلامى، فنشر البحث الأول فى ملحق مع مجلة الأزهر، ونشر الآخر فى سلسلة رسالة الأزهر، وتوقف المجترئون على الفتيا، ثم عادوا هم وغيرهم لهذا الباطل سنة ١٤٠٩هـ «١٩٨٩»، وزاد بعضهم فأفتى بحل معاملات البنوك فى جميع بقاع الأرض، وتصدى للرد جمهور العلماء فى العالم الإسلامى، وأصبحت مجلة الأزهر منارا يكشف زيغ هؤلاء ويدمغ باطلهم، غير أن القول الذى كان له أقوى الأثر فى نفوس المسلمين هو قول شيخ الأزهر الإمام الأكبر حيث أثبت أن تحريم فوائد البنوك أصبح من المعلوم من الدين بالضرورة ويعلو فوق كل خلاف.

وصدر كتاب عن معاملات البنوك وأحكامها الشرعية، ذهب مؤلفه إلى حلّ كل المعاملات فى جميع بقاع الأرض، فقرر فضيلة الإمام الأكبر -يرحمه الله- عرض الكتاب على لجنة الفقه بمجمع البحوث الإسلامية مع حضور مؤلف الكتاب لمناقشته، فانتهت اللجنة إلى بيان بطلان ما جاء فى الكتاب، وكتبت ردا على هذا الكتاب، فكان الرد كتابا نشرته إحدى دور النشر، فطلب منى الإمام الأكبر -يرحمه الله- أن أعيد النظر فى الرد لحذف اسم المؤلف أو ما يشير إليه، فقمت بذلك ونشر البحث فى ملحق لمجلة الأزهر تحت عنوان «البنوك والاستثمار».

وبدأ المجترئون على الفتيا يتطاولون على شيخ الأزهر الإمام الأكبر، ويقذفونه بألفاظ بذيئة، وعبارات سفيهة، ولما تحدثت معه فى شأن هؤلاء وعلى الأخص أن بعضهم له اتجاهات معروفة ضد الإسلام ودعاته، رفض -يرحمه الله- أن يرد وقال لى فى هدوء وسماحة: «إذا فقد الحياء فماذا نفعل؟!» ورفض أيضًا أن يرد أحد من إدارة الأزهر، كما طلب منى ألا أرد لكثرة ما كتبت فقام عدد من السادة العلماء بكتابة رد جماعى فرفضت المجلة التى نشرت الهجوم السفيه أن تنشر الرد العلمى المؤدب، فلم يتدخل لنشره، ومن حقه أن ينشر فى نفس الموضع، فكيف وهو الإمام الأكبر؟! ونشر الرد فى إحدى صحف المعارضة المعروفة باتجاهها الإسلامى ونلاحظ أنه فى كتاباته ولقاءاته كان يبين أن فتوى تحريم فوائد البنوك ليست فتواه الشخصية وإنما فتوى مجمع البحوث الإسلامية.. الهيئة العليا للإفتاء فى مصر. وهكذا ظل محافظًا على شرف الإفتاء متصديا للفتاوى الباطلة التى ذكرنا بعضها فقط، رحمه الله رحمة واسعة جزاء ما قدم.

أما محافظته على شرف القضاء فماذا يفعل وقد ترك القضاء والتفتيش القضائى؟

هذا موقف كريم نبيل لا ينسى.. كتبت ثلاثة مقالات نشرت فى القاهرة، أرد فيها على أحد الذين أباحوا فوائد البنوك، وكان الأول لبيان أنه خالف المجامع الفقهية الثلاثة، والثانى لبيان أن مجمع البحوث الإسلامية هو جهة الإفتاء العليا فى مصر، ومن قال غير هذا فقد تعدى حدود وظيفته، والمقال الأخير تحت عنوان «التناقض» بينت فيه فتاواه فى التحريم المستندة إلى الكتاب والسنة والإجماع، وفتاواه فى الحل، أخذا بقول فلان أو فلان مناقضا ومعارضا الكتاب والسنة والإجماع.

ويرفع الأمر إلى المحكمة، ويصدر الحكم غيابيًا، وجاء فى حيثيات الحكم أن قولى «خالف المجامع الفقهية» يعتبر سبا وقذفا (!!) وكذلك قولى «تعدى حدود وظيفته» (!!) بل إن الرد يعتبر معارضة له أثناء تأدية وظيفته(!!) وأبدى فضيلة الإمام الأكبر يرحمه الله أسفا شديدًا، وأراد أن يحفظ شرف القضاء وعدالة الحكم، فرأى أن يكون ذلك عن طريق الشهادة، فقال لى: قل للمحامى يطلبنى

للشهادة، وتقرر سفر فضيلة الإمام الأكبر خارج مصر للعلاج، وكنت فى قطر، فأخبرنى أحد الإخوة العلماء بأن شيخ الأزهر استدعاه قبل سفره للعلاج بيوم واحد، واستدعى عالمًا آخر وقال لهما: اجمعا كل ما يتصل بالقضية، واكتبا تقريرًا مفصلاً حتى يرفع للمحكمة بعد عودتى من العلاج إن شاء الله.

هذا موقف يعجز القلم واللسان عن تقديره حق قدره، اللهم ارحمه رحمة تليق بكرمك وجودك واغفر له فأنت خير الغافرين وأنزله منازل الصديقين والشهداء والصالحين، اللهم لا تحرمنا أجره، ولا تفتنا بعده، وعوض الإسلام والمسلمين عنه خيرا[1].

أما جهاده مع الصحف المنحرفة «العلمانية» وما أكثرها اليوم: فكان لا يكل ولا يهدأ.. وكثيرا ما أدلت ببيانات كاذبة عليه افتراءًا وتعنتا.. لكن الشعب الفاهم كان من ورائه مناصرا.. ولن أطيل فتلك المآثر مسجلة.. وإن المتتبعين لجهوده والواقفين عليها من أمثال د. محمد رجب البيومى وفضيلة الشيخ فوزى الزفزاف والعالم كله يعلمون أن الرجل العظيم عاش عزيزا مجيدا، ومات كريما!!

ولا ننسى أعماله.. فقد شارك فضيلته: فى لجان وهيئات كثيرة، نشير إلى بعضها ذكرنا جزءا منها فيما سبق، كعضويته:

١- «المجمع البحوث الإسلامية بالأزهر».

٢- عضو لجنة الترشيح والاختيار لجائزة الملك فيصل العالمية، لخدمة الإسلام ومقرها- المملكة العربية السعودية- بوصفه شيخا للأزهر.

٣- عضو المجلس الأعلى العالمى للمساجد، المنبثق عن رابطة العالم الإسلامى.

٤- عضو مجلس الأمناء لمركز بحوث اسهامات المسلمين فى الحضارة بدولة قطر.

٥- عضو مجلس إدارة الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام إباد. باكستان.. وكنت وقتها فى باكستان أستاذا بالمعهد القومى للغات- التابع لجامعة «قائد أعظم» محمد على جناح.

---

(١) الشعب ص١١ فى ٢/ ٥/ ١٩٩٦م دكتور على السالوس.

وقد زار كثيراً من بلاد العالم الإسلامى والعالم العربى نذكر أهمها:

١- كان رئيسا لبعثة الحج الرسمية سنة ١٩٨٣م.

٢- سافر إلى نيجيريا، وغينيا.

٣- رحل إلى بلاد المغرب للمشاركة فى الدروس الحسينية - التى يقيمها ملك المغرب فى شهر رمضان من كل عام سنة ١٩٨٤.

٤- رحل إلى كل من قطر- والصومال- والمالديف- وماليزيا- وبروناى- وتايلاند- والأردن لحضور المجمع الملكى وجلساته لآل البيت، إضافة إلى سفره سنويا للملكة العربية السعودية للمشاركة فى مؤتمراتها ولجانها، والمؤتمر العالمى للمساجد.

٥- زيارة باكستان للمشاركة فى أعمال المؤتمر الرابع للطب الإسلامى، وزيارة معسكرات لاجئى أفغانستان، وكان لى شرف اللقاء به ومصاحبته فى رحلاته داخل باكستان والذين احتفلوا به احتفالا منقطع النظير وقد أشرت لذلك فى الحلقة الثانية.

٦- زيارة مسقط- سلطنة عمان لحضور لجنة الفقه الإسلامى ١٩٨٨.

٧- حضور لجنة تنسيق العمل الإسلامى سنة ١٩٩٣م.

ولقد كرمه العالم الإسلامى كله فى مصر وخارج مصر. فحصل على وسام «وشاح النيل»، من رئيس جمهورية مصر، وهذا الوسام لا يعطى إلا للعظماء الذين أسهموا فى صنع الحضارة والسلام والعلم.. ووسام الكفاءة الفكرية والعلوم من الدرجة الممتازة- من جلالة الملك حسن الثانى ملك المغرب ولقد رأس فضيلته داخل مصر أكثر من ثلاثين مؤتمراً وندوة علمية راجع كتاب «شيخ الأزهر فى السنغال» ص٦١- ٦٤.

مؤلفاته وتصانيفه

ذكرنا بعضها ونضيف بعضا منها مع التعليق الموجز على كل مصنف، لإفادة القارىء الذى لم يحصل على هذه الكتب.

١- مع القرآن الكريم.

٢- النبى فى القرآن الكريم.

٣- الفقه الإسلامى- مرونته وتطوره.

٤- أحكام الشريعة الإسلامية فى مسائل طبية معاصرة.

٥- الاجتهاد فى الإسلام «شروطه ونظافته».

٦- القضاء فى الإسلام.

٧- أدع إلى سبيل ربك.

٨- مجموعة الفتاوى الإسلامية.. خمسة مجلدات كبيرة.

وهذه الفتاوى هى المجال البارز فى ضلاعته الفكرية والفقهية، وتوضح اجتهاده وسبقه الفقهى، ولا ننسى عمله فى القضاء ورئاسة المحاكم الشرعية وهذا الموضوع الذى جعلنى أعيد الكتابة عنه لأوضح للقارئ فضل الرجل وعلمه وتوضيح آثاره العلمية ومكانته وأثره فى الحياة المعاصرة.

ونلقى بعض الأضواء والتعليق على بعض هذه الكتب والمؤلفات.. منها كتابه «أدع إلى سبيل ربك، ألقى فضيلته فى مناسبات إسلامية كبيرة - كلمات غاية فى الأهمية، لها هدفها وسبيلها الواضح فى الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وقد كتب عدة مقالات تنحو هذا المنحى، فى ظروف تتطلب الهداية الموجهة، والإرشاد المصلح، ولقيت كثيرا من الاهتمام العالمى. تطلب منه هذه التوجيهات، فجمعها فضيلته فى كتاب لتؤدى دورها فى إيقاظ الوعى، وهذه المجموعة أعطت ثمارها وأثرها النضير[1].

ففى الحديث عن هموم المسلمين المعاصرة. من منظور إسلامى فقد أشار فضيلته فى نبرة أليمة حزينة.. إلى ما زرعه الاستعمار فى أرض المسلمين وقلوبهم حتى أصبحوا أشد ظلما مع أنفسهم من الاستعمار نفسه.. حيث اتبعوا الثقافة الوافدة ودعوا إليها، والتغريب الدخيل الذى لا فائدة من ورائه إلا التقليد الأعمى.. ومقصد المستعمر انحراف المسلمين عن عقيدة الإسلام.

---

(١) صوت الأزهر ص١٠ فى ٩ من ذى القعدة ١٤٢٩هـ/ ٧/ ١١/ ٢٠٠٨ بقلم وريشة د. عبد الله سلامة نصر.

وهذا من أكبر رغباته.. وفعلا نجح الاستعمار فى تفريق الكلمة وتقطيع الرحم، فى اصطفاء زعامات تبحث عن مطامعها الشخصية، وتتخذ الشعارات سبيلا إلى بث الفتن، وإشارة الانقلابات، فوقعت الواقعة وصار بأس المسلمين بينهم شديدا فى ديارهم يقول فضيلة الشيخ جاد الحق «ومن هنا تعمقت الخلافات ووجهت المساعدات المغرضة فتساقط البعض فى فتنة المال والبعض الآخر فى فتنة السلاح الذى أغرى حمله إلى استعماله فى إثارة الفتن وإشاعة الخوف والاضطراب فى صفوف الشعوب الإسلامية مع بذور الفتن والشك وانشغل الناس بما فتنوا به وتعمقت الخلافات الفرعية والمذهبية وتكونت الجماعات والأحزاب المتخاذلة وتدهور الوضع الاجتماعى وانخلع المسلمون عن الإسلام وتفككت الأسرة وفقد التراحم وقتل الابن أباه وأمه وفسد الواقع الاقتصادى فى أكثر دول الإسلام.

وحين تحدى «العلمانيون» رغبات الأمة الإسلامية جمعاء فى ضرورة تطبيق أحكام الشريعة، وتذرعوا بأسباب واهية وهم لا يعرفون عن فقه الشريعة أمرا، وليس من حقهم التحدث عنها فى قليل أو كثير، وقد خدعوا فريقا من الناس بما خلعوه على أنفسهم من ألقاب ونعوت: مثل المفكر الإسلامى والمجدد الإسلامى وهى نعوت مزيفة كاذبة على الذين لا يعرفون عن الإسلام شيئا غير الهتاف، وصاح الشيخ جاد الحق فى وجوههم قائلا هذا الجدل الصارخ منعزل تماما عن طريق الحق وابتعد عن طريق قضية تطبيق الشريعة الإسلامية إلى تحريف متعمد بقولهم «إن الحياة والزمان تغيرا، فلم تعد الشريعة صالحة على استيعاب الحياة الجديدة المتطورة وتبعتهم أجهزة الإعلام، والواقع أنهم لم يرعوا حق الله والوطن فى هذه الحملة الظالمة على الشريعة الإسلامية، لأن ما حدث هو سوء تطبيق وانحراف، ولا يجب أن يحرف الكلم عن مواضعه بعلم أو بغيره، وهذا الوطن لا يرضى عنكم، ويسوؤه أن تهوى معاولكم لهدم الشريعة الإسلامية ودين الله الحنيف، وكانت كلمات الإمام تتألق فى الصحف والإذاعة، ليعرفها كل قارئ وباحث عن الحقيقة، وفى هذه الكلمات ما يكفى لردع الهجمات الضارية على الشريعة من أناس لا يعرفون شيئا عن جوهرها الصحيح، ويعتبرون أنفسهم مفكرين إسلاميين.

وتحدث فضيلته عن عدم اهتمام المسلمين أنفسهم بمنهجهم الإسلامى وهم فى هذا العصر يواجهون فتنا كقطع الليل المظلم وتوالت بل وتزاحمت عليهم المحن وتفرقت بهم السبل فلم يفرقوا بين النافع والضار، وغاب عنهم تمسكهم بطهارة النفس ونقاء الروح وطهارة الإسلام بدليل قوله سبحانه: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا ﴾ [الأعراف: ٩٦]. . الآيات.

آراؤه الفقهية:

وهى غاية فى الأهمية ومرجع لا غنى عنه فى حياة المسلمين، ويجب أن يعلم القارئ أن أئمة الفقه يتفقون ويختلفون حسبما يلوح لكل منهم وجه الدليل، فإذا حدث اختلاف فهذه سنة العلم من قديم الزمن ولنسوق بعض الاستفسارات التى وجهت للإمام والرد عليها. سأل أحدهم عن الحكم الفقهى فى ختان البنات، وتحدث فى الرد أكثر من فقيه منهم الإمام الشيخ محمود شلتوت والمفتى «حسنين مخلوف» ولجنة الفتوى، بالأزهر بقولهم جميعا «إن الإسلام لم يوجب على أهله الاختتان ولم يجعله شرطا للإسلام وهو للمرأة كرامة ومكرمة عند أبى حنيفة ومالك والشيعة والزيدية والجعفرية، ولهذا نجد أكثر بلاد المسلمين لا يختتنون نساءهم والأتراك والمغاربة وإيران والهنود وباكستان وغيرهم من آسيا لا يعملون بهذه العادة[1].

ويلخص من هذا أن أكثر أهل العلم يعتبرون الختان ليس واجبا وهو قول الحنفية والمالكية والحنابلة وبعض أصحاب الشافعى فلا إثم على تاركه وتعددت الأقوال على هذا الموضوع من الفقهاء.

وفى النهاية وجهات نظر نحترمها وتوجه توجيها للقارىء إذا كان الواقع الاجتماعى شاذا بهذه الصورة الأليمة فليس الختان وحده هو الذى يصحح هذا الوضع الأليم بالنسبة للرجل أو المرأة بل التربية الإسلامية السليمة التى تنشأ فى البيت أو المدرسة، وهى الحاجز الواقى قبل كل شىء، وإن الذى يقرأ فتاوى

(١) صوت الأزهر ص١٠ فى ١٦ من ذى القعدة ١٤٢٩هـ ٤/ ١٠/ ٢٠٠٨ بقلم وريشة د. عبد الله سلامة نصر.

الإمـام الشيخ جـاد وهو حنفى المذهب لا يشـعر إطلاقـا بأنه حنفى أو شافـعى فمرجعه فى الفتوى الواحدة يشمل مذاهب الأئمـة جميعا وآراءهم وكان يستشهد بآراء تلاميذه ومن يراه صـحيحا فى الرأى وهو تواضع جيـد فالحق حق إن وجد ولا كبير فى العلم.

فتواه فى الأمور الاجتماعية:

ونسوق بإيجـاز شديد فتواه فى بعض المسـائل الخطيرة والتى تشغل أذهان حـيز كبيـر من المجتمع الإسلامى وهى الإجهـاض سؤال موجه إلى فضـيلته من طبيب يذكر أن هناك عيـوبا وراثية لا تتلاءم مع الحياة العـادية وقد أصبح من الممكن الآن اكتشافها بطرق علمية صحيحة لا يتطرق إليها الشك قبل الولادة وأثناء فترة الحمل وهذه العيوب علاجها الإجهاض ويريد السائل معرفة ما حكم الشرع الإسلامى فى هذه الحالات ونسوق باخـتصار إجابة فضـيلته بعد تعريف الإجـهاض وحكمه عند الأئمة ورأى كل مـذهب فيـه أن الحنفية يجـيزون إسقـاط الجنين لكن عليه كـفارة وليست بواجبة وبعـضهم يجيز للمرأة إسقاط النطفة قـبل الأربعين بدواء مباح مثل حبـوب منع الحمل وأجـازه مذهب الظاهرية وإذا قـامت الضرورة لإسـقاط الجنين ففـيها آراء راجع فتـاوى إسلاميـة للإمام الشيخ جـاد الحق فى هذا الصدد وحكم الإسلام فى الأمراض والعـيوب الوراثية والتشوهات الخلقيـة وأكدها العلم وأكدها الإسلام فى حديث رسـول الله ﷺ فى قوله: «**تخيروا لنطفكم**» وما قيل فى المرأة التى ولدت غلاما أسود وعليه فإنه يجوز إسـقاط الجنين إذا اكتشفت عيوبه الخطيرة التى لا تلائم الحياة العادية إلخ.

وهناك مسائل اجـتماعيـة أخرى مثل تحديد النسل ودار حولـها جدل طويل فى الصحف وأجهـزة الإعلام دون دليل وأفتى فضـيلته فيهـا بجواز تنظيم النسل بمنع الحمل لفتـرة مؤقتة وبموافقـة الزوجين معا، ويحرم التـعقيم لأى من الزوجين، إن كان يترتب عليه عدم صـلاحية الإنجاب مستقبـلا، إلا إذا كان أحد الزوجين مصابا بمرض وراثى لأن الإنجاب الموبوء حرام لأنه، يصبح عبئا على المجتمع، وهنا يجب التعقيم دفعا للضرر.

الصحافة العلمانية وموقفها من الإمام

إن سيطرة بعض من يسمـون بالعلمانيين على منافذ الصحافة والجـرائد الرئيسية والناطقة باسم الدولة لم تعط الفرصة للإمام الشيخ جاد الحق أن يظهر كل ما يقرره فقد يرسل للجريدة المقال العلمى أو البحث الفقهى المراد نشره أو الحديث التاريخى لمناسبة دينية فيجد من يبتره بترا، بـل من يحاول أن يشوهه تشويها مقصودا لإخفاء ما يراه منافيا لأهوائها، ومن العجب أن الجرائد اليومـية الرئيسية تمتلئ كلها بأخبار الرياضة والكرة وصحيفة لأخبار الفن وغير ذلك وتضيق بحديث الإمام فتوجزه فى عمود، والجمهور لا يكاد يعلم شيئـا عن الحقيقة، ولا حول ما يدور من أحداث، ولا حول مهاجمة تلك الصحف التى تدعى أنها تحمل راية التنوير باطلا دون وجه حق وماذا بعد الحق إلا الضلال.

موقفه من التطرف الدينى

كان ينظر للأحداث ببـعد نظر ثاقب فارجع سبب التطرف الدينى وسـمومه إلى الثقافة الوافدة

التى نأخذ منهـا ما يطربنا، ونجتنب ما يفـيد فى الاكتشـافات العلمية والـقفز الصناعى، فتحدث فـضيلته عن سياسة الغرب فى تعـامله مع الدول النامية، وقال لقد نادى الغـربيون بحقوق الإنسـان والفرد وحريتـه والتمتع بالحيـاة وحرية الفكر والقول والعـقيدة، واعـتقد البـعض أن العرب مقـتنع بهذه الشـعارات والواقع أن الغرب مهتم بنفسه فقط[1].

وإن له جميع السيادة وحـرمان الشعوب من سيادتها وحريتها كـما ذكر فضيلته «أن مصر تعرضت لتـيارين مختلفين تيار يدعو للتـجديد فى كل شىء بحيث يقلد الغرب فى كل شىء فى الـثقافـة والأدب والاجتماع، وتـيار يكشف قيم المجـتمع وتقاليده، وانـتصر التيار الأول وأثر فى مـصر ثقافيـا ودينيا واجتماعـيا وعلى هذا إنزوت الشخـصية الإسلامـية العربيـة فى التعليم، وتغيـرت الأسرة وتزامنت هذه العوامل وتشابكت، وانتـجت شعورا بعدم الرضا والمـكتوم فى الصدور لدى قطاع

---

(١) صوت الأزهر ص١٠ فى ٢٣ من ذى القعدة ١٤٢٩هـ ٢١/ ١١/ ٢٠٠٨ بقلم وريشة د. عبد الله سلامة نصر.

كبير من الناس، والذين لم يجدوا فرصة التعبير عن رأيهم، وفئة أخرى تمكنت من السيطرة على أجهزة الإعلام والفن والثقافة وأخذت تعمل على تغيير الفكر والتقاليد، ووقع المواطن المصرى فى حيرة، وفشا التحلل الأخلاقى بين الشباب، ولم تتنبه أجهزة الدولة ولم تكافحها، إلى أن دوت طلقات التطرف.. وفقدت الأسرة سيطرتها على الأبناء، وانعدم دور المدرسة والمجتمع، وزاد الأمر حدة ما كانت تمارسه أجهزة الإعلام، وما تنشره من قيم غريبة عن المجتمع، ولم تعد الصحافة تهتم بأمانة الكلمة، بل إلى الخبيث من المثل، حتى صارت الدعوة إلى الفساد حرية، وصار الطعن فى دين الله -الإسلام- حرية، وبذلك فشا الإرهاب، هذا ما صرح به فضيلة الشيخ جاد الحق راجع المزيد فى «ملحق مجلة الأزهر، شعبان ١٤٠٨هـ».

فتوى تعويض المستأجر

كانت فتواه هذه لها صداها الصاروخى فى وجه الظلم الصريح الذى عم وباؤه مصر كلها، بشأن التعويض الجائر على إخلاء الأراضى الزراعية، ورجوعها لصاحبها، إذ يرى المستأجر أنه شريك المالك فى أرضه، وبذلك يستحق نصف الثمن فى سبيل الإخلاء، هذه الفتوى قد حسمت الموقف حسما صريحا، حيث قررت أن عقد الإيجار لا يتبع ملكية العين المؤجرة وأخذ نصف الثمن أمر محرم، وهو من باب أكل أموال الناس بالباطل. «راجع مجلد ١٠ من الفتاوى الإسلامية ص٣٥٦٤».

أوقفوا فورا.. هذا العبث

لم يكن يخطر ببال أى مسلم يعيش فى أرض الإسلام والعروبة والأزهر أن يقرأ هذا الخبر البغيض حين نشرته جريدة الأهرام تحت عنوان «مسابقة لاختيار ملكة جمال النيل» نشرت ما ملخصه «إن قدماء المصريين كانوا يقومون باختيار أجمل فتاة عذراء فى مصر ويلبسونها أفخر الثياب ويلقونها فى النيل، وعندما جاء العرب استبدلوا العروس بتمثال لعروس النيل، وفى هذا العام يتخذ الإحتفال مظهرا أكثر حيوية ويفتح المجال أمام الفتيات من سن ١٥- ٢٥ سنة للاشتراك فى مسابقة ملكة

جمال النيل أمـام لجنة التحكيم التى ستنعقـد للاختيار، وأن العـروس الفائزة بهذا اللقب ستنطلق يوم ٢٤ أغسطس أمام المرديان فى مـوكب داخل مركب فرعونى ثم مركب فيـه ٤٠٠ مدعو من مختـلف الهيئات الدبـلوماسية ومن ورائهم خـمسون مركبـا شراعيا حيث يسـير هذا الموكب من المرديان إلى كوبرى قصـر النيل، وتبدأ المراسم المتبـقية فى ذلك ويلقى مـحافظ القاهرة الوثيـقة وتطلق الصواريخ وتقـفز العروس إلى النيل.

ما كاد هذا التـخريف والنزق ينشر فى الأهرام حـتى صرخ فضيلتـه فى مقال تحت عنوان «أوقـفـوا هذا العبث فـورا باسم وفـاء النيل» ولقـد رأى أن فى هذا الطيش عـودة إلى سوق النـخاسـة والرقيق وأن دعـوة مـصر وهى بلد الإسـلام والأزهر التى جعلها الله قـائدة العرب والإسلام لهذا البـغض والفساد والمنكر ردة إلى الجاهلـية العمـياء لا تفـرق بين الحلال والحرام فـأى وثيقـة هذه التى يلقيـها المسئول الكبـير فى النيل مع العروس التى اشتـرط أن تجيد السباحـة وأن تلتقطها فرق الإنقاذ أى إهانة للأنثى والمرأة بوجه العموم، ولماذا لم يكن رجلا الذى يلقى بدلا من العذراء عـروس النيل إنها خزعبـلات وتخاريف جاهليـة وخلل عقلى، وقـد كان هذا الرأى الحـاسم كـافيـا للقـضـاء على هذا البغـى الصريح ويقـول المؤرخـون: «إن أسطورة عـروس النيل هذه لم تحـدث أصـلا وإنما هى أكـذوبة اخترعها أصحاب عقل غير سليم[1].

وقد أشار لذلك الكاتب الكبـير الأستاذ عبد القادر حمـزة فى كتابه «على هامش التاريخ المصـرى القديم» وبين أن هذه أوهام يجب أن تنزع من تلك العقـول الفارغة ولكن القوم لا يقرأون، وإن عمر بـن الخطاب لم يقم بهذا العمل، ومنع هذه المهزلة وقيل إن النيل فى هذه السنة انخفض انخفاضا كبيرا، فأتى عمر وقال قولته المشهورة هذه خطوط مبـدئية تشيـر إلى أنماط من الاتجاهات الفقـهية لدى الإمام الشـيخ جاد الحق، ولا أظن أنى قـد وفيت الرجل حـقه، ولكنى أرجـو أن ينهض من الدارسين الذين يبحثون ويسطرون رسـائل الماجستير والدكتـوراة فى الفقه الإسلامى من يدور موضوع رسالته حول هذا النتاج الفقـهى الكبير، الذى سطره الإمام الأكبر. يستطيع

---

(١) صوت الأزهر ص١٢ فى ٣٠ من ذى القعدة ١٤٢٩هـ ٢٨/ ١١/ ٢٠٠٨ بقلم وريشة د. عبد الله سلامة نصر.

أن يعطى الموضوع حقه فى رسالته، ولا أقول ذلك عن الإمام وتجديده بل يكون لكل الأعلام والعلماء فى هذا العصر، والحمد لله أن مجموعات الفتاوى قد سجلت فى مجلدات مستقلة، وبعد هذا العرض الموجز للملامح العلمية فى فتاوى الإمام، أحب أن أشير إلى رؤوس الموضوعات والفتاوى السياسية التى ذكرها الإمام بقصد التذكير والتوجيه فقط، فقد تحدث فضيلته عن الفتاوى السياسية والاجتماعية والإسلامية وعن الحلال والحرام فى الإسلام، وهو بحث مهم وطويل يحتاج إلى مجلد، ولا يتسع المكان لعرض عناصره وموضوعاته، وعن الحكم فى الفنون المختلفة من تمثيل وغناء ومسرح، فجاء بالقول الفصل، والذى يستطيع القارىء أن يدركه ويحصل عليه كما تحدث فضيلته عن حكم نقل الأعضاء من إنسان إلى آخر وحكم الوصية فيه وموقف الشرع من ذلك والنقل من ميت إلى حى إلخ وما حكم من ماتت وفى بطنها جنين حى والعكس وما حكم أكل لحم الآدمى الميت إلخ.

كلمات ومقالات كتبت فى تأبين الإمام «جاد الحق»:

لقد نعته الصحف والمجلات وأجهزة الإعلام، وأقامت مشيخة الأزهر سرادقا كبيرا حضره كبار رجال الدولة من العلماء والمثقفين على اختلاف مشاربهم، وعقدت جلسة خاصة فى مجمع البحوث الإسلامية لتأبين الراحل العظيم، وجاءت كلماتهم مصورة ملامح الرجل الخلقية وسماته الشخصية، ولقد نعاه فضيلة الدكتور الإمام الأكبر محمد سيد طنطاوى حيث قال «مما يعزى نفوسنا أن شيخنا وإمامنا رحمه الله قد أدى رسالته بشرف وأمانة ونظافة يد بالكلمة الطيبة وشعور بالمسئولية التى هى أمانة فى أعناقنا، وقد اجتمعت هذه الثلاثة فى شيخنا الإمام جاد الحق كان سخيا بماله ينفق منه سرا أكثر من العلانية، وكانت له مواقف تشرف الأزهر فى عفافه وقد ترك ثروة علمية طيبة.

وقال عنه الشيخ سيد مسعود وكيل الأزهر وقتها «إن مواقف الإمام جاد الحق لا تنسى مدى التاريخ» وقال د. أحمد عمر هاشم «كان فى علمه روية وأناة ولا يرى فى نفسه استعلاء أن يسأل أحد». . وله مواقف تجل عن النظر إلخ».

قال د. عبد الفتاح الشيخ «كنت رفيقا له فى رحلة إلى إحدى الدول، وقدم حاكمها شيكا بمبلغ كبير من الدولارات له شخصيا لأنه كان مازال يسكن فى شقة بالإيجار لعله يبنى له بيتا أخذ الشيك ولم يتحدث فى أمره، وعندما عاد إلى مصر

كتب خطابا إلى رئيس الجمهورية أخبره فيه بما تم وأنه أودع المبلغ فى حساب إدارة الأزهر للإنفاق منه على الموظفين والعاملين الفقراء، ويكفى هذا دليلا على عزة نفسه وطهارة يده.

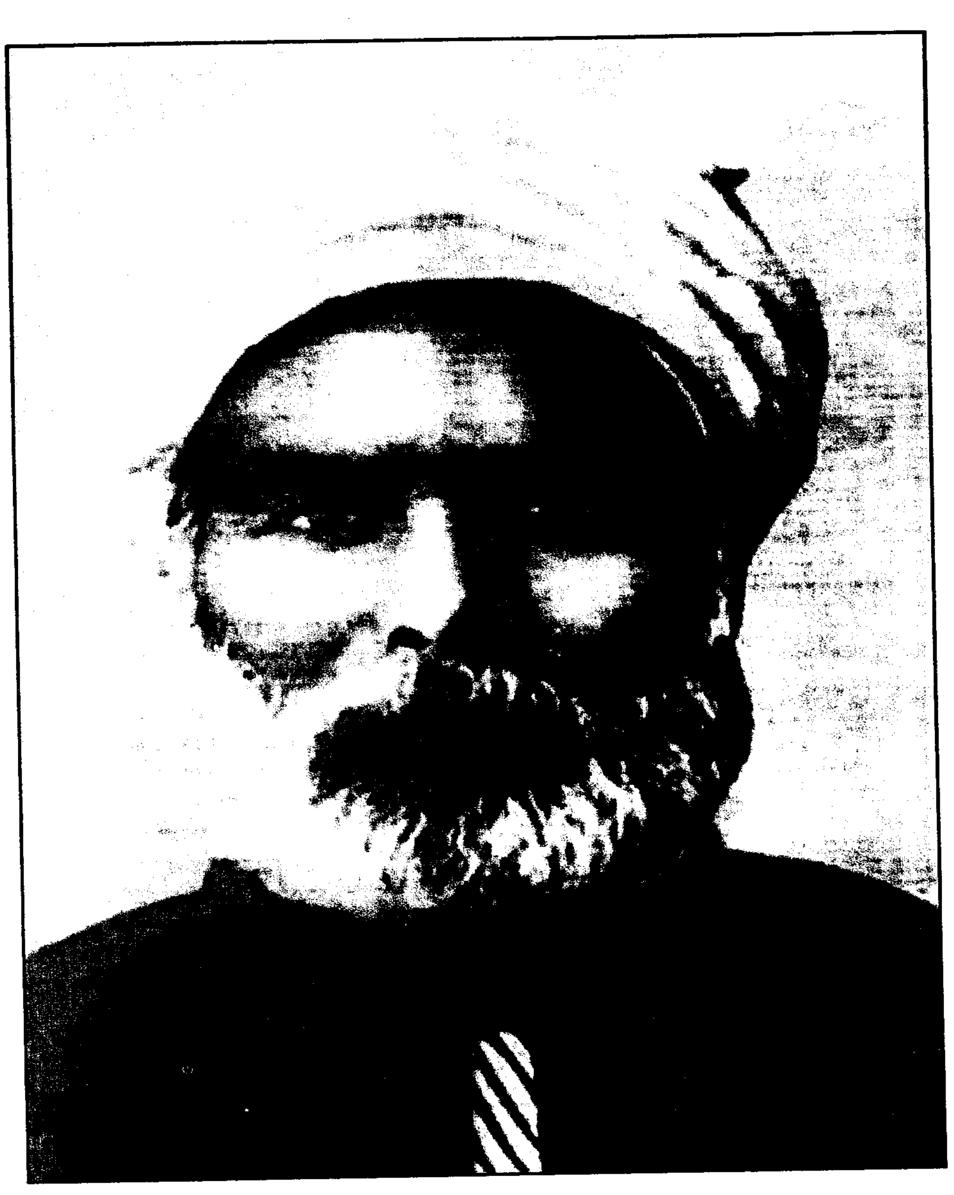
الصحافة والإمام.. جاد الحق:

يقول أحد المتصلين اتصالا وثيقا بالإمام جاد الحق واعتقد أنه الدكتور محمد رجب البيومى العالم والأديب الكبير: كنت أقرأ ما يصدر عن الإمام جاد الحق -فى المواسم والمناسبات الدينية كالإسراء والهجرة والمولد النبوى ورمضان.. إلخ فأحس أن الكلام انقطع ولم يمض إلى غايته فأستكثر أن يكون القائمون على الصحف قد عبثوا بما أرسله الإمام فاظهروا منه شيئا وكتموا أشياء ويقرأ القارئ ما كتبه الإمام فلا يخرج منه بشىء ذى بال وقارنت ما كتب «الأهرام» ذات مرة مع ما كتبت «الأخبار» فوجد العجب وأن الحذف بارز لا جدال فيه للشك، وهذه دلالة خطيرة تنطق بحذف المقصود، والإمام الشيخ جاد عرف بالصبر الطويل والهدوء المطمئن وإزاء ما يجابهه من المشاكل المعضلة، فكان يغضى الطرف عما يراه من حيف وظلم ليس عن ضعف، وإن كلمة منه تهز العالم كله، ولكنه لا يريد الإساءة لأحد.

وحدثت أحداث هزت العالم الإسلامى والعربى، فأدلى الإمام بما يراه وتعمدت الصحف أن تحذف الكثير، ولا تشير إلا إلى الضئيل، فكتب الإمام قائلا «عجبا لأناس يصدرون الصحيفة الطويلة بحديث عن لاعب كرة أو مطرب ناشئ يذكر أمجاده وكأنه اخترع شيئا عظيما والعجب الأكبر لرئيس تحرير الجريدة الذى أفرد الصفحات لهذا الغناء الهزيل ثم يستكثر على إمام المسلمين والإسلام فى العالم أن ينشر ما يرى من توجيه ضرورى للأمة الإسلامية فى أزماتها.

وكان فى مقدروه أن يعقد مؤتمرا صحفيا تحضره صحافة العالم لنقل رأيه للناس جميعا شرقا وغربا ولكن الإمام لا ينشد البريق الكاذب ولا تسليط الأضواء أخذا بآداب أسلافه الكبار من أئمة الإسلام رحم الله الإمام الفاضل وأسكنه فسيح جناته «دائما موت الأمة فى موت العالم».

(١) صوت الأزهر ص١٢ فى ٧ من ذى الحجة ١٤٢٩هـ ٥/ ١٢/ ٢٠٠٨ بقلم وريشة د. عبد الله سلامة نصر.



تلاميذ الإمام محمد عبده دافعوا عن حرية الفكر

الفصل الثانى: رائد الإصلاح وأعلام من الأزهر

الإمام الشيخ محمد عبده وأثره فى الإصلاح الدينى

١٢٦٦هـ - ١٩٠٥م

ولد الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، فى إحدى قرى مديرية البحيرة. وفى مكتب القرية حفظ القرآن وتعلم القراءة والكتابة، ثم انتقل إلى الجامع الأحمدى فى طنطا، فإلى الجامع الأزهر بالقاهرة، لتلقى العلم، على أن طرق التدريس التى كانت متبعة حينذاك فى الأزهر لم ترقه. حتى إذا جاء السيد جمال الدين الأفغانى إلى مصر، اختلط به، وأخذ عنه كثيراً من مبادئ الفلسفة والمنطق، وتدرب على الكتابة فى الصحف السياسية. فلما نفى السيد الأفغانى بعد ذلك من البلاد، كان مما قال لمريديه: «قد تركت لكم الشيخ محمد عبده، وكفى به لمصر عالمًا».

وعمل الأستاذ الإمام مدرسًا فى المدارس الأميرية، ومحرراً فى «الوقائع المصرية». وتولى الكتابة فى بعض دواوين الحكومة. حتى قامت ثورة العرابيين فاتهم بممالأتهم ونفى من مصر، فأقام بسوريا ست سنين ألقى خلالها كثيراً من الدروس. ثم نزح إلى باريس حيث أصدر مع السيد جمال الدين جريدة «العروة الوثقى». وبعد العفو عنه وعودته إلى مصر عين مستشاراً فى محكمة الاستئناف الأهلية، وعضواً فى مجلس إدارة الأزهر، ثم أسند إليه منصب مفتى الديار المصرية.

ويعد الشيخ محمد عبده حامل لواء الإصلاح الدينى فى العالم الإسلامى فى العصر الحديث، فقد حياته فى تنقية الدين من الشوائب التى طرأت عليه، وتقريب المسلمين من أهل التمدن الحديث ليفيدوا من ثمار مدنيتهم، وكذلك اشتهر بصراحته فى فتاواه الدينية، وتفسيره القرآن بما يطابق تحكيم العقل، ويحل الإسلام من قيود التقليد، وقد طالما هاج عليه جماعة الجامدين، وأنصار بقاء القديم على قدمه، ولكنه لم يعبأ بهم، ومضى فى سبيله قدما لتحقيق برنامجه الإصلاحى العظيم.

تولى الأستاذ الإمام منصب القضاء، فعين فى ٧ يونية ١٨٨٨ نائب قاض بمحكمة بنها، ثم رقى قاضيا من الدرجة الثانية بمحكمة المنصورة، فقاضيًا من الدرجة الأولى بمحكمة مصر من ٧ يناير ١٨٩٢، وفى ٢١ نوفمبر ١٨٩٥ رقى نائب مستشار بمحكمة الاستئناف، - ولم يكن يوجد غيرها- وظل بها إلى أن وقع عليه الاختيار مفتيًا للديار المصرية فى ٥ يونية ١٨٩٩.

كان الأستاذ الإمام قاضيًا بمحكمة عابدين، وكانت أهم محاكم العاصمة فى ذلك الحين -فاطمأن الكافة إلى قضائه، وقال فيه ذوو الرأى من أهل عصره: «إنهم لا يذكرون إن كرسى القضاء فى تلك المحكمة قد ازدان بمثله وأن الوقار والهيبة والجلال كانت تفيض فى أفقها» وقال فيه أحد شيوخ المحامين رحمة الله عليه: «كان محمد عبده يصدر الحكم ويشفعه أو يسبقه بدروس ومواعظ يلقيها على المحكوم عليه أمام الجمهور إلقاء يشعر الجماهير والمحكوم عليه نفسه أنهم فى حضرة أب ومصلح كبير.

وترجع صلة محمد عبده بجمال الدين الأفغانِى (١٢٥٤هـ- ١٨٣٩م- ١٣١٤هـ- ٩ مارس ١٨٩٧م)- إلى شهر المحرم عام ١٢٨٨هـ- ٢٢ مارس ١٨٧١م، حين نزل جمال الدين مصر، وكان يعرفها من قبل قليلاً، ولكنه فى هذه المرة اندمج فى حياتها الأدبية والاجتماعية، وتردد على دار إبراهيم بك المويلحى، وكانت قائمة فى حارة الأمير حسين بشارع محمد على، وهى فى ذلك الوقت ندوة المفكرين والعظماء والقادة، فلما أجرى عليه رياض باشا رزقا شهريا قدره عشرة جنيهات مقابل بقائه فى مصر ولو لم يؤد عملا، استأجر منزلا فى حارة اليهود، ويقول الشيخ محمد عبده: إن طلاب العلم عرفوا الأفغانى عند ذلك و«اهتدوا إليه واستوروا زنده فأورى، واستفاضوا بحره ففاض دراً، وحملوه على تدريس الكتب فقرأ من الكتب العالية فى فنون الكلام الأعلى والحكمة النظرية طبيعية وعقلية، وفى علم الهيئة الفلكية وعلم التصوف وعلم أصول الفقه الإسلامى، وكانت مدرسته بيته من أول ما ابتدأ إلى آخر ما اختتم».

وفى هذه المرة بقى جمال الدين فى القاهرة فترة أطول، وهى الفترة التى كون فيها مدرسته وبث فيها رسالته، واتصل بتلميذه وصفيه الشيخ محمد عبده.

بقى الشيخ جمال الدين يدرس ويدعو دعـوته الإصلاحية، ويشارك فى كل أمر ذى خطر من حياة مصر فى ذلك العهـد أكثر من ثمانى سنين حتى نفى الشيخ من مصر فيه سنة ١٢٩٦هـ إلى الهند مرة أخرى.

ويقول الشيخ الباقورى:

إن أحداً لا يستطيع إلا أن يرى فى الأستاذ الإمام قائداً زعيماً يحرص أشد الحرص على إيقاظ الرأى العام وتنبيهه من غفوته بشتى الأساليب ومختلف الوسائل، حتى يكون له أن يميز ما للحاكم من حق الطاعة على الشعب وما للشعب من حق العدل على الحاكم، لأن الحاكم بشر يصيب ويخطىء.

ويقظة الرأى العام مـن طريق الصحافة النزيهة والتربية الاجتماعية السليمة وإعداد القادة المستنيرين الغيارى على صالح الأمة، هى الوسيلة والقادرة بالقدرة على تقصى الحقائق ودرس المسائل درساً وافياً وإبداء الرأى فى أمانة وإخلاص.

ولئن كان الأستاذ الإمام قد سلك فى بيروت عـاصمة لبنان الشقيق مسلكاً قرب فيه بين مختلف المذاهب والأفكار والطوائف، فـإن عمله فى مصر بعد أن عاد من المنفى لم يكن أقل قدراً من عـمله فى لبنان، فقد عمل على دعم الوحـدة الوطنية فى لبنان، وكان كـثيـر من شيوخ الأمـة فى ذلك الوقت على مثل رأيه السياسى كسعد زغلول، وحسن عاصم، ومحمـود سليمان وغيرهم من رجال حزب الأمة، ولكنه هوجم من هذه الناحية أكثر ممـا هوجم أصدقاؤه الذين كانوا على مثل رأيه، لأن الخديو عباس كان يؤلب عليه أكـثر مما يؤلب عليهم، ثم لأن الناس اعتادوا أن يروا علماء الدين بعيداً عن السياسة.

لقد كان الشيخ محمد عـبده -بما وهبه الله من غزارة علم وبعد نظر وقوة نفس ورحابة صدر- شيئًا كبيراً لا يقدره حق قدره إلا أولئك الذين يتخلصون من كبرياء الغرور، وتسالط النزوات فـيحكمون عليه بأنه إن لم يكن أفـضل زعيم حكيم فإنه فى الصدارة من حكماء الزعماء الذين تحتـاج إليهم الأمم إبان نهضتها وعلى طول تاريخها، بحـيث تخسر الإنسانية كثـيراً بالتجهم لهم والتهجم عليـهم فى حياتهم وبعد مماتهم.

وليس يخفى ما كان الشيخ قد لقى من العنت ودناءة الخصومة وعقوق قومه له وجحود فضله عليهم، فكانت حربهم له من جهات متعددة، فالخديوى عباس يتخذ السيد توفيق البكرى وغيره وسيلة للإفساد بينه وبين رجال الأزهر، وتحريض أعضاء مجلس الإدارة على الاستقالة، حتى يحل محلهم من يكرهون الشيخ لكى يقفوا فى سبيله. وكثير من شيوخ الأزهر يخاصمونه لأنه كان لا يكف عن الدعوة إلى تحرير الأفكار من قيود التقليد، حتى يكون للمفكرين أن يفهموا الدين على طريق سلف الأمة قبل ظهور الخلافات المذهبية.

ولا ريب فى أنه أيقظ الشعور الدينى، وأشعر المسلمين بأن عليهم أن يهبوا من رقدتهم لإصلاح نفوسهم وإكمال نقصهم غير معتمدين على الفخر بماضى أسلافهم، بل ساعين إلى أن يبنوا من جديد لحاضرهم ومستقبلهم فى حياتهم كما بنى أسلافهم.

فهو أبدًا داع إلى أن العقل يجب أن يحكم كما يحكم الدين، فالدين عرف بالعقل ولابد من اجتهاد يعتمد على الدين وعلى العقل معًا، حتى يستطيع المسلمون أن يواجهوا الأوضاع الجديدة فى المدنية الجديدة مقتبس منها ما يفيد وينفع، وإذا كان المسلمون لا يستطيعون أن يعيشوا فى عزلة فلابد لهم من أن يتسلحوا بما يتسلح به غيرهم، وأكبر سلاح فى الدنيا هو العلم. وأكبر عمدة فى الأخلاق، هو الدين ومن حسن حظ المسلمين إن دينهم يشرح للعلم صدره حاضًا عليه غير ضائق بالأخلاق الفاضلة التى تدعو إليها المدنية الحاضرة.

إن الشيخ -مع هيبته وحدته- كان طيب القلب سليم الصدر وفيا لأصدقائه لطيف الحديث سمح النفس ينصف الناس فى الحق حتى من نفسه.

ومن أعجب ما يعجب له الذين يحبون أن يعرفوه على حقيقته أن يطلب إلى فاضل من فضلاء علماء المسلمين النيل منه، حتى يتخذ من ذلك ذريعة إلى تعيينه شيخا لعلماء مدينة الإسكندرية، فتتهيأ بذلك له السبل إلى إصلاح الأزهر من مدينة الإسكندرية، وقد عجز عن ذلك الإصلاح فى مدينة القاهرة، وذلك -على ما يروى السيد رشيد رضا- أن الإمام أشار على الأستاذ الشيخ محمد شاكر قاضى

قضاة السودان أن يظهر السخط عليه لاستمالة الخديو تمهيداً لتعيينه شيخا لعلماء مدينة الإسكندرية، إذ كان من المعروف لدى الخديو أن الشيخ محمد شاكر هو من حزب الشيخ محمد عبده ومن رجاله وأنه هو الذى اختاره للسودان وسعى لجعله قاضى القضاة فيه، وبهذه الحيلة من الرجلين الكبيرين محمد عبده ومحمد شاكر لطف الله بعباده العلماء وأراد ألا يبقى حالة الإسكندرية على ما كانت عليه من الخلف وتعطيل الأعمال فتقرر انتخاب الشيخ شاكر شيخًا لعلماء الإسكندرية وصدر الأمر العالى بذلك فى ٢٦ إبريل سنة ١٩٠٤.

ولا يجهل الناس أن هذه منقبة للأستاذ الإمام تذكر فى تاريخه كما تذكر كبار المناقب لكبار المصلحين[١].

ويقول الشيخ مصطفى عبد الرازق: لم يكن الإمام أول من أحدث فى الأزهر حركة تجديد، فإن حركة التجديد الأولى ترجع إلى عهد قبل ذلك، ومن مظاهر هذه الحركة اختيار شيوخ الأزهر من الأذكياء ذوى الوجاهة وحسن السياسة من غير مراعاة لما كانت تجرى به التقاليد فى هذا الباب، فإن الشيخ مصطفى العروسى الذى ولى مشيخة الأزهر من سنة ١٢٨١هـ إلى ١٢٨٧هـ- ١٨٦٤م- ١٨٦٩م والشيخ محمد العباسى المهدى الذى اختير على أثره شيخا للأزهر سنة ١٢٨٧هـ- ١٨٧٠م لم يكونا من أسن شيوخ عصرهما، ولا من أوفرهم شهرة بالتدريس والعلم.

وقد أبطل الشيخ العروسى كثيرا من البدع الدينية وأقال جماعة ممن يدرسون فى الأزهر بلا استحقاق وعزم على عمل امتحان لمن يريد التدريس ففاجأه العزل من منصبه، وجاء من بعد. الشيخ المهدى فوضع سنة ١٢٨٨هـ- ١٨٧١م أول قانون للأزهر يحصر مواد الدروس وبين طريقة الامتحان، وفى عهده عنى بإصلاح الأزهر ليصل بذلك إلى إصلاح المحاكم الشرعية.. فالغرض من هذا الإصلاح كان تخريج قضاة المحاكم الشرعية تخريجًا نظاميًا تتم به المشاكلة مع صورة التخريج لقضاة المحاكم المدنية.

وهذا الاتجاه فى إصلاح الأزهر هو بعينه ما أعرب عنه الخديوى عباس فى خطبته بقصر عابدين فى حفلة الإنعام بالخلعة على الشيخ عبد الرحمن الشربينى

---

(١) الأخبار ٢٧- ٧- ١٩٧٣.

شيخ الأزهر سنة ١٣٢٣هـ- ١٩٠٥م وهى الخطبة التى استقال على أثرها الشيخ محمد عبده وصديقه الشيخ عبد الكريم سلمان من مجلس إدارة الأزهر. قال الأمير -على ما جاء فى الجزء الأول من تاريخ الأستاذ الإمام- إن كل ما يهم الحكومة من الأزهر شيئان: الأول استتباب الأمن فيه وهو ما أوصى به دائمًا، والثانى تخريج القضاة الشرعيين[1].. ويوشك أن يكون كل تغيير فى الأزهر توجهه الحكومات قائمًا على مثل هذا الأساس. أما الشيخ محمد عبده فقد أراد بنهضة الأزهر غاية هى الجديرة بأن تسمى إصلاحًا. كان الشيخ محمد عبده يرى أن إصلاح الأمة لا يكون إلا بإصلاح عقولها وقلوبها بالعلم الصحيح والدين الصحيح والسبيل إلى ذلك إحداث نهضة دينية وعلمية معًا، والأزهر هو أخصب مكان لهذه النهضة فإن الحياة إذا انبعثت فيه سرت مسرعة فى جسم الأمة وفى الشرق الإسلامى كله، وقد اتصل الشيخ محمد عبده بالخديوى عباس الثانى وأوحى إليه أن ينهض لإصلاح الأزهر نهضة قوية تحيى الشرق الإسلامى لأن الأزهر قبلة المسلمين فى أقطار الشرق المختلفة، وأقنعه بأن ذلك يرفع شأن مصر فى الشرق كله ويجمعه حول الشعب المصرى ويخلد له فى المصلحين ذكرًا.

واستمع عباس لنصح الناصح فتوجه بكل عزمه لإصلاح الأزهر على مبادئ الشيخ محمد عبده، وفى ٧ رجب سنة ١٣١٢ هـ- ١٨٩٥م صدر أمر عال بتشكيل مجلس إدارة للأزهر من أعضائه اثنان من موظفى الحكومة هما الشيخ محمد عبده والشيخ عبد الكريم سلمان.

وأخذ مجلس الإدارة فى وضع ما لابد منه من نظم تقر العدل وتمحو ما كان شائعًا من الفوضى، وتبعث على الجد فى تحصيل العلم النافع وترشد إلى أساليب الدرس القويمة. كل ذلك فى غير مساس بحرية التعليم، وبلا إسراف فى العناية بالأشكال والصور ويقول الشيخ عبد الكريم سلمان فى كتاب أعمال مجلس إدارة الأزهر عند الكلام على مشروع نظام التدريس والامتحان الذى وضعه المجلس:

(١) من كتاب تاريخ الإمام محمد عبده للشيخ رشيد رضا، حديث طويل عن المحاكم الشرعية (٦٠٨- ٦٢٩/ ١ تاريخ الإمام)، وللإمام رأى فى الحاجة إلى المحاكم الشرعية)٦٠٨- ٦١١/ ١)، وكذلك لرشيد رضا رأيه فى ذلك ٦١١- ٦١٧/ ١.

«وفى كل باب من هذه أحكام فسيحة تتوجه كلها إلى مقصد واحد هو تحصيل جواهر العلوم الدينية فى زمن محدود بطريقة سهلة التناول والتحلى بثمرة تلك العلوم وهى محاسن الأخلاق والأعمال».

وكتاب الشيخ عبد الكريم سجل مفصل لأعمال مجلس الإدارة يهدى القارىء إلى الفرق بين وجهة الإصلاح فى عهد الشيخ عبده التى كانت ترمى إلى إحداث نهضة علمية دينية يكون الأزهر حامل لوائها، وبين الاتجاهات الأخرى.

ومن حضر بعد عهد الإمام فى الأزهر شهد ذلك المعهد العتيق يبعث من مرقده حيًا يضطرم بالشباب والأمل ورأى نهضة صحيحة فى الدراسات الأدبية ودراسة العلوم العقلية وعلوم الدين والعلوم الحديثة.. نهضة تحتفظ بأحسن ما فى معارف الأزهر وتقاليده التعليمية وتقتبس خير ما فى النظم والمعارف الحديثة وأخذ الشيخ محمد عبده يبث فى العقول مذاهبه وآراءه فى كتبه ورسائله، وفى دروسه ومحاضراته التى كانت تجتذب بطرافتها وسمو أفكارها وخلابة بيانها كل الطبقات المثقفة من أزهريين وغير أزهريين. وجملة مذهبه الدينى أن الإسلام دين بساطة ويسر يلائم الفطرة ويوافق العقل، وأنه قد جاء بعقائد سليمة لا تعلو على متناول الفكر الإنسانى وجاء بأصول للفضيلة والخير تغرى بالصالحات وتوفر للإنسان حريته وكرامته وتبعثه للنشاط والكمال فى كل نواحى الحياة.

«فهل رأيت تسامحًا مع الفلاسفة والحكماء أوسع من هذا؟ وهل يليق بالحكيم أن يكون من الحمق بحيث يقول قولا لا يحتمل الإيمان من وجه واحد أو من مائة وجه؟».

كانت العقول المتعطشة إلى الحرية تتهافت على هذا الداعى إلى حرية العقول، وتثور على قيودها وأغلالها، لكن أكثر العقول قد ألفت سجنها واطمأنت إليه، فهى تنزعج لهذه الصيحة الجديدة وتدفعها بكلتا اليدين.. وأصبح الأزهر ميدانًا لصراع محتوم بين مذهب الشيخ محمد عبده ومذهب الشيوخ الجامدين، وكان هذا الصراع نفسه آية حياة وانتعاش وتنبيه فكرى.

وأنشأ الشيخ عبده فى بضع سنين جيلا طموحًا للفهم المستقل، عزوفًا عن التقليد يشعر بالكرامة الإنسانية، ويلتمس المثل العليا فى الحياة الدنيا وفى الآخرة.

وكان ذكر الشيخ عبده يطير فى الآفاق مقرونًا بذكر النهضة الإصلاحية التى استرعت الأنظار، وقد تحركت نوازع الحقد والحسد فى أنفس لا ترضى عن الشيخ ولا عن دعوته، فكادوا له من كل سبيل، حتى اضطر إلى الاستقالة من منصبه فى الأزهر فى مارس سنة ١٩٠٥م- المحرم سنة ١٣٢٣هـ.

وتوفى الشيخ فى الحادى عشر من يوليو عام ١٩٠٥- ٧ جمادى الأولى ١٣٢٣هـ بعد جهاد طويل فى سبيل إصلاح الأزهر، وفى سبيل الإصلاح الدينى والإسلامى فى كل وطن عربى ولا سيما فى مصر قلب الإسلام الخافق.

بين جمال الدين ومحمد عبده

(١)

كان الأفغانى ومحمد عبده أعظم مصلحين ظهرا فى القرن التاسع عشر الميلادى، حملا رسالة الإصلاح الدينى والفكرى وكونا مدرسة أدبية وسياسية كان لها أعظم الأثر فى تاريخ الشرق الإسلامى.

وعن هذه المدرسة انبعثت روح التحرر والرغبة فى التقدم ونضال الاستعمار فى جميع البلاد الشرقية والغربية.

وترجع صلة محمد عبده بجمال الدين الأفغانى إلى أول المحرم عام ١٢٧٠هـ، حيث كان الأفغانى فى زيارة قصيرة للقاهرة فى طريقه إلى الآستانة منفيًا بيد الإنجليز من الهند، وكان محمد عبده إذ ذاك طالبًا بالأزهر.

وتردد محمد عبده على بيت جمال الدين، وتتلمذ عليه وعلى مائدة علمه وفضله، وبعد أيام قصيرة سافر جمال الدين إلى الآستانة، وودعه محمد عبده وداعًا حارًا، وفى الآستانة نال جمال الدين تقديرًا كبيرًا، وعين عضوًا فى مجلس المعارف هناك، ولكنه شعر بالدسائس والوشايات تحاك من حوله فعاد إلى القاهرة مرة أخرى فى أول المحرم ١٢٨٨م، فعاد محمد عبده إلى التلمذة عليه والإفادة من ثقافته.

وعرف محمد عبده من أستاذه جمال الدين أن الاستعمار الغربى وبال على الإسلام والمسلمين، وأنه يجب محاربة الديكتاتورية الملكية، والفساد السياسى، وعن طريقه علم أن الأدب يجب أن يكون فى خدمة الشعب وتحريره، وأنه يجب

أن يتحرر من قيود الصناعة اللفظية، وأن المعنى لا اللفظ هو سر كل بلاغة، وتعود الكتابة الدينية والوطنيـة فى الصحف والمجلات، وبدأ يهتم بمطالعة مصـادر الثقافة الإسلامية والأدبية، ويطالع الكتب المترجـمة، ويسعى مع إخوانه من تلامذة جمال الدين فى إصلاح الأزهر الشريف وفى الإلحاح فى طلب الحكم النيابى والديمقراطية السياسية.

وظفر محمد عبده بشهادة العالمية عام ١٢٩٤هـ ١٨٧٧م وأصبح مدرسًا بالأزهر ودار العلوم ومدرسـة الألسن، وبدأ يكون جيلا جـديداً من تلامذته، ينفخ فـيهم روح أستاذه جمال الدين.

(٢)

وفى الخامس والعشرين من يونيو عـام ١٨٧٩م عزل إسماعيل وتولى مكانه ابنه توفيق، وقد بدأ حكمه بنفى جمال الدين من مصر، وإقالة محمد عبده من وظائفه العلميـة، وتحديد إقامته فى قـريته «محلة نصر»، وذلك فى الرابع والـعشرين من أغسطس عام ١٨٧٩م- أواسط رمـضان عام ١٢٩٦هـ، خوفًا من النهـضة الوطنية التى يتزعمـانها، ويدعوان إليهـا، وقبل أن يغادر الأفغانى أرض مـصر قال: «إنى تركت فى أرض مصر الشيخ محمد عبده يتم ما بدأت به».

وبعد شهـور عفا توفيق عن محـمد عبده، وأسند إليه رياض باشـا التحرير فى الوقائع، فاختـار معه سعـد زغلول وجماعة من زملائه من تلامـذة جمال الدين، وكون محمد عبده عن طريق الوقائع مدرسة صحـفية نزيهة غايتها خدمة الشعب، وتحريره فكريًا وقومـيًا من قيود الاسـتعباد والاستـبداد والرجعية والجـهل والجمود والتأخر.

وقامت الثورة العرابية، وكان محمد عبده من أبرز زعمائها، وكان جمال الدين آنذاك فى الهند، فاعـتقلته بريطانيا حتى لا يتـصل بزعماء الثورة، وانتـهت الحركة العرابيـة بالفشل والاحتـلال البريطانى لمصـر، وقبض على محـمد عبـده وسجن وحوكم، وحكم علـيه بالنفى ثلاث سنوات، فاختـار سوريا مـنفى له. وأفرجت بريطانيـا عن جمال الدين. وسـافر من الهند إلى لندن فـباريس. وهناك اسـتدعى جمال الدين محمد عبده من بيروت ليقيم معه فى عاصمة فرنسا.

(٣)

وفى باريس أخذ الإمامان يجاهدان من أجل الشرق الإسلامى وتحرره، ويعملان ليعود للإسلام مجده وألفا جمعية «العروة الوثقى» عام ١٨٨٤م، ثم أصدرا صحيفة باسم «العروة الوثقى» للجهاد فى سبيل الشرق والإسلام. وخلق الوعى السياسى المستنير فى الشعوب الإسلامية «ومناهضة الحكم الديكتاتورى» والعمل على إحياء الأخوة الإسلامية، وعلى قيام حكم ديمقراطى شورى بين الناس.

وصدر العدد الأول من العروة الوثقى فى ٥ جمادى الأولى ١٣٠١هـ- ١٣ مارس ١٨٨٤م، وكله حرب على الاستعمار الغربى فى بلاد المسلمين، ودعوة إلى حكومة إسلامية موحدة أو حكومات إسلامية متآخية متحدة المناهج والأهداف والأفكار يرتبط بعضها ببعض بروابط الود والإخاء وحب السلام.

وفى يوليو عام ١٨٨٤م أوفد جمال الدين الأستاذ الإمام محمد عبده إلى لندن لمفاوضة السادة الإنجليز فى القضية المصرية، ودعوة إنجلترا إلى الجلاء عن مصر، وترك السودان للسودان، وأدى محمد عبده مهمته خير أداء، وأعلن فى عزم وقوة أن مصر ستحارب الاستعمار الإنجليزى بكل ما أوتيت من قوة.

وعاد الإمام إلى باريس ليشهد توقف مجلة العروة الوثقى التى حاربها الاستعمار والإنجليز حربًا لا هوادة فيها، وذلك بعد العدد الثامن عشر الصادر فى ٢٦ من ذى الحجة عام ١٣٠١هـ- ١٦ أكتوبر عام ١٨٨٤م.

وعاد جمال الدين فأوفد الإمام إلى السودان لتغذية الثورة المهدية والإفادة منها فى تحرير مصر من الاحتلال، فسافر محمد عبده سرًا إلى تونس ومنها إلى مصر، وأراد السفر إلى السودان ولكنه فوجىء بوفاة المهدى فى الحادى والعشرين من يونيو عام ١٨٨٥، وتسليم التعايشى، فسافر سرًا إلى بيروت وأقام فيها، وبقى أستاذه جمال الدين فى باريس، وأخذ كل منهما يجاهد فى سبيل منهجه الإصلاحى المرسوم.

وفى بيروت ألف محمد عبده جمعية التأليف والتقريب هو وصديقه تلميذ جمال الدين «مبرزًا محمد باقر» للدعوة إلى الإسلام فى جميع أنحاء العالم، وتعريف الغرب بحقائق الإسلام والتعاون على إزالة اضطهاد أوروبا للشرق أو المسلمين.

وكان قيام هذه الجمعية تطبيقًا رائعًا لأفكار جمال الدين ونزعاته وتعاليمه.

(٤)

وفى أواخر عام ١٨٨٨م عاد محـمد عبده إلى وطنه بعد أن ظل فى المنفى ست سنوات «وأخذ يكون مدرسـة فكرية متحررة لتـثقيف الشعب وتربيـته وتحريره من الجهل والخوف والجمود، وإعـداده لحياة ديمقراطية صالحة، وكان مـن تلاميذه سعد زغلول والمنفلوطى ولطفـى السيـد والهلباوى ومـصطفى عبـد الرازق والأحمـدى الظواهرى ومحمد مصطفى المراغى والزنكلونى ورشيد رضا وسواهم.

وعاد جـمال الدين إلى الآستـانة يقيم فيـها فى ظلال السلطان عـبد الحمـيد، وأخذت دعوة جمال ومحمد عبده إلى التحرر الفكرى والإصلاح الدينى تنتشر فى صفوف الشباب فى مصر والعالمين العربى والإسلامى انتشاراً كبيراً.

وسعى مـحمد عبـده فى إصلاح الأزهر والمحاكم الشرعـية والقضاء والمسـاجد والإفتاء ذائع معروف، وساح محمد عبده فى الأقطار الإسلامية فقام برحلات إلى تونس والجـزائر والشام والآسـتانة وأوروبا والسـودان، وهو أينما نزل، وحـيثـما رجل، ينشر رسالته، ويدعو إلى الإصلاح والتجديد.

ومات جـمال الدين فى الآستـانة فى صبـاح الثلاثاء الخامس من شـوال عام ١٣١٤هـ- التاسع من مارس عام ١٨٩٧م ودفن فيـها، وبعد سنوات ثمان مات مـحمـد عبـده فى الثامن من جـمادى الأولى عـام ١٣٢٣ هـ- ٢١ يوليو عـام ١٩٠٥، وذهب الإمامان إلى ربهما راضيين مرضيين بعد أن أديا رسالتيهما على خير الوجـوه، وجاهدا فى سبيل الإسـلام والمسلمين جهاد الأبطال وأسـهما فى خلق الوعى السياسى وتأجـيج الشعور الوطنى، وإحياء العزة القـومية فى نفوس المسلمين عامة.

وكان نضال الإمامين وكفاحهما مضرب الأمثال، لأنه كان نضالا صادقًا خالصًا لوجه الله والإسلام.

مات الإمامان ولكن تلاميـذهما كانوا هم محور النهضة السيـاسية والوطنية فى تاريخ العالمين العربى والإسلامى بعد وفاتهما، وظلت مبادئ جمال الدين الأفغانى

والإمام محمد عبده حية فى النفوس مشتعلة فى القلوب، مسجلة فى أنصع صفحات التاريخ الحديث.

إن هذين الإمامين الجليلين والحكيمين الرائدين، والعبقريين المصلحين، لهما سبب كل تقدم أحرزناه خلال الخمسين سنة الماضية، ومن أفكارهما وآرائهما ودعوتهما انبعثت شعلة الثورة والتحرر والإصلاح فى كل مكان.

سعد زغلول فى الأزهر



الزعيم سعد زغلول

جاور سعد فى الأزهر عام ١٨٧٥ وهو فى سن الخامسة عشرة وحضر الأزهر بصحبه شقيقه الشناوى سعد زغلول الذى تولى أمره بعد وفاة أبيه، وأوصى به طالبين يكبرانه سنًا وهما: الشيخ حسن البليهى والشيخ محمد أبو رأس الذى وصل فيما بعد إلى شيخ معهد دسوق، وتوطدت الصلة بينه وبين الهلباوى الأزهرى الذى كان يسبقه فى الدراسة وكان يسكن معه فى منزل واحد فى غرفة أمام غرفته. حضر سعد دروس محمد عبده وبواسطته اتصل بجمال الدين الأفغانى، وقضى سعد فى الأزهر خمس سنوات نبغ فيها، ثم عين محرراً بالوقائع سنة ١٨٨٠م.

ويقول زميله الهلباوى عنه: اشتهر سعد بين زملائه طلبة الأزهر باليسر وسعة اليد. فقد كانت عائلته أكبر العائلات فى الريف المصرى ومن أعظمها جاهًا وسلطانًا فى موطنها. وقد كان سعد هو الطالب الوحيد الذى يلبس الجبة والقفطان فى (سلتنا)، فكنا نفتخر به وبجبته وقفطانه ونتباهى بملبسه أمام الطلبة الآخرين.. ولا عجب فى ذلك فقد كنت أنا مثلا ألبس (الزعبوط) الذى لازمنى طول مدة دراستى حتى تخرجت فى الأزهر فتوظفت وأنا ألبس (الزعبوط).

وكان سعد يعطى دروسه الاهتمام الأول، ولم يكن له دراية بشئون المنزل -شأن طلبة الأزهر- فأهمل مأكله وملبسه رغم النقود والملابس لديه، ولاحظ ذلك شقيقه الشناوى أفندى فخصص له زميلين من زملائه عهد إليهما فى إعداد طعامه وقضاء لوازمه. وكان يعطيهما أجرًا خاصًا نظير هذه المهمة، فإذا تصادف يومًا أن شغلهما

شاغل عن القيام بخدمته حار سعد وأسقط فى يده.. فكنت أتطوع لخدمته شفقة وعطفًا عليه، إذ كان قاصراً صغير السن.

وقد يعرف أن المغفور له سعد زغلول درس فى الأزهر، ولكن كثيرين منا لا يعرفون إلى أى مدى وصل فى دراسته، ولا كيف تلقى علومه ودروسه.

لقد زامل سعد زغلول فى الأزهر فرقة كان فى طليعتها، ولم يبق من زملائه فى هذه الفرقة على قيد الحياة إلا فضيلة الشيخ عبد المعطى الشرشيمى العضو السابق فى جماعة كبار العلماء، وهو العضو الوحيد الذى استقال من الجماعة منذ انشائها إلى الآن، لأن جماعة كبار العلماء لم يكن من قبل يشترط فيها مدة قانونية بحال بعدها العضو إلى المعاش.

وقد تلقى سعد وعبد المعطى وزملاؤهما الفقه على مذهب الإمام الشافعى فى أوائل حياتهم الدراسية فى زاوية العدوى بالقرب من الجامع الأزهر، ثم انتقلوا إلى الجامع الأزهر لاستيفاء دراستهم فيه.

وقد أوغل سعد فى علوم الأزهر ودراساته، وضرب فيها بسهم وافر، ولم يبق بينه وبين أداء امتحان الشهادة العالمية إلا أن يتقدم لهذا الامتحان.

ولكنه لم يتقدم لهذا الامتحان مكتفيًا بما أحرز من ثقافة وما حصل من علوم، وانصرف إلى التحرير فى الوقائع المصرية مع أستاذه الإمام محمد عبده ثم إلى ميدان المحاماة بعد ذلك، وعكف سعد على دراسة اللغة الفرنسية وهو فى سن متقدمة وحصل على إجازة الحقوق.

وقد كانت دراسة سعد فى الأزهر خير معوان له فى حياته، خصوصًا بعد اتصاله بالإمام محمد عبده، وتوجيهه وجهة أخرى تختلف فى ذلك الوقت عما درج عليه الأزهريون فى حياتهم الدراسية.

وقد بلغ من شغف الطالب سعد زغلول بعلوم الأزهر أن ألف كتابًا فى الفقه قدره أساتذة الأزهر وأثنوا على كفايته وصفاء ذهنه، وقد طبع هذا الكتاب ونشر ونفد بعد طبعه.

وكان المغفور له الشيخ المراغى شيخ الأزهر الأسبق يحتفظ فى مكتبه بنسخة منه.

وذات يوم كان لطفى السيد باشا يزور صديقه المرحوم الشيخ المراغى فى داره بحلوان، وجرى الحديث فى شئون العلم والفلسفة على دأبهما فى ذلك.

وتناول الحديث الزعماء والعلم فقال لطفى باشا: إن بين الزعماء السياسيين نوابغ لو تفرغوا بعض الوقت للتأليف والإنتاج لأفادوا فائدة عظيمة.

وهنا ابتسم المرحوم الشيخ المراغى وقال لصديقه: هل تعلم أن المرحوم سعد زغلول باشا ألف كتابا فى الفقه؟

وشغف لطفى بالاطلاع على هذا الكتاب، فقام الشيخ المراغى إلى مكتبته وجاء بهذا الكتاب إلى لطفى باشا الذى تناوله كما يتناول المنهوم الطعام، وقلب صفحاته وقلب الكتاب وهو يقول: عجيبة.

وأزاح لطفى باشا غلاف الكتاب وقرأ اسمه، وقد كتب الناشر تحت عنوان الكتاب ما يلى: ألفه الفقير إلى الله تعالى الشيخ سعد زغلول الشافعى المذهب من طلاب الأزهر الشريف.

ثم قضى لطفى باشا وصديقه الشيخ المراغى بعض الوقت فى دراسة فصول الكتاب، وفى ذكريات طريفة عن صديقهما المغفور له الشيخ سعد زغلول باشا.

ولسعد فى الأزهر ذكريات كثيرة شهد بعضها المنزل رقم ٢٠ فى درب الأتراك بحى الأزهر المتداعى للسقوط اليوم.

وفى الدور الأرضى من هذا المنزل وقف سعد زغلول يترافع ذات ليلة.. ولعلها كانت المرافعة الأولى فى حياته، ومن أجل غرامة قدرها مليمان! وقد تحمس فى دفاعه، وحمى وطيس المناقشة بينه وبين ممثل الاتهام إبراهيم الهلباوى، فلم تنته الجلسة إلا فى الخامسة صباحًا! أما المرافعة فهى أن سعد زغلول كان خامس خمسة يسكنون غرفة واحدة، ويطلبون العلم فى الأزهر، وكانوا يضيئون غرفتهم بقنديل يشغل بالزيت ويكلفهم طول الشهر عشرة مليمات، يدفع كل منهم نصيبه فيها.

ولكن إبراهيم الهلباوى رأى أن يضايق (سعد) من باب المداعبة فحرض بقية المشايخ ضده متهما إياه بأنه أكثرهم انتفاعًا بالقنديل، لأنه أكثرهم قراءة بالليل ولذا حق عليه أن يدفع أربعة مليمات!

وفى آخر الشهر فوجىء سعد بالثورة ضده ومطالبته بالغرامة، وظن الهلباوى أنه ربح المداعبة، ولكن سعد المجاور المداور، شرع يدافع عن نفسه، وضرب لهم مثلاً غاية فى الطرافة إذ قال: لو أن رجلاً علق على باب بيته فانوسًا ليضىء له، فانتفعت بهذا الضوء غازلة أو ناسخة وهى فى منزلها، وزاد إنتاجها، فهل يعنى هذا أن للرجل الحق فى مقاسمتها إنتاجها الذى زاد؟ كلا بالطبع! وهكذا حالكم معى فقنديلكم مشعل طول الليل، قرأت عليه أم لم أقرأ... وليس لكم أن تطالبونى بأكثر مما يدفعه أى واحد منكم!

وأفحم الجميع. ثم جاءت القوانين الحديثة فأيدت مبدأه بحق الارتفاق وهو حق قانونى معروف!

وفى حارة (الفرد) المتفرعة من شارع (المقريزى) خلف الأزهر منزل متهدم تنام تحت أنقاضه قصة طريفة من قصص سعد زغلول والهلباوى وثالث (من بلدياتهم) كان اسمه الشيخ (بسطاويسى) لم يقدر له من الشهرة والمجد ما قدر لزميله، فقد كان الفرسان الثلاثة، يسكنون غرفة أجرتها ستة قروس ولكنهم عجزوا فى شهر ما لأزمة طارئة عن سدادها... وفشلت كل المفاوضات التى حالوا أن يقنعوا بها صاحبة المنزل لتأخير الدفع، فأنذرتهم بأنها سوف تلقى فى الصباح بكل متاعهم وكتبهم فى عرض الحارة الضيقة!. واجتمع الفرسان تحت القنديل للتداول وخطرت لسعد زغلول فكرة بسطها عليهم، فصفقوا لها ثم ناموا دون تفكير فى كارثة الصباح!

ودخلت صاحبة المنزل فى الصباح تهدد وتتوعد ومدت يدها تنفذ وعيدها ولكنها لم تلبث أن هدأت ثورتها وخفت حدتها واغرورقت عيناها بالدموع. لقد كان (الشيخ بسطاوسى) يتأوه من الحمى فى فراشه... وكانت صاحبة البيت لا تطيق أن ترى غريبا مريضًا، فقد توفى لها ابن فى بلاد الغربة!

ونجحت الحيلة، لكنها كانت بالنسبة للشيخ (بسطاويسى) مقلبًا. . . فقد أصرت المرأة على أن تعالجه بنفسها، وراحت تسقيه ألوانًا من الوصفات البلدية، كالحنظل المنقوع والخل وغيره!

وبعد أيام وصلتهم النقود وحاول (بسطاويسى) أن يغادر الفراش ولكن الفراش رفض أن يتركه فقد مرض بالحمى فعلا!

وقد ظل (الشيخ بسطاويسى) يتندر بهذه القصة حتى توفى سنة ١٩٤٥!

ويتلخص تاريخ سعد زغلول الأزهرى فيما يلى:

ولد سنة ١٨٥٩، وفى ٥ أكتوبر سنة ١٨٨٠ عين الشيخ عين زغلول الطالب بالأزهر الشريف محرراً بقلم الوقائع المصرية بمرتب قدره ٨٠٠ قرش فى الشهر (وهو حسن السير والسلوك بمقتضى شهادة للمرحوم الشيخ محمد عبده).

وفى أول فبراير سنة ١٨٨٢ منح ١٣٣ قرشًا علاوة شهرية فصار راتبه الشهرى ٩٣٣ قرشًا.

وفى ٣ مايو سنة ١٨٨٢ صدر الأمر بنقل سعد زغلول إلى وظيفة معاون بنظارة الداخلية، ومنح ٥٦٧ قرشًا علاوة لإبلاغ ماهيته (١٥) جنيهًا فى الشهر اعتباراً من ٢٦ إبريل سنة ١٨٨٢.

وفى ٦ سبتمبر سنة ١٨٨٢ فصل سعد زغلول من وظيفة التحرير بالوقائع المصرية لأنه عين ناظراً لقلم القضايا بمديرية الجيزة ابتداء من ٧ سبتمبر سنة ١٨٨٢.

وفى ٢٧ يوليو سنة ١٨٩٢ عين نائب قاض بمحكمة استئناف مصر الأهلية براتب قدره ٤٥ جنيها فى الشهر.

وفى أول فبراير سنة ١٨٩٤ صدر الأمر بمنحه ١٥ جنيهًا علاوة شهرية لإبلاغ ماهيته ٦٠ جنيهًا.

وفى أول يناير سنة ١٨٩٧ منح خمسة جنيهات علاوة شهرية.

وفى ٨ إبريل ١٨٩٩ أنعم عليه برتبة (المتمايز).

وفى ١٢ يونيو سنة ١٩٠٤ أنعم عليه بالنيشان المجيدى الثالث.

وفى أول يناير سنة ١٩٠٦ عدلت درجته وجعل راتبه ١٠٠٠ جنيه فى السنة.

وفى ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٠٦ عين سعد زغلول (بك) المستشار بمحكمة الاستئناف الأهلية ناظراً للمعارف العمومية بدلا من حسين فخرى باشا.

وفى ١٢ نوفمبر سنة ١٩٠٦ أنعم عليه برتبة (الميرمران) الرفيعة.

وفى ١٨ يناير سنة ١٩٠٨ أنعم على سعد زغلول باشا وزير المعارف العمومية بالنيشان المجيدى الأول.

وفى ٢٣ فبراير سنة ١٩١٠ عين سعد زغلول باشا ناظراً للحقانية.

وفى ٢٧ يناير سنة ١٩٢٤ عين رئيساً لمجلس الوزراء وأنعم عليه برتبة الرياسة الجليلة.

وفى ٢٣ مارس سنة ١٩٢٥ انتخب رئيساً لمجلس النواب.

وفى ١٠ يونيو سنة ١٩٢٦ عين رئيساً لمجلس النواب للمرة الثانية.

وفى ٢٣ أغسطس سنة ١٩٢٧ توفى إلى رحمة الله.

أزهريون نابهون

ومن الذين حضروا فى الأزهر أو تتلمذوا على شيوخه، من الجيل الماضى.

الشيخ زين المرصفى الشافعى توفى عام ١٢٠٠هـ وكان من علماء الأزهر وتولى منصب كبير المفتشين بوزارة المعارف (٨٦- ٨٧ أعيان القرن ١٣ لأحمد تيمور).

الشيخ مصطفى السفطى الأزهرى عين فى وظائف التدريس بالمعارف وتوفى عام ١٣٢٧هـ (٩٨- ١٠٢ المرجع).

أحمد تيمور باشا (١٢٨٨- ١٨٧١- ١٣٤٨هـ- ١٩٣٠)، وكان عالمًا حجة بحاثة فى شتى العلوم. ومن أساتذته الطويل والشنقيطى وسواهم[1].

الشيخ أحمد مفتاح (١٢٧٤- ١٣٢٩هـ).

---

(١) ١٥٧- ١٦٣ تراجم أعيان القرن ١٣ لأحمد تيمور.

طلب العلم بالأزهر، ثم التحق بدار العلوم وعين مدرسًا فيها. ومرت عليه أحداث كثيرة[1].

ومن علماء الأزهر الشيخ محمد البسيونى البيبانى، وقد اختير إمامًا للمعية، ثم مدرسًا للغة العربية بمدرسة الإدارة -الحقوق- وقد كان أستاذ شوقى فى اللغة والأدب، وتوفى فى ١٣ ربيع الآخر ١٣١٠هـ ٣ نوفمبر ١٨٩٢، وله كتاب «حسن الصنيع فى المعانى والبيان والبديع، وكان من تلاميذه كذلك أحمد زكى (باشا).

ومنهم الشيخ حسين المرصفى المتوفى سنة ١٣٠٧هـ- ١٨٨٩م وهو أستاذ البارودى فى الأدب والشعر واللغة، وكذلك تتلمذ عليه عبد الله فكرى باشا... وأشهر مؤلفاته «الوسيلة الأدبية للعلوم العربية، وقد طبع فى جزءين وشهرته ذائعة، وله كتاب «الكلمات الثمانى»، وكتاب «دليل المسترشد فى الإنشاء».

ومن الذين درسوا فى الأزهر الشيخ على الليثى شاعر إسماعيل المتوفى ١٣١٣هـ- ١٨٩٦م، وكان مولده فى بولاق مصر سنة ١٢٣٦هـ، وتعلم بالأزهر.

ومن الذين درسوا فى الأزهر كذلك المرحوم مصطفى لطفى المنفلوطى الأديب الكبير (١٨٧٦- ١٩٢٤) صاحب الكتب المشهورة الذائعة بين الأدباء والمتأدبين ومن أشهرها: النظرات، العبرات، الشاعر، ماجدولين، الانتقام، فى سبيل التاج، الفضيلة.

ومنهم كذلك عميد المحاماة إبراهيم الهلباوى، وكان من أشهر الخطباء فى العصر الحديث، وتوفى عام ١٣٥٩هـ- ١٩٤٠م.

ومنهم الشيخ عبد العزيز البشرى نجل الشيخ البشرى شيخ الأزهر السالف، وكان أديبًا كاتبًا ناقدًا متذوقًا، وله كتاب «المرآة»، ومختارات البشرى وغيرهما، وكان من أعلام القضاء الشرعى. وتوفى نحو عام ١٩٤٠.

ومن الأزهريين فى النشأة العلمية ممن يعاصروننا أو كانوا يعاصروننا إلى عهد قريب: الدكتور طه حسين، وأحمد أمين، وزكى مبارك، وعبد الوهاب عزام، والشيخ محمد أبو زهرة، وأحمد حسن الزيات، والدكتور أمين الخولى، والشيخ عبد الوهاب خلاف، والشيخ مصطفى خفاجى، وسواهم من الشخصيات المعاصرة المعروفة فى مصر والعالم الإسلامى.

---

(١) ١٤٥- ١٥٤ أعيان القرن ١٣ لأحمد تيمور.

الشيخ محمد رشيد رضا

فى ٢٣ جمادى الأولى ١٣٥٤هـ - ٢٢ أغسطس عام ١٩٣٥م توفى الشيخ محمد رشيد رضا[1]، وكان الشيخ قد تجرد رحمه الله لخدمة الإسلام، ووقف له كل ما وهبه الله من علم وقوة وصبر ومثابرة، وليس يؤسف الناس من وفاته خفوت صوت من أرفع الأصوات فى الدفاع عن الإسلام فحسب، ولكن من خلو مكان رفيع كان يشغله أيضا بين العاملين على تطهير عقول المسلمين من البدع التى اعتبرها عامتهم من الدين وليست منه فى شىء.

نعم إن ثورة المرحوم السيد رشيد على البدع لا يوجد لها نظير إلا فى أفراد من السلف الصالح، فقد صمد لها صمودًا أشفق عليه منه، حتى الذين كانوا يشاطرونه رأيه من العارفين، ولكنهم لم يؤتوا الشجاعة التى أوتيها، فباتوا يتوقعون له الشر المستطير، وقد لقى منه ما لو لقيه سواه لصده عن السبيل، ولكنه ثبت للمعارضين، واستبسل فى الكفاح أيما استبسال، حتى استطاع بفضل إخلاصه وصبره أن يحدث فى الصفوف المتراصة حياله ثغرة اقتحمها على مناوئيه وفى أثره جمهور غفير، ممن كانوا لا يجرءون على مواجهتهم مجتمعين، فأصبحنا وللسنة الصحيحة أنصار مجاهرون، وحيال البدع خصوم مجاهدون.

فلو لم يكن لفقيد العلم السيد رشيد غير هذا الموقف لخلد ذكره فى تاريخ المسلمين، فما ظنك به وقد أسقط دولة التقليد، تلك الدولة التى قضت على المسلمين بأن ينقسموا شطرين شطرًا جمدوا على ما هم عليه من التقاليد المنافية لروح الدين، وقومًا مرقوا من الإسلام واتخذوا لهم طريقًا غير طريق المؤمنين، فلو كان دام سلطان التقليد لقضى على كل مفكر أن يفنى فى حزب المقلدين، وهى كارثة جدير بكل من يعرف حقيقة الإسلام أن يذوب قلبه أسفًا منها.

فكان السيد رشيد البطل المعلم فى هذا الموطن الشريف، تلقى فيه بصدره كل ما يتلقاه المصلحون من الجامدين، وكان لجهاده أثر بعيد فى تبصير المسلمين بسماحة دينهم، وببقاء باب الاجتهاد فيه مفتوحًا إلى يوم يبعثون.

---

(١) فى مقتطف عدد أكتوبر عام ١٩٣٥، كلمة عن رشيد رضا بقلم الشيخ محمد شاكر.

وكان تلميذ الأستاذ محمد عبده، وحامل لواء الإصلاح الدينى من بعده، ولا بدع فإن أربعين سنة قضاها الفقيد الكريم فى تحرير المنار يفسر كتاب الله على طريقة الإمام ويبسط أحاديث الرسول على نهج السلف، ويحرر الفتاوى فى المسائل الدينية المختلفة، ويقطع ألسنة المبشرين والملحدين بالأدلة النواهض، ويجلو عن الشريعة ظلام الشبه بالعقل المنير، ويزيد فى ثروة الأدب الإسلامى بالمصنفات القيمة، حرية أن تحله من قلوب المؤمنين موضع التجلة، وتبوئه من صفحات التاريخ مكان الأئمة.

ولد الفقيد فى قرية (القلمون) إحدى قرى لبنان القريبة من طرابلس، فتلقى العلم طفلاً ويافعًا فى هذه المدينة، ثم هاجر إلى مصر، فدخل الأزهر واتصل بالإمام محمد عبده اتصالاً وثيقًا، فأشار عليه أن يصدر (المنار) فكانت سجلاً لآراء الأستاذ الاجتهادية فى حياته، واستمرارًا لدعوته الإصلاحية بعد مماته. ثم أسهم فى النهضة العربية واتصل بجمعياتها السرية فى أطوارها المختلفة من سنة ١٩٠٨ إلى قيام الحرب الكبرى. فلما أعلنت الهدنة عاد إلى سورية فانتخب رئيسًا للمؤتمر السورى الذى نادى بالأمير فيصل ملكًا، ثم ظل فى خدمة هذه الدولة العربية الجديدة حتى ثل عرشها الفرنسيون سنة ١٩٢٠، فارتد إلى القاهرة يحرر المنار ويعالج التأليف، فأصدر طائفة من الكتب القيمة أشهرها تكملة تفسير الإمام على هديه ووحيه، ثم الجزء الأول من تاريخ الإمام وكان قد أصدر منه جزءه الثانى فيما قاله، والثالث فيما قيل فيه، ثم كتابه «الوحى المحمدى».

وكان علمًا من أعلام الدين والعلم، وتلميذ محمد عبده الوفى، والرجل الذى قضى حياته فى خدمة الإسلام وتراثه إلى أن توفى فى ٢٢ أغسطس ١٩٣٥- ٢٣ جمادى الأولى عام ١٣٥٤هـ.

مات فبكته مصر والعروبة والإسلام والشرق، وأقيمت بجمعية الشبان المسلمين حفلة تأبين له فى أبريل ١٩٣٦، خطب فيها جمهور من العلماء والأدباء.

وقال فيه العالم العلامة الشيخ على سرور الزنكلونى فى حفلة تأبينه:

كان لصاحب المنار منذ عرفته مصر وجود قوى، وشخصية بارزة، امتد صوتها إلى الأقطار العربية والأقطار الشرقية، بل كان لهذا الصوت أثر فى بعض الأمم

التى ليست شرقية ولا إسلامية، لأن الأبحاث التى تعرض لها صاحب المنار وإن اتصلت بالشرق وبالإسلام اتصالاً قويًا، فإنها متصلة بالغرب أيضًا، لأن عيون الغرب لا تنام عن المسلمين ولا عن الشرقيين.

اشتغل صاحب المنار طوال حياته بقضية الإسلام وقضية العرب، وبما يتصل بالإسلام من أمر الخلافة، وما يتصل بالعرب من هجمات الاستعمار، ولم تحرم مصر من نزعاته السياسية فى ظروفها المختلفة، فكان بهذا كله لمصر، وللشرق وللإسلام والمسلمين.

وليس فى وسعى أن أوفى صاحب المنار حقه فى مثل هذا الموقف، ولكنى أردت أن أساهم مع المساهمين، وفاء لحق الصداقة، وتقديرًا لتلك الشخصية النادرة.

عرفت المغفور له صاحب المنار منذ ابتداء الأستاذ الإمام -رضوان الله عليه- دروسه فى الأزهر، ولم يكن صاحب المنار فى ذلك العهد يدهشنا وجوده العلمى، لأن طلاب الشيخ جميعًا كانوا يغترفون من بحر واحد، وإن تفاوتت مراتب جهودهم واستعدادهم. ولم يكن لصاحب المنار ميزة فى ذلك الوقت سوى أنه كان يكتب ما يلقنه أستاذنا علينا، وقد كان مثل هذا العمل فى نظر الأزهريين عملاً عاديًا لا أثرا لموهبة خاصة، ولا لنبوغ ممتاز، تآخينا وتآخى معنا السيد رشيد بحكم صلة الدرس العامة، وبقدرها، وكان هذا لا يمنع بعضنا من توجيه النفس إلى السيد رشيد، توجيهًا خاصًا كلما ظهر السيد رشيد بمواهب ممتازة، قد يطول الحديث عنها، حتى هوجم الأستاذ الإمام فى آرائه الدينية والإصلاحية، مهاجمة عنيفة، من كل القوى التى توفرت لها عوامل الكيد والاستبداد، وإذا بالسيد رشيد برّز فى وجوده القوى لمناصرة الحق، والوقوف فى وجه هذه الجيوش الحاشدة، فأخذ السيد رشيد يواجه خصوم الشيخ بقلمه ولسانه، وينشر فى مجلة المنار آراء أستاذه واتجاهاته، وما كان يتلقاه من دروس شيخه، وما كان يعلق عليها بعبارات من عنده تدل على كمال الفهم واستقلال الفكر، وكذلك كان أمر السيد رشيد فى كل ما كان يكتب من مقالات، وما يدون من أبحاث! لأن أسلوب الأستاذ الإمام خلق ممتاز، وسيبقى ممتازًا. مات الأستاذ الإمام، وللسيد رشيد فى نفوس إخوان

الشيخ وأبنائه منزلة سامية، ومع سمو هذه المنزلة لم يخطر ببال أحد أن السيد رشيد سيرث الشيخ فيما كان يدعو إليه، وأنه سيرتفع صوته فى بلاد الإسلام النائية، ولكن أبى الله سبحانه إلا أن يسير السيد رشيد بخطى واسعة إلى الإمام، وقدر الله لصوته وهو على منبر منارة أن يدوى فى بلاد الإسلام والشرق، ولم يصب جهاده فى سبيل العلم والدين بعد وفاة شيخه مع كثرة المخاطر شىء من الوهن والفتور، ولا جرم أن هذه الميزة هبة إلهية لا تمنح إلا للقليل من أفذاذ الرجال، لأن حياة الأستاذ الإمام كانت قوية فى مصر وفى غير مصر. لهذا كان بقاء صاحب المنار أكثر من ثلاثين عامًا بعد وفاة شيخه فى وجوده القوى، بصد عادية جيوش الباطل التى لم تفتر ولم تنم، دليلاً ملموسًا على أنه من الأفذاذ الذين بخل التاريخ بالكثير من أمثالهم، ولعل أكبر شاهد على ذلك أن مهمة السيد رشيد العلمية لم يستطع إلى الآن أن يقوم بها فرد أو جماعة على كثرة العلماء والكاتبين. إن لصاحب المنار -رحمة الله عليه- من حياته العلمية آثارًا كثيرة، وجوانب قوية لا أستطيع أن أوفيها حقها. وقد أردت أن تكون كلمتى فيه الآن مقصورة على علمه بالقرآن وبأسرار القرآن، لأن صلتى به لم تتأكد إلا من درس التفسير على الأستاذ الإمام، ولأن آثاره فى تفسير القرآن هى أقوى الآثار وأظهرها فى الإقناع والإلزام، ولأن مفسر القرآن إذا أخلص وصدق! استحق الثناء الخالد، لأنه بصدقه وإخلاصه يشرف عقله على الوجود، وعلى ما وراء الوجود، وقد تحقق ذلك للسيد رشيد رحمة الله عليه، فالقرآن كتاب الوجود، وكتاب ما وراء الوجود، وكل من جهله، واتجه إلى غيره مهما كان قويًا فى نظر نفسه، وفى نظر أمثاله، فحياته غير صادقة، وسعادته لا ضمان لها، ولا استقرار، بل المسلمون إذا أخلصوا للقرآن فهمًا وعملاً، وعرضوا جواهره السماوية على عقول البشر، فقد ملكوا كل شىء، لأن العقول من مادة السماء، ومادة السماء إذا تركزت فى الأرض محال أن يطغى عليها شهوات النفس الترابية، والإنسان إذا أهمل فهم القرآن والتبصر فيه، وقد أحاط بما فى الأرض علمًا، فليس من الله ولا من الوجود الحق فى شىء، فحصر العقل فى جزء صغير من الوجود يستخدمه فى حياته المادية لا يصور الحقيقة، ولا يحقق معنى الحياة والسعادة إذ الحياة الإنسانية مسبوقة بوجود

لانهائى وبعدها وجود لانهائى، ومن حق العقل أن يفكر طويلا فى ذلك لوجود اللانهائى، وهذا لا يتم إلا بفهم القرآن. ومن أجل ذلك يقول الله تعالى: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ [الروم: ٧] ويقول: ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٤]. إن لأهل القرآن وأنصاره مرتبتين. المرتبة الأولى -هى فهم معانيه الصحيحة وامتزاجها بالعقل والروح والنفس، فيشع منها النور والقوة بحيث يعملان عملهما فى الوجود بقدر الطاقة البشرية، وهذه هى مرتبة النبى ﷺ، ومرتبة الصديقين من أصحابه وأمته إلى يوم الدين.

والمرتبة الثانية هى فهم معانيه فهمًا صحيحًا، وامتزاجها بالعقل، وبالنفس فى أغلب أحوالها، وهذه هى مرتبة كبار العلماء والصالحين مع ما فى كل من المرتبتين من المنازل المتفاوتة بتفاوت الاستعداد، وصفاء الجوهر. وإنى أومن إيمانًا قويًا بأن السيد رشيد قد تمت له المرتبة الثانية فى أرقى منازلها، وأرجو أن يكون له نصيب من المرتبة الأولى. وإذا علمتم أن القرآن هو كلام الله، وأنه كتاب الوجود. تعلمون مقدار ما بذلته ويبذله العقول فى استخراج جواهره منذ أنزل إلى اليوم، ولا يتم للعقل استقصاء كل ما فيه وتحديده بالدقة مادام الوجود قائمًا، ولكن العقل يأخذ منه ما استكمل به وجوده، وطمأنينته فى الدنيا والآخرة على قدر فهمه. ومن هنا تعددت آراء المفسرين لاختلاف وجوه النظر، ولذلك كان تفسير القرآن فى أكثر العصور فى علم وجدل، مع أن التفسير يجب أن يكون زبدًا مستخلصًا بالمقاييس العلمية الصحيحة المستمدة من الفن والبحث، كما أن التفسير الذى لا يعتمد على مقاييس العلم والعقل، لا يسمى على الحقيقة تفسيرًا للقرآن الكريم، ويجب أن يدخل فى مقاييس العلم ما يستظهره العقل من أسرار الوجود بالدلائل القاطعة، وليس من التفسير مظاهر الحياة التى تعتمد على نزعات النفس فى إنسانيتها الضعيفة المضطربة. وهذا هو ما وفق إليه الراحل الكريم فى تفسيره للقرآن، وفى علاجه للأبحاث الدينية، فقلما كان يتعرض السيد رشيد لبحث ما يتصل بالقرآن اتصالاً جوهريًا إلا بقدر ما تمس له الحاجة. وكثيرًا ما كان يتعرض لأقوال المفسرين، وما يستدلون به ولكنه لم يترك القرآن فى

المكان الذى تتجاذبه فيه الآراء كما فعل أكثر المفسرين، بل كان فى تفسيره يستخلص القرآن للعقل مؤيدًا باللغة وبالشواهد والأدلة من ظواهر الوجود. وأول من فتح هذا الطريق وعبده الأستاذ الإمام رضى الله عنه، وقد سار فيه تلميذه صاحب الذكرى شوطًا بعيدًا انتهى فيه إلى آخر سورة يوسف عليه الصلاة والسلام، وقد فسر من القرآن على هذا المنوال الحكيم اثنى عشر جزءًا، وهى أصعب أجزاء القرآن فهمًا واستنباطًا، وكان آخر آية فسرها من سورة يوسف ومات على أثر تفسيره لها قوله تعالى: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

وقال فى رثائه الشاعر الحاج محمد الهراوى:

أى صرح هوى وحصن حصين	ولواء طوته أيدى المنون
وكتاب فى الرشد يهدى إلى	الرشد وسيف مهند مسنون
مات رب المنار والأمر لله	وما مات غير داع أمين
عاش لله مخلصًا فى جهاد	نصف قرن مبارك فى القرون
ومضى باليراع يدعو إلى الحق	وبالقلب واللسان المبين
لا يطيق السكون فى جرح الد	ين ويمضى يرج أهل السكون
لم يدع راحة له أى حين	وهو فى حاجة لها كل حين
طاح بالقلب حين أودى به الجهـ	ـد وجهد الغيور نار أتون
فقد العلم منه أى كتاب	فقد الدين منه أى معين
شعر الناس باحتياج إليه	بعد أن لم يروا له من قرين
عز عن صاحب المنار حمى الشـ	ـام وعز الأحباب فى «قلمون»
بلدة فى ذرى طرابلس قرت	من طرابلس غرة فى الجبين
بلدة الجبت إلى الشرق قومًا	هم نجوى الهدى وأسد العرين

غاب عنها منارها فتوارت	من جرى الحزن بالسحاب الجون
بعثنى جماعة الفضل فى مصر	رسول القريض فى التأبين
بعثنى لأندب العلم والدين	وأبكيهما بدمع سخين
بعثنى وساقها حسن ظن	فى ضعيف ينوء تحت الظنون
ولعمرى لو لم تكن بعثتى	لرأتنى بالدمع غير ضنين
فلقد كان بى حقيقًا وكانت	بيننا عروة الود المتين
عقدت بيننا المودة قربى	زاد توثيقها توالى السنين
شيبتنى مواقف الحزن تترى	ورثاء الخدن أثر الخدين
ووقوفى على الربوع الخوالى	وبكائى المكان بعد المكين
والتياعى على أيامى تخلت	عن حماها يد الكفيل المعين
ويتامى تذوق فى العيش بؤسًا	بعد خفض من الزمان ولين
برح الحزن والجوى بفؤادى	قرح الدمع والبكا من جفونى
من مجيرى من بعدها ومقبلى	من وقوفى بطرف باك حزين؟
يا غريب الديار لم تفقد الأهل	فما مصر غير أم حنون
جئتها عالمًا وطالب علم	فتلقتك فى الحشى والعيون
يا ربيب الإمام فى مجلس العلم	وفى موطن الهدى واليقين
كنت أوفى بنيه حفظًا لذكراه	وأبقى على الوفاء المصون

الشيخ محمد شاكر

١٢٨٢هـ - ١٨٦٦م - ١٣٥٨هـ ١٩٣٩م

تعلم الشيخ محمد شاكر بن أحمد بن عبد القادر فى الأزهر، وكان من أسرة أبى علياء من أشراف الصعيد. وولد بمدينة «جرجا» فى منتصف شوال من سنة ١٢٨٢هـ- مارس سنة ١٨٦٦[1]، وقد تخرج من الأزهر. وفى منتصف رجب

(١) راجع مجلة الأزهر فى بحث للأستاذ محمد كامل الفقى عن الشيخ.

سنة ١٣٠٧هـ- ٤ من مارس سنة ١٨٩٠ عين أمينًا للفتوى مع مفتى الديار المصرية أستاذه الشيخ محمد العباسى المهدى. وفى السابع من شعبان سنة ١٣١١هـ- ١٣ من فبراير سنة ١٨٩٤ ولى منصب نائب محكمة مديرية القليوبية، ثم عين فى منصب قاضى قضاة السودان فى ١٠ من ذى القعدة سنة ١٣١٧هـ- ١١ من مارس سنة ١٩٠٠، ثم عاد شيخًا لمعهد إسكندرية فى أبريل ١٩٠٤، وفى أواخر سنة ١٣٢٤هـ ندب للقيام بأعباء مشيخة الأزهر نيابة عن الشيخ عبد الرحمن الشربينى شيخ الأزهر إذ ذاك، فجمع بين ذلك وبين مشيخة المعهد الاسكندرى، حتى كان التاسع من ربيع الآخر سنة ١٣٢٧هـ- ٢٩ من أبريل سنة ١٩٠٩م، حيث صدر أمر بتعيينه وكيلا للجامع الأزهر، وفى عهد وكالته صدر قانون النظام فى الأزهر سنة ١٩١١م الذى قسمت بمقتضاه الدراسة إلى مراحل لكل منها نظام ومواد خاصة، وعهد إليه بتطبيق القانون الجديد، فأنشىء القسم الأول وعين شيخًا له مع بقائه وكيلاً للجامع الأزهر. وقد أنشأ معهدين فى أسيوط وقنا. واختير عضواً فى جماعة كبار العلماء، وفى سنة ١٩١٣ عين عضواً فى الجمعية التشريعية، ولما اشتعلت الثورة المصرية سنة ١٩١٩م صال فيها وجال، وأذكاها بقلمه ولسانه ورأيه، حتى إذا وافت سنة ١٩٣١ أعرض عن الدنيا ولزم داره لمرض الفالج الذى أصابه، وظل ينتظر المنون حتى دعاه مولاه، فلباه فى صباح الخميس الحادى عشر من جمادى الأولى سنة ١٣٥٨، التاسع والعشرين من يونيه سنة ١٩٣٩م

مشايخ السادة المالكية

كانت العادة بالأزهر الشريف أن للسادة المالكية شيخًا عليهم، ودرجته قريبة من درجة شيخ الجامع، وأما السادة الحنفية والسادة الشافعية والسادة الحنبلية، فكان شيخهم هو شيخ العموم، ومن عهد قريب صار للسادة الحنفية شيخ، وصار للحنابلة شيخ كذلك، ولنأت بذكر مشايخ السادة المالكية، فمن تولى مشيخة السادة المالكية إمام المحققين، وعمدة المدققين، العلامة الشيخ على العدوى المنسفيسى الصعيدى المالكى، ولد ببنى عدى سنة ١١١٢هـ وقدم إلى مصر وحضر دروس مشايخ عصره كالشيخ الحفنى وأضرابه وكان له كرامات عجيبة وله مؤلفات

مفيدة وهو أول من خدم كتب مذهب المالكية بالحواشى وأول من درس بمسجد محمد بك أبى المذهب وكان يدرس بالأزهر وبمسجد الغريب ويوم الجمعة بمسجد مرزه ببولاق، وكان على قدم السلف فى التقوى والاشتغال بالعلوم. . وتوفى سنة ١١٨٩ ودفن بالبستان.

ثم تولاها أبو البركات سيدى أحمد الدرديرى العدوى المالكى الأزهرى الخلوتى، وولد ببنى عدى سنة ١١٢٧ وحفظ القرآن الشريف وقدم إلى الأزهر وحضر دروس مشايخ عصره كالشيخ على الصعيدى والشيخ الحفنى وإضرابهما وألف وأفاد وتآليفه أشهر من أن تذكر، وكان شيخًا لرواق الصعايدة وتوفى سنة ١٢٠١هـ ودفن بزاويته التى أنشأها بخط الكعكين وهو مشهور يزار.

ثم تولاها عالم عصره، ووحيد دهره بلا خلاف سيدى محمد الأمين الكبير صاحب التآليف العديدة فى كل فن معقول ومنقول، ولد سنة ١١٥٤ بسنبو، وهى بلد من قسم ديروط بمديرية أسيوط، وختم القرآن الشريف وهو ابن تسع سنين، ثم التحق بالأزهر وحصل ودرس ولم يدع فنًا إلا أتقنه ودرسه حتى فقه الحنفى والشافعى، وله تآليف جمة فى فنون كثيرة وهى كجوامع الكلم، وكان توجه فى بعض المقتضيات إلى دار السلطنة وألقى هناك دروسًا حضره فيها العلماء وشهدوا بفضله واستجازوه ورجع إلى مصر معظمًا مبجلا ومعه كتب توصية للباشا والأمراء وقد أنعم عليه من الدولة وكانت تأتيه الصلات من سلطان المغرب وتلك النواحى وكان كلامه حكمًا، ومن كلامه:

دع الدنيا فليس بها سرور	يتم ولا من الأحزان تسلم
ونفرض أنه قم تم فرضا	فإن زواله أمر محتم
وكن فيها غريبًا ثم هيء	إلى دار البقا مافيه مغنم
وإن لابد من لهو فلهو	بشىء نافع والله أعلم

وسبب تلقيه بالأمير أن جده الأقرب أحمد بن عبد القادر كان له إمارة حكم فى بلاد الصعيد وأصله من المغرب وتوفى عليه سحائب الرحمة والرضوان يوم الإثنين

العاشر من ذى القعدة سنة ١٢٣٢هـ، ودفن أمام ضريح الشيخ العفيفى، ومما قيل فى رثائه تمثلا:

حلف الزمان ليأتين بمثله ... حنثت يمينك يا زمان فكفر

ثم تولاها ابنه الشيخ محمد الأمير الصغير، ثم تولاها الشيخ إبراهيم الملوانى، ثم تولاها الشيخ عبد الله القاضى، ثم تولاها شيخ الشيوخ الجامع بين العلم والتقوى فرع الشجرة النبوية وخلاصة السلسلة الهاشمية الشيخ عليش، وقد ولد رحمه الله بالقاهرة بحارة الجوار بجوار الجامع الأزهر فى شهر رجب سنة ١٢١٧هـ، وحفظ القرآن واشتغل بالعلم بالأزهر وأدرك الجهابذة كالشيخ الأمير الصغير وأضرابه والشيخ مصطفى البولاقى والشيخ البنانى صاحب التجريد وكثير من كبار العلماء، ودرس سنة ١٢٣٢، ولم يدع فنًا إلا درسه، وتخرج من درسه جل أهل الأزهر أو كلهم، وتوفى عام ١٢٩٩هـ وتوفى ابنه الشيخ عبد الله عليش عام ١٢٩٤هـ. . ثم ألغيت مشيخة المالكية بعده خمس سنوات حتى تولاها الشيخ سليم البشرى.

الشيخ البحراوى

هو الشيخ عبد الرحمن البحراوى الحنفى الأزهرى، ولد بكفر العيص قرية على شط النيل بمديرية البحيرة، وكانت ولادته سنة ١٢٣٥هـ، وقدم لمصر وقرأ القرآن بالأزهر وجود فيه، وفى سنة ١٢٤٩ شرع فى حفظ المتداول من المتون، وفى سنة ١٢٥١ حضر دروس المشايخ فتلقى الفقه والتفسير والحديث عن الشيخ محمد الكتبى وأهل طبقته وتلقى علوم الأدب والمنطق والتوحيد عن الشيخ إبراهيم السقا والشيخ مصطفى البولاقى والشيخ إبراهيم البيجورى وأضرابهم. وكتب بيده كل كتاب حضره فضلا عما كان يكتبه للاقتيات بثمنه لأنه كان فى قل من العيش وقد اجتهد فى التحصيل وسهر الليالى مع جودة قريحته حتى تأهل للتصدر للتدريس فى سنة ١٢٦٤ وشهد بفضله أعيان الأزهر ولم يزل متصدرًا للتدريس مع حسن القائه وعذوبة ملحة وكان محترمًا عند أولى الأمر، وفى سنة ١٢٧١ نيط به تصحيح الفتاوى الهندية بالمطبعة الكبرى

ببولاق مصر، وبعد تمام الطبع تولى قضاء إسكندرية سنة ١٢٧٧، ثم رفع من قضائها سنة ١٢٨٢، فعاد للتدريس بالأزهر، وفى سنة ١٢٨٩ عين للفتوى بالمجلس الخصوصى، وفى سنة ١٢٩٣ عين رئيس المجلس الأول بالمحكمة الشرعية المصرية الكبرى، ثم بعد ذلك تولى افتاء الحقانية، ثم رفع وعاد للتدريس بالأزهر، وله من التآليف تقرير على شرح العينى وحاشية على شرح الطائى، وله كتابات على أغلب كتب المذهب الحنفى، وتخرج من درسه كثير ممن تولى القضاء وممن درس بالأزهر، ومن أجلهم الأستاذ الفاضل الشيخ محمد بخيت المطيعى.

الشيخ محمد بخيت المطيعى

فى اليوم الحادى والعشرين من شهر رجب ١٣٥٤هـ الثامن عشر من شهر أكتوبر ١٩٣٥ استأثرت رحمة الله بالعلامة، الشيخ محمد بخيت المطيعى، فقضى نحبه مبكيًا عليه من مئات الألوف من العلماء والطلاب فى جميع بلاد المسلمين، الذين كانوا يرون فيه المثل الأعلى للاطلاع الواسع والإفادة والفتيا.. ولد رحمه الله فى بلدة المطيعة من أعمال أسيوط سنة ١٢٧١هـ- ١٨٥٦م، وحفظ القرآن وحصل رحمه الله العلم بالأزهر، فتخرج فى علوم الشريعة والعربية، ونال فيها شهادة من الدرجة الأولى سنة ١٢٩٤ للهجرة أى منذ نحو اثنتين وثمانين سنة، وأكب من ذلك العهد على التدريس والإفادة بهمة يندر أن يصادف لها مثيل فى حياة العلماء العاملين، ثم ندب للاشتغال فى القضاء عام ١٢٩٧هـ، فتنقل فى وظائفه حتى بلغ أعلى درجاته، مظهرًا فى كل منها من الكفاية ما لا يكون إلا للعلماء الراسخين.. ومن المناصب التى شغلها قضاء مصر نيابة عن القاضى التركى، وفى عام ١٩١٤ عين مفتيًا للديار المصرية، وبعد سبع سنوات بلغ السن القانونية لوظائف الحكومة، فترك الاشتغال بالقضاء، وعكف على الدرس والتدريس والافتاء. فكانت داره مثابة للمستفتين والمستفيدين، وكان لا يبخل على أحد بفتيا، حتى إذا كان بعيدًا عنه تكلف له كتابة الفتوى وأرسلها إليه بالبريد.

وكان شهرته قد تجاوزت مصر إلى العالم الإسلامى كله، فكانت ترد إليه الاستفتاءات تترى فى مختلف المسائل، ومنها مسائل تحتاج إلى مراجعات كثيرة مضنية، فكان لا يضن بنفسه عن القيام بها، فيحررها ويرسل بها للمستفتين.

ومما انفرد به أنه كان قد استخدم كتابًا لنقل فتاواه، وتولى إرسالها إلى طلابها فى مختلف الأقطار، متحملا مكافأتهم شهريًا وأجر ما يرسله بالبريد من الكتب والرسائل.

وقد عرف رحمه الله بالزعامة فى علم الأصول، فكان يرجع إليه جلة العلماء فيما يشكل من مسائله، ويصادفون لديه لكل مشكلة حلا، كأنها مرت به من قبل فعالجها وانتهى إلى ما يحسن السكوت عليه من أمرها.. وكان خاتم طبقة من العلماء المحققين الذين تميزوا فى حياة الأزهر بالتبسط فى العقائد، والتعمق فى الفقه، فانتهت إليه الأمانة فيهما حينًا من الدهر. كما كان -غفر الله له- من أشد المعارضين لحركة الإصلاح التى قام بها الإمام محمد عبده. دفعه إلى تلك المعارضة الثائرة دوافع المنافسة من جهة، وتحريض أولى السلطان من جهة أخرى، وكان فى الشيخ بديهة شاهدة ودعابة لطيفة، وطموح إلى مساماة الإمام فى منصبه ونفوذه وشهرته، حرك فيه الأخذ بنصيب من الأدب والثقافة العامة. ولعله كان أعلم أهل جيله بدقائق الفقه الحنفى، وأبسطهم لسانًا فى وجوه الخلاف بين أصحاب الشافعى وأصحاب أبى حنيفة.

وكان ميلاده فى المطيعة من أعمال أسيوط فى ١٠ محرم عام ١٢٧١هـ، وشب على الذكاء والعقل وحفظ القرآن المجيد، ثم حفظ متن الأجرومية فى النحو ومتن العشماوية فى فقه المالكية، وحضرهما على حضرة الأستاذ الشيخ محمد عنتر الكبير والد الشيخ محمد عنتر أحد علماء الأزهر، ثم طلبت نفسه الشريفة التوجه إلى الأزهر لتحصيل العلوم من معدنها، فقدم لمصر فى أوائل سنة ١٢٨١، واشتغل بالتحصيل مقلدًا مذهب أبى حنيفة النعمان، فحضر على مشاهير الأزهر كالشيخ الدرستاوى، والشيخ عبد الغنى الملوانى، والشيخ عبد الرحمن البحراوى، والشيخ حسن الطويل، والشيخ الدمنهورى، والشيخ المهدى، والشيخ عبد الرحمن الشربينى، والشيخ جمال الدين الأفغانى حتى حضر غالب الكتب المعتاد قراءتها

بالأزهر من فقه ونحو وحديث وأصول وتفسير وبلاغة ومنطق وحكمة وغير ذلك على المشايخ المذكورين وغيرهم من كبار الأزهر، ولازم الاجتهاد إلى أن مهر وامتحن للتدريس وجاز الدرجة الأولى ودرس سنة ١٢٩٢، ولازم تدريس كتب المنطق والحكمة والتوحيد إلى سنة ١٢٩٥ ثم درس الفقه والنحو إلى سنة ١٢٩٧ وفيها تولى قضاء مديرية القليوبية، ثم قضاء مديرية المنيا ثم قضاء محافظة بورسعيد ثم قضاء محافظة السويس، ثم قضاء مديرية أسيوط، ثم تولى تفتيش نظارة الحقانية ثم قضاء اسكندرية ، ثم تولى رياسة المجلس الشرعى بمحكمة مصر الكبرى، ثم عضوية المحكمة العليا بها، ومع ذلك كان حفظه الله ملازمًا لتدريس العلوم فى كل جهة تولى بها مع همة ونشاط، ولم يزل يدرس الكتب العالية مع القيام بكامل شئونه وأعماله، وله تآليف عديدة، منها حواشى الخريدة، وحواش على شرح العقائد العضدية، وإرشاد الأمة فى أحكام أهل الذمة، وحسن البيان فى إزالة بعض شبه وردت على القرآن، والدرر البهية فى الصلاة الكمالية لدفع شبه وردت على تلك الصيغة، ومقدمة شفاء السقام المسماة بتطهير الفؤاد من دنس الاعتقاد وسواها.

الشيخ حسن والى

كان مقررًا أن تنعقد لجنة الفتوى بالأزهر فى الساعة الرابعة من مساء يوم السبت ٦ من ذى الحجة سنة ١٣٥٤ الموافق ٢٩ من فبراير سنة ١٩٣٦ برياسة فضيلة رئيسها المغفور له الشيخ حسين والى، وما كادت تبزغ شمس ذلك اليوم حتى فوجىء أعضاؤها، كما فوجىء الناس عامة بنعى رئيسها العظيم، وما كادت تحين الساعة المحدودة لانعقاد اللجنة، حتى كان شيخها الجليل يعبر الطريق من منزله إلى الأزهر الشريف محمولا فوق الأعناق، مشيعًا بقلوب مكلومة، وزفرات حارة، ودموع منهمرة، فذاق أعضاء لجنة الفتوى الذى خبروا الفقيد عن كثب، فعرفوا فيه العلم الغزير، والخلق الكريم، والعقل الراجح، والفكر الثاقب، والجلد على البحث، والشغف بالاطلاع، والدقة فى تلمس الحق، ذاقوا آلام الحزن العميق على هذا المصاب الجلل.. ويقول عنه الشيخ عبد الجواد رمضان: هو السيد حسين والى بن العلامة السيد حسين والى بن السيد

إبراهيم والى، ينتهى نسبه إلى الإمام أبى عبد الله الحسين بن على، رضى الله عنهما، ولد فى منية أبو على من أعمال مركز الزقازيق فى مديرية الشرقية، فى رجب الفرد سنة ١٢٨٥ نوفمبر سنة ١٨٦٨، وطلب العلم فى الأزهر، منتسبًا إلى رواق معمر، إلى أن نال شهادة العالمية سنة ١٣١٧هـ- ١٨٩٩م. وأذن له بالتدريس فى الأزهر سنة ١٩٠٠، ثم ندب للتدريس فى مدرسة القضاء الشرعى سنة ١٩٠٧. ثم عين مفتشًا فى الأزهر والمعاهد الدينية سنة ١٩١١، ثم وكيلا لمعهد طنطا سنة ١٩١٤، ثم سكرتيرًا عامًا للمجلس الأعلى بالأزهر سنة ١٩٢٠، وبقى فى هذا المنصب إلى أن ألغى فى ديسمبر سنة ١٩٢٦، وفى ٧ من شهر ربيع الأول سنة ٣٤٣ـ (٦ من أكتوبر سنة ١٩٢٤) عين فى هيئة كبار العلماء بمرسوم جاء فيه: «عين فى هيئة كبار العلماء كل من حضرات الشيخ محمد مصطفى المراغى الحنفى المذهب رئيس المحكمة العليا الشرعية، والشيخ حسين والى السكرتير العام لمجلس الأزهر الأعلى والمعاهد الدينية، والشيخ محمد الحلبى، والشيخ سيد على المرصفى، الشافعى المذهب». وتوفى -طيب الله ثراه- فى ٢٨ من فبراير سنة ١٩٣٦، وهو عضو فى مجلس الشيوخ، وفى المجمع اللغوى. وما تزال أصداء جولاته تدوى فى قبابهما فيتجاوب بها آفاق العروبة فى مشارق الأرض ومغاربها إلى اليوم.

والسيد حسين والى، أحد الأقطاب الذين سما حظهم من التبحر فى علوم اللغة العربية وآدابها، وأخذوا بآفاقها وشعابها، على جميع الباحثين والمتأدبين، فى عصر النهضة، فلا يسبقهم سابق، وإن ضاولهم شواذهم فى أقطار الشرق العربى معدودون معروفون. هم الأئمة «وسائر الناس على آثارهم مهتدون».

لا جرم أن مواهب السيد حسين والى، جديرة بأن تبوئه هذه المنزلة الرفعية التى لا ترام، فلقد كان -إلى تبحره فى علوم الأزهر- كاتبًا قديرًا، وشاعرًا فحلا، يكتب كما يكتب حمزة فتح الله، والسيد توفيق البكرى، والشدياق الخ، ويشعر كما يشعر حمزة فتح الله، والسيد توفيق البكرى، وآل البازخى، وغيرهم من كبار الكتاب وفحول الشعراء، فى مصر والشام والعراق، ويصاول المؤلفين والباحثين فى وزارة المعارف وغيرها، وينقدهم، وينال منهم ويوجههم فيتجهون، ويفتى فى

اللغة والأدب، فيقطع كل قول، ويخفت كل صوت. ذلك بأنه كان مطلعًا فقيهًا لغويًا، ذواقة، هاضمًا لما علم، واثقًا مما يقول.. والإيمان بالرأى أقوى أسلحة الشجاع. وكان من الطبيعى أن ينال السيد حسين والى من الشهرة عند الخاصة والعامة كفاء هذه المواهب المتوافرة، بيد أنه عضد من شهرته شمائل، هى فى شرفها وعنصرها أنفس جوهرا، وأعز قيمة، وأرفع جمالا من كل شهرة وكان السيد حسين والى عاليا فى التعصب للقديم، يعتز به، ويحافظ عليه، ويرعاه فى دينه، وفى سمته، وفى لغته، وفى كل ما يحيط به، حتى لقد سمى أولاده: أسامة، ولؤى، ونزار، والفرات، يحدوه إلى ذلك نسبه الشريف، ونشأته الأزهرية، ووقار ألبسه الله منه رداء فضفاضًا، ثم نزعة صوفية عميقة ظهرت فيه طول حياته.

الشيخ محمد الفحام

تخرج الأستاذ رحمه الله فى الأزهر، وبعد نيله شهادة العالمية التحق بخدمة القضاء الشرعى، وتقلب فى وظائفه سنين كثيرة عرف فيها بسداد الرأى والحزم، ثم نقل من القضاء إلى الإمامة الخاصة للملك، ثم خرج منها إلى مشيخة معهد الإسكندرية، فكانت له فيها آثار ظاهرة، ونظم مفيدة، وسمعة بين الناس طيبة رشحته إلى تقليد وكالة الجامع الأزهر، وكان قد تملأ خبرة بإدارة الأعمال، وبالزمان وأهله، وبقيادة الموظفين، فكان يخوض معهم فى الإدارة العامة عباب الأعمال المختلفة، ويمضى معهم الساعات الطويلة مناقشة وبحثًا وتحقيقًا وتثبتًا، ويقابل فى أثناء ذلك الوافدين عليه فيسعهم بتلطفه وطلاقة وجهه، لا يكاد يمل من هذا العمل المتواصل آنًا يسترد ما فقده من قواه حتى موعد الانصراف.

لبث على ذلك بضع عشرة سنة، ولولا صفات متأصلة فيه من المضاء والمرونة المستندة إلى اللباقة، لاصطدم طوال هذه المدة التى اجتاز الأزهر فيها أزمات خطيرة، وعقبات كأداء، بعواثير لا تذلل، ولكنه رحمه الله عالجها على أسلوبه بالموازنة والمياسرة، وتمكن بذلك أن يستبقى الإدارة العامة قائمة تؤدى واجباتها الديوانية خلال هذه الأزمات الشديدة.

أصابه رحمه الله قبل نحو شهرين من وفاته، مرض عضال أصاب الطحال والقلب، بذل كثير من الأطباء جهد العلم فى معالجته فاستعصى، وما زال رحمه الله يضعف حتى أسلم الروح فى مساء السبت ١٨ من جمادى الأولى سنة ١٣٦٢ (الموافق ٢٢ من مايو سنة ١٩٤٣).

الشيخ يوسف الدجوى

فى مساء الثلاثاء ٤ سفر سنة ١٣٦٥هـ- ٨ يناير سنة ١٩٤٦،، توفى الشيخ العلامة، يوسف الدجوى الأزهرى النابغة الكفيف البصر، وعضو جماعة كبار العلماء.

وكان الأستاذ الدجوى من العلماء الراسخين فى العلوم التى تدرس فى الأزهر أخذها عن أئمتها مثل الشيخ هارون عبد الرازق والشيخ أحمد الرفاعى الفيومى والشيخ محمد طموم والشيخ أحمد فايد الزرقانى، والشيخ رزق البرقامى، والشيخ سليم البشرى، والشيخ البحيرى، والشيخ العدوى، وكلهم من أقطاب الجامعة الأزهرية الذين صانوا رسالتها إلى هذا العصر الحديث.

ولد الدجوى فى قرية دجوة التابعة لمركز قليوب فى سنة (١٢٨٧) من أب عربى، وأدخله والده الأزهر فى سنة (١٣٠١هـ) ونال الشهادة العالمية فى سنة (١٣١٧) بنجاح عظيم كان مدعاة لأن يزوره فى داره الشيخ راضى الحنفى من كبار العلماء وهنأه على ما أصاب من توفيق. وما فعل ذلك إلا من شدة إعجابه به، لشأنه، وتوقعه له حياة علمية تشرف الأزهر والأزهريين، واتفق حدسه، فإن الأستاذ الدجوى لم يلبث أن ظهرت مواهبه، وتجلت خصائصه، فصار مرجعًا للمستهدين والمستفتين فى جميع البلاد الإسلامية.

ولما أسست المشيخة الأزهرية مجلة الأزهر كان من أول من وقع اختيارها عليهم ليحررها الشيخ الدجوى رحمه الله، فكتب فيها البحوث الممتعة فى الدين والتفسير والحكمة، وبقى على موافاتها ببحوث إلى عهده الأخير.

ومن مميزات الشيخ رضى الله عنه أنه كان يأنس إلى البحوث النفسية الحديثة فى أوربا ،ويراها خير أداة لكسر شوكة الماديين، وقد اعتمد فى كتاباته على ما حققوه منها،وكان لا يخشى فى مجاهرته بذلك لومة لائم.

كان مفسر الأزهر ومحدثه، بل فيلسوفه وكاتبه، حكما كان موضع ثقة الجماهير الإسلامية فى شتى الأقطار، تتوارد إليه استفتاءاتهم من جميع الجهات، مقالاته النافعة بمجلة الأزهر وغيرها من المجلات والصحف العربية والإفرنجية الممتعة[1].

ومنها كتاب سبيل السعادة الذى ألفه عام ١٩١٢م فى فلسفة الأخلاق الدينية وأسرار الشريعة الإسلامية، والرد على الطبيعيين، وقد قرظه إمام اللغة المرحوم الشيخ فتح الله بكلمة طويلة منها: «أحسنت يا شيخ الدين، وأديت فرض الكفاية عن علماء المسلمين، وشفيت السقام، ورويت الأوام».

ومن مؤلفاته رحمه الله: الجواب المنيف فى الرد على مدعى التحريف فى الكتاب الشريف، أخرجه عام ١٩١٣م، رد فيه على القس الإنجليزى (كولدساك) الذى طعن فى القرآن الكريم ونقض من شأن الإسلام، فأتى الشيخ على مزاعمه فهدمها من أساسها، وظل يتابع حملاته على كتاب هذا القس حتى صودر. ومن مؤلفاته النادرة رسالة فى تفسير قوله تعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣] لم يتقيد فيها بما قاله المفسرون بل ذهب فيها كل مذهب، وتصرف فيها كل متصرف، ودعا فيها علماء المسلمين شرقًا وغربًا للاجتماع والتشاور لاستنباط أسرار القرآن قبل إن يتهددهم الخطر.. ومنها رسالة فى علم الوضع، أخرجها عام ١٩١٧م وقد نالت الجائزة الأولى من لجنة فحص الكتب العلمية.. ومنها مذكراته فى الرد على كتاب الإسلام وأصول الحكم، وكلماته فى السلفيات الحاضرة، وقد طبع هذه الكلمات علماء دمشق ونشرت هناك.. ومنها صواعق من نار فى الرد على صاحب المنار. ومنها هداية العباد إلى طريق الرشاد. جمع فيه من محاسن الدين الإسلامى الشىء

(١) من كلمة لنجل الشيخ -الشيخ أحمد يوسف الدجوى الأستاذ بمعهد القاهرة- نشرت فى مجلة الأزهر.

الكثير، وقد انفـرد فيه بأشياء لم يسبـقه بها غيره. ومنها كـتاب رسائل السلام ورسل الإسلام، انتهى من تأليـفه عام ١٩٢٢م على أثر تكليف مشـيخة الأزهر له بإخـراجـه بمناسبـة اعـتناق الألوف المؤلفـة من أهل أوروبا وأمـريكا، الدين الإسلامى، وقد ترجمته مشيخة الأزهر باللغة الإنجليزية وطبع بالمطبعة الأميرية، وأرسل إلى الجهات النائية.

وقد وجهت صحيفة الأهرام الغراء فى نهاية عام ١٩٣٩م نصحها وإرشادها إلى زعيـمى دول المحور السير هتلر والسـنيور موسـولينى باتباع ما جاء بهـذا الكتاب والعمل بالتعـاليم الموجودة بين دفتيه، إذ أنها تدعـو للوئام والسلام. ولا يفوتنا أن نذكر فى هذه الكلمة ما كـان يقوم به من المحاضرات العلمية فى تفـسير آى الذكر الحكيم، وحـديث النبى الكريم، عقب صـلاة الفجـر بالرواق العبـاسى بالأزهر، وكان جلة العلماء، ومثقفو الطلبة حريصين على تلقى هذه المحاضرات، للارتشاف من منهل الإمـام الكوثر العذب، يبـادرهم إليهـا، سيـادة السيـد المجددى، وزير الأفغان المفـوض بمصر سابقًا، وقـد كتب بعض المستـشرقين، عند استـماعه هذه المحاضرات، مـقالات ممتعة، نشرتهـا صحف فرنسا بعنوان (سـبنسر وباكون، فى الأزهر الشريف) إلخ.

أما ناحيته العملية، فتتمثل فيما قام به من تأليف الجمعيات الإصلاحية الدينية، التى منها جمعية النهضة الإسلامية لمناهضة المبشرين الذين استشرى فسادهم، وعم ضررهم حتى ضـجت البلاد من شرهم، فكانت جمعيـة موفقة أدت واجبهـا خير أداء، وانتشـرت فروعهـا فى جميع الأنحـاء، فوقفـت هذا التيار الجـارف. ومنها الجمعية العظمى لمساعدة منكوبى حرب الأناضول، بمناسبة الحرب التركية اليونانية، وأسندت رئاستها إليه أول مرة، وبمناسبة تأسيـسه لها أرسل إليه الخليفة عبد المجيد كتـاب شكر وثناء وتقدير. ولم يقتـصر نشاط الشـيخ على ما تقـدم، بل لم يلهه الجهاد الـعلمى عن الجهاد الوطنى، فكانت له مواقـفه المشهودة فى خـدمة أهداف البلاد الوطنية، ومـن تلك المواقف احتجاجه لدى العـميد الإنجليزى على اعـتقال المرحوم الزعيم الخالد سـعد زغلول وصحبه المجاهدين المخلصين، إذ قـال: «عجبًا لسياستكم العتيقة كيف يفـوتها أن شدة الضغط تولد الإنفجار، وأن تقليم الأشجار

لا يزيدها إلا تهيجًا ونماء، وأن النفوس الإنسانية متى امتلأت بشيء استعذبت الموت فى سبيله، ولا تظنوا يا جناب اللورد أن هذه احتجاجات تفوه بها الألسن. وإنما هى قلوب متأججة وأرواح مشتعلة وأعصاب متنبهة، فاعملوا إنا عاملون، ولا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون» وقد نشرته الصحف فى حينه، ومن مواقفه التى تشهد له بالفخر والإريحية والأقدام والشجاعة، ذلك الكتاب الذى رفعه إلى ملك الإنجليز طالبًا به تخفيف حكم الإعدام الذى صدر على شاب من شباب الأزهر وهو- الشيخ محمد الشافعى البنا- وقد استجيب طلبه. كما أن الأستاذ الدجوى كان محاضرًا ممتازًا تدعوه الجمعيات الإسلامية لإلقاء محاضرات علمية اجتماعية إلى غير ذلك من مواقفه المجيدة، وأعماله الحميدة.

كتبت عنه مجلة «هدى الإسلام» تقول: قد وقف (الدجوى) أمام المضللين الذين عرفوا أنفسهم بـ (المبشرين) وقفات جبارة أحبطت جميع مساعيهم وحطمت آمالهم القوية من جهتين:

أولاً: بكشف أغراضهم وبيان ضلالهم وبطلان عقائدهم ومبادئهم.

ثانيًا: بيان صلاحية الشريعة الإسلامية للأزمنة والأمكنة، وأنها الشريعة الكافلة لحياة البشر، وله فى ذلك رسائل ومقالات كثيرة تشهد له بفائدتها شدة وقعها فى النفوس، ومع ذلك فهو متعقب حركات المضلين وسكناتهم لا يدع لهم حيلة إلا فضحها، وهذه المثابرة أنتجت فكرة المقاومة ويسرت سبيل الغلبة، ولو لم يتداركوا أمرهم ويبدلوا خطتهم القديمة، لما سمعت لهم صوتًا فى بلاد الإسلام، وعلى كل فالهمم متضافرة والعزائم متعاونة على ملاحقتهم ومكافحة أفكارهم، فللدجوى يد فعالة فى كل حركة إسلامية لا تعرف الهوادة واللين، وهو خير مثال للعالم الوقور، وله مؤلفات عديدة تشف عما انطوت عليه نفسه من الحكمة والسياسة الدينية والترغيب فى التدين وتصوير حقائق الإسلام على غير ذلك من المباحث القيمة التى انفرد بها، ولا تخلو منها مكتبة عامرة، ومع ذلك فقد كان دائبًا على الكتابة والنشر، حريصًا على استثمار حياته، والمتتبع له يعتقد اعتقادًا جازمًا بأنه قد جعل حياته كلها وقفًا لخدمة الأمة الإسلامية.

وللدجوى أسلوب جذاب فى الكتابة، وهذه الجاذبية كما قلنا ليست بنت التصنع والتزويق، وإنما من تواضع صاحبها ونوادر المعانى العالية، تتخذ لها القوالب الموافقة، فيأتى المبنى منطبقًا على المعنى، وعلى الرغم من ذلك فأسلوبه لا يتبدل مهما تبدلت مواضيعه.

وقد تكون بعض مقالاته فهرس مقالات خصبة ممتعة. فكتاباته كانت أشبه بالإلهام والخواطر بصرف النظر عن بعض الدواعى التى تدعوه إلى الكتابة حتمًا، وهذا السر فى أن كتابة الدجوى تأخذ مفعولاً كبيراً فى العقليات، لأنها ابتعدت عن التصنع والزخرفة الفارغة، وله قدرة جليلة على حسن الاختيار من بدائع المنقول، فهو يعرف كيف يقتطف لباب الغير وأروع الحوادث من كتب المتقدمين،وكذلك يعرف كيف يختار لها المناسبة ويعطيها اللائق بها، فكثير من الناس لا يعرفون كيف يستفيدون من تلك العبر والحوادث وهى بين أيديهم، فلا غرابة إذا هم لم يفيدوا بها، وإذا فهموها فربما سولت لهم أنفسهم أن يستغلوا تأويلها فى مآربهم الخاصة، كما جرى على هذه الطريقة كثير من تجار النفاق. وأنت إذا قرأت منقول الدجوى، اطمأنت نفسك إليه، وارتاحت من عناء البحث والتنقيب وتعقيب المطولات، فإنه إذا نقل حفظ الأمانة وأشار إلى خلافها كما أنه يبنى عليه المعقول البديع الذى يخلب الألباب، وينادم الأفكار الحرة المجردة من قيود التعصب الأعمى والتقليد الطائش، وتكاد تلمس تحكمه فى معقوله تحكما ينطبق على الواقع ويلائم الأحوال.

ولع بالعلوم الدينية صغيراً، ولم يكن ولعه مقصوراً على الكسب والدرس، بل أفسح لدماغه التجول والمناقشة والنقد للرواية والدراية، فظهر نبوغه بين أقرانه ورمقته عيون الحاسدين، فلم تنل منه شيئًا إنما زادته جرأة وحرية أوسع، ثم جمع بين العلم والزمان فرأى مفهوم العلم عند بعض الناس يناقض حاجة العصر. حيث إن بعض العلماء عاجزون عن التوفيق بينهما، وذلك لأن فهمهم استمد من حالات قديمة تختلف كل الاختلاف عن الأحوال الراهنة. أما اليوم فليحارب وليثبت، ولهذا كان (الدجوى) يسعى فى التوفيق ليوحد رأى العلماء، يكون منهم جبهة مناضلة بقوة العلم الحقيقى، ليقضوا على الأدعياء الكاذبين، فهو بطل العلم وحامل لواء نهضته.

هذه ناحية من جهاده تريك تأثيره القوى وما كان له من الكلمة النافذة فى حياته عند المفكرين والجماهير.

الشيخ عبد الحكم عطا

كان مولده سنة ١٨٦٥ فى «نواى ملوى -أسيوط» من أسرة كريمة، فوالده المرحوم الشيخ عطا عبد الفتاح كان عالمًا جليلاً مشهورًا بالتقوى، والعلم والجرأة فى الحق، وله مقام عظيم لدى الكبراء والعظماء، وكان المرحوم محمد باشا سلطان يجل الشيخ ويحترمه، حتى ألح عليه فى الانتقال من بلدته، والإقامة فى «بنى أحمد بالمنيا» فاستجاب دعوته وتوارث آل سلطان باشا حب أبناء الشيخ وإكبارهم. وفى بلدة بنى أحمد. كان الشيخ عطا، يلقى دروسه لأبناء الأعيان. وقد تتلمذ له ولده الناشىء «عبد الحكم» حتى إذا كانت سنة ١٨٧٩ أرسله إلى الأزهر، فأخذ عن العلماء الأعلام، وابتدأ نجمه يتألق بين طلاب العلم فى الأزهر.

وقد حصل على العالمية الممتازة، سنة ١٨٩٥ ولفت الأنظار عامئذ، إلى كفاءته وذكائه وعلمه، وأشادت بذكره صحافة العهد. ثم اتخذ مكانة بين المدرسين فى الأزهر، فعمرت دروسه، وغصت بالمئات من تلاميذه، المعجبين به، الناهلين من علمه. ومكث يدرس فى الأزهر قرابة الثلاثين عامًا، ورفض غير مرة. أن يلى الوظائف، وصدف عن التنعم فى بحبوحة المرتبات، متلذذًا بخدمة العلم وتخريج العلماء، حتى عرض عليه أستاذه المرحوم أبو الفضل، بإلحاح، مشيخة القسم الثانوى سنة ١٩٢٠ فخضع لأمر شيخه، ومن وقتئذ بدأ حياته الإدارية، فولى مشيخة القسم الثانوى والقسم العالى، وجمع بينهما فى بعض الأوقات.

وفى سنة ١٩٢٨، فى عهد مشيخة الشيخ المراغى الأولى، عين شيخًا لمعهد أسيوط، فبقى به سنة. ثم نقل إلى معهد الزقازيق عام ١٩٣٠، وقد أحيل إلى المعاش بعد حين. وكان من العلماء المقدمين، فى هيئة كبار العلماء، وهو بحق شيخ الشيوخ بلا مراء لكثرة من أخذ عنه من الأساتذة. . والشيخ أحمد حميدة شيخ معهد أسيوط اليوم، كان امتحانه فى العالمية من ثلاثين عامًا أمام الشيخ عبد الحكم. ولقد كان فى علمه دائرة معارف إسلامية أزهرية، فقد حفظ كتاب الله، وفهم دقائقه، واستوعب كتب السنة، وألم بالكتب الأزهرية صغيرها وكبيرها،

متونها وشروحها وحواشيها، إلمامًا عجيبًا، كأنه استظهرها عن ظهر قلب. وذلك راجع إلى قوة عقله، وشدة ذكائه وجلده وصبره على البحث والدرس.

وفى إدارته، كان مثال الإخلاص، كل همه أن يتجه الأساتذة والطلاب، بكليتهم، نحو الثقافة الأزهرية الصميمة، وأن يجعلوا وقتهم بأجمعه وقفا على تحصيل العلم، لذلك كانت نتائج معاهده فى مقدمة النتائج.

أما خلقه وتقاه، فكان فيهما على سنن السلف الصالح، لا يعرف مداجاة هذا العصر، ولا رياءه. ديدنه الصدق والصراحة، والتواضع والحلم، والعطف على المحتاجين.. وبعد حياة حافلة، عامرة بالخير، لقى الله فى ١٠ ذى الحجة سنة ١٣٥١هـ (١٩٣٢) وصلى عليه بالأزهر، واستقر جثمانه هنالك، فى جوار العلماء والصالحين، بقرافة المجاورين. ولم يعقب، الشيخ رحمه الله أبناء، ولكنه ترك ثلاث بنات أصهر بهن فى حياته، إلى الشيخ محمد على سلامة، المدرس بكلية أصول الدين، والشيخ قطب أبو العلا المدرس بالمدارس الثانوية، ومحمود أفندى حسن من أعيان تله -المنيا. وقد قرت عينه بأسباطه قبل وفاته، ومنهم الأستاذ محمود محمد سلامه، والمهندس عزت بالهندسة، وغيرهما.

الشيخ محمود الديناري

كان مولده فى «قاى -بنى سويف» سنة ١٨٧٥، وبين ربوعها نشأ وحفظ القرآن الكريم، ثم مكث سنة فى طنطا يجود حفظه وقراءاته، وفى سنة ١٨٨٨ ألحق بالأزهر الشريف وبقى ينهل العلم من أعذب مناهله، حتى سنة ١٩٠٤ وفيها نال العالمية، بدرجة ممتازة.

وفى هذه السنة عين مدرسًا فى الأزهر، ثم اختير مدرسًا بمعهد الإسكندرية ليكون من حراس النظام الناشىء بها. واستمر به إلى سنة ١٩١١ ثم نقل مراقبًا للقسم النظامى الجديد بالأزهر، فكان عونًا وظهيرًا للأستاذ الشيخ محمد شاكر على تركيز النظام. وفى سنة ١٩٢٠ عين شيخًا للقسم الأولى، فعضوا فى مجلس إدارة الأزهر، ثم أضيفت إليه مشيخة القسم المؤقت، وفى سنة ١٩٢٥ عين شيخًا للقسم العالى، ثم اختير مفتشًا للمعاهد الدينية عام ١٩٢٨ فى عهد الأستاذ الشيخ المراغى.

وفى ديسمبر سنة ١٩٢٩ عين شيخًا لمعهد أسيوط، فظهر فيه حزمه وكفايته، وسار المعهد فى عهده سيرًا حميدًا، وأحبه الأساتذة والطلاب جميعًا وظهرت فى المعهد روح الجد والنظام. وفى ديسمبر سنة ١٩٣٣٠ زار الملك فؤاد أسيوط ووضع الحجر الأساسى فى بناء المعهد الجديد، وكان الشيخ موضع رعايته.

وفى يونية سنة ١٩٣١ نقل شيخًا لمعهد طنطا، فعالج الروح الثائرة فى الطلاب بحكمته، ثم عنى بإنشاء جمعيات المحافظة على القرآن الكريم، فى طنطا وما حواليها. حتى جعلها فى مقدمة جمعيات القطر، موردًا وإنتاجًا.

وفى سنة ١٩٣٤ قدم رسالة فى (البلاغة)، عين على إثرها عضواً فى جماعة كبار العلماء، وفى سنة ١٩٣٦ أنعم عليه بكسوة التشريفة الأولى.

ولقد كان من المشهود لهم، بالقوة فى العلم، والدقة فى الإدارة، كما عرف بالدهاء وحسن السياسة، وهو كفء قليل النظير، تتجلى كفاءته فى كل عمل يسند إليه، وهو مع ذلك رجل يقدر الناس رجولته ويعجبون بها، ويجلونه، ويحبونه.. وجمهرة كبيرة، من أساتذة الأزهر والمعارف ورجال القضاء، مدينون للشيخ، بالأستاذية، عارفون فضله حافظون عهده.. ثم استجاب نداء ربه، بعد هذا الجهاد المبرور، فى فجر يوم الجمعة ٢٧ رمضان سنة ١٣٥٥هـ (ديسمبر سنة ١٩٣٦) بمدينة طنطا، ثم نقل جثمانه الطاهر إلى القاهرة، حيث هدأ هدأة الخلود، فى قرافة المجاورين، فى ظلال من رضوان الله.

الشيخ محمد سليمان السرتى

عين مدرسًا بالمعاهد، عام ١٩٠٧، وتنقل بين وظائف التدريس والمراقبة، حتى عين شيخًا لمعهد دسوق، فبقى فيه بضع سنين، وفى ١٢ يونيه ١٩٣١ عين شيخًا لمعهد أسيوط، وهو الذى جمع الدراسة من الدور المتفرقة. إلى مكان واحد، هو المدرسة الابتدائية القديمة، وبفضله ابتدأ العمل فى بناء المعهد الجديد، بعد تعطيله، وفى عهده انتقل المعهد من تلك الأماكن المستأجرة، بدراسته وإدارته، إلى ذلك الصرح المشيد، المشرف على نهر النيل، وله بأسيوط مواقف مشهودة، فى الغيرة على الدين، ومن أجمل آثاره، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، فقد

أسسها وتعهدها، حتى نمت وترعرعت.. والمدرسة الإسلامية الابتدائية بأسيوط - التى أنشأها المؤلف- لن تنسى تشجيعه لها، وفضله عليها، وكانت له صلات طيبة بالأهلين، وكلهم محب له، معجب بصراحته، وجراءته، وفصاحة منطقه، وكثيراً ما كان يخطب الناس فى المساجد، والمحافل، فى الشئون الاجتماعية الهامة، والحادثات الإسلامية المهمة، وقد نقل شيخًا لمعهد الزقازيق، فى فبراير سنة ١٩٣٥، فشيخًا لمعهد الإسكندرية، ثم نقل شيخًا لمعهد طنطا، وفى طلابها بعض الثورة، فحاول علاجهم، ولكن زمامهم أفلت من يده، فأحيل إلى التقاعد فى ١٩ يونيه سنة ١٩٣٧، وعمره نحو ٦٤ سنة.

الشيخ عبد المجيد اللبان

كان رحمه الله من أمثل العلماء خلقًا، وأقواهم دينًا، وأصحهم عقيدة، وأرفعهم شخصية، مات وهو فى نحو السبعين من عمره، وذلك نحو عام ١٩٤٠، وكان يشغل منصب شيخ كلية أصول الدين، حيث ظل شيخًا للكلية منذ إنشائها عام ١٩٣٢ إلى وفاته، وكان مع ذلك عضواً فى مجلس الأزهر الأعلى، وعضواً فى جماعة كبار العلماء، وعضواً فى كثير من اللجان التى ألفت لإصلاح الأزهر، وتعديل مناهج الدراسة فيه، وسوى ذلك، وكان رحمه الله قبل أن يشغل منصب «شيخ كلية أصول الدين» يتولى منصب شيخ القسم العالى فى الأزهر. وقد تخرج على يديه آلاف العلماء الذين كانوا يحبونه حب الإبن لأبيه، والتلميذ لأستاذه، وعندما بدأ لأول مرة امتحان أقسام الأستاذية فى الأزهر، التى تعد خريجيها للتدريس فى الكليات الأزهرية، كانت لجان الامتحان برياسة ثلاثة شيوخ من كبار الشيوخ فى الأزهر، وهم الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مأمون الشناوى، والشيخ عبد المجيد اللبان، أجزل الله لهما مثوبته، والأستاذ الأكبر الشيخ إبراهيم حمروش اطال الله فى حياته، وكانت للشيخ اللبان، رحمه الله مواقف محمودة، وذكريات لا تنسى، وكانت عصبية المراغى رحمه الله تناهضه، لأنها كانت تعتقد أن الشيخ يعمل ليكون شيخ الأزهر المرتقب بعد المراغى. وكان الشيخ اللبان يحرص كل الحرص على أن يبقى للأزهر تقاليده ومقوماته وخصائصه، وكان يرى أن الطفرة فى الإصلاح قد تؤدى

إلى نكسة، ولذلك كان خير عماد للأزهر فى تطوره، وملاذًا لشيوخه الحذرين الخائفين من نتائج الطفرة والسرعة.

وكان للبان مكانة كبيرة عند الحكام، ومنزلة عظيمة لدى أولياء الأمور، وكانوا يستشيرونه دائمًا فى أمور الأزهر وإصلاحه، ولما تولى المراغى مشيخة الأزهر لثانى مرة، وأقيمت حفلة لتكريمه فى ٣ يوليو ١٩٣٥، كان الشيخ اللبان رئيس لجنة الاحتفال.. وكان فى مطلع كل عام دراسى يستقبل اليوم الأول بخطبة بليغة يلقيها على الطلاب والأساتذة، يضمنها نصائحه وتجاربه وخبرته الواسعة.

وقد بدأ الشيخ حياته العلمية بعد تخرجه من الأزهر الشريف مدرسًا فى معهد الإسكندرية الدينى، حيث مكث مدة طويلة، كان فيها محبوبًا مكرمًا من الشعب والحكام والمسئولين، ودارت الأيام حتى أصبح شيخًا للقسم العام فشيخًا لكلية أصول الدين، إلى أن توفى رحمه الله تاركًا ذكريات أزهرية طيبة لا تنسى على مر الأيام.

الشيخ عبد الوهاب النجار

درس فى الأزهر وتخرج فى مدرسة القضاء الشرعى وعمل مدرسًا فى وزارة المعارف المصرية. وقد غضب عليه وزير المعارف فنقله من مدرسة عابدين إلى مدرسة أسوان، وهو مدرس حديث العهد بالوظيفة إثر اشتراكه فى جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية فاستقال من وظيفته. وسافر بعد فترة إلى السودان مدرسًا فى كلية غوردون، ثم عاد إلى مصر فعين بمدرسة البوليس والإدارة بعد فترة قضاها فى المحاماة، ثم اختير مدرسًا بمدرسة دار العلوم إلى أن أحيل إلى المعاش، ثم عين ناظرًا لمدرسة عثمان باشا ماهر، وندب مدرسًا بكلية أصول الدين. وهو فى جميع هذه الوظائف كان الداعى إلى الدين بالبرهان الساطع، والبيان الناصع، الواقف لأعدائه بالمرصاد؛ يرد كيدهم ويبطل سعيهم. وقلما وجد منبر من منابر الدعوة الإسلامية إلا كان الشيخ من أبطاله. وأبرز ما فى تاريخ الشيخ اشتراكه فى جمعية الشبان المسلمين، ونهوضه بجزء عظيم من عملها العلمى والإدارى عضوًا فوكيلاً، ثم سفره إلى الهند فى بعثة أزهرية لدراسة أحوال المسلمين وغيرهم هناك، وتمكين الروابط بين مسلمى الهند وطوائفهم، وللشيخ فى التأليف العلمى آثار قيمة: فله كتاب (قصص الأنبياء) وهو كتاب استقصى فيه قصص الأنبياء الذين ورد ذكرهم

فى القرآن وغيره وجرده مما علق بها من ضلالات وأوهام. وله كتاب «تاريخ الخلفاء الراشدين». وله غيرهما آثار دينية وأدبية وتاريخية، حفلت بها المجلات والصحف طول حياته[١]، وتوفى رحمه الله فى ١٩٤١/٧/١٩.

الشيخ عبد الرحمن الجزيرى

كان بعيد الأثر فى الإصلاح الدينى والتهذيب العلمى. فقد كان مما اضطلع به وظيفة التفتيش على الأئمة والخطباء بمساجد الأوقاف، فى عهد ساءت فيه حال الخطابة الدينية بالمساجد، وشكا الناس من طريقة إلقائها، وضيق موضوعاتها، التى كانت تدور غالبًا حول النهى عن السرقة وشهادة الزور وتحريم الربا وشرب الخمر. فما زال الشيخ يلاحظ ويرشد حتى استطاع أن يخرج الخطابة عن هذا المحيط الضيق، ويجعلها تلمس حياة الناس وما يجرى بينهم، مما ينغص الحياة ويبعد من الله. ثم أحيل إلى المعاش فندب فى كلية أصول الدين مدرسًا بها تقديرًا لعلمه وفضله. وقد يستطيع أحد تلاميذه، وهم كثير، أن يتحدث عن كفاية الشيخ وإخلاصه وإتقانه لعلمه.

وللشيخ فى ناحية التأليف العلمى امتياز خاص، فقد كان كثير الإنتاج فى تحقيق وتدقيق ومن يقرأ «كتاب الفقه على المذاهب الأربعة» وهو فى أربعة مجلدات، يعجب لمواهب الشيخ فى هذا الباب، ويدهش كيف واتته الفرصة على أن يقرأ الفقه فى المذاهب الأربعة ثم يجمع ويهذب ويكتب. وللشيخ غير هذا الكتاب كتب كثيرة منها: أدلة اليقين، وتوضيح العقائد، والأخلاق. هذا عدا ما للشيخ من مقالات نشرت فى مناسباتها بالصحف والمجلات[٢].

الشيخ محمد عبد الله أبو النجا

كان المرحوم الشيخ محمد عبد الله أبو النجا من أفذاذ العلماء، ومن أمثلهم خلقًا ودينًا وورعًا، وحجة ثبتًا فى علوم الدين والعربية، وكان يسيطر على قلوب تلامذته ومريديه: بأدبه الجم، وتواضعه المأثور، وصلاحه النادر، وعفة لسانه، وقوة بيانه، وشجاعته فى قول الحق والجهر به. وكانت محاضراته ودروسه فى كلية

(١) من كلمة للأستاذ أبى الوفا المراغى -نشرت فى مجلة الأزهر.
(٢) من كلمة للأستاذ أبى الوفا المراغى عنه -نشرت فى مجلة الأزهر.

اللغة -فى النحو والصرف وأصول الفقه والحديث والتفسير وغيرها- ميدانًا لتسابق العقول، وشحذ الملكات، وتربية المواهب. ولا يزال إخوانه وأبناؤه فى العلم يذكرون ذلك بالوفاء والتقدير وعرفان الجميل. أية موهبة كان يضمها إهابه، وأى دين كان ينطوى عليه قلبه، وأى عقل كان يعتز بالإنصات لتفكيره والتأدب بأدبه. كان رحمه الله من خيار أساتذته فى طلب العلم: والده المغفور له الشيخ عبد الله أبو النجا، العالم الكبير، والأزهرى النابغة، الذى اختير للتدريس بمعهد الإسكندرية الدينى (١٩٠٨-١٩٢٢م)، وعند إنشاء أقسام التخصص فى الأزهر اختير لتدريس الفقه والأصول فيها. وكان من خيار شيوخه فى الله: العارف بالله الشيخ منصور أبو هيكل، وولده الشيخ عثمان، وقد وصل عليهما الشيخ، والشيخ عبد الخالق الشبراوى الذى كان ملازمًا له، والشيخ عبد الحميد إبراهيم. وسواهم من أولى الصلاح والولاية.

وكانت لذة البحث والعلم عند الشيخ واضحة جلية فى جميع أطواره، فكان يلازم والده فى غدواته وروحاته، ويناقشه فى مسائل العلم والدين حتى حين تناول الطعام وفى أوقات الراحة، وكثيراً ما كانت تعقد الندوات العلمية فى منزل والده فيشترك فيها سامعًا ومناقشًا.

وقد ولد رحمه الله عام ١٨٩٧ فى قرية «كفر عيسى» من بلاد مركز فاقوس ونال العالمية بتفوق كببير عام ١٩٢٥م.

ثم عين مدرسًا فى المعهد الابتدائى، ونقل للتدريس فى المعاهد الثانوية ثم مدرسًا فى كلية اللغة العربية منذ إنشائها عام ١٩٣١، إلى أن نقل وكيلاً لمعهد القاهرة، فمفتشًا بالأزهر، فوكيلاً لكلية اللغة العربية.

وفى ٨ مارس عام ١٩٤٩ شعر العالم الكبير بتعب وإجهاد، فاستراح فى منزله يومين استأثرت به بعدهما رحمة الله تعالى فى ١٠ مارس سنة ١٩٤٩، فخسرت كلية اللغة العربية بوفاته علمًا من أعلامها، وركنًا من أقوى أركانها، وأذهلت لوعة المصاب فيه عقول تلامذته ومريديه وعارفى فضله.

فرحمه الله رحمة واسعة، وجزاه على ما قدم من صالحات خير الجزاء.

وللشيخ كتاب فى علم أصول الفقه، يجمع صواب الرأى ودقة الملاحظة وعمق الدراسة، وقوة الملكة، وكان شيخنا رحمة الله يدرس هذا العلم وهذا الكتاب.

محمود أبو العيون[1]

طويت بوفاة أبى العيون صفحة خالدة من الإيمان والحماسة والكفاح والوطنية وورى الرجل فى رمسه، وفقدنا فيه أمة فى رجل، ومصلحًا قل أن يجود بمثله الزمان. كان أبو العيون مضرب الأمثال فى الغيرة الدينية، والجهاد الوطنى، وحب الإصلاح... وكانت الصحف والمجلات تتسابق إلى أحاديثه فى مختلف المناسبات، وكان فى الأزهر ركنًا من أركانه، وعلمًا من أعلامه، أحبه الجميع، وقدروا فيه العفة والنزاهة وطيبة القلب وحلاوة اللسان.

ولد رحمه الله عام ١٨٨٢ من أسرة كريمة، عرفت بالورع والتقوى والعلم، وحفظ القرآن الكرين، ثم التحق بالأزهر ونال العالمية عام (١٣٢٦هـ-١٩٠٨م). وعين مدرسًا بمدرسة ابتدائية، ثم اختير للتدريس فى الأزهر عام ١٩٠٩. وبدأت قصة كفاحه منذ عام ١٩١٢م حين قامت الحرب الطرابلسية.. وكتب فى ثورتنا الوطنية سنة ١٩١٩م وما بعدها أروع الصفحات وأكرم الآيات. وقد اتجه إلى الرذائل الاجتماعية يحاربها، فأعلن الحرب على البغاء والخمر، وعلى المجون، وعلى التبذل والاستهتار فى المصايف والشواطىء. وكان أبو العيون كثير الاعتزاز بكرامته، ولا نزال نذكر بالفخر قصة خطف أحد رجال البوليس لعمامته. دون أن يعرف شخصيته، أثناء حصار المعهد الأزهرى الدينى عام ١٩٤٦، واحتجاجه المشهور على رئيس الوزراء، وإنذاره له بأن طربوش رئيس الوزراء بعمامة أبى العيون، واعتذار رئيس الحكومة له -وكان النقراشى باشا- فى مأدبة غداء أقامها لهما أحمد عبد الغفار باشا.. ولأبى العيون كتب قيمة فى تاريخ مصر والإسلام، تدرس فى الأزهر. وله مقالات وبحوث مشهورة، فى محاربة البغاء جمعها فى مؤلفات.. وقبيل وفاته نشرت مجلة «إلا خمسة» الجامعية حديثًا وطنيًا بعنوان «دم الإنجليز -الذين يحاربوننا فى القنال- غير معصوم».. رحم الله أبا العيون، لقد كان رجلاً، وكان بطلاً، وكان مؤمنًا بربه ودينه، وكان من الخالدين. تخرج الشيخ

---

(١) ستأتي صورته في موطن آخر

فى الأزهر عام ١٩٠٩، وعمل مدرسًا بوزارة المعارف، ثم نقل إلى الأزهر وتقلب فى وظائفه، واشترك فى الثورة المصرية عام ١٩١٩ وحكم عليه بالسجن، وعين بعد الثورة مفتشًا بالأزهر، ثم اختير عام ١٩٣٥ شيخًا لمعهد أسيوط، ونقل فى ١٩ مايو ١٩٣٥ شيخًا لمعهد الزقازيق، ثم نقل بعد سنوات شيخًا لمعهد طنطا، فالإسكندرية، ثم اختير سكرتيرًا عامًا للأزهر، وتوفى عليه رحمة الله فى ٢٨ صفر ١٣٧١هـ- ٢٠ نوفمبر عام ١٩٥١م، وهو من مواليد دشلوط مركز ديروط من أعمال مديرية أسيوط.. ومواقفه فى محاربة البغاء والسفور والعرى على الشواطىء مشهورة.

وقد أقيمت بدار الشبان المسلمين حفلة تأبين لأبى العيون يوم الجمعة ١٩٥١/١٢/٢٨.

ويقول فيه الأستاذ أبو الوفا المراغى[1]: جل مصاب الوطن، وفدحت خسارته فيه. فلقد كنت فى الرعيل الأول فى المجاهدين لحريته واستقلاله، وجهادك صفحة خالدة فى تاريخك، يعرفها المجاهدون الأحرار ويقدرونها لك ويضعونك بها فى الصف الأول من المجاهدين الصادقين. لقد كنت فى طليعة العاملين فى فجر النهضة الوطنية، عرفتك المنابر العامة فى الأزهر وغيره خطيبًا مبرزًا من خطباء الثورة، واستضافتك السجون كما استضافت غيرك من قادة الثورة ومحركيها، وشاركت فى المظاهرات بشخصك، وعرضت نفسك للحرايب والرصاص، ولقيت ما يلقى الأحرار من تشريد، وكسب تجار الوطنية ما كسبوا من مال وجاه، ولم تكتسب إلا ما ادخره الله لأمثالك من المجاهدين المخلصين، وكنت بين الأدباء من مواطنيك أديبًا ممتازًا، واضح الأسلوب مشرق الديباجة، جزل العبارة تصل إلى غرضك فى لباقة وكياسة، عفًا فى عبارتك وخصومتك، لم تدنس قلمك بما لا ترضى عنه أصول المناظرة وقواعد الآداب. وها هى ذى جولاتك فى مجلات الأدب الراقية، وأنديته الرفيعة تشهد بطول باعك فى الأدب وتبريزك فى فنونه، وتضعك فى الطليعة من أدباء العربية، ولن ننسى لك جزالة أسلوبك وقوة روحك وشخصيتك فى مؤلفاتك التاريخية لطلاب المعاهد الدينية، وفى مقالاتك بمجلة الأزهر والهلال وغيرهما من المجلات الراقية ذات الطابع الأدبى الخاص.

---

(١) مجلة الأزهر. ربيع الأول ١٩٥١.

ومن قصيدة للشيخ عبد الجواد رمضان فى رثائه:

شيعوا كواكب التقى والرشاد ... واطووا راية الهدى والجهاد
حين قالوا: أبو العيون تردى ... فجعت أعين العلا فى السواد
قائد مات، والبلاد جنود ... تأثرت، ترنو إلى القواد
حرة تنشد الحياة، وتدعو ... من بينها، بكل حر مفادى
يا قريع الخطوب فى كل هول ... يا لواء الكفاح فى كل عادى
كيف طاح اللواء، قل لى، متى طـ ... ـحت، وما طحت فى زحام الجلاد
كم تدرعته عزيزاً كريمًا ... خضبت وجهه دماء الأعادى
واقتحمت الصفوف تزخر بالمو ... ت، مشيحًا، تصيح: تحيا بلادى
فى الرعيل السباق من حاملى العـ ... ـبء، ومن كل أريحى جواد
نزلت مصر منهمو فى السويدا ... ء، فهزت نفوسهم للطراد
رفعوا راية الجهاد وهبوا ... حين نادى الجهاد كالآساد
لا يبالون بالحديد وبالنا ... ر، وبالموت، فى سبيل المراد
لهف نفسى عليك، فارقت مرما ... ك، إلى غير رجعة أو معاد
عليك الهدى والجهاد فى يوم منعا ... ك، توارى سناهما فى الحداد
فعزاء لمصر فيك، إذا أغنى ... عزاء لدى الكبود الصوادى
وسلام عليك فى جنة الخلد، ... مجيداً، من عترة أمجاد

ومن قصيدة لفضيلة الشيخ أحمد شفيع السيد الأستاذ المساعد فى كلية اللغة العربية فى رثائه أيضًا:

طويت صحيفة عالم موهوب ... قاد الطلائع وهو غير هيوب
ومجاهد فى الله حق جهاده ... لم يخشى من سجن ولا تعذيب
الثورة الكبرى ذكت نيرانها ... ببراعة وبيانه المشبوب

فلو استمعت إليه فى عزائها ... لرأيت أى مناضل وخطيب
كم ذا يجلجل صوته فيهزنا ... كالعاصفات تهز كل قضيب
وتخال من عجب غير بيانه ... نارًا تلظى فى نهى وقلوب
فى كل مجتمع وكل صحيفة ... ذوب البراعة من بنان أريب
هو واحد حرس الفضيلة جاهدًا ... لم يلف من ند له وضريب
يا مذكى العزمات فى أبنائه ... ومواصل الإرشاد بالتهذيب
مترفقًا فى كل ما يبديه من ... نصح بلا لوم ولا تثريب
وشعاره فى حكمة: لا تغضبن ... لكنه للحق جد غضوب
فى كل ناحية ترى آثاره ... كالغيث شؤبوبًا على شؤبوب
أو فى السبعين وهو مجاهد ... بذ الشباب بعزمه ودؤوب
الدين أول ثاكل بمكافح ... قد كان عدته لكل عصيب
لو كان فى الأعلام مثلك داعيًا ... هان المصاب لثاكل كل محروب
يا من رأى بطل الجلاد مجندلاً ... فى غير ميدان وغير حروب
واها لحدثان الحياة فإنه ... يأتى من الأهوال كل غريب
يا يوم نعى (أبى العيون) تركتنا ... ربع النهار بحالك غربيب
فالليل ممدود الرواق مخيم ... والصبح آذن ضوءه بمغيب
وترى العنادل أمسكت لهواتها ... شجنًا، وللغربان شر نعيب
لله أى شهادة كتبت له ... حين الجهاد فنال خير نصيب
أدى رسالة ربه حتى إذا ... هتف الحمام أجاب خير مجيب
هبنى يراعك أقض حق مآثر ... كالشمس لكن غير ذات غروب

وقد توفى رحمه الله يوم الثلاثاء ٢٨ صفر ١٣٧١هـ- ٢٠ نوفمبر ١٩٥١، وشيعت جنازته فى اليوم التالى فى موكب رهيب إلى الأزهر الشريف. ونعته الأهرام إلى العالم الإسلامى، فقالت:

ننعى إلى العالم الإسلامى أجمع، فقد الشرق والإسلام صاحب الفضيلة العالم الجليل الشيخ محمود أبو العيون السكرتير العام للجامع الأزهر، فقد فدحت الفجيعة بوفاته ليلة أمس إثر حادث أليم، ففقدت مصر والشرق بفقده عالمًا من خيرة العلماء العاملين، ومجاهدًا من صفوة المجاهدين المخلصين، ومصلحًا سلكته جهوده الإصلاحية التامة فى الخالدين.

لقد درج الفقيد العظيم فى حجر الأزهر يافعًا يتلقى العلم عن شيوخه الإجلاء، ويقف فى الطليعة من طلابه النجباء، حتى نال شهادة العالمية فى عام ١٣٢٦هجرية (١٩٠٨ ميلادية) واختير عقب ذلك مدرسًا فى الأزهر حتى رؤى الانتفاع بكفاءته فى التوجيه العلمى، فأسندت إليه مهمة التفتيش فى سنة ١٩٢٥ ثم ندب شيخًا لمعهد أسيوط سنة ١٩٣٥ وعين بعد ذلك شيخًا لمعهد الزقازيق فشيخًا لمعهد الإسكندرية، وقد ظل فى هذا المعهد حتى اختير سكرتيرًا عامًا للجامع الأزهر والمعاهد الدينية.

ومع حرص الفقيد طيب الله ثراه على أن يخص العلم وأهله بالنصيب الأوفر من وقته وجهده، فقد استخلص جانبًا من الوقت والجهد لما عمر به قلبه الكبير من رغبة قوية فى الإصلاح الاجتماعى، فكانت له جولاته الخالدة على صفحات الأهرام فى مكافحة البغاء وفى غير ذلك من النواحى الاجتماعية التى يعنى بها أنداده من العلماء المصلحين.

وحين نهضت مصر نهضتها الوطنية الكبرى سنة ١٩١٩ كان الفقيد أكرم الله مثواه فى مقدمة الصفوف، يخطب ويكتب ويحفز الهمم ويشحذ العزائم ويدعو إلى الجهاد لاسترداد المغصوب من حقوق البلاد، حتى لقد غدت مواقفه الوطنية فى ذلك الحين موضع التنويه والتقدير فى كل مكان.

ومن مقالاته الرائعة مقال نشرته الهلال عنوانه: «اتهم رجال الدين» جاء فيه:

«اتهم رجال الدين فى الماضى القريب، لأنهم قصروا فى أداء رسالتهم من تبليغ حكم الله للمسلمين فى الأحداث التى زحزحت الدين عن مكانه، وعطلت تنفيذه فى القضاء والأحكام، وتطبيقه فى الحوادث التى تخالف الشريعة وتناقضها.

فى سنة ١٨٨٥ استبدل القانون الفرنسى بالشريعة الحنيفية الغراء التى سار عليها المسلمون أجيالاً بعد أجيال فى أزهر عصور الإسلام، فلم يحرك علماء ذلك العهد ساكنًا، ولم ينكروا ذلك الحدث العظيم فى الإسلام، وإذا كانوا قد أنكروا فلم يسجل التاريخ لهم أنهم أوذوا -أو نفوا من الأرض- فى سبيل إنكارهم لذلك التبديل والتغيير فى شرع الله.

ونظم الاحتلال الإنجليزى بعد استقراره البغاء، وجعله رسميًا، وأصبحت المسلمة فى بلاد الإسلام تمتهن حرفة الزنا علنًا، تحت حماية الحكومة والقانون، وبين سمعها وبصرها، فلم يحرك رجال الدين ساكنًا، ولم يرو التاريخ أنهم غضبوا لله وللحق وللأعراض تستباح وتنتهك، أو أنهم أنكروا تشريع هذا الرجس.

وشاع الربا، واستعملت الحكومة الربح والفائدة رسميًا، وسمحت بها للجمهور وتأسست له المصارف الأجنبية والوطنية فى طول البلاد وعرضها فلم نسمع أن العلماء أنكروا ذلك الاثم، أو أنهم غضبوا لتشريعه وتنظيمه.

وأباحت الحكومة الخمر والميسر، وانتشرت الحانات، وأنواع القمار، فى النوادى والأمكنة العامة، وفى المدن والقرى والطرقات ومنازل الأثرياء، فلم يعرف عن رجال الدين أنهم عارضوا الحكومة معارضة جدية فى أنها أحلت ما حرم الله.

وفى عهدنا الحاضر ذاع الفساد، وتحللت الأخلاق، واستشرى الداء، وخلعت المرأة العذار. وهجرت المنزل وخالطت الرجال على شواطئ البحار -عرايا- وفى النوادى العامة، وفى الحفلات الزاخرة بالمجانة والعبث والهوى والعربدة، ونبذت التقاليد الصالحة الموروثة وهجر الدين وزال طابعه فى مقدرات البلاد ومعنوياتها ولم يدرس دراسة تعليمية تطبيقية نافعة فى المدارس والجامعات. وقعت تلك الأحداث الخطيرة الفاجعة، فلم نر جمهرة العلماء ورجال الدين يجمعون جموعهم، ويرفعون عقائدهم بالانكار والاحتجاج على أولى الأمر من أجل هذه المنكرات الشائعة، وهذه المقابح الظاهرة، وما رأينا أحدهم غامر وجاهد فى سبيل الله، حتى ناله الضر فى نفسه أو رزقه، لم نر شيئًا من ذلك ولم نسمع به، بل كل ما نفعله هو أن نكتب فى الصحف، وأن نرفع العرائض الفاترة لأولياء الأمر، وهم

لا يحركون ساكنًا، ولا نحرك نحن ساكنًا كذلك، زعمًا بأننا أدينا واجبنا بالخطابة والعرائض وبالكلام وعلى الورق.

وتفرقت البلاد أحزابًا وشيعًا، وانشقت على نفسها أقسامًا وفرقًا، وتزعم كل فريق زعيم يدعو إلى شخصه، وإلى تولى الحكم دون الآخرين، حتى نسى القوم قضية الوطن، وإصلاح أداة الحكم وشئون البلاد، ورجال الدين يتفرجون على الموقف، على حين أن الله أمرهم بإصلاح ما فسد من أحوال المسلمين، ورتق ما تصدع من أمورهم ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ [الحجرات: ١٠] فلم نجتمع ولم ندع المتخاصمين إلى الصلح، والمتنازعين إلى التفاهم والمتفرقين إلى الاتحاد، والمدبرين إلى الرجوع إلى الحق، ولم نقل كلمة الدين فى المخالف، حتى يفىء إلى أمر الله، وحتى ننقذ البلاد من البلاء المسلط عليها، والمحيط بها من كل جانب، لم نفعل ذلك، بل إن جماعتنا نفسها فى حاجة إلى إصلاح ذات بينهم والعمل على جمع كلمتهم، وتأليف قلوبهم.

إنى أتهم رجال الدين -وأنا منهم- وعزيز على أن أتهم نفسى ورفاقى وعهدى بهم أن يكونوا رجال ورع وتقى، ورشاد وهدى.

ومن بحث له عن «الإشتراكية فى الإسلام»:

لا ريب أن الإسلام يؤيد الملكية الفردية، والاقتصاد الإسلامى اقتصاد رأسمالى، له شأنه فى الإسلام، بل هو يقوم على الأسس الثلاثة: المصلحة الشخصية كهدف، المزاحمة كوسيلة، الحرية كشرط. ولكن قيام الملكية فى الإسلام على هذه الأسس ليس على إطلاقه، بل يصاحبها فى كل اتجاهاتها العامل الأخلاقى، فهو فى تلك الأركان الثلاثة عنصر جوهرى فيها لازم لها، إن هدف الإسلام هو تكوين مجتمع مثالى، فالعامل الأخلاقى يسير معه جنبًا إلى جنب، بل يكون رائده، فإذا انحرف السلوك الاجتماعى رده العامل الأخلاقى بقوة الاستقامة ليكون ضابطًا عامًا فى مصلحة المجتمع، وعلى هذا الاعتبار نجد أن العيوب التى أخذت على الأسس الثلاثة فى الاقتصاد الشائع فى أمريكا وفى أوروبا

ليس لها أثر فى الاقتصاد الإسلامى، لأن المصلحة الشخصية فى الرأسمالية الفردية فى الغرب تجرف كل شىء يقف فى طريق الإنتاج أو العبث به، فهى لا تبالى بالعامل الأخلاقى، ولا بمصلحة المجتمع، بل هى تنكره، ولا تعترف عليه. أما الرأسمالية فى الإسلام، فإن مصلحة المجتمع عنصر لا غنى عنه فيها، كما أن الإسلام دين له منهج ثابت هو تطهير المجتمع من عوامل الفساد، ويمتاز بطابعه الذى يقرن الأعمال بالخلق والعقيدة، فلا ضرر ولا ضرار.. وهو يناهض تكديس الثروات، وتجميعها فى يد فئة قليلة، وحرمان الأكثرية من ضرورات العيش، ورنق الحياة، وما كانت الناحية الروحية فى القرآن الكريم إلا تهذيبًا للأمم ليعيش الناس فى ظلال الأخوة والمساواة والمودة والأمن والاطمئنان، ويكون التعاون بينهم على الجد والتفانى فى الصالح العام، لذلك وضع دستوراً ثابتًا واضحًا يجعل الثروات رأسماليات متوسطة وصغيرة، فحث المسلمين على الإنفاق فى أكثر من سبعين آية، وفرض الزكاة فى مال الأغنياء للترفيه عن الفقراء والمساكين، ولقد قاتل الخليفة أبو بكر منكريها ومانعيها، وجعل الإسلام إطعام الفقراء والتصدق على المساكين كفارة لكثير من الهفوات كما فى حنث اليمين، وفى إفطار رمضان عمداً أو لعذر، وفى الظهار، وفى محظورات الحج. كما شرعه فى مناسبات كثيرة مثل يومى عيد الفطر والأضحى وغيرهما من المواسم الدينية. فى كل هذه الأحوال وغيرها جعل الإسلام التخفيف من ويلات الفقراء والعطف على المساكين، من سمات تلك المواسم والأحوال.

أضف إلى ذلك النظام الارثى في الإسلام، فإنه يحطم الثروة ويفتتها تفتيتًا لا مثيل له فى أى قانون آخر. فالقانون الإنجليزى يحصر الثروة فى البكر من الأولاد، ويحرم من عداه، وبعض القوانين الأخرى تجيز الوصية لأى شخص كان بجميع المال، سواء أكان وارثًا أم غير وارث حتى للكلاب والقطط، وسائر الحيوان، أما الإسلام فيوزع أنصباء الإرث توزيعًا واسعًا فيعطى للقرابات أنصبة متفاوتة، ولا يسمح لصاحب الثروة أن يتصرف فيها بالوصية إلا بالثلث، والثلث كثير، وهذا كله محافظة على التوازن الاقتصادى، ويقول الله تعالى فى سورة الحشر: ﴿كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾.

فأنت ترى أن الإسلام قد نحا بالاقتصاد منحى عادلاً، رعاية منه للمصلحة الاجتماعية، واجتنابًا لطغيان الأغنياء ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ⟨٦⟩ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾ [العلق: ٦، ٧]. وهكذا نجد الدين الإسلامى قد وقف موقفًا رائعًا فى توزيع الثروة وتجزئتها إلى ملكيات متوسطة وصغيرة من غير إكراه، ليقى المجتمع شرور البطر من الأثرياء، والحقد والبغضاء من الفقراء.

والمزاحمة هى وسيلة فى الاقتصاد الغربى، وكانت عيبًا من عيوبه، وهى أيضًا وسيلة للاقتصاد الإسلامى لكنها ليست عيبًا فيه. فهى مختلفة فى النظامين، فما قيل من أنها تؤدى إلى دخول الرأسماليين فى السوق بغير أسلحة متكافئة، وأن المنافسة فى معركة الحياة الاقتصادية ليست متساوية كما هو معروف فى الاقتصاد الغربى -هذا الذى قيل- منفى فى الاقتصاد الإسلامى، فالإسلام قد قرب أصحاب الملكيات بعضهم من بعض بما شرعه فى نظام الوصية والإرث والزكاة، وجعل الإرث أنصبة متعددة، وشمول الزكاة ثمانية أصناف ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [التوبة: ٦٠].

ونضيف إلى ما قدمنا تحريم الربا لكيلا يثرى أحد من عمل على حساب غيره، وتحريم لعب الميسر لكيلا يثرى أحد بطرق الحظ. هذه الاعتبارات كلها إذا روعيت كعهد المسلمين من قبل لا تدع أحدًا محرومًا من سلاح يزاحم به مضمار الحياة، ففى الإرث يدور دولاب تجزئة رأس المال باستمرار، ولا يجىء عام جديد حيث يبدأ صندوق الزكاة إلا ترى المال يدور فى أيدى جميع الأصناف، حتى من أثقلتهم الديون، فإن صندوق الزكاة يدفع عنهم مغارمهم، ويسلحهم من جديد ليدخلوا السوق آمنين مطمئنين، فأى ضمان للناس بعد هذا؟ وما عيب الرأسمالية فى الإسلام؟

أما الحرية التى هى شرط فى الاقتصاد الرأسمالى الغربى، وعدت من عيوبه، فإن هذا العيب منتف فى الاقتصاد الإسلامى، فالحرية فى الاقتصاد الغربى تسير مطلقة لا تقف عند حد، حتى انقلبت تلك الحرية إلى فوضى، مما اضطر أصحابها

إلى إتلاف الحاصلات أحيانًا للاحتفاظ بالأسعار العالمية، أما هذه الحرية فى الاقتصاد الإسلامى، فمقيدة بقيدين هما: العامل الأخلاقى والمصلحة الاجتماعية، ويتدخل ولى الأمر فى السوق حين يرى تنكب التجار أصول التعامل، ويضرب بيد من حديد على أيدى المحتكرين المتحكمين فى الأسواق، والعازفين عن المصلحة العامة، وكان عمر بن الخطاب يمشى فى الأسواق ومعه الدرة يؤدب بها ذوى الأثرة والطامعين فى الكسب الحرام. والحسبة معروفة فى الإسلام، وكان رجالها يقام لهم فى الأسواق وزن واعتبار.

فأى نظام نجده نزيهًا وعادلاً كنظام الاقتصاد فى الإسلام؟ إن الإسلام قد امتاز فى نظامه عن الشيوعية والاشتراكية، فالاقتصاد الإسلامى رأسمالى فردى من نوع خاص، قد جمع خير ما لدى الشيوعية والاشتراكية، وتجنب عيوبها، ولكن كثيراً ممن أخذوا بزيف المدنية الغربية يشيدون بالاشتراكية، التى تضمنت المساواة فى لذة العيش، وبسطة الحياة، من غير تفرقة بين سوقة وسادة، وأغنياء وفقراء، وهى مذاهب وضعية خاضعة للتجارب والتعديل والتغيير، كما هو حادث فعلاً، والاشتراكية الصحيحة المعقولة فى الإسلام الذى يضمن للعاجز العيش، وللعامل الكسب، وللفقير القوت، وللمريض الصحة، وللعالم كله أمنًا وسعادة، والاشتراكية الصحيحة المعقولة هى فى الإسلام الذى يشعر المسلمين بأنهم أسرة واحدة، وأنهم جميعًا كأسنان المشط وأنهم تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وأنهم **«كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر»**.

هذه هى الاشتراكية فى الإسلام. فأين منها تلك المذاهب الحديثة المادية المتداعية الواهنة.

الشيخ عبد الحليم قادوم

فى ديسمبر عام ١٩٥٣ توفى المغفور له الشيخ عبد الحليم قادوم أستاذ كرسى التفسير فى كلية اللغة العربية بالأزهر الشريف، وقد عرفت الشيخ قبل هذا التاريخ بنحو ستة عشر عامًا حينما دخلت عليه فى لجنة من لجان الامتحان الشفوى، فسألنى وأجبت، ثم بعد حين رأيت تقديره لى فى الشهادة التى استلمتها، وفى

عام ١٩٤٠ كنت فى الفرقة الأخيرة، وكان الشيخ يدرس لنا بلاغة عبد القاهر الجرجانى فى كتابيه أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز، فلم أر ذوقًا أصفى من ذوقه، ولا بيانًا أنصع من بيانه، ولا تحليلاً لأسرار كتابة عبد القاهر فى النقد الأدبى مثل تحليله.. ومن قبل ذلك طالعت كتابين مطبوعين للشيخ: أحدهما فى المنطق، والثانى فى الحديث. فوجدت فيهما المؤلف ذا مواهب نادرة قلما تكتمل فى عالم، من عمق الدراسة، وكثرة الإحاطة بالآراء والمراجع، ودقة الفهم، وبراعة التعبير، وزرت الشيخ فى منزله فى فترات متباعدة فوجدت نفسى حيال شخصية لطيفة جذابة تختلف عن شخصية الشيخ العلمية، وكان يقيم فى منزله كل أسبوع حلقة علمية يدرس فيها كتب الأخلاق والتصوف والتفسير والحديث وفى مقدمتها الإحياء للغزالى، وكانت هذه الحلقة عامة للمستمعين من الناس، وفى مقدمتهم أهل (منشية الصدر) الذين كان الشيخ يسكن بينهم.. ثم كنت مدرسًا بمعهد الزقازيق الدينى، وكان الشيخ شيخًا للمعهد، فوجدت من الشيخ خبرة واسعة بشئون إدارة معهد كبير مثل هذا المعهد، كما كنت أجد لطفه مع الأساتذة، وحنوه على الطلاب، مالا يتسع المقام لتفصيله، وكان الشيخ من قبل مفتشًا عامًا بالأزهر فكانت له أعمال محمودة فى التوجيه العلمى والدينى.

وقبيل وفاته مرض مرضًا خطيرًا ألزمه الفراش، واستمر فى العلاج ومقاساة المرض، إلى أن استأثرت به رحمة الله فى أواخر عام ١٩٥٣.. تاركًا وراءه ذكريات لا تنسى، وتراثًا عاليًا عزيزًا على كل من طالع فيه.

وقد درس الشيخ فى معهد الإسكندرية الدينى، ونال العالمية عام ١٩٢٤ من الدرجة الأولى، وعين مدرسًا فى الأزهر، ثم اختير مدرسًا فى كلية اللغة منذ بدء إنشائها، ثم اختير مفتشًا، فشيخًا لمعهد الزقازيق الدينى، فأستاذًا للتفسير فى كلية اللغة العربية.

عبد العزيز المراغى

هو شقيق المراغى شيخ الأزهر، توفى صباح الخميس ١٦ نوفمبر عام ١٩٥٠م. فخبا بوفاته نجم لامع، وتوارت ومضات أمل ضاحك. وقد لاقى ربه بعد مرض لم يمهله، ولم يشفق عليه، وهو شاب القلب، فتى الفؤاد، يقظ الرأى، موثب الرجاء.

يقول عنه صديقه الأستاذ محمود رزق سليم:

كان عبد العزيز واسع الأفق فى نواحى من الحياة كثيرة، فقد هيأت له ملابساته -مع ذكائه وفطنته- أن تكشف له كثيرًا من حقائقها، كما دفعته إلى تجربة الأمور وملاحظاتها. فاكتسب من وراء ذلك مرانة وخبرة، وحنكة وحسن بصر بالأمور ومعالجتها. وقد كان منذ صغره شغوفًا بأخيه الأستاذ الشيخ المراغى، يرى فيه نموذجًا يقتدى به، وقد جمعت بينهما ظروف الحياة، أكثر مما تجمع بين شقيقين. فرحل معه إلى السودان، وتعلم بكلية غردون. ثم عاد إلى مصر فاندمج فى سلك طلاب الأزهر، مبرزًا بينهم حتى تخرج منه بأرقى شهاداته حينذاك. وأرسل فى بعثة علمية إلى إنجلترا، فلبث بها زهاء خمسة أعوام، ازداد فيها علمًا بالحياة، ومعرفة بمذاهبها ومآتيها. وتخصص فى دراسة التاريخ الإسلامى وتاريخ الأديان، وهما من أهم المواد الثقافية صقلاً للأذهان، ودعمًا للتجارب وتبليغًا إلى الحق.

ولما بلغ أخوه الأكبر مرتبة المشيخة الجليلة، للمرة الثانية، كان عبد العزيز -وبخاصة بعد عودته من انجلترا- أشد سواعده القوية، ومن أقرب مستشاريه إلى نفسه، فحمل معه شيئًا من العبء، على مقدار طاقته وجهده. وطبيعى أن يصبح فى ذلك الحين، موضعًا للأمل والآملين، كما كان محطًا للنقد والناقدين.

وقد استطاع عبد العزيز فى هذه الحقبة -وهو على كثب من أمور الأزهر- أن يدرسها ظاهرها وباطنها، صريحها ومؤولها، وأن تتكشف له منها مواضع الداء وأن يقدر لها الدواء. ولا أغلو حينما أذكر أن حدب عبد العزيز على الأزهر، وشغفه به، وأمله القوى أن يسمق بنياته، وترتفع أركانه، كان شيئًا فوق مكنة الطالب الذى يعشق معهده، ويتعصب له.

وقد عرف فيه إخوانه دماثة الخلق، والمرح، وبشاشة الوجه، وابتسامة الثغر، وعفة اللفظ، كما كان مطاوعًا لكل ذى حديث، ولو كام فيه إملال. لا يصده عنه إلا بكيس ورفق، وربما نعى عليه بعض خلطائه أنه يلقى عدوه كما يلقى صديقه، فلا برم ولا تنكر -وما كانت هذه منه إلا لرحابة صدره وحسن سياسته، وحبه

لتلافى ما يستطاع باللطف تلافيه. ولذلك ظل كثير ممن يقدرونه ويحملونه عليه، يبجلونه لذاته، ويحبونه لشخصه، ويلقونه لقاء الإخوة الكرام.

ولما اختير إمامًا لمعية الملكية تفتحت له من الحياة سبل جديدة، ازداد بها مرانة ومعرفة، وأخذ يخطو ويبرز نحو الصفوف الأولى بين رجالات الوطن. وكان إذ ذاك حركة دائبة، يؤدى واجبه الدينى، ويلقى دروسه وخطبه، ويذيع فى المذياع، ويكتب فى المجلات، فى الأمور الدينية والاجتماعية والتاريخية.

وقد كان عبد العزيز عالمًا أزهريًا، بالمعنى الذى يفهمه التاريخ والعرف، ومرجع ذلك -فيما أعتقد- إلى حبه العميق للأزهر، وما فى الأزهر من علم، وما له من تقاليد.

وأهم خصوصيات العالم الأزهرى -فضلاً عن معرفة الشريعة الغراء- حبه الجدل والمناقشة، وقدرته على سوق الحجة والدليل، وعدم تسليمه لخصمه فى سهولة ويسر. وقد كان عبد العزيز فى ذلك، من الطراز الأول، وبالتدليل والتعليل، والموازنة، حتى يصل إلى قرار الحق. ويشهد بذلك تلاميذه الكثيرون فى كليات الأزهر، وأصدقاؤه أعضاء لجنة الفتوى وكان زميلاً لهم، قد لمسوا فيه هذه الخصوصية، خلال عضويته بها.

وكان ضليعًا فى معرفة الشريعة السمحة وأحكامها، خبيرًا بمذاهب أئمتها على اختلافهم، بصيرًا بمذاهب الكلاميين من فقهائها، وقد أخرج كتابًا فى حياة «تقى الدين بن تيمية الحرانى»، ألقى فيه ضوءًا على جهاد هذا العلامة فى سبيل دينه، موضحًا عقيدته، مبينًا أنها عقيدة السلف، وأنها بعيدة عن مزالق المبتدعة من متطرفى الحنابلة.

وقد كان مؤرخًا واعيًا لتطورات التاريخ الإسلامى وتقلب دوله، منقبًا عن ذلك فى كتب التاريخ الإسلامى: العربى منها وغير العربى.

وكان أديبًا متذوقًا. فقد أوتى حافظة قوية كنت أغبطه عليها، ملمة بشتى عصور الأدب وتقلباتها وحوادثها إلمامًا محمودًا، وكثيرًا ما تجود بالأبيات والطرف الأدبية والأمثال ونحو ذلك عند أدنى مناسبة.. وكان يطرب للدعابة اللطيفة

والنكتة الرائعة -ولو على حسابه- ويأخذ حينذاك سبيله إلى المرح قائلاً: «لقد قتلتنا كثرة الجد»، ولكنه سرعان ما ينحدر إلى سوق الحكم، والنعى على الدنيا، مع الرضا والاستسلام لقضاء الله وقدره.

وكان كثير البحث عن مظان اللغة، يحفظ من ألفاظها عدداً تكتز فيه المعانى، أو يعبر عن المعانى الغربية أو المستحدثة، ويعنى بالألفاظ الطوافة فى اللغات، وما كسبته فى كل لغة من المعانى. وأغلب الظن أن فى مسجلاته كثيراً منها.

ولا نقول جديداً إذا نوهنا بدروسه الدينية وخطبه المنبرية، فإنه أسبغ عليها سمة من التجديد، وغذاها بما تفيض به نزعته الأدبية وثقافته الواسعة، فخرجت بجديد أسلوبها ومعناها، عصرية بريئة من السمت التقليدى القديم. ومنذ سنوات أخذ على عاتقه إخراج كتاب من أهم كتب الحديث والفقه والقضاء الإسلامى، وهو كتاب «أخبار القضاة» لمحمد بن خلف بن حيان، المشهور بوكيع، استعار نسخته الشمسية الوحيدة، وأنفق فيها النفيس من وقته، والمرجو من راحته، حتى استقام له تقديمها إلى المطبعة. فأنجزت منها جزءين وبقى جزأن.

وقد عنى فى الكتاب بالتصريح والتعليق وشرح الغامض وتخريج الأحاديث، بما يشعرك بعلمه الغزير وأدبه الجم وإحاطته بمسائل الفقه ومواضع الحديث وومضات الأدب. وبما يشعرك بصبره وبالغ جهده فى سبيل خدمة دينه وشريعته.

وقد توفى بعد الشيخ بقليل أخوه الأكبر الشيخ أحمد مصطفى المراغى صاحب «تفسير القرآن الكريم» المسمى تفسير المراغى، وسواه من الكتب وذلك عام ١٩٥٢م.

الشيخ فكرى ياسين

هو أحد علماء الأزهر الأجلاء.. كان رحمه الله هيناً ليناً مهذب النفس، بعيداً عن اللغو واللهو، وكانت همته مصروفة إلى زيادة مادته العلمية، بمعالجة المسائل الاجتماعيةالكبرى بالتحليل الدقيق تحت ضوء الدين والعلم، فكان فى كل ما يكتبه مفيداً لقارئه يأتى له بشىء جديد، وهذه ميزة علمية نادرة.

ولد -رحمه الله تعالى- ببلدة قصر هور مركز ملوى فى ٢٤ يناير ١٨٩٧، وهو من أسرة مشهورة بالعلم، فوالده كان من العلماء، وجده كان عالماً.

وقد تعلم فى الأزهر، ونال الشهادة العالمية النظامية منه سنة ١٩٢٥، ودرس فيه علوم اللغة والأدب على المرحومين الشيخ سيد على المرصفى -الذى كان معروفًا بشيخ اللغة فى ذلك الوقت- والشيخ مصطفى عبد الرازق، والشيخ مصطفى القاياتى، وتلقى كثيراً من العلوم الأخرى، مثل الفقه والأصول والبلاغة والنحو والتصريف وعلوم القرآن والسنة والفلسفة والمنطق وغيرها عن كثير من علماء الأزهر البارزين فى ذلك العصر، من أشهرهم الشيخ محمد بخيت والشيخ محمد حسنين والشيخ حسين والى.

وكان يزاول الكتابة والتحرير فى الصحف والمجلات وهو طالب، وكانت أول مقالة نشرت له فى جريدة النظام عن إصلاح الأزهر، ثم واصل الكتابة بعد ذلك، إلى أن جاءت الحركة الوطنية فى سنة ١٩١٩ فاشترك فيها واعتقل، وأذكت فيه روح الحمية والنشاط، وزاد إقباله على الكتابة ومتابعته لها، وكانت أكبر عنايته فى الكتابة موجهة فى ذلك العهد إلى إصلاح الأزهر، وإلى الشئون الإسلامية، وحرية الوطن فى جهاده المقدس آنذاك ضد الغاصب المحتل، ولقد كان هذا الجهاد باعثًا لزملائه فى الأزهر على أن يعتبروه رائدًا لهم فى المناداة بالآراء الإصلاحية، وقد جر ذلك عليه متاعب كثيرة، فلقد كان أول طالب فى الأزهر أحيل مع زملاء له على المجالس التأديبية سنة ١٩٢٤، ولقد رأى الأزهر فى ذلك الحين أن تكون لهم لجنة تمثلهم وتتكلم باسمهم، فاختاروه رئيسًا لهذه اللجنة، وكانت مهمتها الدعوة إلى إصلاح الأزهر.

وفى سنة ١٩٢٦ عين مدرسًا فى الأزهر، وأسند إليه تدريس مادتى الأدب والتاريخ فوضع فى المادة الأولى مؤلفًا فى جزءين، ووضع فى المادة الثانية مؤلفًا فى ثلاثة أجزاء، واختير إلى جانب ذلك سكرتيراً لجمعية الهداية الإسلامية، ومحرراً بمجلتها، وفى سنة ١٩٣١ فصل من الأزهر مع عدد كبير من العلماء، فصلهم المرحوم الشيخ الظواهرى، وكان منهم الشيخ الزنكلونى والشيخ العدوى والشيخ دراز والشيخ شلتوت والشيخ فكرى، ولقد كان هذا الفصل سببًا قويًا فى نشاطه فأخذ ينشر آراءه فى الجهاد والبلاغ والكوكب والسياسة اليومية والأسبوعية والوادى، وفى فبراير سنة ١٩٣٥، أعيد إلى التدريس فى الأزهر وندب مع قيامه بالتدريس فى القسم الثانوى سكرتيراً للجنة الفتوى، وفى سنة

١٩٣٨ اختير مدرسًا بكلية الشريعة ثم وكيلاً لمعهد قنا، ثم أعيد إلى كلية الشريعة، وجاء الشيخ مصطفى عبد الرازق فنقل من الكلية إلى معهد الزقازيق، ثم أعيد إلى الكلية مرة أخرى حتى جاء المغفور له الأستاذ الشيخ مأمون الشناوى، وكان قد خبره وعرف فيه مراقبًا مساعدًا لمكتب البحوث والثقافة بالأزهر.

وقد كتب فى جملة موضوعات علمية نافعة منها «غريب القرآن» و«أعلام القرآن» و«التجارة فى الإسلام، والفقه والفقهاء» وفى بحوث قيمة أخرى، ووضع رسالة فى الحديث لم تطبع بعد. وقد قام بالكتابة فى السنة المحمدية عن الأحاديث النبوية. فى مجلة لواء الإسلام من أول إنشائها إلى يوم وفاته، كما قام بالتحرير فى باب السنة المحمدية أيضًا بمجلة الأزهر، وقد كتب أكثر من ألف مقال فى الصحف فى مصر وفى صحف سوريا وتونس والعراق والبلاد الشرقية.. وكان رحمه الله كريم الخلق عف اللسان محبًا لطلابه محبوبًا عندهم رحيمًا بأهله وأقاربه عطوفًا عليهم.

وقد توفى -طيب الله ثراه- فى الساعة الرابعة بعد عصر يوم الثلاثاء ٢١ من ربيع الثانى سنة ١٣٧٠هـ- الموافق ٢٩ من يناير سنة ١٩٥١م.

الشيخ نافع الخفاجى

حفيد العلامة الشيخ نافع الخفاجى الكبير

ولد يوم الجمعة ٢ شوال سنة ١٣٢٢هـ، الموافق ديسمبر سنة ١٩٠٤م . ثم تعلم الكتابة وحفظ القرآن الكريم، وذهب إلى المعهد الأحمدى بطنطا سنة ١٩١٩م ليتعلم فيه وأخذ منه الابتدائية عام ١٩٢٣م، ثم كان قد أنشئ فى ذلك الحين معهد فالتحق به واستمر فى دراسته إلى أن أصيب بمرض عصبى عضال كان يحول بينه وبين المشى وحده، فأخذ يعالج نفسه منه ولكن العلاج لم يجد شيئًا، اللهم إلا فى تأخير زحف المرض على صحته، ثم أخذ الثانوية من الخارج من معهد الزقازيق عام ١٩٢٨، الموافق سنة ١٣٤٦هـ، ثم التحق بالقسم العالى بالأزهر، ونال منه شهادة العالمية فى يونيو سنة ١٩٣٢م الموافق سنة ١٣٥١هـ.

وعاد العالم بعد ذلك فأقام بالقرية يطالع فى أسفار الأدب وينظم القريض ويعالج نفسه من مرضه العضال، ثم تزوج فى سبتمبر ١٩٣٩م، ووافاه أجله المحتوم فى ١٣ أغسطس سنة ١٩٤٠م الثلاثاء ٩ رجب سنة ١٣٥٩هـ- وكان شاعرا مجيدا.

نماذج من شعره -قال فى الغزل:

رويدا مهجتى هذا الأنيس	لعمرى كاد يقتلنى الحنين
أحن إلى مغان شمت فيها	بروق الصدق يتلوها الهتون
مغان ليلها عندى قصير	يقصر طوله نوم رصين
وإن غاب الكرى فالسهد حلو	يأخذان تساليهم فنون
ندامى لا يجالسهم بئيس	يجوس خلال جدهم المجون
من السمر البرىء لنا مدام	تطير به من الرأس الشجون
ومن ضحكاتنا نغم لذيذ	كقرع الكأس يتبعها رنين
تخالس دهرنا لمحات	فتسهل فى مسالكنا الحزون
ونجنى من فم الدنيا ابتسامًا	كغصن الزهر تجلوه الغصون
ووجه زماننا حسن بشوش	تلاشت من نضارته الغضون

وقال فى قصيدة عنوانها «أين الصباح»؟

طلت باليل فأين الصباح	والكرى خاصم عينى وراح
طلت باليل على مغرم	مسبل الدمع طويل النواح
رب ليل لم يكن شملنا	يتلاقى فيه والديك صاح
وسواء طلت أم لم تطل	ليس باليل عليك جناح
لست أنسى فيك حسن اللقا	وعلينا منك ستر وجناح
واجتماع فيك أخفيته	عن رقيب وعذول لاح

فيك من ليلى شبيه لها ... قمر يحكى وجوه الملاح

فيك شهب كلحاظ المها ... تلك فى قلبى، وذى فى السطاح

فى سكون الليل كم أهة ... من فؤاد أن وجدا وناح

فى سكون الليل كم عاشق ... هاجت الذكرى عليه الجراح

فى سكون الليل كم مدنف ... بخفايا السر لليل باح

لا تلوموا الليل فى طوله ... أيها العشاق أين السماح؟

يحمل الطيف لأهل الهوى ... إن يكن جفن المحب استراح

يكتم السر ويخفى الجوى ... عن وشاة السوء خوف افتضاح

أيها الليل لك الشكر من ... كل قلب فيه حب صراح

يا نجوم الليل لا تنكرى ... أن عينى والكرى فى كفاح

فاحملى عنى سلامى لمن ... هو لى روح وراح

وقال من قصيدة أخرى:

بحسبك ما أشكو وما أتوجع ... زفير وآهات وسهد وأدمع

فيا للنوى، لا بارك الله فى النوى ... وقلبى من حر النوى يتقطع

فيا جميعا ثم أصبح شملنا ... شيئا كان لم يحتو الشمل مجمع

نكلفنا الأيام ما لا تريده ... وطبع الليالى صدع ما يتجمع

لقيت هوانا فى الهوى وسل الدجى ... ونجم الدجى إن كنت فى الليل أهجع

ولى مهجة ذابت من الوجد والجوى ... وطارت بخاراً أينما هب يتبع

رعى الله عهدا كان بالأمس ناصرا ... غدا وهو مطموس المعالم أصلع

شربنا كؤوس الحب حتى ثمالها ... ولم يبق فى قوس الصبابة منزع

ولم ترتكب فى الحب ذنبا يسوءه ... سوى أن نفسينا إلى الطهر تنزع

وإن أنسى م الأشياء لا أنسى قوله ... غداة النوى: هل على البين تزمع

فقلت وما أدراك والعزم فى الحشا ... فقال فؤادى عن فؤادك يسمع

فقلت له: حينا، فقال: يخيفنى ... ويوم النوى شهر وعام أفظع

فقلت تجلد قال: جهدى وإنما ... تأكد بأنى رغم أنفى سأجزع

وقال فى شكوى الزمان:

أواه من عثرات الحظ أواه ... والحظ ما شاء قد شاءه الله

لا الحزن يجدى ولا حظى يساعفنى ... ولا الزمان وفيق فى سجاياه

أرزاء شتى إذا ما خلت أصغرها ... مضى أرى ضعفه يحتل مآواه

تترى دراكا كطير طاب موردها ... فزاد وارده شوقا لمرعاه

يلج صرف الليالى فى معاكستى ... كأنما أنا وحدى كل أعداه

خطوب دهرى لا تنفك تذكرنى ... بعطفها ذكر مجنون لليلاه

فالحزن والسهل فى سيرى سواسية ... والليل واليوم فى الظلماء أشباه

كلما قلت لما استحكمت فرجت ... أرى فضيب شقاء كنت أنساه

إن غاب عنى شقاء جاء مصطحبا ... إخوانه ليقيموا فى راعاياه

ما حيلتى وهى الدنيا وسلطتها ... أى امرىء نال منها ما تمناه؟

نصيب كل امرىء فى عكس همته ... ورفع كتفه وزن خفض أخراه

ورب ذى عزمة تنبو مضاربه ... وطائش السهم أصمى الحظ مرماه

ونابه النفس سوء الحظ أحمده ... وحامل القدر حسن الحظ رقاه

وكم حريص له من علمه صفة ... وكم كسول له من جهله جاه

هى المقادير لا سعى ولا كسل ... وكل ذى قدر لابد يلقاه

انظر إلى قطع الشطرنج إذ نحتت ... ماذا أتى الشاه حتى أنه شاه

كم بيدق مات لم يذنب وصاحبه ... سما مسوقا ولم يعمل لمرقاه

كذلك الكون لم تعلم عواقبه ... وليس يعلم ساع غب مسعاه

الدهر علمنى الشكوى فقمت بها ... طوعًا وكرهًا وخير العلم أفشاه
أشكو الزمان وفى الشكوى رفاهية ... وما علاج شقى غير شكواه

وقال:

حرام على عينيك أن تتنازعا ... فؤادى إلى أن صار نهبا موزعا
أفر من اليمنى ليأذا بأختها ... فتطعننى اليسرى فأرجع موجعًا
أرى لك لحظًا كالقذيفة لو رمى ... يميل من العشاق ليتا وأخدعا
بعينيك ومض كالشهاب إذا هوى ... فيحرق أكبادًا ويحرق أضلعا
إذا نظرت عيناك أبصرت فيهما ... لذاذة نفسى والعذاب المبرقعا
لحاظك من حظى سوادا وقوة ... وأبيضه يبدو ويذهب مسرعا
أخاف نفارا حين أرجو تعطفا ... وأخشى فراقًا حين أبغى تجمعا
دلالك أخشى أن يكون ملالة ... وحبك أخشى يكون تصنعا
حنانيك إنى قد ثكلت سعادتى ... وذبت غراما واحترقت تفجعا
ظننت هنائى فى الهوى فأتيته ... فلم أر إلا لوعة وتصدعا
سهاد وأشواق وسقم وحسرة ... فيا أسفى إنى سأقضى توجعا
ولو كان لى فى الجاذبية حيلة ... لكنت من السلوى جمادا وأقطعا
فلو رمت سلوى بالنوى لتوترت ... حبال الهوى لكنها لن تقطعا
يزيد الهوى قبضًا بقلبى كلما ... بعدت كحبل كلما شد قطعا
وللحب مغناطيسه واجتذابه ... يخالف قانون التجاذب موضعا
فيضعف ذا بالبعد والحب شأنه ... يزيد اهتياجا لو تباعد موضعا
بحسبك يا ليلى غرام زرعته ... فأتيت أشجانا وأثمر أدمعا
سفحت دموعى فى غرامك مرغما ... على حين أنى ما هويتك طيعا

فما كدت ألقى نحو وجهك نظرة ... إلى أن غدا قلبى من الحب مترعا
سحرت فؤادى وامتلكت زمامه ... وأطلقت عبداً فى جمالك مولعا
عتبت على قلبى جواه وذله ... فثار وكادت أضلعى أن تصدعا
سكرت غراما وانتشيت صبابة ... وأعييت يأسًا واشتفيت تطلعا
ومن عجب آلام حبى لذيذة ... ولو لى آمال لعشت ممتعا
أحب ولا أرجو من الحب غاية ... سوى أن أرى وجه الحبيب وأسمعا
وحسبى إذا أغفيت طيف يزورنى ... فأقطف من خديه وردا تضوعا
أقبل فاه أو أضم خياله ... فإن زاد بى وجدى صحوت وودعا
أحبك يا ليلى بدون ملالة ... وأنت دجى بدر وشمس ضحى معا
وأنت المها والغصن والدر والطلا ... تبارك ربى فى جمالك مبدعا
عبدتك يا ليلى وحسنك دلنى ... على الله حتى لا أضل فاخدعا

وقال:

ذهبت ومن رام المعالى يذهب ... وأبت ولم أظفر بما أتطلب
سعيت إلى العلياء غاية طاقتى ... ورحت إلى أفلاكها أتوثب
سبحت على بحر المجرة ماخرا ... عبابا من الآمال أطفو وأرسب
رصدت السهى حينا فأبصرت طالعى ... جميلاً ولكن فيه سر محجب
فيا طالعى بالله هل من هناءة ... تألق لى أم أن برقك خلب
وهل مطمئن أنت أم أنت خائف ... تفر من النحس البغيض وتهرب
وهل لى إلى النعمى سبيل موصل ... وهل لى من البؤسى مناص ومهرب
أتسعدنى الآمال بعد مطالها ... ويدنو من الآمال ما أترقب
إزاء شقائى مطعم الصاب كالجنى ... ونور نهارى من مشاكيه غيهب
ولو لم أصادف سوء حظى وشؤمه ... لعشت سعيداً لم يضق بى مذهب

يسمونه حظا وجدا وطالعا ... وأما المسمى فالقضاء المغيب
مقادير شتى والمقدر واحد ... مشيئته كالسيف بل هى أثقب
له المثل الأعلى وفى كل ذرة ... من الكون سر بالتأله يعرب
هنالك شىء كل فكر يمسه ... ويلمسه الوحشى والمتهذب
هو الله سماه الطبيعى قوة ... وطبعاه وفى علم الأثير تربب
ومن شأنه فينا الظهور بفيضه ... وآثاره، والشأن فينا التعجب
أأجهل روحى ثم أعلم ربها ... ضلال غريب والتثبت أغرب
ستنظر وجه الله فى الخلد ظاهرًا ... كما هو يجلوه الجلال فنطرب
نراه بإحساس بديع مخصص ... يطيب خيالا والتحقيق أطيب
هنالك يبدو كل حسن مذمما ... وكل ارتياح غير ذلك متعب
عن المثل والأضداد جل جلاله ... وراجى سوى التوفيق منه مخيب
وما الكون إلا ذرة فوق ذرة ... سماء وأفلاك وأرض وكوكب
فكل بكل فى نظام مدبر ... جماد وحى، كل شىء مرتب
بدائع إحكام وإتقان صانع ... فسبحانك اللهم أنت المحجب
تمنيت موتًا ليس فيه جهنم ... وإلا فعبثا لست فيه أعذب
وكيف حياة المرء ناء بعبثه ... وجمر الأسى فى صدره يتلهب؟
وكيف حياة المرء عىّ طبيبه ... وأعضله الداء العقال العصوصب؟
برمت بآمالى وعفت تجلدى ... وملّ جليس ما أقول وأكتب
ولو نلت من عين العناية نظرة ... فما مر بى عذب وما بعد أعذب

أزهريون فى سجل التاريخ

ومن أظهر الشيوخ الذين قضوا نحبهم: الشيخ سيد على المرصفى إمام علماء اللغة والأدب فى مصر ومن هيئة العلماء، وصاحب (شرح الكامل)، وشرح

(ديوان الحماسة)، وشرح (أسرار البلاغة)، وغيرها.. وقد توفى فى ١٢ فبراير سنة ١٩٣١م.

ومنهم الشيخ عبد العزيز البشرى نجل الشيخ سليم البشرى شيخ الأزهر الأسبق والقاضى الشرعى النابه، والمؤلف الكاتب المحدث اللبق الممتاز، وصاحب (المرآة) (والمختار) وسواهما، وقد توفى فى ٢٥-٣-١٩٤٣م.

وللأزهر فضل على كثيرين، ممن جلسوا فى حلقاته العلمية، وإن لم يكملوا ثقافتهم فيه، وهؤلاء عدد كبير لا يحصون، ومن أوائلهم الشيخ أحمد على السكندرى، وقد توفى فى ١٩ أبريل ١٩٣٨م، وكان عضوا فى المجمع اللغوى بالقاهرة، وأقام المجمع فى ١٣ يناير ١٩٣٩م حفلة تأبين له وللمستشرق الإيطالى نلينو (١٨٧٢هـ- ١٩٣٨م) بدار الأوبرا.

والسكندرى كان طالبًا بالأزهر، وتخرج من دار العلوم، ثم عمل مدرسا فى المدارس الأميرية، فناظر المدرسين المعلمين. وكان يؤمن باللغة العربية، وبقدرتها على استيعاب المعانى المتجددة التى تأتى بها الحضارة، حتى فى الكيمياء والطب، واختير عضو فى المجمع اللغوى بعد إنشائه بقليل، وله كثير من المؤلفات العميقة، ومن بينها كتاب فى الأدب العباسى، كما أنه اشترك فى تأليف الوسيط، وفى كتب أخرى.

❀❀❀

الباب الخامس

صور من الأزهر القديم والحديث

الفصل الأول: الاجازات العلمية من الأزهر قديمًا وحديثًا

تمهيد:

-١-

أوقاف قديمة للأزهر:

فى كتاب الخطط للمقريزى[١] نص سجل الوقف الذى وقف «الحاكم» بمقتضاه أملاكه بمصر والقاهرة على الجامع الأزهر ودار الحكمة وبعض المساجد الأخرى، وقد مضى تلخيص لهذا السجل فى هذا الكتاب[٢].

-٢-

أول درس للسيوطى الأزهرى:

فى عام ٨٦٧هـ ألقى السيوطى العالم الأزهرى بعد تخرجه من الأزهر أول درس له. وقد عرض له الشيخ مصطفى عبد الرازق فى حديث له فى محرم عام ١٣٦٥هـ ومما جاء فى كلمته عنه:

منذ حوالى خمسمائة عام ألقى العالم الشهير «جلال الدين السيوطى» المتوفى سنة ٩١١هـ أول درس من دروسه حين أجلس للتدريس، بحضور شيوخه وكبار القضاة والأفاضل فى عهده، وقد ألقى هذا الدرس فى جامع شيخون المسجد المعروف فى هذه العاصمة. وفى دار الكتب الأزهرية مخطوطة تجمع مؤلفات ورسائل للجلال السيوطى رحمه الله. وورد فى هذه المجموعة أنها بخط المؤلف. ومما حوته هذه المجموعة رسالة جاء فى أولها: «تصدير مبارك ألقيته يوم أجلست للتدريس بجامع شيخون رحمه الله، بحضرة شيخنا قاضى القضاة شيخ الإسلام علم الدين البلقينى وجماعة من القضاة والأفاضل، وذلك يوم الثلاثاء، تاسع ذى القعدة سنة ٨٦٧هـ، وقد مضى من عمرى ثمان عشرة سنة وأربعة أشهر وثمانية أيام والحمد لله». وهذا الدرس الذى ألقاه السيوطى فى مفتتح عهده بالتدريس هو فى تفسير آية من سورة (الفتح) الكريمة.

---

(١) جـ٤ ص ٤٩-٥١- الطبعة الأهلية.

(٢) ص ٢٨-٣٠ جـ١ الأزهر فى ألف عام. هكذا كما ورد فى الطبعة الأولى والثانية.

وهذا التصدير على صغر حجمه يفيد الباحثين فى تطور الدراسات الإسلامية وأساليبها، وفى الطرق التى كانت تعتمد عليها مدارس المسلمين فى إجازة طلابها وتخريجهم، وقد بدأ المؤلف درسه بذكر المراجع التى طالعها فقال: «طالعت على هذا التصدير الكشاف وتفسير الإمام الرازى وتفسير الإمام ابن العربى والبحر لأبى حيان وأسباب النزول للواحدى وتفسير السخاوى وينبوع الحياة لابن ظفر وصحاح الجوهرى، والخطبة إلى آخرها من كلام الإمام الشافعى رضى الله عنه يعنى من خطبة، الرسالة،»... وبعد أن حمد الله بما حمد به الإمام الشافعى فى صدر «الرسالة» وصلى على النبى وآله قال: «رضى الله عنه وعن السادة الصحابة أجمعين وعن إمامنا الشافعى المطلبى وسائر الأئمة وعن سيدنا ومولانا شيخ الإسلام ووالده شيخ الإسلام وسائر مشايخنا والسادة الحاضرين وجميع المسلمين، ثم قال: «أما بعد فقد قال الله تعالى: ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا (١) لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا (٢) وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا**﴾ [الفتح: ١-٣]».

الكلام على هذه الآية من جهات: الأولى سبب النزول ومكانه وزمانه، والثانية علم اللغة، والثالثة علم الإعراب، والرابعة علم المعانى، والخامسة علم التفسير.

أقول: قدمت أولاً الكلام على النزول وما يتعلق به، ومناسبة تقديمه ظاهرة، وثنيت باللغة وقدمتها على الإعراب، لأنها تبين المعنى، والإعراب فرعه ومتوقف على معرفته، وثلثت بالإعراب وقدمته على المعانى الذى هو ثمرة الإعراب، ثم تلاه المعانى، ولما انتهيت من الأدوات ذكرت المقصود بالذات من الآية وهو التفسير وبيان المراد، ثم ختمت بالنهاية وهو علم التصوف، وهذا ترتيب حسن لطيف.

وبدأ بالكلام على سبب النزول وما يتعلق به نقلاً عن الواحدى، ثم تكلم عن اللغة فبين معنى النصر والبيان والمغفرة والذنب والنعمة والهدى والصراط المستقيم والعزيز. وذكر بعد ذلك ما يتعلق بالآية من جهة الإعراب، ثم ما يتعلق بها من جهة علم المعانى. ثم قال: وأما ما يتعلق بها من جهة التفسير، قوله: ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا**﴾، فى المراد بالفتح هنا أقوال: أحدها فتح مكة واختاره الفخر الرازى من

الجميع وأبو حيان، والثانى عام الحديبية عند انفكاكه منها، والثالث قاله مجاهد فتح خيبر وفى بعض الآى ما يدل عليه، والرابع قال الضحاك: والمراد فتح الله بالإسلام والنبوة والدعوة بالحجة والسيف، ولا فتح أبين منه وأعظم، وهو رأس الفتوح كلها، إذ لا فتح من فتوح الإسلام إلا وهو عنه ومشتق منه. الخامس قال غيره: المراد نصر الله تعالى على أهل مكة بعد أن أوحى إليه: إنك تدخلها أنت وأصحابك من قابل لتطوفوا بالبيت. قوله: ﴿مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح:٢] قال ابن عباس: ما تقدم قبل النبوة وما تأخر بعدها. وقال غيره: ما وقع وما لم يقع على طريق الوعد بأنه مغفور له. وقال سفيان: ما تأخر هو ما لم يعلمه، وقال آخر: المتقدم والمتأخر معا ما كان قبل النبوة. وقال آخر تأكيد للمبالغة كما تقول: أحبك من عرفك ومن لم يعرفك، وقال آخر ما تقدم من ذنبك يعنى من ذنب أبيك آدم وحواء، وما تأخر: ذنوب أمتك. وقال آخر: المعنى لو كان لك ذنب قديم أو حديث لغفرناه. قوله: ﴿وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ [الفتح:٢] قيل النبوة والحكمة، وقيل بفتح مكة والطائف وخيبر، وقيل بخضوع من استكبر، والصحيح بدخول الجنة.

قوله: ﴿وَيَهْدِيَكَ﴾ [الفتح:٢] المراد يثبتك على الهدى كما فى قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ [الأحزاب:١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا﴾ [النساء:١٣٦] وأمثال ذلك. قوله: ﴿صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [النساء:٦٨] المراد به هنا الإسلام.. وآخر جملة فى هذه الرسالة هى (وأما من جهة علم التصوف)، ثم يتلوها بياض بالأصل مقداره نحو ثلاثة أسطر بخط السيوطى الدقيق. وإذا كان لم يصل إلينا ما كتبه السيوطى فى تصديره عن التصوف فإن بعض المؤلفين أشار فى تحديد معانى الفتح إلى معنى هو أقرب إلى المعانى الصوفية. قال الراغب فى كتابه (المفردات فى غريب القرآن): وقوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح:١] قيل عن فتح مكة، وقيل بل عنى ما فتح على النبى من العلوم والهدايات التى هى ذريعة إلى الثواب والمقامات المحمودة التى صارت سببًا لغفران الذنوب، ولعل هذا المعنى هو الذى عبر عنه بعض المفسرين بالإلهام[1].

---

(١) هكذا ورد فى الطبعة الأولى والثانية.

-٣-

الحفنى شيخ الأزهر:

كان شيخ الأزهر الحفنى (١١٠٠هـ- ١٦٩٨م- ١١٨١هـ- ١٧٦٧هـ) شجاعًا فى الحق شجاعة نادرة. تخاصم على بك الكبير مع طائفة كبيرة من الأمراء وتفاقم بينهم الشر حتى أوشك أن ينتهى إلى الحرب. واجتمع لذلك كبار القوم ومعهم الشيخ الحفنى. فعارض الميل إلى الحرب معارضة شديدة، لما يصيب الناس من شرها. وقال للأمراء: إنكم خربتم البلاد، بحربكم وخصامكم. ثم أرسل إلى على بك، وكان خارج القاهرة، كتابًا شديدًا فيه زجر وعظة ونصيحة. وقد انفرد على بك بعد ذلك بحكم مصر، وفتح الشام والحجاز، وكان مع ذلك لا يستطيع مخالفة الشيخ. وله مع الأمراء والولاة مواقف من الشجاعة والصلابة يطول بنا الحديث عنها. وكان لا يتم أمر من أمور الدولة، إلا بعلمه وإذنه. وكانت له مهابة عظيمة حتى لا يستطيع كثير من جلسائه أن يتوجه إليه بسؤال، وكانت على إحدى عينيه نقطة، ومع ذلك لم يدرك أكثر الناس ذلك ولم يلحظوه. لأنهم كانوا يغضون الطرف عند النظر إلى وجهه.

تولى المشيخة بعد الشيخ الشبراوى، الذى مات فى آخر سمة ١١٧١هـ. . وكان إلى ذلك كله ظريفًا وشاعرًا، يقول الشعر، والمواليا. كان له رفيق اسمه الشيخ حسن شمة، رآه مرة يكتب، فسأله ماذا يكتب؟ فقرأ عليه الشيخ «شمة» هذا البيت:

قالوا تحب المدمس؟ قلت بالزيت حار والعيش أبيض تحبه؟ قلت والكشكار

فضحك الشيخ وقال له: أما أنا فلا أحبه بالزيت حار، بل بالسمن. وأنشده:

قالوا تحب المدمس؟ قلت بالمسلى والبيض مشوى. تحبه؟ قلت والمقلى

وله شىء غير قليل من المواليا، بعضه فى الغزل، وكله رقيق جميل فيه عاطفة وعذوبة، وله شعر رقيق جميل أيضًا، منه:

فلو فتشوا قلبى لألفوا به سطرين، قد خطا، بلا كاتب

العلم والتوحيد فى جانب وحب آل البيت فى جانب

وهذان البيتان، يمثلان حياته إلى حد كبير، فقد كان عالمًا كبيرًا مخلصًا للعلم، ومتصوفًا مؤمنًا طاهر السريرة.

ومن شعره هذان البيتان الرقيقان، اللـذان يفيضان يسرا وإيمانًا ورضاء، وصفاء وروحانية:

خبـز، ومـاء وظل ... هو النعيم الأجل

جحدت نعمة ربى ... إن قلت إنى مقل

وقد عمر طويلاً. حيث مات ظهر يوم السبت السابع والعشرين من ربيع الأول سنة ١١٨١ (١٧٦٧).. وكان يوم وفاته يوم هول وبكاء. وقال فيه الوالى راغب باشا: أنه كان سقفا على أهل مصر، يمنع عنهم نزول البلاء[1].

الإجازات العلمية فى الأزهر القديم

ذكر القلقشندى فى صبح الأعشى صور طائفة من الإجازات التى كان يصدرها أكابر العلماء لتلاميذهم أو لمن يتقدم إليهم من الطلاب، كإجازة التدريس والفتيا والرواية وغيرها (ج١٤ ص ٣٢٢ وما بعدها)، وتصدر هذه الإجازة بعد اختبار الطالب فيما طلب الإجازة فيه.

١- وهذه صيغة إجازة بالفتيا والتدريس على مذهب الإمام الشافعى، أصدرها العلامة سراج الدين أبو حفص عمر الشهير بابن الملقن لأبى العباس القلقشندى صاحب كتاب صبح الأعشى سنة ٧٧٨هـ، وكتبها القاضى تاج الدين بن غنوم موقع الحكم بالإسكندرية، وذلك بعد البسملة والديباجة:

«ولما كان فلان -أدام الله تسديده وتوفيقه، ويسر إلى الخيرات طريقه -ممن شب ونشأ فى طلب العلم والفضيلة، وتخلق بالأخلاق المرضية الجميلة، وصحب السادة من المشايخ والفقهاء، والقادة من الأكابر والفضلاء، واشتغل عليهم بالعلم الشريف اشتغالاً يرضى، وإلى نيل السعادة -إن شاء الله- يفضى، استخار الله تعالى سيدنا وشيخنا وبركتنا، العبد الفقير إلى الله تعالى، الشيخ الإمام العلامة، الحبر الفهامة فريد دهره ونسيج وحده، جمال العلماء، أوحد الفضلاء، عمدة

---

(١) من كلمة للأستاذ محمود الشرقاوى عنه -الأهرام فى ١١/ ١٠/ ١٩٥٤. هكذا ورد فى الطبعة الأولى والثانية.

الفقهاء والصلحاء سراج الدين، مفتى الإسلام والمسلمين، أبو حفص عمر بن الملقن.. إلخ».

«وأذن وأجاز فيه لفلان المسمى فيه، أدام الله معاليه، أن يدرس مذهب الإمام المجتهد المطلق العالم الربانى، أبى عبد الله محمد بن إدريس المطلبى الشافعى، رضى الله عنه وأرضاه، وجعل الجنة متقلبه ومثواه، وإن يقرأ ما شاء من الكتب المصنفة فيه، وأن يفيد ذلك لطالبيه، حيث حل وأقام، كيف شاء متى شاء وأين شاء، وأن يفتى من قصد استفتاءه خطا ولفظًا، على مقتضى مذهبه الشريف المشار إليه، لعلمه بديانته وأمانته، ومعرفته ودرايته، وأهليته لذلك وكفايته.. وكتب فى تاريخ كذا».

٢- وهذه صيغة إجازة أصدرها الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الدايم إلى ولده أبى العباس المسمى نجم الدين أبى الفتح، متضمنة إتقانه لحفظ كتاب (المنهاج) فى الفقه للنووى، وذلك سنة ٨١٣هـ جاء فيها بعد الديباجة: «وبعد فقد عرض على الفقيه الفاضل، نجل الأفاضل، وسليل الأماثل، ذو الهمة العليا، والفطنة الذكية، والفطرة الزكية، نجم الدين أبو عبد الله محمد بن فلان، نفع الله به كما نفع بوالده، وجمع له بين طارف العلم وتالده» -مواضع متعددة من «المنهاج» فى فقه الإمام الشافعى المطلبى رضى الله عنه وعنا به، تأليف ولى الله ابن زكريا بن شرف بن مرى النووى، سقى الله تعالى ثراه، وجعل الجنة مأواه، دل حفظه لها على حفظ الكتاب، كما فتح الله له مناهج الخير دقه وجله، وكان العرض فى يوم كذا».

٣- وكتب العلامة الشيخ عز الدين بن جماعة فى بعض الإجازات ما صورته: كذلك عرض على المذكور باطنها عرضًا حسنًا، محررًا مهذبًا مجادًا متقنا، عرض من أتقن حفظه، وزين بحسن الأداء لفظه، وأجزل لى من عين العناية حفظه، مر فيه مرور الهملاج الوساع فى فسيح ذى السباع، وقد دلنى ذلك منه، نفعه الله تعالى وفتع به، ووصل أسباب الخير بسببه، على علو همته، ووفور أريحيته، وتوقد فكرته، واتقاد فطنته.. وقد أذنت له أن يروى عنى الكتاب المذكور، وجميع ما يجوز لى وعنى روايته، من مصنفاتى وغيرها من

منظوم ومنثور، ومنقول ومعقول ومأثور، بشرطه المعتبر؛ عند أهل الأثر، وكتب فلان بتاريخ كذا..

صور من إجازات الأزهر العلمية فى أواخر القرن التاسع عشر

من صور هذه الإجازات إجازة خطية طويلة عندى، وهى التى كتبها الشيخ الباجورى للعالم الكبير الشيخ نافع الجوهرى الخفاجى التلبانى (١٢٥٠-١٣٣٠هـ- ١٨٣٤-١٩١٢م)، وقد أثبتها فى كتابى «بنو خفاجة وتاريخهم السياسى والأدبى[1]» فلا داعى لذكرها كاملة هنا، وفى آخرها يقول الشيخ الباجورى: «أجزت المذكور بكل ما تجوز لى به الرواية، وما تلقيت من أشياخى - ضاعف الله أجورهم رواية ودراية، وبما لى من تأليف وتصنيف».. والإجازة مذيلة بهذا التوقيع: الفقير إبراهيم الباجورى خادم العلم.

ومع هذه الإجازة صورة أخرى لرجاء من أساتذته الشيخ المبلط والشيخ البدرى والشيخ على محمد، مرفوع إلى شيخ الجامع الأزهر لإعطاء «ولده الفقير نافع خفاجى تذكره أسوة بأمثاله بإكرامه وعدم المعارضة له بطريق ما، وإجازته بكل ما أفتى وما فعل».

ويلى ذلك إجازة شيخ الأزهر له، وجاء فيها: «انتظم المذكور فى سلك العلماء» وأخذ عن الشيوخ الموجودين، فى هذا العصر بعضًا من العلوم، ودأب فى التحصيل فمنح دقائق المفهوم، فأجازه أشياخه بما أخذ عنهم، وتلقاه منهم، ولما أراد الرجوع إلى وطنه، التمس إجازته، بما تجوز له روايته من منقول ومعقول، وتنسب له عن أشياخه روايته، فأجزته بما تجوز لى روايته من منقول ومعقول، وما تنصرف إليه همم أرباب العقول، وعليه العمل بتقوى الله، وأن لا ينسانى من دعواته.

وتاريخ هذه الإجازة العلمية عام ١٢٨٣هـ، وكان من شيوخه فى الأزهر الشيخ إبراهيم السقا والشيخ محمد الأشمونى. والشيخ الخضرى والشيخ مصطفى البدرى والشيخ الرهبينى، والشيخ الرفاعى والشيخ على المبلط وسواهم، وكان مما حضره

---

(١) جـ٣ ص ١٠٥.

من كتب فى الأزهر: الكفرواى وشرح الشيخ خالد، والأزهرية، والقطر، والخطيب، والتحرير والمنهج، وسواها من كتب وشروح وحواش، فى الفقه والحديث والتفسير والنحو والصرف والبلاغة والأدب والأصول والتوحيد والعروض والمنطق وسواها.

صورة إجازة علمية أخرى:

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: فقد سألنى الأخ فى الله الشيخ العالم العلامة والحبر البحر الفهامة الشيخ نافع خفاجى بن الجوهرى خفاجى التلبانى إن أجيزه فى جميع مروياتى من معقول ومنقول من فقه وحديث وتفسير وإفتاء وتدريس، فعلمت لياقته لذلك فقلت: قد أجزته فى جميع مروياتى عن مشايخى، وأوصيه بتقوى الله والوقوف على حدود شريعة رسول الله ﷺ وأن يتحرى فى القول والعمل وأن لا ينسانى من صالح دعواته.. حرر ذلك فى سنة ألف ومائتين وثلاث وثمانين فى شهر جمادى الآخرة، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. الفقير إلى الله تعالى: على ابن أحمد الرهبينى خادم العلم بالحرم الشريف.

إجازات علمية أخرى:

ومن هذه الإجازات مجموعات خطية وقعت لى، ومن إجازاتها:

١- بسم الله الرحمن الرحيم لك الحمد على مرسل آلائك ومرفوعها، ولك الشكر على مسلسل نعمائك وموضوعها بحسن الإنشاء وصحيح الخبر، يا من تجيز من استجازك وافر الهبات، فيغدو موقوفًا على مطالعة الأثر، ما بين مؤتلف الفضل ومتفقه، ومختلف العدل ومفترقه، جيد الفكر سليم الفطر، يجتنى بمنتج قياسه شريف الفؤاد، ويجتبى بمنهج اقتباسه ثمار السداد، ويحلى نفيس النفوس بعقود العقائد الغرر، فإن صادفه مديد الامداد، وصادقه مزيد الإنجاد، وصفا مشربه الهنى ولا كدر، ووجد درر الجواهر ويانعمت الوفادة، بادر عند ذلك بالاستفادة والإفادة، ولا أشر ولا بطر، فبذل المعروف وبدل المنكر، إذ ليس عند

الإصحاح الجوهر، مـا اعتنى وما أقتنى غيرها عـشر، لا يزور ولا يدلس ولا يطهر ولا يكلس ولا يعانى الشـرر، فيامن من على هذا المنقطع الغريب، ومنـحه منحة المتصل القريـب، امنحنى السلام فى داره ونجنى من سقر، ومنك مـوصول صلات صلواتك لا مقطـوعها. وسلسل سلسـبيل تسليـماتك ومجـموعهـا، على سندنا وسيدنا محمد سيد نوع البشر، وعلى آله وأصحابه، وحملة شريعته وأحبابه، ومن اقتفى أثرهم وعلى جهاده صبر.. أما بعد:

فلما كان الإسناد مزية عالية، وخصوصية لهذه الأمة غالية، دون الأمم الخالية، اعتنى بطلبه الأئمـة النبلاء أصحاب النظر، إذ الدعى غير المنسـوب، والقصى غير المحسـوب، وسليم البصيـرة غير أعـشى الفكر.. ولما كان منهم الإمـام الفاضل، والهـمام الكامل، والجـهـبذى الأبر، اللـوذعى الأديب، والألمعى الأريب، ثاقب الفكر، صـاحب النظر، ولدنا السيـد محـمد الهجـرسى الحفناوى، نجـل المرحوم العـلامة السـيـد خليل الهجـرسى، زين الدين الشـافعـى الشرقـاوى، أسكنه الله الفردوس وجنبه سـقر، وظهرت لى نجابتـه أذنته بالتدريس. وأن يتخـذ العلم خير جليس، فشمر عـن ساعده، وظهر ومهر، وطلب منى إجازة ليـتصل بسند سادتى سنده ولا ينفصل عن مددهم مدده، وينتظم فى سلك قد فـاق غيره وبهر. فأجبت وإن لم أكن لذلك أهلاً، رجـاء أن ينشـر العلم وأنال من الله فـضلاً، وأنجـو فى القيامة مما للكاتمين من الضرر، فقلت:

أجزت المومى إلـيه بما تجوز لى روايتـه، أو تصح عنى درايته. مـن كل حديث وأثر، ومن فروع وأصول، ومنقول ومعقـول، وفنون اللطائف والعبر، كما أخذته عن الأفاضل السادة، الأكابر القادة، مسـددى العزائم، فى استخراج الدرر، منهم أستاذنا العلامـة، ولى الله المقرب، وملاذنا الفهامة الكبـير ثعيلب، بوأه الله أسنى مقـر، عن شيخه الـشيخ أحمد الملوى، ذى الـتآليف المفيدة، وعـن شيخه أحـمد الجوهرى الخـالدى صاحب التصـانيف الفريدة، عن شـيخهـما عبـد الله بن سالم صاحب الثبت الذى اشتهر. ومنهم شيخنا محمد بن محمود الجزائرى، عن شيخه على بن عبد القـادر الأمين، عن شيخـه أحمد الجوهرى المذكور المصـون بالعرفان والتمكين، عن شيخه عبد الله بن سالم، ومنهم الشيخ محمد صالح البخارى عن

شيخه رفيع الدين القندهاوى، عن الشريف الإدريسى عبد الله بن سالم راوى أحاديث الأبر، ومنهم سيدى محمد الأمير عن والده الشيخ الكبير، عن أشياخه الذى حوى ذكرهم ثبته الشهير، ومنهم غير هؤلاء رحم الله الجميع ولى وللمجاز ولهم أكرم وغفر، وهؤلاء وغيرهم يروون عن جم غفير، وجمع كثير، كالشيخ الحفنى، والشيخ على الصعيدى، وغيرهما، فمسانيدهم مسانيدى، فما أكرمهم من نسبة وابر، وقد سمع منى المجاز المذكور كتبًا عديدة معتبرة مفيدة، وفقه الله لمحاسن ما به أمر، آمين بجاه طه الأمين.

٢- وكتب تحت هذه الإجازة ما يلى، وهى صورة إجازة أخرى بإمضاء الشيخ محمد خليل الهجرسى:

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين من كل شيطان رجيم، وأفضل الصلاة والتسليم على سيدنا وسندنا ومولانا محمد الرءوف وعلى آله أولى الفضل والهداية الحائزين قصب السبق فى مضمار الدراية والرواية، وبعد فأقول وأنا الحقير المقر بالتقصير محمد خليل الحفناوى الهجرسى قد أجزت بما فى هذه الإجازات الكامل الفاضل الشيخ إبراهيم كراوية الدمياطى، وأنا أوصيه بالتقوى ولا ينسانى من صالح دعواته فإنها السبب الأقوى فى خلواته وجلواته.

وذيلت بتاريخ عام ١٣١٠هـ.

٣- صور إجازة أخرى صادرة من الشيخ شمس الدين الإنبابى:

بسم الله الرحمن الرحيم: نجوز بإجازتك يا الله على صراط الحمد، فنفوز بهدايتك يا وهاب على بساط المجد، ونزيد شكرًا فنزيد أجرًا، ونصلى ونسلم على السيد السند الأعظم، لكل ذى هداية ممن تأخر من العلماء أو من الأنبياء تقدم، إنسان عين حقيقة التوحيد وترجمان لسان القرآن المجيد، مفتاح الرحمة كشاف الغمة، صاحب الشمائل الحسنة. ومصدر مناهل السنة، أصل منبع أصول الحكم، وعين جميع جوامع الأمم، فقه أمته، فأظهرت ملته، فلم تنح نحوها فى تسهيل تفهيم المسائل المهمة أمة، ولم تتصرف تصرفاتها فى العبادات الجميلة الجمة، لها فى تهذيب الطلاب غاية لطافة، وفى الحث على الدأب يحسن الأدب فى آداب

البحث، فيبلغ الطالب فى أسرع مدة من الفنون بلاغة وتسر سريرته بسرور أسرار البلاغة، وغايته أنها رزقت السعد فى علومها وحسن المنطق فى نظم كلامها، لاستنادها فى كل أفعالها على أعلى سند وأقوى أساس، فكانت بذلك كما فى التنزيل خير أمة أخرجت للناس، ثم نصلى ونسلم بعد ذلك على أصحابه الذين سلكوا بنوره أقوم المسالك، وأهل بيته الطاهرين ومن تبعهم من الأولين والآخرين.. أما بعد: فلما كان الإسناد من المزايا العالية إذ فيه حفظ نسب الأرواح، فأولى وأعلى عناية به أسانيد العلماء للطلاب، وكان الدعى غير المنسوب والمنسوب مطلقًا محسوب، اشتدت عنايته العلماء الجهابذة، وفضلاء هذه الأمة الأساتذة قديمًا وحديثًا سواء كان العلم صناعة أم حديثًا بأخذ الأسانيد مسلسلة، وإجازة الآخذين عنهم بعلوم مفصلة، وما عنى بهذا الأمر أشد عناية إلا من صدق وصدق فصادفته العناية، فاستجاز والتمس الإنجاز لحفظ نسبه العلمى، والمقدم على نسبه الجسمى، فابتدر شيخه لإجابته، إذ لاحت منه أمارات نجابته، وأجازه بما أجيز، وأصبح بعز الإفادة أعز عزيز.. وممن اعتنى بعدما اقتنى وقطع المفازة، فطلب الإجازة، ولدنا النبيه النبيل والعالم النجيب الجليل، الفاضل المحقق النحرير، البارع فى الالقاء والتحرير من صدق فى نجابته اختيارى وتفرسى، الحسيب النسيب السيد محمد الهجرسى بن شمس الصلاح، وكوب سعد الفلاح، قائد زمام الحقيقة، وشائد بناء الطريقة، كاشف الغمة عن الطلبة والمريدين، العالم العلامة المرحوم السيد خليل الهجرسى زين الدين بعد أن لازمنى مدة مديدة وأخذ عنى فنونًا عديدة، فلما لاح لى كوكب صلاحه، وفاح لى نشر مسك فلاحه، حيث أقرأ بالجامع الأزهر مهرة الطلاب وأفاد وأجاد، وكشف عن مخدرات التحقيق النقاب، وأخذ من الفنون بأقوى طرف، وزاد فى الاقتداء فى أخذ الأسانيد بمن سلف، فبادرت لطلبه بإعطائه بلوغ أربه، فلم أثن عنه عنان العناية، بل أجزته بما يجوز لى رواية، ويصح عنى دراية، من فروع وأصول، ومنقول ومعقول، وأذنته بالتدريس، وأن يتخذ العلم خير جليس، ليكون فى إفادته العلوم لطالبيها على أحسن سنن، وينتظم بصحيح مرسل درايته فى عقد مسلسل الفضلاء بانتظام حسن، فلا يعضل فى مقام، ولا يوضع له مقام، وليكون أيضًا بذلك

السند فى العلم والشرف ذا غزارة وغـرازة، لأن إجازتى هذه جازت من علو السند أجزل إجزاء وإجازة إذ هى إجازة مشايخى الأعلام، أكابر الشيوخ ومشايخ الإسلام كشـيخى وملاذى وقـدوتى وأستـاذى، البحر الزاخـر، ذى القدر الفـاخر، العلم الفرد، والوبل لا الثرد، بحر التحقيق، حـبر التدقيق، مولى الفوارق، من ضربت به الأمثال السائرة، فى نشـر تآليفه الزاهية الباهرة، علمه سار فـهو الشمس والدنيا فلك المورد العـذب، والمصدر الرحب، مـسدد غلطات الأوهـام، مشـيد عـرفات الأفهام من لا يدرك شاؤه، إذا جورى شيخ الإسلام أستاذى الشيخ الباجورى قدس الله سره، وعظم فيه أجرنا وأجره، فإنه أجـازنى بما تجوز له روايته، وأذن لى فيما تصح عنه درايته من فروع وأصـول، ومنقول ومعقول، بل أجاز إجـازة عامة أهل العصر، وذلك كان فى درسه الحافل بعد العصر، وهو مجاز من شيخيه الإمامين، وأستاذيه الشـهيرين، الهمامين، أحـدهما واحد العصر وعـلامة الأنام، من أصبح كل لسـان من كل إنسان عليـه مثنيـا، الأستـاذ الملاذ شيخ الإسـلام السيـد حسن القويسنى، فإنه أجازه بما حواه ثبت شيخ مشايخ الإسلام، والقدم الراسخ فى مقام العرفان لأهل الإقدام، البـحر العذب الراوى. الأستاذ الشيخ عـبد الله الشبراوى، وبجميع مروياته، ضاعف الله فى حسناته.. كمـا أجاز السيد المذكور بذلك شيخه الهمام الحبـر الشرعى، الأستاذ أبو هريرة داود بن الأستاذ مـحمد القلعى، فكتب الشيخ أبو هريرة المذكور على ثبت العلامة، المتقدم ذكره المشهور.

٤- وبعد ذلك ما يلى، وهو مذيل بتوقيع الفقير إليه تعالى محمد الأنبابى خادم العلم بالأزهر:

بسم الله الرحمن الرحـيم وبه ثقتى، وصلى الله على سـيدنا محـمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد: فقد أخذت العلم عن رجال صالحين، منهم الشيخ أحمد السحيمى بن محمد شارح عبـد السلام فقد أجازنى بضمن ما فى هذا الثبت الذى أجازه به شيخه الشيخ عبد الله الشـبراوى صاحب هذا الثبت، ومنهم الشيخ أحمد الملوى فقد أجزنى بجميع مـروياته، ومنهم الشيخ أحمد الدمنهورى أجازنى بما فى ثبته، وكتب عليـه أنه أجازنى بما فى ضمنه، ومنهم الشيخ محمـد الحفنى حضرت عليه سنين كثيرة، ومنهم الشيخ أحمد البجيرمى، والشيخ عيسى البزاوى، والشيخ

حسن المدابغى، والشيخ محمد المصيلحى، والشيخ عبد الله الشبراوى، والشيخ عطية الأجهورى، والشيخ أحمد القوصى، والشيخ عمر الطحلاوى، وغيرهم ممن يطول ذكره، وقد أجزت بذلك السيد حسن العلوى، ابن السيد درويش، ابن السيد عبد الله القويسنى، وبجميع مروياتى، راجيًا من الله أن لا ينسانى من صالح دعواته.. كتبه داود القلعى، وصلى الله على سيدنا محمد كلما ذكره الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون.. وثانيهما الفرد الذى ليس له ثان، ولا لعنان عنايته فى ميدان أهل العرفان ثان، فإنه جواد العلم السابق الأصم، بل بحره الزاخر الدافق الخضم، أستاذ الأساتذة ومولى الموالى، شيخ مشايخ الإسلام، الفاضل الفضالى المجاز من العلامة الأمير الكبير، بما حواه ثبته الشهير، ومن غيره من الأعلام، والأساتذة الجهابذة الكرام، وكشيخى الإمام علامة الأنام من سارت بفضائله سائر الركبان، وشوهدت طوالع تحقيقاته من مطالع عباراته، فهو أبو السعود. لهذا الوجود، وكشاف لثام الأفهام ولا فخر، ومفتاح أرواح استرواح عبير العرفان ولا نشر، ذى المقاصد الحسنة القوية الصادقة فى كشف مواقف العقول الزكية الفائقة.

فإن يفق الأنام وكان منهم ... فإن المسك بعض دم الغزال

فهو للقطر القطب الذى عليه المعول، وكل مادح فيه مقصر ولو كان مدحه مطولاً، لا زال فى معراج المعارف يرقى، أستاذى وشيخى العلامة السقا، أدام الله لنا وجوده، ووقاه ما يكره ووفاه سعوده، فإنه أعزه الله العزيز الحكيم أعزنى، وبما حواه ثبت العلامة الأمير الكبير أجازنى، وقد أجازه به العلامة الأمير الصغير، عن والده الأستاذ الأمير الكبير، عن أشياخه الأفاضل، والعلماء الأوائل الأماثل، وبما حواه ثبت العالمين، والهمامين، الإمامين، العلمين، صاحبى الفضل العبقرى، الشهاب أحمد الملوى، والشهاب أحمد الجوهرى، وبجميع المرويات لهما من المعقول والمنقول، كتوحيد وتفسير وحديث وفقه ونحو وأصول، كما هو مجاز بذلك عن شيخه العلامة والحبر الفهامة، غاية كل مأرب، ونهاية كل طالب، الأستاذ الأعظم، والملاذ المكرم الشيخ ثعيلب. عنهما وعن شيوخهما الفضلاء، الأئمة الفحول، المعول عليهم فى الفروع والأصول، وبالكتب المأخوذة منها الأحاديث المشمولة لرسالة الفاضل عبد الله بن سالم البصرى، المشهورة

برسالة الأوائل، كما أجازه بذلك شيخه محمد بن محمود محمد ابن حسين الجزائرى، من أكابر الحنفية عن شيخه الشيخ عبد القادر الأمين مفتى المالكية، بالجزائر المحمية، عن شيخه الجوهرى الشافعى، أستاذ أولى اليقين، عن الشيخ عبد الله بن سالم، ملاذ ذوى التمكين، وكما أجازه بذلك أيضًا شيخه شيخ الإسلام، وملجأ الأنام السيد حسن القويسنى بن السيد درويش مطاوع، عن شيخه الشيخ سليمان البجيرمى، عن شيخه الشيخ محمد العشماوى، ذوى النور اللامع، عن شيخه الشيخ أبى العز العجمى، الشهير عن شيخه الشيخ محمد الشرنوبى، ذى العلم الغزير، عن شيخه شمس الملة والدين، محمد الرملى سيد العارفين، عن شيخه شيخ الإسلام زكريا الأنصارى الهمام، عن شيخه الحافظ أحمد بن حجر العسقلانى، وأسانيده فى أوائل الفتح ليس لها ثان، وكما أجازه بذلك أيضًا شيخه السيد حسن القويسنى المتقدم أولاً، عن شيخه السيد القلعى إمام الملا، وسنده يأتى مفصلاً، وكما أجازه بذلك أيضًا شيخه العلامة ثعيلب المار، عن شيخه العلامة الجوهرى، ذى الفخار، عن شيخه العلامة عبد الله بن سالم الفهامة، وكذا أجازنى بما أجازه به مشايخه من منقول ومعقول، كشيخه الناظم بتحقيقه عقود الآلىء، الأستاذ الملاذ ذو الأفضال الفضالى، وكشيخه ذى التجلى الحسنى، الأستاذ شيخ الإسلام القويسنى وكشيخه الشيخ محمد بن محمود الجزائرى الحنفى، صاحب الثبت المستوفى، وكشيخه الشيخ محمد صالح البخارى، عن شيخه رفيع الدين القندهارى، عن الشريف الإدريسى، الإمام العالم، عن أستاذ الأساتذة، الأستاذ عبد الله بن سالم، ثم وقد من الله علينا الكريم البارى بالاجتماع بالشيخ محمد بن صالح البخارى وذلك فى منصرفه إلى الحج الشريف وأخذنا عنه بلا واسطة، ومن جملة ما أخذنا عنه حديث الأولية المنيف، فالحمد لله على ما أولاه، وكشيخى الهمام الآخذ بزمام العلم وأى زمام، مركز دائرة العرفان. والمعنى بنادرة هذا الزمان صاحب العلوم اللدنية، صافى الطوية صادق النية، علم العلم الكسبى ولسان قلم اللوح الوهبى غاية مطلبى ومنتهى أربى سيدى وسندى السيد مصطفى الذهبى، فقد أجازنى بالكتب التى أخذت منها الأحاديث المشمولة لرسالة عبد الله بن سالم الذى صارت مسانيدى

المتقدمة بها موصولة وذلك عن شيخه شيخ الإسلام القويسنى عن شيخه السيد داود القلعى عن الشيخ أحمد جمعة البجيرمى عن شيخه الشيخ الإسكندرانى عن شيخه عبد الله بن سالم المذكور عن أشياخه الموضحة المسطرة بثبته المعروف المشهور وبجميع المرويات جزاه الله عنى أحسن الجزاء، وكشيخى القطب العارف بر العوارف وبحر المعارف التقى النقى والولى الجلى صاحب الصفا والوفا قطب الأزهر الأستاذ الشيخ المبلط مصطفى فقد أجازنى وأعطانى أمنيتى وأمانى بإجازة ما حواه ثبت علامة الزمان وقطب أهل العرفان الأستاذ الشنوانى عن أشياخه الموضحة بثبته وبجميع مروياته، أمدنا الله بمدده وأسكنه فى أعلى غرفاته، وكشيخى شيخ الإسلام وزهرة الأزهر وبهجة الأنام، ذى القدر الجليل الأوحد، والنسب الشهير الأمجد. كما قال فيه بعض واصفيه:

نسب وايم الله لم يسبق ولم   يلحق ولم يرمق إلى إنسان

كيف وهو شيخ الإسلام ابن شيخ الإسلام سلسلة علماء أفاضل جهابذة أعلام، من أشرقت من تحقيقاته شموسى، الأستاذ الأجل مصطفى العروسى، فقد أجازنى بالكتب التى أخذت منها الأحاديث المشمولة برسالة عبد الله بن سالم البصرى وغيرها وهو مجاز فى ذلك عن شيخه شيخ الإسلام القويسنى عن شيخه السيد داود القلعى. بسنده السابق نفعنا الله تعالى بهم ويسر بحبهم أمرك وأمرى.. هذا وأوصيك بالتقوى فإنها السبب الأقوى، وأن لا تنسانى من دعواتك وحسن توجيهاتك أيدك الله بالرشاد وأفاض عليك غيوث الأمداد، وحفظك من الزلل ووفقك لخير العمل. اللهم أحسن عاقبتنا فى الأمور كلها وأجرنا من خزى الدنيا وعذاب الأخرة، وأفضل الصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى للرسل ختام، وآله الكرام، وأصحابه الأعلام آمين وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

٥- ويلى ذلك ما نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله، والحمد لله حمدًا يليق بكماله وصلى الله على سيدنا محمد وآله. يقول الفقير محمد بن محمود بن

محمد بن حسين الجـزائرى الحنفى غفر الله ذنوبه وأناله مطلوبه: إنه قد وقعت لى رواية صحيح البخـارى وبقية الكتب الستة من طرق عديـدة، أشهرها طريق الإمام الحافظ شيخ الإسلام أحمد بن على بن حجـر العسقلانى رحمه الله تعالى ورضى عنه، فأرويه إليـه من طريق سماعى، وقـراءتى على والدى أبى الثناء محـمود بن محـمد، وقد توفى رحـمه الله سنة ست وثلاثين ومـائتين وألف فى منصـرفه من الحج؛ ودفن بساحل سويس وهو بسـماعه، وقرأته على والده عبد الله مـحمد بن حسين قاضى الجزائر المتوفى سنة ثلاث ومائتين وألف، وقد سمعت أنا على جدى رحمه الله قطعة من كتاب فضائل القـرآن من صحيح البخارى، ووقعت منه إجازة تعمـه وبقيـة السنة وهو كذلك عن عمـه ابن أم أبيه الشـيخ مصطفى بن رمـضان القبانى الحنفى المتوفى سنة ثلاثين ومائة وألف وهو كـذلك عن شيخه أبى عبد الله محـمد بن شقـرون المقرى التلمـسانى المتوفى سنة تسع وثمـانين وألف، وهو عن شيخـه أبى على الحسن الأجهـورى المالكى، وأرويه سماعًا لبـعضه وإجازة تعـمه وبقية الستة وسائر مرويات الحافظ العـسقلانى عن شيخى أبى الحسن على بن عبد القادر ابن الأمين مفـتى المالكية بالجزائر المحمية المتـوفى سنة ست وثلاثين ومائتين وألف عن نحو من ثمانين سنة، عن شـيخه أبى العباس أحمـد الجوهرى الشافعى عن شيخه الأستاذ أبى العبـاس أحمد بن البنا عن الشيخ على الأجهورى وهو عن مشايخه الثلاثة: شيخ الإسلام محمد الرملى الشافعى والشيخ المعمر عمر بن الجاى الحنفى والشـيخ بدر الدين الكرخى ثلاثتهن عن شـيخ الإسلام زكـريا الأنصارى؛ ويروية شيخنا ابن الأمين عن شيخه أبى الحسن على بن العربى السقاط المغربى عن شيخـه محمد بن عبد الرحـمن الفاسى صاحب المنح البادية فى الأسانيـد العالية، عن شيخـه محمد بن عبـد الكريم الجزائرى، عن الشيخ المعمـر مائة وثلاثين سنة عبد الرحـمن البهوتى الحنبلى عن الشيخ زكريا الأنصـارى المذكور وهو عن الحافظ أحمد بن علـى بن حجر العسقـلانى وهو عن شيخه إبراهيم بن أحـمد التنوخى، وهو عن شيخه أحمد بن أبى طالب الحجار عن شيخه الحسين بن أبى بكر الزبيدى عن أبى الوقت عـبد الأول ابن شـعيب السنجـرى عن عبـد الرحمن بـن محـمد الداوودى، عن عبد الله بن أحـمد السرخسى عن محـمد بن يوسف الفريزى عن

الإمام الجليل أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى، وأرويه بأعلى سند يوجد فى الدنيا عن شيخى أبى الحسن على بن عبد القادر عن شيخه أحمد الجوهرى عن شيخه أحمد بن البنا عن شيخه أحمد بن محمد العجل اليمنى عن يحيى بن مكرم الطبرى، قال: أخبرنا البرهان إبراهيم بن محمد بن صدقة الدمشقى وغيره بروايتهم عن الشيخ عبد الرحمن بن عبد الأول الفرغانى وكان عمره مائة وأربعين سنة وأجازهم سنة عشرين وسبعمائة وقد قرأ البخارى جميعه على ابن عبد الرحمن محمد بن شاذبخت الفرغانى بسماعه لجميعه على الشيخ أبى لقمان يحيى بن عمار بن مقبل بن شاهان الختلانى، وكان عمره مائة وثلاثة وأربعين سنة، وقد سمع جميعه على بن عبد الله محمد بن يوسف القريزى وقد توفى سنة عشرين وثلاثمائة عن الإمام الحافظ أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى بهذا الأستاذ عشرة رجال فتقع لى ثلاثياته بأربعة عشر ولله الحمد والمنة.

وقد أجاز شيخنا أبو الحسن كل من أدرك حياته، وبينى وبين الحافظ العسقلانى من طريق البهوتى خمسة رجال وبينى وبين الإمام البخارى من طريقة أربعة عشر رجلا، ويروى زكريا عن الأستاذ ابن الجزرى عن الصيرفى عن ابن الليثى عن أبى الوقت فبينى وبين الإمام البخارى بهذا الطريق ثلاثة عشر رجلاً، ويروى أبو الحسن الأجهورى عاليًا عن قريش العثمانى عن ابن الجزرى فيقع لى من طريقه أيضًا بثلاثة عشر ولله الحمد والمنة وبهذه السابقة أروى جميع مؤلفات الحافظ العسقلانى وسائر مروياته التى تضمنها معجمه وبها إلى الشيخ زكريا، أروى جميع كتبه ومروياته، وأروى كتب الإمام الحافظ السيوطى من طريق الأجهورى عن مشايخه الثلاثة المذكورين عن الحافظ السيوطى، وأروى الأربعين النووية بالأستاذ إلى الشيخ زكريا الأنصارى قال: قرأتها على أبى إسحاق الشروطى، قال: أخبرنا بها أبو عبد الله محمد بن أحمد بن على الرفا، قال: أخبرنا العالم أبو الربيع سليمان بن سالم الغزى، قال: أخبرنا أبو الحسن على بن إبراهيم بن داود بن العطار، قال: أخبرنا مؤلفها الإمام محيى الدين يحيى بن شرف النووى فذكرها، وأروى فقه أبى حنيفة رحمه الله تعالى ورضى عنه وعن والدى عن شيخه أبى الحسن على بن إمام القصبة الجزائرى عن الشيخ سليمان المنصورى عن الشيخ عبد الحى عن الشيخ

حسن الشرنبلالى عن الشيخ على المقدسى عن الشيخ أحمد بن يونس الحلبى عن الشيخ عبد الله بن الشحنة عن الشيخ كمال الدين بن الهمام عن الشيخ عمر قارىء الهداية عن شيخه أكمل الدين صاحب العناية، عن قوام الدين السكاكى، عن حسام الدين الفناقى صاحب النهاية، عن حافظ الدين الكبير عن شمس الأئمة محمد ابن عبد الستار الكردى، عن صاحب الهداية عن نجم الدين عمر النسفى عن أبى اليسر البزدوى عن إسماعيل بن عبد الصادق عن عبد الكريم البزدوى عن الإمام أبى منصور الماتوريدى عن أبى بكر الجوزجانى عن أبى سليمان الجوزجانى عن محمد بن الحسن الشيبانى عن أبى حنيفة النعمان بن ثابت، وقد تفقه على شيخه حماد أبى سليمان وهو على إبراهيم النخعى وهو على علقمة والأسود وشريح، وهؤلاء أخذوا عن عمر وعلى وابن مسعود رضى الله عنهم، وهم من رسول الله ﷺ. . . وقرأت على والدى رحمه الله سورة الفاتحة وهو سميع بالاستعاذة والبسملة والوقف على الرجيم والرحيم إلى آخر ما يذكر من وقوفها بقراءته لها كذلك على والده محمد بن حسن، كذلك على عمه الشيخ مصطفى بن رمضان بقراءته لها كذلك على شيخه أبى عبد الله محمد بن شفرون بقراءته لها كذلك على أبى عبد الله محمد الدلجمونى بقراءته لها كذلك على أبى عبدالله محمد الجزرى، وينتهى سنده إلى أن قرأها على سيد المرسلين ﷺ، وكان يمد قراءته مدا، ويقف على قوله الرحيم والرحيم والدين، ونستعين وعليهم الأول والضالين. . . وصاحب شيخنا الشيخ على بن الأمين رحمه الله، وهو صاحب أبى عبد الله محمد التاودى بن سودة وهو صاحب أبى العباس أحمد بن المبارك، وهو صاحب الشيخ عبد العزيز الدباغ وهو صاحب أبى العباس الخضر وهو صاحب النبى ﷺ، وروى المسلسل عن شيخنا على بن الأمين عن شيخه الحفنى، عن شيخه البديرى بسنده، وقد قرأ على الشيخ الإمام الفاضل أبو الحسن ابن أبراهيم بن على بن حسن المعروف بالسقا حفظه الله جل جلاله صحيح البخارى إلى باب الاختباء من كتاب اللباس وسمع ذلك الشيخ الإمام أبو العباس أحمد بن يوسف القنياتى إمام الجامع الأزهر حفظه الله بمنة والشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن محمد مطر العفيفى الشافعى حفظه الله بمنة والشيخ الإمام أبو زيد عبد الرحمن

بن عثمان الدمياطى الغمراوى الشافعى حفظه الله بمنة، والشيخ الإمام أبو الحسن إبراهيم بن حسن الأشعرى الشافعى حفظه الله.. وأجزتهم بباقيه وبجميع مروياتى التى تضمنها هذا الثبت وغيره، وأوصيهم ونفسى بتقوى الله فى السر والعلن والإخلاص له فيما ظهر وبطن ونسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه بمنه وكرمه، وصلى الله على سيدنا محمد وآله، الفقير إليه سبحانه محمد بن محمود بن محمد بن حسين الجزائرى الحنفى المشهور ببلده العنانى لطف الله به وتجاوز عنه بمنة.

٦- صورة إجازة أخرى من الشيخ عبد الهادى نجا الإبيارى:

بسم الله الرحمن الرحيم: الحمد لله الذى فض لمن فضل ختام الفضائل والفواضل وجم لمن جمل بالمعارف أنواء أنواع المآثر التى تتطاول بها أعناق الجحافل فى المحافل وأجاز بأحسن الجوائز كل من جاز على الحقيقة مجاز الرشاد والإرشاد، وجازى بمخاوف الجنة وزخارفها كل من شمر عن ساعد الجهد والاجتهاد.. والصلاة والسلام على من خفقت أعلام علومه فى الخافقين، وشرقت بوحى محامده فى آفاق الكونين فبرقت منها أسارير أوجه الثقلين سيدنا محمد المخصوص بجوامع الكلم والقول الفصل، الذى إليه ينتمى إيراد كل فضل، وينتهى إسناد كل فضل، وعلى آله نجوم الهدى وصحبه الذين فاز من بهديهم اقتدى، وبعد: فلما كان مقام العلم رفعًا، ومكانه مكينًا وحصنه منيعًا، ورياض غياض فضله زاهية زاهرة، توشيحًا وتوشيعًا، تطلع من أفقه نجوم السعادة، وتنبع فى وباء حدائق السيادة. تثمر أدواج فنونه قطوف المنى، وتسفر عن وجوده عز فى الدنيا والآخرة، باهرة السناء والسنا، دأب فى جوز صراطه المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم، وحوز مناطه الكريم، مناط من مدت العلياء أيديها إليهم الحسنة التى أحسن بها الزمان المسىء، والدنا اللوذعى الأريب والألمعى الأديب السيد محمد الهجرسى فخفض جناح الذل منه لتحصيل حاصله، ورفع جناح الفتور عن همته فيه لنيل فيوض فضائله، حتى جنى من روضه الأزهر الأزهرى وبنى من قواعده المتينة صرحًا ممردًا من محاسنه المبينة لا يدركها مدى الأمان خلل، ولا يعترى، وتجمل بلباس الفضل المبين، وتصدر حتى تصدى للتدريس وتصدر فأقرت تقاريره السهلة

الممتنعة فى المقامات الصعبة بتفوقه على أقرانه، وأقرت معاهد تنصيص الدقائق أقدامه، فى مزالق الأقدام وشواهد ثبات جناته، وتطلعت نفسه النفيسة إلى مطالع طوالع عوالى الإسناد، إذ كانت من أجل مطامح أنظار الأمجاد، ومسارح أفكار الأسياد، فأومأ لطلب الإجازة من الفقير بطرف أدب ناعس الجفون، يقول لكل عاشق من أهل الإجازة: كن مجيبًا فيكون، فما وسعنى إلا المبادرة بالإجابة، وإن كنت لست بهذه المثابة من تلك العصابة، فقلت: أجزتك بما تجوز لى روايته، وتجوز فى مناهج الإحسان درايته، من منقول الفنون ومعقولها، ومحلول العلوم ومعقولها، مما تلقيته عن مشيختى الذين كانت تشرق الدنيا ببهجتهم، وتشرق سماء الفضل بنضرة وجه حضرتهم، كحضرة باب فتوحى، ومربى جسمى وروحى، من فتح للعلم والعمل بابًا مرتجا، سيدى وأستاذى الوالد السيد رضوان نجا عن مشايخه أعلام الأمة، وبدور الدياجى المدلهمة، كالعلامة الجوهرى صاحب النهج وغيره والعلامة الصبان والأمير الكبير، وثبتهم شهرته مغنية عن ذكره وكشيخنا شيخ الإسلام العلامة القويسنى والضياء الباجورى وثبتهما أشهر من علم، والفقيه المحدث الشيخ محمد محمود الجزائرى وسنده أعلا سند فى عصرنا يكون لشمم المحدثين أرفع شمم، موصيا لحضرته البهية، بملازمة السنة السنية، والتشبث فى معارك مدارك العلوم بأحسن روية، ليروى ظمأ القلوب حين يروى ويسند، ويروى إليه من الثناء الحسن حين يهدى ويرشد، ويتداركنى بدعاته المقبول كلما خطرت بساحات فكره، وفقنا الله وإياه لما فيه رضاه وأوزعنا القيام بشكره، ما هبت الصبا.

٧- صورة إجازة أخرى:

بسم الله الرحمن الرحيم: يا من يقف المتروك ببابه فيصير مرفوعا مقبولاً، وينقطع الضعيف لعزيز جنابه فيجعله صحيحًا موصولاً، افض متصلات صلواتك، ومسلسلات تحياتك، على الحبيب المرسل، بإقامة معروف الفضائل ومشروعها وأزالة منكر الرذائل وموضوعها، وعلى آله وصحبه والتابعين لآثار سننه، وخلفائه من بعده، الرافعين لأعلام سننه ما رتعت ظباء القلوب فى رياض أحاديثه الخصيبة وهب نسيم القبول على ناشرى برود أخباره بسوح حضرته الرحيبة.. أما بعد:

فلما كان الأسناد أجل مزية تتطاول بها أعناق البزل وأجمل زينة تتجلى بها أجياد الكمل كيف لا وهو الخصيصة المعدودة لهذه الأمة من أشرف المزايا، والمنقبة التى ضربت فى تحصيلها أكباد المطايا والفخار الذى شغف به أعيان السادات والتجارة التى لا تبور فى أسواق الخيرات، وكان الحائز من طارف الرواية وتلادها أعظم الذخائر، المالك لأزمة التحقيق والدراية كابرا عن كابر، قد بلغ من اهتمامه بأمر الدين، وأتباعه سبيل الأئمة المهتدين، إنه لم يدع طريقة من فوائد الرواية إلا سلكها، ولا ثمينة من فوائد الدراية إلا ملكها:

فى المهد ينطق عن سعادة ذاته ... أثر النجابة ساطع البرهان

إن الهلال إذا رأيت نموه ... أيقنت بدار منه فى اللمعان

الجامع بين شرف الذات ونشب الوالد الطالع من مطلع غرته نور طريف المجد والتالد، ولدنا الأجل السيد محمد الهجرسى الحفناوى، سلالة من جاز منقبة النسبتين الروحية والجسمية، وفاز بمزية البنوتين المعنوية والحسية، المرحوم مولانا السيد خليل الهجرسى الشرقاوى نور الله ضريحه المقدس وأسكنه الفردوس الأقدس وكان المومى إليه من كثرة كماله، شاهد شاهدا فى سنى أحواله، فظن أن عندى إسنادًا مفيدًا[1]، أو لدى من عزيز المطالب ضالة، وما درى أنى ما حل المحل من التروى بمعينه، عاطل الجيد من التحلى بثمينه، لكن لما كانت رابطة المحبة تقتضى الإمارة وامتثال الأمر بمجرد الإشارة لبيت سؤاله، وامتثلت أمره ومقاله، فأقول قد أجزت ولدنا السيد محمد المومى إليه بما سمعته منه من حديث المسلسل بالأولية وبجميع ما تجوز عنى روايته، وتتقوى بسندى درايته، من مقروء وسموع مجاز، وما بالمناولة له فى قوانين الرواية مساغ وجواز إجازة تامة مطلقة

---

(١) قال الشيخ محمد الهجرسى يعلق على ذلك ما نصه: سبب ذلك أن جناب الأستاذ المومى إليه أخبرنى أنه يروى صحيح البخارى بأعلا سند يوجد فى الدنيا فظننت بل جزمت أنه ربما كان ذلك طريقًا غير الطريق الذى أخذ أستاذنا الإمام السقا فجئت وقرأت عليه أول البخارى فى منزله هذا العام وأجازنى بباقيه وحرر لى هذه الإجازة بناء على طلبى من جنابه مجرد سنده العالى الذى ادعى به فإذا بها مشتملة على هذا السند وقد اشتمل على اثنى عشر أولاً كسندى الذى أخذته فى الأول عن إمامى السقا وأنا صغير وعلى أحد عشر. ثانيًا بعد التصحيح الآتى فسندى عن السيد إمام القصبى أعلا سند كما سيأتى لك بيانه تفصيلاً عند ذكر السند.

عامة بالشرط المعتبر، عند أهل الأثر، ولى بحمد الله تعالى فى جميع العلوم أسانيد كثيرة وطرق واضحة شهيرة عن مشايخ يستومض من جواهر عباراتهم لمعات من بروق الله نور السموات، ويستفتح من أزهار إشاراتهم نسمات إن لربكم فى أيام دهركم نفحات، الذين منهم الإمام المحقق، والهمام المدقق، المرحوم سيدى وأستاذى السيد الشيخ يوسف كساب الغزى مولدا، المدنى إقامة ومدفنا، عن مشايخه الذين منهم الشيخ محمد المرحوم الأمير الصغير، عن والده المرحوم الشيخ محمد الأمير الكبير، من ثبته بين العالمين شهير، ومنهم المرحوم الشيخ محمد عليش المالكى والأشعرى الشاذلى المتصل سنده أيضا إلى الشيخ محمد الأمير صاحب الثبت العزيز، ومن أشياخ المومى إليه الشيخ عوض الصعيدى السنباوى والشيخ حسن حميد الصعيدى العدوى والشيخ إبراهيم الصعيدى الملوى، والشيخ فراج البحيرى والشيخ عبد الجواد البحيرى الشباسى والشيخ يوسف الصاوى والشيخ محمد حبيش البحيرى والشيخ حسن الأبطحى البحيرى والشيخ محمد السباعى والشيخ أحمد السباعى والشيخ على المغربى الحلو والشيخ محمد الأمير، وذكر فى سنده أن هؤلاء السادات كلهم تلاميذ الشيخ الأمير الكبير والشيخ مصطفى البولاقى[1]، تغمدهم الله برحمته وأسكنهم بحبوحة جنته، وقد كان رحمه الله تعالى كتب لى هذا السند بعد قراءتى عليه بعض الأحاديث حين قدومه لزيارة النبى ﷺ وإقامته تلك المدة فى دارى.. ومن مشايخى الأستاذ الطود الأشم الكامل، والجهد الألمعى الواصل سيدى الشيخ السيد محمد العطوشى الطرابلسى مولدا، المدنى إقامة. ومدفنًا، تغمد الله الجميع بالرحمة والرضوان، وأنا لهم بجوار حبيبه أعلا الجنان، متكئين فيها على الآرائك لا يرون فيها شمسًا ولا زمهريرا، يقال لهم إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا. هذا وللتبرك بذكر أعلا سند لى فى صحيح البخارى أقول أرويه عن شيخى محمد العطوشى

---

(١) قال الشيخ الهجرسى تعليقًا على ذلك: هذا العطف يوهم بل يفهم أن الشيخ البولاقى من مشايخ العلامة الشيخ عليش الذى منهم العلامة الأمير الصغير، والذى اعرفه من أستاذى الإمام السقا بل أعلم أيضًا من شيخى الشيخ عليش المومى إليه أن الشيخ البولاقى من مشايخ الشيخ المومى إليه فهو فى مرتبتهم ولربما كان الأمير الصغير مقدمًا عليه فيها كما هو عندنا فى الأزهر شهير، فلعل فى هذا العطف تأخيراً من تقديم أو سهو وقع عند سماع ثبت المشايخ فظن السامع أن البولاقى فى درجة الأمير الكبير.

المشار إليه عن شيخه محمد بن شنه عن أبى الوفا أحمد بن محمد بن العجل عن قطب ألدين محمد بن أحمد النهروانى عن والده عن الحافظ نور الدين أبى الفتوح أحمد بن عبد الله الطاوسى عن المعمر الملقب بأبى يوسف الهروى عن محمد بن شاذبخت الفرغانى عن المعمر أبى لقمان يحيى بن عمار الختلانى عن أبى عبد الله محمد بن يوسف القريزى عن سيد حفاظ الإسلام محمد بن إسماعيل البخارى فيكون بينى وبين البخارى أحد عشر رجلا لكن قد ذكر الشيخ عبد الخالق بن على الجرجانى عن الحافظ نور الدين أبى الفتوح الطاوسى بلا واسطة والده وعليه فيكون بينى وبين البخارى، عشرة رجال. قال أستاذى صاحب هذا السند: لا أعلم فى الدنيا سندًا أعلا من هذا السند.. هذا وإنى أوصى ولدنا السيد محمد الموصى إليه بما أوصى به نفسى من مراقبة مولاه فى سره ونجواه، والله أسأل أن يجعلنى وإياه وجميع إخواننا من العلماء العاملين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. وجاء فى آخر هذه الإجازة ذكر تاريخها وهو السابع بعد العاشر من الواحد بعد العاشر من العاشر من الرابع بعد العاشر من هجرته ﷺ.. وفى ذلك ما يفيد أن تاريخ هذه الإجازة هو ١٧ من ذى القعدة عام ١٣١٠هـ.

الإجازات العلمية فى الأزهر الحديث

كانت شهادات الأزهر فى نظامه القديم قبل النظام الحديث هى:

١- العالمية النظامية وكان ينالها من أتم دراسة القسم العالى، وهى فى قيمتها العلمية والمادية كدبلوم مدرسة المعلمين العليا وليسانس الحقوق والآداب.

٢- شهادة التخصص القديم وكان يمنحها الأزهر بعد العالمية، لمن قضى دراسة مهنية تربوية يعلم فيها طرائق التدريس وما يتصل بها، مع ثقافة تكميلية لتعويض ما كان فى المستوى العلمى من ضعف حينذاك. وقيمتها قيمة دبلوم معهد التربية للمعلمين.

أما الشهادات التى تعطى للناجحين فى الآمتحانات النهائية وفق النظام الحديث فهى:

١- الشهادة الابتدائية - لمن أتموا دراسة القسم الابتدائى بأعوامه الأربع، وتخول صاحبها الاندماج فى القسم الثانوى.

٢- الشهادة الثانوية لمن أتموا دراسة السنة الخامسة من القسم الثانوى وتخول صاحبها الاندماج فى الكليات، ودار العلوم، والتدريس فى مدارس التعليم الأولى.

٣- الشهادة العالية لمن أتموا دراسة كلية من كليات القسم العالى، والحائزون لها يكونون أهلا للوظائف الكتابية بالجامع الأزهر، والمعاهد الدينية، والمحاكم الشرعية، والمجالس الحسبية، والأوقاف، والتدريس فى المساجد ولوظائف الخطابة، والإمامة والمأذونية.

٤- شهادة العالمية لمن أتموا دراسة التخصص فى مهنة التدريس أو القضاء الشرعى أو الوعظ والإرشاد. . والحائزون لها من قسم التخصص فى مهنة التدريس يكونون أهلا للتدريس فى المعاهد الدينية وفى مدارس الحكومة. والحائزون لها من قسم التخصص فى القضاء يكونون أهلاً للوظائف القضائية بالمحاكم الشرعية والافتاء والمحاماة أمام المحاكم الشرعية والمجالس الحسبية. والحائزون لها من قسم التخصص فى الوعظ والإرشاد يكونون أهلاً لوظائف الوعظ والإرشاد.

٥- شهادة العالمية مع لقب أستاذ لمن تخصص فى مادة من المواد، والحائزون لها يكونون أهلاً للتدريس فى الكليات وفى أقسام التخصص.

الكليات وما تمنحه من شهادات

١- كلية الشريعة وتمنح الشهادات الآتية:

أ- شهادة الدراسة العالية ومدتها أربع سنوات. والمواد التى تدرس للحصول عليها:

التفسير: الحديث متنا ورجالا ومصطلحًا، أصول الفقه، الفقه مع حكمة التشريع ومقارنة المذاهب فى المسائل الكلية، تاريخ التشريع الإسلامى، المنطق، الفلسفة، لغة أجنبية (الإنجليزية أو الفرنسية) وتدرس بصفة اختيارية.

ب- شهادة العالمية مع أجازة القضاء. والمواد التى تدرس للحصول عليها بعد النجاح فى الشهادة العالية.

قوانين ولوائح المحاكم الشرعية والأوقاف والمجالس الحسبية، التوثيقات الشرعية، إجراءات وتمرينات قضائية ودراسة القضايا ذات المبادئ السياسية الشرعية، القانون الدولى الخاص، تاريخ القضاء والقضاة فى الإسلام، النظام الدستورى للدولة، محاضرات فى مبادئ الاقتصاد، محاضرات طبية، محاضرات فلكية، لغة أجنبية اختيارية، وهى التى درست فى الكلية.

جـ- شهادة العالمية من درجة أستاذ فى الفقه والأصول. والمواد التى يتخصص فيها للحصول عليها بعد النجاح فى الشهادة العالية:

الأصول، الفقه مع حكمة التشريع ومقارنة المذاهب وتاريخ التشريع الإسلامى.

٢- كلية أصول الدين، وتمنح الشهادات الآتية:

أ- شهادة الدراسة العالية فى أصول الدين والعلوم التى تدرس للحصول عليها هى:

التوحيد: التفسير، الحديث متنًا ومصطلحًا ورجالا، المنطق وأدب البحث، الأخلاق، الفلسفة، الأصول، التاريخ الإسلامى، علم النفس، لغة أجنبية (الإنجليزية أو الفرنسية).

ب- شهادة العالمية مع الإجازة فى الدعوة والارشاد. والمواد التى تدرس للحصول عليها بعد النجاح فى الشهادة العالية هى:

القرآن الكريم وعلومه، الحديث الشريف وعلومه، الدعوة إلى سبيل الله ووسائلها، الخطابة والمناظرة، الملل والنحل والمذاهب الفقهية وتواريخها، البدع والعادات، اللغة الأجنبية التى درست فى الكلية، لغة شرقية.

جـ- شهادة العالمية مع درجة أستاذ فى التوحيد والفلسفة. والمواد التى تدرس للحصول عليها بعد النجاح فى الشهادة العالية هى:

التوحيد، المنطق، الفلسفة، الأخلاق.

د- شهادة العالمية مع درجة أستاذ فى علوم القرآن الكريم والحديث الشريف. والمواد التى تدرس للحصول عليها بعد النجاح فى الشهادة العالية هى:

التفسير، علوم القرآن الكريم، الحديث وعلومه.

هـ- شهادة العالمية من درجة أستاذ فى التاريخ الإسلامى والمواد التى تدرس للحصول عليها بعد النجاح فى الشهادة العالية هى التاريخ الإسلامى وما يلزمه من دراسات.

٣- كلية اللغة العربية، وتمنح الشهادات الآتية:

أ- شهادة الدراسة العالية فى اللغة العربية. والعلوم التى تدرس للحصول عليها هى:

النحو، الصرف، الوضع، فقه اللغة، الأصول، الانشاء، علوم البلاغة: (البيان والمعانى والبديع)، الأداب العربية وتاريخها، العروض والقافية، التفسير، الحديث، المنطق، الفلسفة، المطالعة، الأدب المقارن، علم الاجتماع، الخط، الجغرافيا، التاريخ السياسى، النقد الأدبى، لغة أجنبية: الإنجليزية، والفارسية، والعبرية، والتركية، والأخيرة بصفة اختيارية، وتعطى عليها مكافأة شهرية قدرها جنيه لعشرة طلاب.

ب- شهادة العالمية مع الإجازة فى التدريس. والمواد الى تدرس للحصول عليها بعد النجاح فى الشهادة العالية هى:

علم النفس العام، علم النفس التعليمى، أصول التربية والطرق العامة والتنظيم المدرسى، تاريخ التربية العملية، طرق التدريس الخاصة، الأخلاق، تدبير الصحة المدرسى، الرسم، تجويد الخط، التربية البدنية، لغة أجنبية اختيارية وهى التى درست فى الكلية.

جـ- شهادة العالمية من درجة استاذ فى النحو. والمواد التى تدرس للحصول عليها بعد النجاح فى الشهادة العالمية هى:

النحو، الصرف، الوضع، فقه اللغة، العروض والقافية، وتدرس مبادئ اللغتين العبرية والسريانية.

د- شهادة العالمية من درجة أستاذ فى البلاغة والأدب، والمواد التى تدرس للحصول عليها بعد النجاح فى الشهادة العالية هى:

علوم البلاغة وتاريخها، الأدب العربى وتاريخه، العروض والقافية، النقد الأدبى، مبادئ اللغتين العبرية والسريانية. ومدة الدراسة للحصول على شهادة الدراسة العالية أربع سنوات، وللحصول على شهادة العالمية مع الإجازة سنتان. ومدة الدراسة للحصول على شهادة العالمية من درجة أستاذ لا تقل عن ست سنوات، ولا تزيد على ثمانى سنوات.

وهذه صور من شهادات الأزهر الحديث:

١- بسم الله الرحمن الرحيم - براءة بمنح شهادة العالمية، من فؤاد ملك مصر بعناية الله تعالى، إلى حضرة الشيخ نافع محمد نافع الخفاجى الشافعى من تلبانة مركز المنصورة مديرية الدقهلية- رفع إلينا صاحب العزة وزير الأوقاف ما أقره مجلس الأزهر الأعلى فى ١٤ ربيع الثانى ١٣٥١هـ ١٦ أغسطس ١٩٣٢، من نجاحكم فى امتحان شهادة العالمية الذى أجرى بالجامع الأزهر فى سنة ١٣٥٠هـ لذلك أمرنا بإصدار براءتنا هذه من ديواننا بمحكم شهادة العالمية، مع حقوقها التى تخولها لكم القوانين والأوامر المتبعة نفع الله الناس بعلمكم، ووفقكم لما فيه الخير- تحريرا فى ٢٣ محرم سنة ١٣٥٢هـ من هجرة خاتم المرسلين.

٢- بسم الله الرحمن الرحيم - المملكة المصرية - الجامع الأزهر والمعاهد الدينية العلمية الإسلامية - الشهادة العالية بكلية اللغة العربية - استحق هذه الشهادة الأستاذ محمد عبد المنعم عبد المنعم خفاجى بن عبد المنعم عبد المنعم خفاجى بن عبد المنعم خفاجى المولود سنة ١٩١٥ فى تلبانة مركز المنصورة مديرية الدقهلية، بعد أن نجح فى امتحانها المنعقد سنة ١٣٥٩هـ ١٩٤٠م- والله أسأل أن يوفقه لخدمة العلم والدين- شيخ الجامع الأزهر - محمد مصطفى المراغى- القاهرة فى صفر ١٣٦٠هـ- ١٩٤١م.

٣- بسم الله الرحمن الرحيم - براءة بمنح شهادة العالمية من درجة أستاذ فى البلاغة والأدب- من ملك مصر بعناية الله تعالى، إلى حضرة الأستاذ محمد عبد المنعم عبد المنعم خفاجى الحنفى، من تلبانة بمركز المنصورة بمديرية الدقهلية، رفع إلينا حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ما أقره المجلس

الأعلى للأزهر فى ٢٤ ربيع الأول ١٢٣٦٦هـ - ١٥ فبراير ١٩٤٧، من نجاحكم فى امتحان شهادة العالمية من درجة أستاذ فى البلاغة والأدب الذى أجرى فى سنة ١٣٦٥هـ لذلك أمرنا بإصدار براءتنا هذه من ديواننا بمحكم هذه الشهادة مع حقوقها التى تخولكم إياها القوانين والأوامر المتبعة، نفع الله الناس بعلمكم ووفقكم لما فيه الخير.

إصلاحات جديدة فى الأزهر

١- مما جد على الأزهر من إصلاحات: إنشاء قسم للوعظ، يتبعه الوعاظ من العلماء فى جميع القطر المصرى، ويصدر قسم الوعظ مجلة اسمها «نور الإسلام»، وعندما بدأ قسم الوعظ سنة ١٩٢٨ كان عدد الوعاظ فيه نحو أربعة، وهم الآن نحو ٢٥٠ واعظًا من العلماء.

٢- وكذلك إنشاء مراقبة البحوث والثقافة الإسلامية فى يوليو ١٩٤٥، وإنشاء وحدة طبية كاملة للأزهر عام ١٩٤٧.

٣- وكذلك إنشاء كثير من المعاهد الدينية الابتدائية والثانوية فى عواصم المديريات وبعض المدن الكبرى، ويبلغ عددها الآن نحو ٢٥ معهدًا، ومن أقدمها: معهد الإسكندرية ومعهد طنطا، وأسيوط، والزقازيق ودمياط ودسوق، ثم أنشىء معهد شبين الكوم والمنصورة وقنا وسوهاج والمنيا ومنوف، وفى عهد الثورة أنشىء معهد فى دمنهور وآخر فى بنها.. إلى غير ذلك من المعاهد الدينية العديدة التى هى فروع صغيرة للجامعة الأزهرية الكبرى.

٤- وكذلك إنشاء مجلة الأزهر، فقد رأت مشيخة الأزهر بعد أن استقر فيه النظام الجديد الذى وضع له، أن تجعل لهذه الجامعة الدينية العالمية مجلة تحمل رسالتها إلى جميع البلاد الإسلامية، لتكون صلة علمية بينها وبين جميع الشعوب التى تدين بالدين الحنيف فى مشارق الأرض ومغاربها، ولتحمل إلى القائمين بتعليم الدين فيها ما تثمره قرائح حفظته مما يزيد فى مادته ثروة جديدة، أو ما يتأدون إليه نظام مفيد، فظهرت هذه المجلة باسم «نور الإسلام» فى أول محرم من سنة ١٣٤٩هـ - ١٩٣٠، وكان ذلك فى عهد المرحوم الشيخ محمد الأحمدى

الظواهرى، ويؤثر عنه أنه بذل فى إقامة صرح هذه المجلة مجهودًا محمودًا. ولما تولى المشيخة المرحوم الشيخ محمد مصطفى المراغى نظر إلى هذه المجلة نظرة تشجيع ورأى أن يغير اسمها إلى «مجلة الأزهر» بدل مجلة نور الإسلام. وقد سر الناس بظهور المجلة، واتسع انتشارها حتى بلغ ما يطبع منها حدا لم تبلغه مجلة إسلامية قبلها فى البلاد العربية.. كان مما يكتبه فيها أعلام الأزهر بحوث فى التفسير والحديث، وبحوث تحض على إحياء السنة وإماتة البدعة، والدعوة إلى الفضائل. ثم اتسع ميدان الكتابة فيها، فأخذت تفند ما تسرب إلى بعض المقلدين من الشبهات والشكوك، محمولة بين ثنايا المعارف المدرسية الحديثة، وما تنشره المجلات العلمية من المباحث فى الطبيعيات، وما تلم به أحيانًا من المعضلات فى مختلف الفلسفات. فكانت مجلة الأزهر فى تلك المواقف حائلاً قويًا بين تلك الموجات العنيفة والدين، على أسلوب علمى بحت، وبأسلحة من الطراز الذى يهاجم به الدين فى أخص ما يدعو إليه.

وطار صيت مجلة الأزهر فى الآفاق الإسلامية، بما كان يقتطفه منها كتاب تلك الأقطار، وما يترجمه عنها المشتغلون منهم بالصحافة، فكان أثرها بعيدًا فى حماية العقائد، وتقويم المذاهب، وطمس معالم البدع، وتحلية الدين الحق فى صورته الصحيحة.

ولما تولى مشيخة الأزهر المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق رغب فى أن تكون مجلة الأزهر مستكملة لنظم المجلات الجامعية، فوضع لها قانونًا، وحدد المواضيع التى تطرقها، ووضع لها نظامًا، وشجع على السير بها قدمًا بكل ما استطاع من وسيلة.

وكان من أجل ما قامت به هذه المجلة من خدمات، تلك الصلة الكريمة التى أوجدتها بين المسلمين فى البلاد كافة وبين الأزهر، فإن لهذه الصلة أثرًا أدبيًا يظهر فعله فى الأخلاق والآداب، إن لم يكن عاجلاً، فعلى مدى الأيام والسنين، وكان لابد من إيجاد هذه الصلة فى هذا العهد.

وقد تولى إدارة المجلة علماء ممتازون، منهم الأستاذ الكاتب العالم محمد فريد وجدى المتوفى فى ٦ فبراير ١٩٥٤.. وفى عهد مشيخة الشيخ عبد المجيد سليم الثانية عهد بإدارة المجلة إلى الأستاذ أحمد حسن الزيات.

ثم تولى إدارتها بعده الأستاذ الكبير الشيخ محمد عرفة عضو جماعة كبار العلماء، ثم الشيخ محمد عبد اللطيف السبكى عضو الجماعة كذلك.

ومنذ المحرم ١٣٧٤هـ بدأت المجلة تصدر مرتين فى الشهر بدلا من مرة واحدة.

المكفوفون فى الأزهر:

امتاز الأزهر عن جميع المعاهد العلمية والجامعات الكبرى بمزيد الاهتمام وعظيم الرعاية والعناية بالطلبة المكفوفين، فهو يحتضنهم ويمدهم بالإعانات الرتيبة فى كل شهر، ويكفل لهم الاستقرار فى حياتهم المدرسية، وهم فى منهاج تعليمهم كالمبصرين سواء بسواء، ماعدا المواد التى لابد فيها من الإبصار، كالعلوم الرياضية والتجارب العلمية فى الطبيعة والكيمياء، وتصدر لهم براءات ملكية من ولى الأمر عند انتهاء دراساتهم كالمبصرين، ويضمن لهم مستقبلهم، إذ يمتهنون بعض المهن العلمية فى الدولة: كالتدريس والأمامة والخطابة والوعظ والإرشاد.

ولقد تخرج فى الأزهر كثير منهم، كان لهم القدح المعلى فى الثقافة العامة والتربية والتعليم، واشتهر منهم كثير فى الأزهر، والميادين العلمية قديمًا، كالشيخ القويسنى وقد وصل بشهرته ومكانته إلى مشيخة الإسلام فى الأزهر سنة ١٢٥٠هـ، وحديثًا: كالشيخ حسين زين المرصفى، والشيخ على الصالحى، والشيخ محمد ماضى الرخاوى، والشيخ إبراهيم الحديدى، والشيخ يوسف الدجوى، والشيخ سالم البولاقى، والشيخ عبد المطلب برعى، والشاعر الفحل الشيخ أحمد الزين، وكان له فى دار الكتب الملكية آثار محمودة فى البحوث الأدبية والعلمية.

ومن بين هؤلاء من لم يتم دراسته فى الأزهر ولكنه نجح فى الحياة، وطار صيته فى الآفاق كل مطار، كالدكتور طه حسين.. وقد سافر فى بعثة دراسية إلى فرنسا الأستاذ فتحى عبد المنعم وهو من مدرسى الأزهر المكفوفين.

لجنة الفتوى بالأزهر

كانت ترد إلى مشيخة الأزهر من الأقطار الشقيقة وغيرها استفتاءات كثيرة فى مسائل دينية متنوعة، يطلب أصحابها الافتاء فيها على مذهب معين، أو من غير

تقيد بمذهب من المذاهب.. ولما كانت تلك الاستفتاءات وما يصدر فيها من فتاوى على جانب عظيم من الأهمية، لما لها من وثيق الصلة بأحوال الناس الشخصية والاجتماعية وغيرها، ثم هى وسيلة من وسائل نشر أحكام الشريعة الإسلامية الغراء على وجه صحيح بين جمهور المسلمين. ونظراً إلى ما يتطلبه هذا العمل العلمى الدينى الجليل من جهد وما يستنفده من وقت فى البحث والدرس، فقد رأى المغفور له الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الأزهر الأسبق أن تضطلع بهذا العمل لجنة خاصة من جهابذة العلماء، فأصدرا قراراً بتكوينها فى ١٢ من جمادى الأولى سنة ١٣٥٤هـ ١١ من أغسطس سنة ١٩٣٥ -من رئيس وأحد عشر عضواً، منهم ثلاثة من علماء الحنفية، وثلاثة من المالكية، وثلاثة من الشافعية، واثنان من الحنابلة. ومنذ تألفت اللجنة وهى دائبة على أداء واجبها بعقد اجتماعات تتوافر فيها على بحث ما يرد إليها من استفتاءات بحثًا وافيًا مستفيضًا، ثم تجيب عليها مبينة حكم الشرع فيها، إما وفق أحكام مذهب معين إن طلب السائل ذلك، وإما بغير تقيد بمذهب فتكون الإجابة على وفق ما تقتضى به القواعد العامة المأخوذة من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وإجماع المسلمين أو القياس الصحيح الموافق لقواعد الدين العامة والملائم لصالح المسلمين.

وليس أدل على عظيم أثرها وجليل نفعها من أنها تصدر نحو ٣٥٠ فتوى سنويًا وقد تعاقب على رياستها من أول تكوينها إلى الآن، حضرات أصحاب الفضيلة: المغفور له الشيخ حسين والى والمغفور له الشيخ محمد عبد اللطيف الفحام والمغفور له الشيخ محمد مصطفى المراغى والمغفور له الشيخ محمد مأمون الشناوى والشيخ عبد الرحمن حسن والشيخ عبد المجيد سليم والشيخ إبراهيم حمروش والشيخ محمد العنانى.

مجلس الأزهر الأعلى

وللأزهر مجلس أعلى أنشىء بمقتضى القانون رقم ١٩١١، ويؤلف من شيخ الأزهر، ووكيله، ومفتى الديار المصرية، ومشايخ الكليات، ووكلاء وزارات المالية والعدل والمعارف والأوقاف، واثنين من هيئة كبار العلماء، واثنين من كبار رجال التعليم ويعينان لمدة سنتين.

العلماء والطلاب:

لا يوجد فى السجلات ذكر لعدد علماء الأزهر إلا من سنة (١٢٨٧هـ- ١٨٧٥م) بيد أنه يوجد إحصاء عام قبل ذلك بلغ ٢٥٢ عالمًا، وذلك قبل صدور قانون نظام الامتحانات فى عهد الشيخ المهدى العباسى أى فى سنة ١٢٨٧هـ، ونفذ فى سنة ١٢٨٨ . وكان عدد الشيوخ المدرسين بالأزهر فى هذا العام ٣٦١ شيخًا.

ونذكر هنا أن العلماء الذين يزاولون التدريس فى الأزهر -كلياته ومعاهده- يبلغ عددهم الآن نحو ١٢٣٥ مدرسًا، وكذلك الوعاظ يبلغ عددهم الآن نحو عشرين ومائتى واعظ. وذلك خلاف باقى الموظفين فى غير التدريس والوعظ بالأزهر ومعاهده.

إحصاء عام للطلبة بالأزهر:

فى سنة ٣٧٨ هـ بلغ عددهم ٣٥ طالبًا وفى سنة ٨١٨ بلغ عددهم ٧٥٠ طالبًا وفى سنة ١٢٦٣ بلغ عددهم ٧٤٠٣ طلاب وفى سنة ١٢٧٢ بلغ عددهم ٥٩٤٠ طالبًا وفى سنة ١٢٨٢ بلغ عددهم ٢٨١٧ طالبًا[١] وفى سنة ١٢٩٢ بلغ عددهم ١١٠٩٥ طالبًا وكان عدد العلماء فى هذا العام ٣٢٥ عالمًا. . وفى سنة ١٢٩٣ بلغ عددهم ١٠٧٨٠ طالبًا[٢] وفى سنة ١٣١٩ بلغ عددهم ٨٢٥٩ طالبًا وفى سنة ١٩٠٢م بلغ عدد الطلبة ١٠٤٠٣ طلاب وفى سنة ١٩٠٦ بلغ عددم ٩٠٦٩ طالبًا[٣]. وفى سنة ١٩١٦ بلغ عددهم ١٥٣٣٥ طالبًا وفى سنة ١٩٢٠ بلغ عددهم ١٣٢٨٠ طالبًا وفى سنة ١٩٢٦ بلغ عددهم ١١٩٧ طالبًا وفى سنة ١٩٢٩ بلغ عددهم ١٠٦٨٠ طالبًا وفى سنة ١٩٣٣ بلغ عددهم ٨٩٤٥ طالبًا وفى سنة ١٩٣٨ بلغ عددهم ١٣١٦٣ طالبًا وفى سنة ١٩٤١ بلغ عددهم ١٤١١٦ طالبًا وفى سنة ١٩٤٧ بلغ عددهم ١٧٥١٤ طالبًا.

ميزانية الأزهر:

وكانت ميزانية الأزهر عام ١٨٩٢م مبلغ ٤٣٧٨ جنيهًا حيث كانت مرتبات العلماء ضئيلة فى ذلك العهد. فكان مرتب العالم ذى الدرجة الأولى مائة

---

(١) سبب هذا النقص قيام الثورة العربية مما دعا الطلبة إلى الهجرة إلى بلادهم.

(٢) راجع الخطط التوفيقية جـ٥ ص ١٤.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية.

وخمسين قرشًا. وذى الدرجة الثانية مائة قرش، وذى الدرجة الثالثة خمسة وسبعين قرشًا، وكانت المرتبات محددودة العدد. فكان المدرس الجديد لا يمنح مرتبًا إلا إذا توفى أحد المستحقين من قبل، ويكتفى بالجراية. وفى ذلك العهد لم يكن فيه إحالة على المعاش. فالعالم يتقاضى مرتبه إلى الوفاة. وبقى الحال كذلك إلى سنة ١٩٠٩م. ففى ذلك التاريخ طلب العلماء من أولياء الأمور النظر فى حالة الأزهر بما يلائم حال العصر من وضع الدرجات ورفع المرتبات، حتى تتسع لكل العلماء المدرسين، مع طلب إصلاحات أخرى، ولما رأى أولياء الأمر أن حالة الأزهريين اشتدت، وانقلبت الحالة إلى ثورة جامحة استغلتها بعض الأحزاب السياسية، قرروا إجابة طلبهم أولاً فى وضع الدرجات، وإن المدرس يتقاضى ثلاثة جنيهات شهريًا -وقد كان مرتب الشيخ محمود أبى العيون المدرس فى الأزهر بعد تخرجه عام ١٩٠٨ خمسة عشر رغيفًا، وظل يتناول هذا الأجر إلى يونيه سنة ١٩٠٩م، فرتب له ثلاثة جنيهات كزملائه.

ومن ذلك الوقت بدأ الأزهر يسير فى طريق النظم المالية فى الدولة.

وفى سنة ١٩١٢ بلغتا ميزانية الأزهر ٥٩٩٢٤ جنيهًا -وفى سنة ١٩٢٠ بلغت ٢٠٦٨٨١ جنيهًا. وبلغت ميزانية الجامع الزهر والمعاهد الدينية العلمية فى سنة ١٩٢٨ المالية ٣٠٥,٠٠٠ جنيه منها ١٩٤,٨٣٧ مخصصة للجامع الأزهر، ويبلغ عدد الأساتذة المدرسين بالجامع الأزهر فى العام نفسه ٢٥٣ أستاذًا، وعدد الطلبة بالقسم الأولى ١٣٦٦ طالبًا، وبالقسم الثانوى ٥٨٨ طالبًا، وبالقسم العالى ١٢٣٨ طالبًا، وبالقسم المؤقت ٥٧٣ طالبًا، وفى فرقة التخصص ١٦٠ طالبًا، وبلغ عدد المدرسين فى معهد الإسكندرية ٩٢ مدرسًا وعدد الطلبة ٧١٦ طالبًا، وفى معهد طنطا ١٠٧ مدرسين و٢٠٩٢ طالبًا وفى معهد أسيوط ٥٥ مدرسًا و٦٧٤ طالبًا، وفى معهد دسوق ٢٦ مدرسًا و٣٦٠ طالبًا، وفى معهد دمياط ٢٥ مدرسًا و٣٠٦ طلاب، وفى معهد الزقازيق ١١١ مدرسًا و١١١٤ طالبًا.

وفى سنة ١٩٢٩ بلغت ميزانية الأزهر ١٢١٠٣٣ جنيهًا، وفى سنة ١٩٤٢ بلغت ٤٠٠٢٠٠ جنيه، وفى سنة ١٩٤٨ صارت ٩٠٠٧٥٢ وتبلغ اليوم نحو المليون والثلث من الجنيهات.

الفصل الثانى:
الأزهر فى صحائف الذكرى

-١-

فى عام ١٨٩٩ أرادت حكومة مصطفى فهمى باشا استجابة لأمر الإنجليز أن تضعف القضاء الشرعى. فوضعت مشروعًا لتعديل اللائحة الشرعية وضم اثنين من أعضاء الاستئناف الأهلى إلى المحكمة الشرعية العليا، ولم تبال الحكومة المصرية باحتجاج الحكومة العثمانية على المشروع فعرضته على مجلس الشورى، وكان من أعضائه الشيخ حسونة النواوى الذى جمعت له مشيخة الأزهر وفتوى الديار المصرية، فثار على المشروع وانسحب من المجلس وتبعه القاضى التركى، فخذل المجلس الحكومة وفشل المشروع.

-٢-

شيئان لهما فى نفوس السائحين المكان الأرفع، وهما أول ما يفكرون فى زيارتهما.. الأهرام والأزهر.

وللسائحين -والإمريكيون بالأخص- فكرة عجيبة عن الأزهر الشريف يكتنفها الخيال بأوسع معانيه، فهم يتصورون فيه بقية من بقايا العصر الإسلامى الزاهر، ويذكرون به قصص ألف ليلة وليلة وقصور بغداد والقاهرة وقرطبة.

ويروى أن اللورد كرومر المعتمد البريطانى، أراد أن يتعارف بشيخ الجامع الأزهر فقيل له إنه معتكف فى حجرته بالجامع لا يخرج منها ولا يغادر باب الأزهر لزيارة أحد مهما كان مركزه عظيمًا، وذهب اللورد لزيارة الأسد فى عرينه.. أو الناسك فى صومعته، وكان اللورد حينذاك فى إبان بطشه وقوته يهابه الكل ويسارعون لتلبية أمره وقد ظن أنه سيجد من شيخ الإسلام تابعًا ونصيراً.

ودخل الأزهر وسار بين أعمدته وعلى بلاطه فامتلأ رهبة وروعة وراعه الصمت السائد، والطلبة الذين يتحركون فى صمت وخشوع كأنهم الأشباح السارية،

واستقبله وفد من المشايخ فى عمائم كبيرة وأكمام واسعة طويلة بطيىء الحركة يسيرون فى تؤدة ووقار ولا يحنون رءوسهم إلا ساعة الركوع والسجود.

وسار بينهم يخترق الحجرات والإبهاء وهو يتجرد فى كل خطوة من ثياب جبروته وكبريائه، حتى إذا وصل إلى باب صغير أدى به إليه السير كان العميد البريطانى العظيم قد أصبح فرداً يشعر بالضعف والخشوع.

وفتح الباب وتنحى الموجودن ودخل اللورد ومعه أحد ياوران السراى، فرأى نفسه فى حجرة مجردة من الأثاث والفراش عارية الأرض مكشوفة البلاط، ساكنة يكتنفها شىء من الظلام إلا من شعاع ينفذ من نافذة نصف مغلقة وفى واجهة تلك الحجرة دكة عالية عليها قطعة من بساط وقد تربع فوقها شيخ الإسلام والمسلمين فى ثياب بسيطة وفى يده سبحة يعد خرزاتها ويتمتم بالتسبيح عليها، هو مطرق برأسه مستغرق فى نجواه.

وأدار اللورد نظره حوله فلم يجد مقعداً، وتقدم خطوتين فلم يرفع الشيخ رأسه ولم يبادره بالتحية ولبث يتمتم نجواه وهو فى سكون وجمود.

ووقف اللورد فى وسط الحجرة أمام الشيخ فترة طويلة خانته فيها أعصابه وارتبكت حواسه وشعر بأنه يتضاءل ويتضاءل أمام ذلك الشيخ النحيف الجسد السابح فى ذكره حتى لم يعد يشعر بنفسه.

وبعد أن مرت فترة طويلة رفع الشيخ رأسه دون أن يتحرك من مكانه ونظر إلى اللورد نظرة هادئة عميقة وقال بصوت لطيف: «أهلاً وسهلاً»!.

ثم مد إليه يده كما يمدها الملك إلى أحد رعاياه، وتقدم اللورد فتناول هذه اليد ولثمها بشفتيه.

واسترد الشيخ يده ثم قال له: «فى أمان الله.. فى أمان الله..».

وخرج اللورد يتعثر، وقد أدرك أن فى مصر من هو أعظم منه شأناً وأقوى شخصية.

ولكن المسجد الأزهر الآن تبدل كثيراً عما كان عليه منذ نيف وأربعين سنة فدخلته جحافل المدنية، ولم يعد ذلك المعهد الرهيب الذى يتصوره الأجانب مكتنفاً

بالأسرار تصدر منه الأوامر الخفية إلى المسلمين قاطبة فيخضعون لاشارته كما كان الفاتيكان فى عهد ازدهار البابوية. . بل أصبح السائحون يزورونه الآن وهم يعرفون أنهم قادمون على جامعة دينية كبرى أخذت من العلوم الحديثة والمدنية العصرية بكثير من أسبابها.

-٣-

فى ديسمبر ١٩٤٦ أرادت حكومة النقراشى باشا أن تنفذ رغبة ملكية بتعيين الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق شيخًا للأزهر، وكان الأستاذ الأكبر حينئذ بعيدًا عن الأزهر، حيث كان وزيرًا للأوقاف، وكان من قبل ذلك أستاذ الفلسفة فى كلية الآداب. . وكان وكيل الأزهر فى ذلك الحين هو الشيخ محمد مأمون الشناوى، فاستشير فى الأمر، فأشار بأن هذا التعيين يخالف نص قانون الأزهر الذى يشترط فى شيخ الأزهر أن يكون من بين جماعة كبار العلماء، فقيل له: إن للأستاذ الأكبر كتبًا عديدة وسيقدم كتابًا منها لعضوية الجماعة، فأخبرهم الشيخ مأمون الشناوى بأن قانون الجماعة يمنع منحها للأستاذ الأكبر لأنه ليس من أساتذة الأزهر الشريف الذين يباح لهم التقديم لعضوية الجماعة بشروط خاصة، فأشير على الشيخ الشناوى بأن يجمع الجماعة لتعديل قانونها، فرد عليهم بأن رئيس الجماعة هو الأستاذ الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم، فدعى الشيخان لمقابلة النقراشى، ويبدو أن الشناوى قابل النقراشى أولاً حيث ذكر له أن هذا التعيين يجب أن يتم، لأنه قد طلبه أغاخان من السراى، وكان المفهوم فى أوساط الشعب أن الخاصة الملكية استولت من وزارة الأوقاف على أطيان ضخمة من بينها تفتيش الوادى وتفتيش شاوة لإدارتها بدلاً من وزارة الأوقاف، وإن الملك يرغب فى مكافأة وزير الأوقاف بتعيينه شيخًا للأزهر، على الرغم من اعتذار الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق طيب الله ثراه عن قبول هذا المنصب.

وخرج الشيخان من مكتب النقراشى، حيث جمعا الجماعة، فرفضت أن توافق على تعديل قانونها، وكان فى مقدمة الرافضين الأستاذ الأكبر الشيخ إبراهيم حمروش وكان شيخًا لكلية الشريعة آنذاك. . وإثر ذلك طلب من المشايخ الثلاثة

الاستقالة فاستقال الشيخ الشناوى وكيل الأزهر والشيخ إبراهيم حمروش شيخ كلية الشريعة والشيخ عبد المجيد سليم المفتى من وظائفهم، وعين مدير الأزهر الشيخ عبد الرحمن حسن وكيلاً للأزهر، ونفذ الرغبة الملكية بتعديل القانون الذى أثار تعديله ثورة فى الشعب وفى أوساط العلماء والطلاب، ونشر كبار الشيوخ المستقلون بيانًا على الأمة المصرية الكريمة والعالم الإسلامى عن انتهاك الحكومة القائمة لقانون الأزهر، وذكروا فيه تهديد رئيس ديوان الملك للمفتى الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم إذ دعاه إلى مكتبه وقال له: «إن فى وقفتك هذه ضد رغبة الملك خطرًا عليك»، فأجاب على الفور: أيحال بينى وبين الذهاب إلى بيت الله؟ فقال رئيس الديوان: لا. فرد عليه الشيخ على الفور: إذن لا خطر.

وكان الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق طيب الله ثراه من أشد الشخصيات مكانة وحبًا فى قلوب الأزهريين، وطالما اعتذر عن قبول منصب المشيخة فى هذه الأزمة، إلا أن الملك كان يحب أن يتصرف فى الأزهر وفق هواه، وكانت وقفة الشيوخ المشرفة ضد الملك ذات مغزى بعيد فى الشعب والعالم الإسلامى.

-٤-

نداء من علماء الأزهر إلى أبناء العروبة والإسلام

صدر فى المحرم ١٣٦٧هـ ديسمبر ١٩٤٧م

بسم الله الرحمن الرحيم: يا معشر العرب والمسلمين! قضى الأمر! وتألبت عوامل البغى والطغيان على فلسطين، وفيها المسجد الأقصى! أولى القبلتين. وثالث الحرمين، ومنتهى إسراء خاتم النبيين، صلوات الله وسلامه عليه، قضى الأمر، وتبين لكم أن الباطل مازال فى غلوائه سادرًا، وأن الهوى ما فتىء على العقول مسيطرًا، وأن الميثاق الذى زعموه سبيلاً للعدل والانصاف ما هو إلا تنظيم للظلم والاجحاف، قضى الأمر! ولم يبق بعد اليوم صبر على تلكم الهضيمة التى يريدون أن يرهقونا بها فى بلادنا، وأن يجثموا بها على صدورنا، وأن يمزقوا بها أوصال شعوب وحد الله بينها فى الدين واللغة والشعور، إن قرار هيئة الأمم

المتحدة، قرار هيئة لا تملكه، وهو يعد قراراً باطلاً جائراً ليس له نصيب من الحق والعدالة، فـفلسطين ملك العرب والمسلمين بذلوا فيها النفوس الغالية، والدماء الذكية، وستبقى إن شاء الله -رغم تحالف المبطلين- ملك العرب والمسلمين. وليس لأحد كائنًا من كان أن ينازعهم فيها أو يشطرها أو يمزقها. وإذا كان البغاة العتاة قد قصدوا بالسوء من قبل هذه الأماكن المقدسة. فوجدوا من أبناء العروبة والإسلام قساورة ضراغم ذادوا عن الحمى، وردوا البغى على أعقابه مقلم الأظفار محطم الأسنة. فإن فى السويداء اليوم رجالاً، وفى الشرى آساداً، وإن التاريخ لعائد بهم سيرته الأولى.

يا أبناء العروبة والإسلام! لقد اعذرتم من قبل، وناضلتم عن حقكم بالحجة والبرهان ما شاء الله أن تناضلوا، حتى تبين للناس وجه الحق سافراً. ولكن دسائس الصهيونية وفتنتها وأموالها قد استطاعت أن تجلب على هذا الحق المقدس بخيلها ورجلها، فعميت عنه العيون، وصمت الآذان، والتوت الأعناق، فإذا بكم تقفون فى هيئة الأمم وحدكم، ومدعو نصرة العدالة يتسللون عنكم لواذاً، بين مستهينين بكم وممالىء لأعدائكم، ومتستر بالصمت متصنع للحياد. فإذا كنتم قد استنفدتم بذلك جهاد الحجة والبيان، فإن وراء هذا الجهاد لإنقاذ الحق وحمايته جهاداً سبيله مشروعة وكلمته مسموعة، تدفعون به عن كيانكم، ومستقبل أبنائكم وأحفادكم، فذودوا عن الحمى، وادفعوا الذئاب عن العرين، وجاهدوا فى الله حق جهاده! ﴿**فَلْيُقَاتِلْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾ [النساء: ٧٤]. ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا**﴾ [النساء: ٧٦].

يا أبناء العرب والإسلام! خذوا حذركم، فانفروا ثبات أو انفروا جميعًا، وإياكم أن يكتب التاريخ أن العرب الأباة الأماجد قد خروا أمام الظلم ساجدين، أو قبلوا الذل صاغرين.

إن الخطب جلل، وإن هذا ليوم الفصل، وما هو بالهزل. فليبذل كل عربى وكل مسلم فى أقصى الأرض وأدناها من ذات نفسه وماله، ما يرد عن الحمى كيد الكائدين، وعدوان المعتدين، سدوا عليهم السبل، واقعدوا لهم فى كل مرصد، وقاطعوهم فى تجارتهم ومعاملاتهم، وأعدوا فيما بينكم كتائب للجهاد، وقوموا بفرض الله عليكم، واعلموا أن الجهاد الآن قد أصبح فرض عين على كل قادر بنفسه أو ماله، وأن من يتخلف عن هذا الواجب فقد باء بغضب من الله وإثم عظيم. ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١٠].

فإذا كنتم بإيمانكم قد بعتم الله أنفسكم وأموالكم فها هو ذا وقت البذل وللتسليم، فأوفوا بعهد الله يوف بعهدكم. وليشهد العالم غضبتكم للكرامة، وذودكم عن الحق. ولتكن غضبتكم على أعداء الحق وأعدائكم لا على المحتمين بكم، ممن لهم حق المواطن عليكم والاحتماء بكم، واحذروا أن تعتدوا على أحد منهم، إن الله لا يحب المعتدين.. ولتتجاوب بعد الأصداء فى كل مشرق ومغرب بالكلمة المحببة إلى المؤمنين: الجهاد! الجهاد! الجهاد! والله معكم ولن يتركم أعمالكم.

-٥-

أقيم حفل لتأبين المرحوم «عاطف بركات»[1] بمدرسة المعلمين العليا فى الخميس الثالث عشر من صفر ١٣٤٣هـ، الموافق الحادى عشر من شهر سبتمبر ١٩٢٤م، وأرسل شوقى قصيدة لتلقى فى الحفل، وكان مما قال فيها:

وحارب دونها صرعى قديم	كأن بهم على الزمان انقطاعا
إذا لمح الجديد لهم تولوا	كذى رمد على الضوء امتناعا

وكان فى الحفل جمهرة من شيوخ الأزهر. منهم شيخ الجامع الأزهر ومفتى الديار المصرية إذ ذاك، فعدوا ذلك جرحًا لكرامتهم، وكتب المرحوم الشيخ

(١) الاستاذ محمد كامل الفقى -مجلة الأزهر- الأزهريون أساتذة شعراء العصر.

محمـود الغمراوى مقـالاً بعنوان «أمير الشعـراء ورجال الأزهر للحقيـقة والتاريخ» نشرته جريدة الأخبار بتاريخ ١٧ من صفر سنة ١٣٤٣هـ الموافق ٦ من سبتمبر سنة ١٩٢٤م.

وقال شوقى يرد على مـا كتب حول الموضوع: وما أنا من ينسى أن معظم أساتذة مدرسة الـقضاء نفسـها فى العلوم الشرعيـة بوجه خاص كانوا من شـيوخ الأزهر ورجاله، وليس من المعقول أن يكون هؤلاء الأفاضل حربًا عليها وهم فى النهوض بها شركاء. إن للأزهر عندى حرمة لا أحب أن يتشكك فـيها الأستاذ، وأعتقد أن الأزهر قد سد فراغًا كبيرًا كان التعليم فى مصر والبلاد الشرقية جميعًا لا يرجى له بدون الأزهر من سداد. وسأظل فخورًا بأن من أساتذتى شيوخًا من صميم الأزهر الشريف وكبار علمائه.

وقد أراد شوقى أن يؤكد حبـه للأزهر، وينفى عنه مظنة النيل من أبنائه فالتمس فكرة إصلاح الأزهر، ونظم قصيدته:

قم فـى فم الـدنيـــا وحى الأزهرا ... وانشـر عـلى سـمع الزمـان الجـوهرا

واجـعـل مكان الدر إن فـصلتـه ... فى مـدحـه خـرز السـمـاء النيـرا

واذكـره بعـد المسجـدين مـعظمـا ... لمســاجـــد الله الثـلاثة مـكبـــرا

واخـشع مـليـا واقض حـق أئمـة ... طلعـوا بـه زهرا ومـاجـوا أبحـرا

كـــانوا أجـل من الملوك جـــلالة ... وأعــز سلطـانا وأفـخـم مظهـــرا

زمن المخـاوف كـان فـيـه جـنابهم ... حـرم الأمـان وكـان حـصنهم الذرا

من كل بحـر فى الشـريعـة زاخـرًا ... ويريكـه الخلق العـظيم غـضـنفـرا

ومنها:

لاتحـذ حـذو عـصابة مـفـتـونة ... يجـــدون كـل قـــديم شىء منـكرا

ولو استطاعـوا فـى المجـامع أنكروا ... من مـــات من آبـائهم أو عـــمـــرا

من كل مـاض فى القـديم وهـدمـه ... وإذا تقـــدم للبـنايـة قـــصـــرا

وأتى الحضارة بالصناعة رثة والعلم نزراً والبيان مثرثرا

يا معهداً أفنى القرون جداره وطوى الليالى ركنه والأعصرا

ومشى على يبس المشارق نوره وأضاء أبيض لجها والأحمرا

وأتى الزمان عليه يحمى سنة ويذود عن نسك ويمنع مشعرا

فى الفاطميين انتمى ينبوعه عذب الأصول كجدهم متفجرا

عين من الفرقان فاض نميرها وحيًا من الفصحى جرى وتحدرا

ما ضرنى إن ليس أفقك مطلعى وعلى كواكبه تعلمت السرى

لا والذى وكل البيان إليك لم أل دون غايات البيان مقصرا

لما جرى الإصلاح قمت مهنئًا باسم الحنيفة بالمزيد مبشرا

نبأ سرى فكسا المنارة حبرة وزها المصلى واستخف المنبرا

وسما بأروقة الهدى فأحلها فرع الثريا وهى فى أصل الثرى

ومشى إلى الحلقات فانفرجت له حلقًا كهالات السماء منورا

حتى ظننا الشافعى ومالكا وأبا حنيفة وابن حنبل حضرا

إن الذى جعل العتيق مثابة جعل الكنانى المبارك كوثرا

العلم فيه مناهلا ومجانيا يأتى له النزاع يبغون القرى

يا فتية المعمور سار حديثكم ندًا بأفواه الركاب وعنبرا

المعهد القدسى كان نديه قطبًا لدائرة البلاد ومحورا

ولدت قضيتها على محرابه وحبت به طفلا وشبت معصرا

وتقدمت تزجى الصفوف كأنها (جاندرك) فى يدها اللواء مظفرا

هزوا القرى من كهفها ورقيمها أنتم لعمر الله أعصاب القرى

الغافل الأمى ينطق عنكمو كالببغاء مردداً ومكررا

يمسى ويصبح فى أوامر دينه وأمور دنياه بكم مستبصرا

لو قلتمو اختر للنيابة جاهلا ... أو للخطابة باقلا لتخيرا
ذكر الرجال له فأله عصبة ... منهم، وفسق آخرين، وكفرا
آباؤكم قرأوا عليه ورتلوا ... بالأمس تاريخ الرجال مزورا

صور عن هيكل الأزهر القديم

أبواب الجامع الأزهر:

للجامع الأزهر تسعة أبواب:

الأول: باب المزينين وهو الباب الكبير تجاه رأس شارع الصنادقية له بابان كل باب بمصراعين وهو من زيادات الأمير عبد الرحمن كتخدا ومنقوش على وجهته من الخارج أبيات مموهة بالذهب تشتمل على تاريخ بنائه وهى:

إن للعلم أزهراً يتسامى ... كسماء ما طاولتها سماء
حيث وافاه ذا البناء ولولا ... منة الله ما تسامى البناء
رب إن الهدى هداك وآيا ... تك نور تهدى به من تشاء
مذ تناهى أرخت باب علوم ... وفخار به يجاب الدعاء

والباب الأصلى من هذه الجهة هو الباب المواجه للداخل مما يلى صحن الجامع وبينهما كان يجلس المزينون لحلق رءوس الطلاب فعرف الباب بذلك، وكان منقوشًا على هذا الباب الأصلى فى الحجر: بسم الله الرحمن الرحيم: أمر بإنشاء هذا الباب والمئذنة الشريف مولانا السلطان الأشرف قايتباى بتاريخ شهر رجب الفرد ثلاثة منه سنة ٨٨٨هـ، وفوق ذلك: لا إله إلا الله محمد رسول الله نصر من الله وفتح قريب وفوقها إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، وفوق ذلك كوفية دقيقة الحروف يتعسر قراءتها وقد أزيلت هذه الكتابة بالتجديدات القريبة.

الثانى: الباب العباسى وهذا الباب فى صف الباب الأول وهو باب شامخ ذو فخامة وشأن، أحدثته الأوقاف عند تأسيس الرواق العباسى منقوش على واجهته من الخارج فى الحجر بالحروف المموهة بالذهب من أعلاه: كان الإنشاء والفراغ فى

عهد إدارة فيضى باشا لعموم الأوقاف بمباشرة صابر بك باشمهندس عموم الأوقاف، وتحت ذلك بيتان فيهما تاريخ الإنشاء.

ومنقوش تحت ذلك آية: «إنما يعمر مساجد الله» من الجانب الأيمن إلى الجانب الأيسر ومن داخل هذا الباب فناء يصل لباب الصحن الأزهر وعلى يمين الداخل باب زاوية الرواق العباسى المعدة للتدريس.

الثالث: باب المغاربة وهو تجاه درب الأتراك ويتوصل منه إلى صحن الجامع بعد المرور بين رواق المغاربة ورواق السنارية والأتراك.

الرابع: باب الشوام يقابله الوكالة التى أنشأها السلطان قايتباى ويسلك منه إلى المقصورة القديمة.

الخامس: باب الصعايدة هو بعد باب الشوام تجاة حارة الباطلية وله بابان، كل باب ذو مصراعين وهو من إنشاء المرحوم الأمير عبد الرحمن كتخدا ويتوصل منه بين المرور بعد رواق الصعايدة ومدفن الكتخدا إلى باب واحد يوصل إلى المقصورة الجديدة التى هى من إنشاء الكتخدا.

السادس: باب الحرمين وهو يسلك من رواق الحرمين وهو مغلوق أبداً وهو من إنشاء كتخدا.

السابع: باب الشوربة وهو تجاه رقعة القمح بجوار منزل السيد عمر مكرم نقيب الأشراف بالديار المصرية سابقًا وهو من إنشاء الأمير عبد الرحمن كتخدا ويتوصل منه إلى المقصورة الجديدة بساحة طويلة تنتهى إلى مدفن فى زاوية المسجد يقال له مدفن الست نفيسة البكرية بنت الشيخ محمد بن عبد الله جلال الدين البكرى الصديقى، وهو صاحب المسجد القريب من باب الشوربة أمام عطفة الشيخ الأمير وسمى باب الشوربة لقربه من مطبخ الشوربة الذى كان يطبخ فيه الأرز فى رمضان ويفرق على فقراء الأزهر.

الثامن: باب الجوهرية هو باب صغير تجاه زاوية العميان يسلك منه إلى المقصورة الجديدة بعد المرور فى المدرسة الجوهرية ويسلك الخارج منه إلى زقاق ضيق يوصل إلى شارع الشنوانى أمام مسجد العدوى وهو من إنشاء جوهر القنقبائى.

التاسع: باب الميضأة ينفـذ فى الزقاق الخارج إلى باب المزينين مجـعول لدخول الحفاة.

مقاصير الأزهر:

للأزهر مقـصورتان جديدة وقديمـة: فالجديدة من إنشـاء الأمير عبـد الرحمن كتخدا وهى المعروفة عند أهل الأزهر بالإيوان العالى.

والقـديمة أصل الجـامع الأزهر من إنشـاء القـائد جوهـر وتحتـوى على ست وسبعين أسطوانة وتمـتد من باب الشوام إلى رواق الشراقوة، وكان فيـها المنبر فنقله الكتخـدا لما بنى المقصـورة الجديدة ولهـا ثلاثة أبواب إلى صحن الأزهر ويتـخللها شبابيك من الخشب المخروط.

محاريب الأزهر:

فى المقصورة الجديدة محربان: محراب كـبير يصلى فيه الإمام الصلوات الخمس وهو مالكى المذهب، وعليه قبـة مرتفعة قائمة على ستـة أعمدة، والمحراب الآخر عن شمـال المنبر وهو محـراب صغيـر مزركش يعرف بقبـلة الشيخ الدردير، وفى المقصورة القديمة الآن محراب واحد، وهو المحراب الأصلى القديم ويعرف بالقبلة القديمـة، يصلى فيـه الإمام الصلوات الخـمس وهو شافـعى المذهب، وعلى هذا المحراب أيضًا قبة عظيمة مرتفعة وعلى يمينه صندوق موضوع على رف يقال إن به آثارًا قديمة، وأن لذلك سـرًا عجيبًا فى عـمارته، وكان فى المقصورة القـديمة قبلة بقرب باب الشـوام وكانت تعرف فى الزمن الأخـير بقبلة الشـيخ البيجـورى شيخ الإسلام بسبب صـلاته عندها كثيرًا، وكـان بقرب رواق الشراقوة قبلة صـغيرة من خشب تعرف بقبلة الخطيب الشربينى، وكان عليها كتابة بالخط تدل على أن عملها كان سنة ٦٢٧.

وفى صحن الجامع كان أربعة محاريب صغار بظاهر المقصورة محراب يلى رواق معمر وكان مكتـوبًا عليه: جدد هذا المحراب السعيد على يد العـبد الفقير إلى الله تعالى الخواجـة محمود بن جلبى غـفر الله له وللمسلمين ويكتنـف باب المقصورة الوسط محـربان من الحجر مكتوب بأعـلى أحدهما بالكوفى لا إله إلا الله محـمد

رسول الله، وكان عند الباب الثالث محراب مكتوب عليه أمر بتجديد هذا المحراب السعيد سيدنا ومولانا الإمام الأعظم والملك الأكرم السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباى، وكان عند رواق الأتراك محراب صغير مصنوع بالقيشانى وقد أزيلت، وكان أمامه «دكة» صغيرة غير مستعملة للتبليغ وذلك غير المحاريب التى فى المدارس الملحقة بالجامع وموجود بالمقصورتين «دكتان» تستعملان يوم الجمعة للتبليغ.

صحن الأزهر ومناراته ومزاوله:

أما صحن الأزهر هو متسع مفروش بالحجر النحت، وتحت هذا الفرش أربعة صهاريج متسعة للماء الحلو، ولها أفواه من الرخام ناتئة فى الصحن نحو متر يجلس فيه الطلاب أيام الشتاء للمطالعة والرياضة ويبيتون فيه فى ليالى الصيف، وفى دائرة بوائك مسقفة يجلس فى بعضها الأطفال ومعلمو القرآن الشريف.

وأما مناراته فكان به ست منارات يؤذن عليها فى الأوقات الخمس وفى الأسحار وتوقد فى ليالى رمضان والمواسم، منها سنارة خارج باب المزينين عن يمين الداخل تشرف على الشارع وهى من إنشاء الأمير عبد الرحمن كتخدا وكان يتوصل إليها من باب الميضأة الذى عن يمين الداخل قبل الطيبرسية وقد أزيلت مع الميضأة وبنى مكانهما الرواق العباسى وإدارة الأزهر القديمة.. ومنها ثلاث منارات من داخل باب المزينين مشرفة على صحن الجامع: إحداها منارة الأقبغاوية عن يسار الداخل إلى الصحن، وهى أول مئذنة عملت بديار مصر من الحجر بعد المنصورية، وكانت المنارات قبل ذلك تبنى بالآجر، وقد أنشأها الأمير علاء الدين آقبغا عبد الواحد مع مدرسة الأقبغاوية، واثنتان عن يمين الداخل فالتى فى جانب الباب مما يلى الداخل أنشأها السلطان الأشرف قايتباى، والتى تليها من إنشاء السلطان الغورى، وهى أعلى مناراته وأعظمها، ويتوصل لهما من باب صغير فى صحن الجامع يصعد منه إلى سطحه فيه لكل منهما باب، والخامسة بباب الصعايدة يتوصل إليها من رواق الصعايدة، والسادسة بباب الشوربة وبابها من الداخل وهما من إنشاء الأمير عبد الرحمن كتخدا والغالب فى مؤذنى الأزهر قديمًا أن يكونوا مكفوفين محافظة على عورات أهل المساكن المجاورة للأزهر ولكل منارة خلوة لإقامة مؤذنيها لانتظار

الآذان بها ولا يؤذنون إلا بتنبيه الميقاتى المجعول لخصوص ذلك، والغالب أن آذان الأزهر ينبنى عليه آذان أكثر منارات القاهرة.

وأما مزاوله: فكان فيه قديمًا سبع مزاول أربع فى صحنه لمعرفة وقت الظهر على يمين الداخل من باب المزينين وثلاث جهة رواق معمر لمعرفة وقت العصر ولم يوجد الآن غير مزولة واحدة بصحن الأزهر على يمين الداخل من باب المزينين وأخرى محفوظة بالسطح غير مستعملة، وهما من عمل الوزير أحمد باشا كور المتولى على مصر سنة ١١٦١ نقشهما على لوحين من رخام، وعمل لهما تاريخًا منقوشًا على كل لوح منهما وهو هذا:

مزولة متقنة نظيرها لا يوجد

راسمها حاسبها هذا الوزير الأمجد

تاريخها أتقنها وزير مصر أحمد

أروقة الأزهر:

أما أروقة الأزهر فعددها ٢٩ رواقًا، والأروقة هى:

الرواق العباسى: بنى هذا الرواق المشيد وتم بناؤه فى عهد الأريكة العباسية، وفى مشيخة الشيخ حسونة النواوى للأزهر، واحتفل بافتتاحه فى ٢٤ شوال سنة ١٣١٥ هجرية فجاء هذا الرواق على أبدع طراز مصرى فى هندامه ونقشه وأوضاع شبابيكه وأبوابه وأنفقت الأوقاف عليه ستة آلاف وثمانين جنيهًا وهو فى الحدود الغربية للجامع مطل على الشارع، ويشتمل هذا الرواق على ثلاثة أدوار:

الأول: المسامت سطحه لسطح الجامع، وهو فسيح يشتمل على محل لمجلس إدارة الأزهر الشريف وباب المشيخة، ومنه محال للمكتبة وزاوية كبيرة بمحراب جميل الصنع دقيق التركيب والنقش للصلاة والتدريس والحفلات الرسمية الكبيرة للجامع، وفيه جملة منافع أخرى.

الثانى: مقسم بأجمل نمط صحى يشتمل على قاعة للميقاتية بجوار السلم وقاعة أخرى لجندى الأزهر، ورواق متعدد القاعات لطلاب اليمن، ومحل لحكيم

وصيدلي الأزهر، وأول حكيم للأزهر كان هو الدكتور عباس حلمى، ورواق لبعض الطلاب وآخر لطلاب الطيبرسية وأمثاله للبحاروة والإسكندرانية ومحل للدفترخانة الأزهرية.

الثالث: يشتمل على محلات لمفتى الديار المصرية وأمين الافتاء وكتبة الإفتاء، ويشمل الرواق أربعة غرف لطلبة الأكراد، وآخر لطلبة الأقبغاوية، وآخر للدكارنة، وآخر للهنود وآخر للبغداديين. فقد جمع كثيراً من الأروقة، والرواق العباسى افتتح فى ٢٤ شوال ١٣١٥هـ.

رواق الطيبرسية: فى الخطط المقريزية هذه المدرسة من المدارس الملحقة بالجامع الأزهر وهى غربية، مما يلى الجهة البحرية أنشأها الأمير علاء الدين طيبرس وجعلها مسجداً لله تعالى زيادة فى الجامع الأزهر، وقرر بها درسًا للفقهاء الشافعية، وأنشأ بجوارها ميضأة وحوض ماء ترده الدواب، وتأنق فى رخامها وتذهيب سقوفها، حتى جاءت فى أبدع زى وأبهج ترتيب وانتهت عمارتها سنة ٧٠٩ وكان لها بسط تفرش يوم الجمعة، وكان لها إمام، وكان فيها خزانة كتب وخزن كثيرة، وجددها الأمير عبد الرحمن كتخدا، وقد ذهبت أوقافها ورممت فى عهد الخديوى عباس الثانى وجعلت كتبخانة الأزهر فى سنة ١٣١٤ ونقلت طلبتها للرواق العباسى، وطيبرس كان قائداً للجيوش المصرية، ومات سنة ٧١٩هـ.

رواق الأقبغاوية: فى خطط المقريزى هذه المدرسة بجوار الأزهر على يسرة الداخل إليه من بابه الكبير الغربى -باب المزينين- تجاه المدرسة الطيبرسية كان موضعها دار الأمير الكبير ايدمر الحلى نائب السلطنة فى أيام الملك الظاهر، وميضأة للجامع الأزهر أنشأها الأمير أقبغا وجعل بجوارها قبلة ومنارة وكانت مدرسة مظلمة ليس عليها من بهجة المساجد ومن أنس بيوت العبادات شيء البتة، وذلك أن أقبغا عبد الواحد أقرض ورقة أيدمر الحلى مالا، وأمهل حتى تصرفوا فيه ثم ألجأهم فى الطلب إلى أن أعطوه دراهم فهدمها وبنى موضعها هذه المدرسة، وأضاف أمثال ذلك من الظلم فبناها بأنواع من الغضب وأخذ قطعة من سور الجامع حتى ساوى بها المدرسة الطيبرسية وحشر لعملها الصناع من البنائين والنجارين وجميع أنواع الفعلة بأن يعمل كل منهم فيها يومًا فى كل أسبوع بغير أجرة،

وجعل عليهم مملوكًا من مماليكه لم يرد الناس أظلم منه ولا أعتى منه، ولا أقسى قلبًا منه، فلقى العمال منه مشقات لا توصف، وحمل إليها سائر ما يحتاج من خشب وحجر ورخام ودهان، من غير أن يدفع ثمنًا البتة، وتم بناؤها سنة ٧٤٠ هجرية، ورتب لها الخدمة فكان لها إمام ومؤذن وفراشون وقومة ومباشرون، وكان لها ثلاثة أبواب أحدها يصل للصحن من رواق الفيمة، والثانى لزقاق الميضأة، والثالث لباب المزينين، وموجود لها الآن بابان أحدهما يفتح على القبة، وللقبة باب آخر من باب المزينين، وهو مستعمل، والثانى وهو مغلوق، وهى الآن محل كتبخانة الأزهر، ونقلت طلبتها للرواق العباسى.

رواق الأكراد: كان عن يمين الداخل من باب المزينين بجوار رواق اليمنية وبأعلاه مساكن فأزيل ونقلت طلبته إلى الرواق العباسى.

رواق الهنود: كان عن يمين الداخل من الباب المذكور بينه وبين باب الطيبرسية به مسكن أرضى وأربعة مساكن علوية وقد أزيل ونقلت طلبته إلى الرواق العباسى.

رواق البغداديين: هو كان بأعلى رواق الهنود كان يشتمل على مسكنين ومطبخ وبيت خلاء وأزيل ونقلت طلبته للرواق العباسى.

رواق البرتية: كان فى زاوية الرحبة المسقوفة خارج باب الأتراك بين رواق الأتراك ورواق اليمنية، وهو محل أرضى صغير كان جزءًا من رواق الأتراك، وقد هدم والعمارة جارية فيه الآن.

رواق اليمنية: كان بجوار رواق البرنية له باب على الرحبة المسقوفة خارج باب الأتراك وقد أزيل وسكنت طلبته الرواق العباسى.

رواق الجبرتى: هو داخل رواق البرتية وهو أوسع منه وقد هدم وأجريت فيه العمارة من زمن بعيد.

رواق الأتراك: أنشأه السلطان قايتباى، وجدده الأمير كتخدا وأنشأ فيه زيادات، وكان يحتوى على ستة عشر عمودًا من الرخام واثنى عشر مسكنًا علويًا وله خزانة كتب عظيمة جامعة وكان له مطبخ وبئر، وأوقافه يستحقها كل طالب من بلاد

الترك، ولو كان عتيقًا، وكان له بابان باب مسامت لباب رواق المغاربة وباب على صحن الجامع، وفى سنة ١٣١٩ أخذت الأوقاف فى نقضه مع ما ساواه من الأروقة لغاية باب الصعايدة، وكان فى عزمها تجديد هذه الأروقة ببناء شامخ مثل الرواق العباسى.

رواق السنارية: كان على يسار الداخل من باب المغاربة قبل رواق الأتراك، وكان يحتوى على مساكن علوية ونقض فى ضمن العمارة السابقة سنة ١٣١٩.

رواق المغاربة: هو كان على يمين الداخل من باب المغاربة، وكان له بابان باب فى الصحن فى طرقة باب المغاربة، وكان يشتمل على خمس بوائل قائمة على أعمدة من رخام، وكان فيه مساكن علوية وله كتبخانة كبيرة، وكان له مطبخ وبئر وحنفية ويستحق أوقافه كل مجاور مغربى، وكان له كاتب مثل رواق الأتراك.

رواق السليمانية: كان بين باب الشوام ورواق الجاوة، وكان به خمسة مساكن وخزانة كتب كبيرة.

رواق الجاوة: هو كان بين رواق السليمانية ورواق الشوام، وبه خزانة كتب ونقض بناؤه.

رواق الشوام: وهو عن يمين الداخل من باب رواق الشوام وهو من إنشاء السلطان قايتباى وزاد فيه الأمير عثمان كتخدا، ثم الأمير عبد الرحمن كتخدا، حتى صار أكبر من رواق الصعايدة، وكان بأعلاه نحو الثلاثين حجرة لمجاورى الشوام، وقد أوقف عليه كل من الأميرين المذكورين أوقافًا جارية على أهله إلى الآن وبه خزانة كتب كبيرة وكان فيه بئر وحنفية.

رواق الدكارنة: هو فوق الأوان عن شمالى الداخل من باب الصعايدة وهو أرضى وفوقه بعض من رواق الشوام.

رواق الصعايدة: وهو من أشهر أروقة الأزهر وهو على يمين الداخل من باب الصعايدة وهو يحتوى على إيوان متسع بوسطه عمود من الرخام وبداخله خزانة فيها كتب كثيرة، ولها قيم يغير منها لمن يطلب من أهل العلم وله مطبخ، وكان تحت الرواق صهريج كبير يشرب منه عموم أهل الأزهر وهذا الرواق بجميع جهاته

من إنشاء الأمير عبد الرحمن كتخدا مع عماراته بالأزهر، وله شيخ مخصوص وقد استقرت مشيخة هذا الرواق عدة أجيال فى المشايخ العدوية، وله أوقاف كثيرة.

رواق الحرمين: هو عن يمين الذاهب إلى المنبر السالك من باب الصعايدة وهو يحتوى على قاعة سفلية وثلاث حجر علوية ويسكنه أهل مكة المشرفة والمدينة المنورة والطائف وغيرهما من بلاد الحجاز وهو من إنشاء المرحوم عبد الرحمن كتخدا.

رواق البرابرة: هو مجرد خزن ودواليب عن شمال الداخل من باب الشوربة.

رواق دكارنة سليح: هو مجرد مخزن ودواليب بجوار رواق الشراقوة ونقلت طلبته إلى الرواق العباسى.

رواق الشراقوة: فى النهاية البحرية من المقصورة القديمة، وهو من إنشاء إبراهيم بك الوالى بسبب شيخ الإسلام الشيخ الشرقاوى، شيخ الأزهر ويسكنه مجاوروا الشراقوة، وقد استعان الشيخ بامرأة عمياء فقيهة تحضر عنده فى درسه إلى الست عديلة هانم بنت إبراهيم بك الكبير فكلمت زوجها إبراهيم بك المعروف بالوالى بأن يبنى له مكانًا خاصًا بطائفته فأجابه إلى ذلك وبنى الرواق المذكور، وكان المجاورون الشراقوة يسكنون بمدرسة الطيبرسية ورواق معمر فتشاجروا مع أهل الطيبرسية ومنعهم شيخها من الدخول فكان ذلك سببًا فى بنائه.

رواق الجوهرية: هو مدرسة من المدارس الملحقة بالأزهر وهى تجاه زاوية العميان وهى صغيرة ليس بها عمد، وتشتمل على إيوانين متقابلين، وبينهما ممر مفروش بالرخام، وبها قبلة صغيرة، وعلى دائرها منقوش فى الحجر، بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ [النور: ٣٦]، وبأعلاها خلوتان وبها خزن جميلة التركيب، وكان يدرس بها بعض العلماء، وقد أنشأها جوهر القنقبائى، وكان بداخله مدفنه، وبنيت فى القرن التاسع.

رواق زاوية العميان: هو خارج الجوهرية فى الجانب الثانى من الحارة بينهما ممر من الحجر يمشى عليه المتوضئون من ميضتها، وهى من إنشاء المرحوم عثمان كتخدا وهذه الزاوية تحتوى على أربعة أعمدة من الرخام، ولها قبلة وميضأة،

وفوقها ثلاث حجر للعميان ولا يسكنها غيرهم، ولهم شيخ منهم ومرتباتهم تصرف عليهم.

رواق الحنابلة: وهو بجوار زاوية العميان أنشأه المرحوم عثمان كتخدا منشىء زاوية العميان، وهو يحتوى على ثلاثة مساكن علوية، جددها الأمير راتب باشا وأجزى على أهل هذا الرواق مرتبات عظيمة.

رواق معمر: هذا الرواق عن يمين الداخل لدورة المياه، للأزهر وهو رواق مشهور لكثرة من ينتمى إليه بسبب أنه لا يخص جهة بخلاف غيره.

رواق الفشنية: كان بين رواق الحنفية وبين دورة المياه، وقد أزيل ولم يبق به سوى خزن ودواليب لمنافع المجاورين.

رواق الحنفية: هذا الرواق بين رواق الفشنية والشنوانية وكان بابه إلى الصحن يدخل منه فى سرادب ضيق طويل وذلك السرداب أصله من رواق الفشنية أخذ منه بعوض، وقد أزيل ذلك السرداب كما أزيل غيره من الأروقة المجاورة له، فإنه لم يوجد بها سوى خزن لأمتعة المجاورين.. أنشأ هذا الرواق الأمير راتب باشا الكبير سنة ١٢٧٩ وكان موضعه بيوتًا مملوكة لأربابها فاشتراها المرحوم عباس الأول وهدمها وأسسها ليبنيها رواقًا لأهل بلد الشيخ البيجورى شيخ الأزهر فى ذاك الوقت، ثم مات ولم يتمه فمكث زمنًا طويلاً ثم أكمله راتب باشا المذكور من ماله وجعله رواقًا للحنفية وهو متسع وفيه أربعة أعمدة من الرخام وبه دواليب كثيرة لمنافع مجاوريه وبأعلاه ثلاث عشرة حجرة للمتقدمين من مجاوريه، وبه خزانة كتب جامعة لها قيم يغير منها لعموم المجاورين، وكان له باب ينفذ إلى الميضأة وجعل فيه حنفية للوضوء وأوقف راتب باشا على أهله أوقافًا عظيمة وجعل النظر عليه لمفتى الديار المصرية من الحنفية، ولما تولى إفتاء الديار المصرية الشيخ محمد عبده سنة ١٣١٧ زاد فى مرتبات أهله، وشكل لجنة لامتحان من ينتقل من درجة لأخرى وأجرى الامتحان على العموم، وبذلك تقدم من تأخر وتأخر من تقدم وحرم من حرم.

رواق الشنوانية: هو بالزاوية الشرقية من الصحن بجوار رواق الفيمة، وهو الآن مجرد لها دواليب فيها أمتعة المجاورين.

رواق الفيمة: هو فى الزاوية الشرقية المذكورة بجوار رواق البحاروة، ولم يبق به سوى خزن لأمتعة المجاورين، ونقلت طلبته من قبل بالرواق العباسى.

رواق البحاروه: هو مخصوص بمجاورى أهل البحيرة لا يشاركهم فيه غيرهم وله شيخ ونقيب ومرتبات، ولم يبق به الآن غير خزن لأمتعة المجاورين، ونقلت طلبته للرواق العباسى.

حارات الأزهر:

عددها ثلاث عشرة حارة: حارة البيجيرمية، حارة العفيفى، حارة الزراقنة، حارة البشابشة، حارة السليمانية، حارة الجيزاوية، حارة الدكة والمنبر، حارة الممشى، حارة النفاورة، حارة الزهار، حارة الواطية، حارة الشنوانية، حارة المناصرة، ولكل حارة شيخ ونقيب.

❁❁❁

الباب السادس

صورة عن النشاط العلمى فى الأزهر

الفصل الأول: منهج الدراسة فى الأزهر وقوانينه

الأزهر والحركة الفكرية المعاصرة

يتولى الزعامة الفكرية فى مصر اليوم أفراد قلائل من كبار مفكرينا، الذين جمعوا بين الثقافتين العربية والغربية، وهم فى فهمهم للثقافة الغربية مدينون للدراسات الغربية التى تلقوها فى جامعات الغرب أو فى أمهات الثقافات الأوربية المعاصرة، أما فهمهم للثقافتين العربية والإسلامية فهم مدينون أولاً لآراء محمد عبده فى الإصلاح الدينى والتوجيه الفكرى.

لقد كانت آراء محمد عبده الإصلاحية التقدمية هى المعين الذى استقى منه كبار مفكرينا من أمثال عبد العزيز فهمى ولطفى السيد وطه حسين وسواهم، وإليه يرجع الفضل فى تحررنا الفكرى، ويقظتنا الروحية وفى النهضة التى وصلنا إليها.

وممن تأثر بآراء محمد عبده الشيخ طنطاوى جوهرى، وكان من أعلام الأزهريين فى العصر الحديث، وله كثير من البحوث والمؤلفات العميقة، ومن أهمها: تفسيره للقرآن الكريم، ومن أهم مؤلفاته الأخرى: جمال العالم -جواهر العلوم- ميزان الجواهر- النظام والإسلام- نظام العالم والأمم- التاج المرصع- الزهرة فى نظام العالم والأمم- نهضة الأمة وحياتها- الفرائد الجوهرية فى الطرف النحوية- الحكمة والحكماء- جوهر التقوى- الرسالة القازانية- مذكرات أدبيات اللغة العربية- أين الإنسان- صدى صوت المصريين فى أوربا- رسالة تعدد الزوجات- رسالة الموسيقى- سوانح الجوهرى- ملخص كتاب فلنون- جواهر الإنشاء- نظم ملخص كتاب أدب الدنيا والدين- رسالة الهلال- أصل العالم- ملخص كتاب حى ابن يقظان- الأرواح- جوهرة السفر..

وكذلك تأثر به الشيخ مصطفى عبد الرازق شيخ الأزهر الأسبق، والشيخ محمد رشيد رضا، والشيخ المراغى، والشيخ محمد الأحمدى الظواهرى، والشيخ عبد المجيد سليم، والشيخ إبراهيم حمروش، وغيرهم من أعلام الفكر وقادة الحركة الإسلامية فى مصر والشرق العربى.

ويقول حافظ فى رثاء الإمام محمد عبده، مصوراً عظم النكبة فيه، ومتحدثًا عن مكانة الأستاذ الإمام، وعن أثره الفكرى فى حياة الجيل المعاصر:

سلام على الإسلام بعد محمد — سلام على أيامه النضرات
على الدين والدنيا، على العلم والحجا — على البر والتقوى، على الحسنات
لقد كنت أخشى عادى الموت قبله — فأصبحت أخشى أن تطول حياتى
فوالهفى -والقبر بينى وبينه- — على نظرة من تلكم النظرات؟
وقفت عليه حاسر الرأس خاشعًا — كأنى حيال القبر فى عرفات
لقد جهلوا قدر الإمام فأودعوا — تجاليده فى موحش بفلاة
ولو ضرحوا بالمسجدين لأنزلوا — بخير بقاع الأرض خير رفات
تباركت! هذا الدين دين محمد — أيترك فى الدنيا بغير حماة؟
تباركت! هذا عالم الشرق قد قضى — ولانت قناة الدين للغمزات
زرعت لنا زرعا فأخرج شطأه — وبنت ولما نجتن الثمرات
مددنا إلى الأعلام بعدك راحنا — فردت إلى أعطافنا صفرات
وجالت بنا تبغى سواك عيوننا — فعدن وآثرن العمى شرقات
وآذوك فى ذات الآله وأنكروا — مكانك حتى سودوا الصفحات
رأيت الأذى فى جانب الله لذة — ورحت ولم تهمم له بشكات
لقد كنت فيهم كوكبًا فى غياهب — ومعرفة فى أنفس نكرات
أبنت لنا التنزيل حكمًا وحكمة — وفرقت بين النور والظلمات
ووفقت بين الدين والعلم والحجا — فأطلعت نوراً من ثلاث جهات
وقفت «لها نوتو» و «رينان» وقفة — أمدك فيها الروح بالنفحات
وخفت مقام الله فى كل موقف — فخافك أهل الشك والنزغات

ووليت شطر البيت وجهك خاليًا تناجى إله البيت فى الخلوات
وكم ليلة عاندت فى جوفها الكرى ونبهت فيها صادق العزمات!
وأرصدت للباغى على دين أحمد شباة يراع ساحر النفثات
إذا مس خد الطرس فاض جبينه بأسطار نور باهر اللمعات
فياسنة مرت باعواد نعشه، لأنت علينا أشأم السنوات
حطمت لنا سيفًا وعطلت منبرًا وأذويت روضًا ناضر الزهرات
وأطفأت نبراسًا وأشعلت أنفسًا على جمرات الحزن منطويات
مشى نعشه يختال عجبًا بربه ويخطر بين اللمس والقبلات
تكاد الدموع الجاريات تقله وتدفعه الأنفاس مستعرات
بكى الشرق فارتجت له الأرض رجة وضاقت عيون الكون بالعبرات
ففى الهند محزون وفى الصين جازع وفى «مصر» باك دائم الحسرات
وفى الشام مفجوع وفى الفرس نادب وفى تونس ما شئت من زفرات
بكى عالم الإسلام عالم عصره سراج الدياجى هادم الشبهات
فلا تنصبوا للناس تمثال «عبده» وإن كان ذكرى حكمة وثبات
فإنى لأخشى أن يضلوا فيومئوا إلى نور هذا الوجه بالسجدات
فياويح للشورى إذا جد جدها وطاشت بها الآراء مشتجرات!
ويا ويح للفتيا إذا قيل: من لها؟ ويا ويح للخيرات والصدقات
فيا منزلا فى «عين شمس» أظلنى وأرغم حسادى برغم عداتى
عليك سلام الله، مالك موحشا عبوس المغانى، مقفر العرصات؟
لقد كنت مقصود الجوانب آهلا تطوف بك الآمال مبتهلات
مثابة أرزاق، ومهبط حكمة ومطلع أنواع، وكنز عظات

ويعد كذلك الأستاذ الإمام من فحول الكتاب الذين حرروا الكتابة العربية فى النهضة الحديثة من قيودها القديمة، وأخذوا يرجعون بأساليبها إلى أرقى عصورها وأزهر أيامها. ولقد كان الشيخ محمد عبده من أفاضل رجال الدين، وقادة المفكرين -وكان أجمل وأروع قدوة المصلحين.. كما كان من أشهر رجال مصر العاملين فى نهضتها الحاضرة. ولد سنة ١٨٤٥م بمحلة نصر، إحدى قرى مركز شبراخيت بمديرية البحيرة، وحفظ القرآن، وتعلم مبادىء القراءة والكتابة بها ثم أرسله والده إلى معهد طنطا، فصادف عناء فى فهم العلوم لعقم طريقة التعليم وقتئذ، وكاد ينكص على عقبيه، ويعود إلى قريته، ويشتغل بالفلاحة كأبيه وبقية أسرته، ولكن عناية الله قيضت له من يسر له سبيل الفهم، وحبب إليه طلب العلم، فعاد إلى مناهل العلم نهمًا، وغادر معهد طنطا إلى الأزهر، وأخذ يتزود من علومه بقدر استطاعته، حتى نبه اسمه، وعرف بالذكاء والفطنة بين إخوانه، ولما قدم إلى مصر فيلسوف الشرق، جمال الدين الأفغانى، انتظم الشيخ محمد عبده فى سلك تلاميذه، واقتبس من علمه وفلسفته، ولازمه ملازمة ظله، ونال إجازة العالمية، واختير مدرسًا للأدب العربى والتاريخ بدار العلوم وأستاذًا للغة العربية بمدرسة الألسن، ثم اشتغل بالتحرير فى الوقائع المصرية. وشبت الثورة العرابية، فكان من أبطالها، ونفى من القطر المصرى بعد انتهائها، فذهب إلى سورية ثم انتقل إلى باريس. وأنشأ مع أستاذه جمال الدين صحيفة العروة الوثقى، ثم عفى عنه سنة ١٨٨٨م فعاد إلى مصر، وعين قاضيًا فى المحاكم الأهلية، ثم كان مفتيًا للديار المصرية. وبقى فى منصبه مسموع الكلمة، واسع الجاه، شديد البأس، عظيم السلطان -إلى أن وافته منيته سنة ١٩٠٥م فاهتز العالم الإسلامى لوفاته، وفقد فيه الرائد المصلح، والشجاع، الأبى، والمناضل المكافح، والمشعل الذى أضاء دياجى الظلمات، والسيف الذى روع الاستعمار.

بعوث الأزهر العلمية

اتصل الأزهر بأوربا التى كان يجتويها وينظر إلى علومها نظرة المعجب لا المصدق والمتفرج لا المتأثر، والمشاهد الذى تدركه الغيبوبة فى أثناء شهوده من الدهشة والغرابة، ففى سنة ١٨٢٦ شهدت باريس وشهد الباريسيون الأزهريين فى

صفوف بعثات محمد على، وفى سنة ١٨٢٨ شهد السربون حفلاً عامًا من علماء فرنسا وعظمائها يستمعون إلى الأزهريين فى امتحانهم، ويعجبون بإجابتهم ويصفقون لهم تنويها بهذا الإعجاب وأثبت الأزهريون عند هذا الامتحان للمرة الأولى فى تاريخ مصر الحديث أن الإسلام دين علم، وأنه لين هين لا يستعصى على نزعات الفكر، إنما يستعصى على نزعات الشيطان تزجى إليه باسم العلم وباسم الدين. . نعم، كان المرحوم رفاعة الطهطاوى إمام بعثات القرن التاسع عشر، وكانت وظيفته أن يصلى بالمسلمين من أفرادها، وأن يذكرهم إذا نسوا، وأن يتخولهم بالموعظة ليوقظ فيهم إلى جانب حاسة عرفان العلم، إحساس وجدان الفضيلة، وما لبث رفاعة الأزهرى أن كان إمام البعثات فى العلم، ومبرزهم فى العمل، وسابقهم فى الفضل، ولم تمض سنتان على عمله الذى اختطه لنفسه حتى كتب وترجم ونقل من الشمال إلى اليمين، ما كان قد نقل من اليمين إلى الشمال، فكان فيما كتب ونقل موفقًا كل التوفيق ومسددًا كل السداد.

رجع رفاعة إلى مصر فاكب وتلاميذه «تلاميذ مدرسة الألسن» على الترجمة والتأليف فى السياسة والاجتماع والأدب والجغرافيا والتاريخ حتى كان أول من بنى قنطرة فوق الهوة التى كانت تفصل الأزهر، بل الشرق كله، عن أوربا. ورفاعة فى كل أولئك لم ينس منبته ولا نشأته ولا أزهريته، فإذا كتب فى تاريخ فرنسا، كتب إلى جانبه فى تاريخ العرب وفى تاريخ مصر، وكأنه يقول «لكم تاريخكم ولنا تاريخنا، ولكم تراثكم ولنا تراثنا، وإذا أخذنا فلكى نزيد شخصيتنا لا لنقلل منها» وإذا كتب فى جغرافية «ملطبورن» نوره بذكر ياقوت الحموى وأبان عن معجمه، وإذا تحدث عن المرأة قال: إن الإسلام لم يظلمها وإنما ظلمها أهلوها وإن تعاليم الإسلام لم تعد عليها وإنما عدت عليها اعتبارات وضعية من العادات والتقاليد. وضرب رفاعة بهذا الاتجاه الجديد المثل الأعلى لمن يريد أن يوفق بين ماضيه وحاضره، واتخذ لمقياس التقدم وحدة الزمن الثلاثة التى تبتدىء بالماضى، وتتطلع إلى المستقبل، وتتخذ من الحاضر وصلة ما بينهما.

ومنذ أكثر من قرن أكب المستشرقون على دراسة الإسلام وعلوم الإسلام فبحثوا وأفادوا، وما يفيد الأزهر أن يقف أمام المتطرف من هذه البحوث موقف الصاحب

مكتفـيًا بما ينقل إليه عـنهم إن بالحق وإن بالباطل، بل يجب عليـه أن يتصل بهم، وأن ينازلهم فى ميـدانهم، وأن يقارعهم بأسلحتـهم حجة بحجـة ودليلاً بدليل. . وسيـسمع الأزهر عن هؤلاء المسـتشرقـين دروس الملل والنحل، الغريـب منها عن الإسـلام، والمشتق منهـا من تعـاليمـه وآياته، والمناسب منهـا مع عـقلية العـرب المسلمين، وما أجبروا عليه إجبارًا بـلا مسوغ ولا تقدير، سيسمع الأزهر عن قرب وباتصال مـباشر كيف تسـربت الفلسفة إلى المسلميـن، وكيف أساغوا مـا أساغوا منها، ورفضـوا منها ما رفضـوا، وسيسمع عن تطور القـراءات القرآنية وعلاقـتها باللغة العربية وبلهجات العرب، وسيدهش أبناء الأزهر إذ يرون أن كل هذه العلوم مبوبة مفصلة، سهلة لا تستعصى على قارىء ولا تحتجب وراء أساليب تقرأ لتفهم هى لا مدلولاتها.

وقد رأى الأزهر مسـايرة النهضة العلميـة الحديثة فى البلاد فـأرسل البعوث من علمائه الأكـفاء إلى البلاد الأوربيـة للتخصص فى الفـلسفة والتـربية وعلم النفس والتاريخ وما إلى ذلك من علوم الحياة ليمكن الانـتفاع بهم بعد عودتهم فى كلياته الجامعية بدل الاساتذة المندوبين إليها من المعاهد الأخرى.

بقى أن نتحدث عن الأربعـة الأزهريين الذين وصلوا باريس عام ١٩٣٦ والذين أحدثوا ضـجة فى أنحـاء الحى اللاتينى فالمـصريون كانوا يـتوافدون على فنـدقهم جمـاعات يحيـون فى أشخاصـهم عهدًا جـديدًا، ويمجدون فى طلعـتهم بلادهم الشرقية التى لم تمنعها شرقيتها أن تتطلع إلى الغرب فى المفيد النافع من أساليبه مع احتفاظهـا بطابعها الشرقى، ومدير البـعثة كان يشغل بدراستـهم وبترتيب مسكنهم ومأكلهم وكل مـا يمس حياتهم فى هذه البـلاد، وما ذلك بالشىء اليسيـر لعلماء الأزهر المعروفين بالتمسك بمبادئهم. أما الأستاذ ماسنيون فقد عنى بهم عناية خاصة فقدمهم إلى إخوانـه من العلماء الفرنسيين الذين يعملون معهم، وكـان جميلاً منه بعد أن عـرف أن من بينهم واحـدًا بزوجة وأطفـاله الثلاثة أن يعـمل على إسكانه بالقرب من حديقـة «الكسمبرج» لتكون مـتعة ومراحًا لهـؤلاء الأطفال. ولعل من الطريف أن نعرف أن الدكتـور تاج أحد أعضاء هذه البعثة، وخـريج السوربون قد صار شيخًا للأزهر. وقـد كان من أعضاء بعثة عام ١٩٣٦ هذه فى مشـيخة الشيخ

المراغى.. وقد أرسلت طائفة أخرى فى عهد الشيخ مأمون الشناوى عام ١٩٤٩، وآخر مبعوث للأزهر هو الشيخ محمد فتحى عبد المنعم وقد سافر إلى فرنسا فى شهر يوليو عام ١٩٥٢م.

ومن الذين أوفدوا من الأزهريين إلى أوربا المرحوم الشيخ عبد العزيز المراغى، والشيخ محمد عبد الله دراز، والشيخ محمد الفحام، والدكتور ماضى، والدكتور البهى، والدكتور عبد الحليم محمود، والأستاذ على حسن عبد القادر وسواهم.

وكتب الدكتور طه عام ١٩٣٥ يبدى رأيه فى بعثات الأزهر العلمية إلى أوربا، فقال:

«إذا أراد الأزهر أن يرسل بعوثًا إلى أوربا فليرسل بعوثه أول الأمر إلى الجامعة المصرية ليتثقفوا فيها بالثقافة الحديثة ثم ليختر من بين البعوث من تظهر كفايته، وينبه شأنه، وتنهض الحجة على حسن استعداده. وإذا كان عند الأزهر اثنان أو ثلاثة أو أربعة قد امتازوا بكفاية نادرة واستعداد باهر فلا بأس بإرسالهم منذ الآن على أن ترسم لهم برامج ومناهج تلائم حاجات الأزهر الماسة وضروراته الملحة.

الواجب كل الواجب أن تتوازن الثقافات الأوربية حتى تستطيع الثقافة العربية الإسلامية أن تسيغها جميعًا وأن تحتفظ بشخصيتها. إنا نضن بالأزهر كل الضن أن يلقى بنفسه فى أحضان الثقافة اللاتينية أو السكسونية ونلح أشد الالحاح فى أن يظل عربيًا وعربيًا خالصًا يأخذ من الثقافات الأوربية المختلفة بمقادير متناسبة، لا يطغى بعضها على بعض. فإذا لم يكن للأزهر بد من أن يتعجل إرسال البعوث إلى أوربا غير حافل بما يقدم إليه من نصح بالمهل والاناة، فليعد للنظر فى توزيع بعوثه على الأقطار الأوربية وليحذر كله أن يلتهم بلد من البلاد الأوربية بعوثه كلها، أو أكثرها. ولينظر إلى الجامعة فقد يحسن الاقتداء بالجامعة فى بعض الأشياء، إنها لا ترسل بعوثها إلى بلد بعينه، وإنما ترسلهم إلى البلاد الراقية فى أوروبا، فمنهم من يذهب إلى انجلترا ومنهم من يذهب إلى فرنسا ومنهم من يذهب إلى ألمانيا، ومنهم من يذهب إلى إيطاليا. والأصل فى هذا التوزيع ما قدمته من أن الجامعة حريصة كل الحرص على أن تأخذ بأطراف مختلفة من الثقافات المختلفة لأنها ترى أن هذا أحفظ للشخصية المصرية الخالصة وأجدر أن يفتح

للمصريين أبوابًا متمايزة من العلم، وأجدر بعد هذا كله أن يعصم العقل المصرى من الاحتكار الثقافى».

وقد درج الأزهر كذلك منذ أمد بعيد على إرسال بعوث من علمائه البارزين لتثقيف الأمم الإسلامية، والدعوة إلى الإسلام فى البلاد التى تدين بالوثنية. فأرسل إلى الصين بعثة وإلى الحبشة وجنوب إفريقيا والهند واليابان بعثات، وقد كان لهؤلاء جميعًا أثر حميد فى نشر مبادىء الإسلام، وتبليغ تلك الأقطار رسالة الأزهر.

ولقد ظهرت آثار تلك النهضة الدينية ظهوراً واضحًا، مما بعث الأقطار الإسلامية بعثًا جديدًا، ورغبها فى طلب بعثات من علماء الأزهر للتعليم فى معاهدها، فلبى الأزهر طلب تلك البلاد بسخاء وكرم، وأرسل البعثات تلو البعثات إلى العراق والمملكة العربية السعودية وسوريا ولبنان وإمارة الكويت والسودان وأسمرة والبحرين وليبيا.

على الرغم من مشكلة إعداد طالب الأزهر ليكون مبعوثًا ناجحًا، فإن الكثيرين نجحوا فى رسالتهم، وكان اللقاء مع نموذجين لهؤلاء المبعوثين الناجحين.. أولهما: الدكتور رءوف شلبى المتخصص فى الدعوة الإسلامية والذى اتم ٤ سنوات فى إندونيسيا وهو حاليًا مدير المركز الإسلامى فى ماليزيا منذ ٣ سنوات.. يقول: إن أهم المشاكل التى واجهته هى الدعاية الغربية والصهيونية هناك. ولذلك فهو يرى ضرورة الربط بين مبعوثى الأزهر والسفارات المصرية بالخارج وأجهزة الإعلام الموجهة بالإضافة إلى إراحة المبعوث ماديًا حتى لا تمتد يده إلى مصادر غريبة تمده بالمال لإغراض معينة. ويضيف بأن من عيوب إعداد مبعوث الأزهر القصور اللغوى الواضح لدرجة أنه تعلم اللغة المالاوية بمجهوده الشخصى لا عن طريق الجامعة، ورغم ذلك فقد أقنع آلاف البوذيين باعتناق الإسلام خلال ٣ سنوات.

ونموذج آخر للمبعوث الناجح. صاحبه على على الشربينى المتخصص فى التفسير والحديث والذى سافر إلى «جامبيا» عام ١٩٧٢، وهو مدير المدرسة

الإسلاميــة التى تضم (٤٠٠) تلميذا، ورشح ليكون مديراً للمــدرسة الجديدة التى سوف تنشـئها الجـمعـية الإسلامـية فى (بانجول) فى العــام القادم. ويتـحدث عن المشاكل قائـلاً: لا يوجد فى جامبيــا برنامج تعليمى منظم ولا يوجد كـتاب واحد مؤلف باللغة العــربية، حتى أنه قام بكتابة الدروس بخط اليد لاسـاتذة مدرسته!، وهو يرى أن جامعة الأزهر مسئولة عن إعداد برنامج الدراسة والكتب العربية.

وكذلك وفد من الأقطار الإسلامية طلبة يتعلمون فى الأزهر، وهو يقوم بكل ما تتطلبـه إقامـتهـم من راحة، ورفـاهية عـيش، ويكل إلى بعض الأسـاتذة المربين تعليمهم أولا اللغــة العربية، ثم يعدهم لمراحل التعليم المختلفــة. وقد بلغ عددهم عام ١٩٥٠ زهاء الألف طالب.

منهج الدراسة بالأزهر منذ إنشائه

أول كتاب درس بالجـامع الأزهر هو كتاب «الاقتــصار» الذى وضعه أبو حـنيفة النعمان بن محـمد القيروانى قاضى المعز لدين الله فى فقـه آل البيت، وكان يتولى دراستـه بالأزهر ولده أبو الحسن على بن النعـمان كـما أسلفنا، ودرسـه بعده بنو النعمان الذين تعاقبوا فى قضاء مصر حتى نهاية القرن الرابع. وكان يدرس بجانب الاقتصار كتب أخرى فى فقه الشيعــة للنعمان القيروانى أيضًا، وهى: كتاب دعائم الإسلام، وكتاب اختلاف الأصول، وكتاب الأخبار، وكتاب اختلاف الفقهاء.

وقــرىء بالأزهر كتــاب ألفـه الوزير يعـقوب بن كلس، وكــان يجلس لقــراءته وتدريسه بـنفسه، وأفـتى الناس بما فيـه. وموضوعــه الفقــه الشيعى عــلى مذهب الإسمــاعيلية مما سمــعه الوزير ابن كلس من المعز لدين الله، والعــزيز بالله، ولهذا اشتهر بالرسالة الوزيرية.

وكان التدريس بالأزهر يجـرى على مذهب الشيعة يومئــذ، وكان فى أول الأمر من المحظور أن يدرس غيــر ذلك، ولهذا قبض على رجل وجد عنده كـتاب الموطأ للإمام مــالك، فحبس وجلد فى سنــة ٣٨١هـ فى عهد العــزيز بالله. وفى أواخر الدولة الفاطمــية كادت تكون الدراســة فى الأزهر حرة، ولكن لم يعـرف بالضبط أسماء الكتب التى كانت تدرس فى ذلك العصر.

ومن تولى التدريس بالأزهر، فى العصر الفاطمى، الأساتذة بنو النعمان قضاة مصر، فكان القاضى أبو الحسن على بن النعمان أول من درس بالأزهر، وتوفى سنة ٣٧٤هـ، ودرس بالأزهر أخوه القاضى محمد بن النعمان وتوفى سنة ٣٨٩هـ، ثم ولده الحسن بن النعمان قاضى الحاكم بأمر الله، والمؤرخ الحسن بن زولاق المتوفى سنة ٣٧٨هـ والمسبحى المتوفى سنة ٤٢٠هـ وكان من أعلام التفكير والأدب والفلك والتاريخ، وأبو عبد الله القضاعى، وهو محمد بن سلامة بن جعفر المتوفى سنة ٤٥٤هـ والحوفى النحوى، وهو أبو الحسن على بن إبراهيم بن سعيد المتوفى سنة ٤٣٠هـ وأبو العباس أحمد بن هاشم المصرى المتوفى سنة ٤٥٤هـ، وابن بابشاذ النحوى، وهو أبو الحسن طاهر بن أحمد المصرى المعروف بابن بابشاذ المتوفى سنة ٤٦٩هـ وأبو عبد الله محمد بن بركات النحوى تلميذ القضاعى المتوفى سنة ٥٣٠هـ.

ولا شك أنه قد اشتهر من أولئك الأئمة من صنف الكتب الكبيرة، والمراجع العظيمة فى العلوم الدينية والعربية، التى كانت تدرس فى الأزهر، كالعلامة أبى الحسن على بن إبراهيم الحوفى إمام العربية والنحو وصاحب كتاب إعراب القرآن، وابن بابشاذ النحوى صاحب كتاب المقدمة وشرح الجمل، وابن القطاع اللغوى صاحب كتاب الأفعال، وأبى محمد عبد الله بن برى المصرى إمام اللغة فى عصره، وغيرهم ممن انتهت إليهم الرياسة فى هذا العصر، واعتبرت مصنفاتهم متونًا ومراجع.

وفى أواخر القرن السادس أى بعد ذهاب الدولة الفاطمية، وقيام الدولة الأيوبية نرى الأزهر جامعة حرة تدرس فيها العلوم العقلية أو العلوم المدنية إلى جانب العلوم الدينية بصورة منتظمة. فمثلاً نرى بين أساتذة الأزهر فى هذه الفترة العلامة عبد اللطيف البغدادى يدرس الطب والفلسفة والمنطق مدى حين[(١)].

بيد أنه لا ريب أن صفة الأزهر الدينية كانت وما زالت تغلب على كل صفة أخرى، وأن علوم الدين كانت وما زالت خلال العصور تحتل المقام الأول.

---

(١) ترجمة عبد اللطيف البغدادى فى «مناقب الأطباء» لابن أبى صبيعة فيما يرويه عبد اللطيف عن نفسه، ونفس هذه الترجمة فى كتاب «الإفادة والاعتبار» لعبد اللطيف.

وهذه خاصة لم ينفرد بها الأزهر فى العصور الوسطى. ذلك أن الحركة العقلية كانت خلال هذه العصور ترتبط فى جميع الأمم بالدين أشد ارتباط، وكانت الأديرة مراكز الدراسة فى أوروبا والأحبار هم قادة الفكر. بيد أنه لما تقدمت الحركة الفكرية، وتسربت النظريات الفلسفية إلى تعاليم الكنيسة، أخذت سيطرة الدين على حركة التعليم تضعف شيئًا فشيئًا.

ولم تلبث الجامعة الأوروبية أن نشأت منذ القرن الثانى عشر ثم أخذت تقوى ويشتد ساعدها وتسير نحو استقلالها، واضطرت الكنيسة أن تناصر هذا الاستقلال، طالما كان بعيداً عن الاصطدام بتعاليمها وتقاليدها، وذلك خوفًا من أن يقع التعليم تحت سيطرة أمير أو حاكم مطلق يوجهه نحو خصومتها، ولم يأت ختام العصور الوسطى حتى كانت الجامعة الأوروبية قد حققت استقلالها العلمى، وأخذت تسير نحو النور والحقيقة، بعيدة عن المؤثرات الدينية والسياسية ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً.

وقد كان التعليم الجامعى يميل منذ البداية نحو التخصص، وكانت الدراسة تجرى تقريبًا على نفس الأساليب التى كانت تتبع فى الأزهر وباقى المعاهد الإسلامية من الاستيعاب والتخصص، مثال ذلك جامعة بولونيا التى اشتهرت فى القرن الثانى عشر بتوفر أساتذتها وطلبتها على دراسة القانون الرومانى ووضع حواشيه الشهيرة.

وقد وفد إلى مصر عقب انتهاء الدولة الفاطمية أبو القاسم الرعينى الشاطبى الضرير، المقرىء الشهير المتوفى سنة ٥٩٠هـ وهو صاحب حرز الأمانى ووجه التهانى الذى ما زال إلى اليوم من أهم متون التجويد والقراءات.

ويظهر من عناية الخلفاء الفاطميين بالعلوم الرياضية والفلكية والطبية والجغرافية أن تلك العلوم لابد أن تكون قد درست فى الأزهر فى زمانهم، كما كانت تدرس فى دار الحكمة التى أسسها الحاكم بأمر الله سنة ٣٩٥هـ (١٠٠٥م).

وقد كان الأزهر فى زمن الفاطميين موئل الثقافة الدينية، وكان له الأثر الواضح فى تنمية الحياة العقلية والفكرية وتخريج علماء الدين واللغة، ولكنه لم يكن له أثر

فى توجيه الحياة السياسية فى ذلك العصر، مثل ما ظهر له ظهوراً جليًا فى الدولة المصرية بعد ذلك.

ولما انقرضت دولة الفاطميين سنة ٥٦٧هـ واستولى صلاح الدين بن يوسف الأيوبى على ملك مصر، أنشأ بالقاهرة مدرسة للفقهاء الشافعية، وأخرى للفقهاء المالكية، ونحى قضاة مصر الشيعة كلهم، وابتنى خلفاؤه من بعده المدارس المتنوعة والتى خصصت كل مدرسة منها بتدريس علوم خاصة، وتحولت الحركة والنشاط العلمى فى الأزهر إلى تلك المدارس، وإن لم تنقطع الدراسة فيه، كما أسلفنا.

وفى زمن الظاهر بيبرس البندقدارى من ملوك الجراكسة سنة ٦٦٥هـ أعاد للأزهر حياته العلمية والدينية. وأول ما درس به من مذاهب أهل السنة مذهب الإمام الشافعى رضى الله عنه، ثم أدخلت إليه المذاهب الأخرى تباعًا.

واتجهت العناية الكبرى حينئذ لاتقان تدريس العلوم الدينية بوجه خاص، وتسابقت همم الفحول فى إتقان آلاتها، من نحو وصرف وبلاغة، فنبغ بمصر أئمة أعلام يفتخر بهم اليوم العالم الإسلامى أجمع، كالإمام عز الدين بن عبد السلام، والإمام السبكى وأبنائه، والشهاب القرافى، وابن هشام، والسراج البلقينى، وجلال الدين السيوطى، وغيرهم من المصريين، وإبراهيم بن عيسى الاندلسى، وعز الدين عمر بن عبد الله بن عمر القدسى، والإمام الاصبهانى، والإمام الزيلعى، وابن الحاج محمد العبدرى الفاسى، وأبى حيان محمد بن يوسف الغرناطى، وتاج الدين التبريزى، والحافظ العراقى، والحافظ بن حجر العسقلانى، وعلاء الدين الحموى، والرضى الشاطبى، ومحمد بن محمد البغدادى، وشيخ الإسلام زكريا الأنصارى، وقاسم بن محمد التونسى، وغيرهم من الذين رحلوا من أقاصى الأرض لمصر لتعلم العلم بالأزهر.

وكانت العلوم العقلية من رياضية وغيرها تدرس أيضًا، ولكن المشتغلين بها كانوا نزرا من الطلبة.

وفى أواخر القرن التاسع الهجرى أصاب الأزهر ما أصاب المعاهد الأخرى من الذبول والركود، وفقدت مصر استقلالها سنة ٩٢٢هـ -(سنة ١٥١٧م) فتقلص ظل

النشاط والازدهار العلمى، وانصرف كثير عن العلوم العقلية والفلسفية والرياضية والجغرافية، وأخذ القول بحرمتها يتسرب شيئًا فشيئًا حتى تركت هذه العلوم من الأزهر، وبقيت مهجورة ينظر إليها نظرة السخط، حتى صدرت فتوى من شيخ الأزهر الشيخ الإنبابى والشيخ محمد البنا مفتى مصر بجواز تعلمها، وعدم حرمة تدريسها.

ولا يفوتنا أن ننبه إلى أنه كان من العلماء فى عهد ركود الأزهر وجموده من يعرف كثيرًا من العلوم العقلية والطبية وغيرها زيادة على العلوم الدينية والعربية، وهؤلاء لا يحصون، نذكر منهم على سبيل المثال: الشيخ أحمد عبد المنعم الدمنهورى شيخ الأزهر المتوفى سنة ١١٩٢هـ فقد جاء فى سند إجازته ما ملخصه: أنه تلقى فى الأزهر العلوم الآتية وله تآليف فى كثير منها، وهى: الحساب، والميقات، والجبر، والمنحرفات، وأسباب الأمراض وعلاماتها، وعلم الأسطرلاب والزيج، والهندسة، والهيئة، وعلم الأرثماطيقى، وعلم المزاول، وعلم الأعمال الرصدية، وعلم المواليد الثلاثة، وهى الحيوان والنبات والمعادن، وعلم استنباط المياه، وعلاج البواسير، وعلم التشريح، وعلاج لسع العقرب، وتاريخ العرب والعجم.

ومما لا ريب فيه أن العلوم الدينية والعربية كان لها الشأن الأول من العلوم نسبيًا، وما عداها من العلوم كالحكمة الفلسفية والتصوف لم يكن يدرس فى الأزهر ولا بين جماهيره، ولكن كان له دراسة خاصة فى المنازل، أو الأروقة التابعة للأزهر.

ويحسن أن نثبت هنا وثيقة رسمية لمشيخة الأزهر وضعتها بناء على طلب الحكومة لتبعث بها إلى لجنة معرض باريس، وذلك فى عهد الخديوى إسماعيل سنة ١٢٨٢هـ (١٨٦٤م).

وقد جاء فى هذه الوثيقة أن المواد التى كانت تدرس بالأزهر فى تلك العهد هى: الفقه، الأصول، التفسير، الحديث، التوحيد، النحو، الصرف، المعانى والبيان والبديع، متن اللغة، العروض والقافية، الحكمة الفلسفية، والتصوف، والمنطق، الحساب، الجبر والمقابلة، الفلك والهيئة.

وزادت المشيخة على ذلك أنه يقرأ فى الأزهر، فضلاً عن هذه المواد المتداولة، بعض مواد أخرى كالهندسة والتاريخ والموسيقى وغيرها لمن لهم اقتدار على دراستها، بيد أنه لا يشتغل بدراستها سوى القليل.

الدراسة فى الأزهر قبل النظام

منذ أصبح الأزهر مدرسة جامعة، كان يسير على نظام سهل يكاد يكون فطريًا، أساسه التقوى، وقوامه احترام الدين وأهله. وكان شيخ الجامع الأزهر المرجع الأعلى لمن كان فيه من أصغر طالب إلى أكبر عالم، كلمته هى العليا، وإشارته حكم لا يتخطاه واحد منهم، يوزع الأحباس والهبات، ويجيز العلماء والمدرسين، وكان إذا أشكل عليه أمر استشار فيه أكابر العلماء.

كان الطالب يدخل الأزهر مختاراً بلا قيد ولا شرط، ويختلف إلى من أراد من العلماء لتلقى العلم عنه، ويبقى فيه ما شاء أن يقيم، فإذا آنس من نفسه علمًا كافيًا، وملكة يتمكن بها من إفادة غيره، استأذن أساتذته، وجلس للتدريس حيث يجد مكانًا خاليًا، وعرض نفسه على الطلبة، فكانوا إذا لم يجدوا فيه الكفاية للإفادة انفضوا من حوله، وإذا وجدوه على علم وثقوا به، واستمروا على تلقى العلم عنه، وحينئذ يجيزه شيخ الأزهر إجازة.

ولما كان أساس التعليم فيه دينيًا ابتداء على الطريقة التى كان السلف يدرسون عليها الدين، وعلومه، فكانت الدروس تعقد به حلقات، يتصدر كل حلقة أستاذها، وقد يجلس على كرسى ليتمكن من إسماع طلبته الكثيرين.

وكان عماد الدراسة إذ ذاك النقاش والحوار بين الطلبة وأساتذتهم بما يثقف العقل وينمى ملكة الفهم، وظلوا على ذلك مدة طويلة إلى أن اقتضى الحال وضع قوانين خاصة للأزهر وطلبته وعلمائه وإدارته والدراسة فيه.

قوانين الأزهر

أول قانون وضع للأزهر فى عهد إسماعيل والى مصر الأسبق سنة ١٢٨٨هـ سنة ١٨٧٢م، وكان شيخ الأزهر وقتئذ الشيخ محمد المهدى العباسى.

وقد نظم هذا القانون طريقة نيل شهادة العالمية، وبين مواد امتحانها، وقسم الناجحين فيها إلى ثلاث درجات: (أولى، وثانية، وثالثة)، على أن تصدر بذلك

براءة ملكية بتوقيع ولى الأمر، والمواد التى بينهـا ذلك القانون والتى يدرسها الطلبة ويمتـحنون فيهـا هى: الأصول، الفقـه، التوحـيد، الحديث، التـفسيـر، النحو، الصرف، المعانى، البيان، والبديع، المنطق.

ولكن مما يؤسف له أن هـذا القانـون لم يسـتطع أن ينهض بالأزهر بالنهـضـة المرغوبة، ولم يتجاوز بمواد الامتحان لنيل شهادة العالمية «الأحد عشر علمًا[1]»، مما يدل على جمود الحركة العلمية، وفتور النشاط فيه.

وحدث بعـد ذلك أن عين المرحوم الشيخ حـسونة النواوى شيخًـا للأزهر. وكان الشيخ محمد عبده رحمه الله عضده وساعده، فتعاونا على إنهاض الأزهر من كبوته، وفى ذلك الحين وضع القانون الصادر بتاريخ ٢٠ المحرم سنة ١٣١٤هـ- ١٨٩٦م.

وقـد لحظ واضعـوا هذا القانون من وجـوه الإصلاح مـا رأوه كفـيلاً بإنهـاض الأزهر، فأدخلوا فـيه مواد جديدة هـى: الإخلاق، مصطلح الحديث، الحـساب، الجبـر، العروض والقـافيـة، وجعل التاريـخ الإسلامى، والإنشاء، ومتن الـلغة، ومبادىء الهندسـة، وتقويم البلدان وغيرها من مـواد يفضل محصلهـا على غيره، ويقدم عليـه، وفك التقيـد بكتب دون أخرى، وحرم قـراءة الحواشى فى السنوات الأربع الأولى، وحرم الـتقارير التى علـى الحواشى، وبذلك نهض الأزهر نهـضة مبـاركة، لو ظلت على حالهـا ولم تناهضها الأحـداث لكان لها فى تاريخ الأزهر شأن يذكر، ولـكنها كانت كلسان الشـمعة أضاء حيـنا ثم انطفأ، فقد انفـرط عقد النظام، وانهارت النهـضة العلميـة بخروج الشيخ مـحمد عبـده من مجلس إدارة الأزهر ووفاته سنة ١٩٠٥م.

وما زالت تتـوالى على الأزهر القوانين والأنظمة والـلوائح حتى سنة ١٣٢٩هـ (١٩١١م) ولم تكن فى تلك القـوانين واللوائح ما يمـس جوهر المواد الدراسـية، وإنما يتناول تنظيم بعض الحالات الداخلية فى الأزهر، كـحضور الطلاب، وصرف المرتبات، ومنح كساوى التشريفات من ولى الأمر، وتعيين بعض المدرسين لدراسة الحساب والجبر والهندسة والجغرافيا والخط وغير ذلك.

---

(١) كان لفظ «الاحد عشر علما» هو اللقب الشائع لذلك القانون فى عهده.

قانون رقم ١٠ سنة ١٩١١م:

يعتبر القانون رقم ١٠ سنة ١٩١١م من أهم قوانين الأزهر فى ذلك العهد، حيث تناول الدراسة، وجعلها مراحل، وجعل لكل مرحلة نظامًا وعلومًا، وزاد فى مواد الدراسة، وحدد اختصاص شيخ الجامع الأزهر، وأنشأ هيئة تشرف على الأزهر تحت رئاسة شيخه تسمى مجلس الأزهر الأعلى، وأوجد هيئة كبار العلماء وجعل لها نظامًا خاصًا، وأن يكون لكل مذهب من المذاهب الأربعة التى تدرس فى الأزهر شيخ، ولكل معهد من المعاهد مجلس إدارة، وجعل للموظفين نظامًا فى التعيين والترقية والتأديب والأجازات، وللطلاب شروطًا فى القبول، وحدودًا للعقوبات والمسامحات ونظم الامتحانات والشهادات[1].

ونستطيع أن نبين بإيجاز الظروف والأحوال التى مرت فيها هذه القوانين، والثمرات التى جناها الأزهر منها. والمآخذ التى أخذت عليها، إلى أن وضع قانون سنة ١٩٣٠م المعدل بقانون سنة ١٩٣٦م.

أشرنا فيما سبق أن قانون سنة ١٢٨٨ قد وضع حدًا للفوضى والارتباك الذى تورط فيه الأزهر فى ذلك الحين. ولكنه لم يستطع أن ينهض به إلى الغاية التى يرنو إليها محبو الإصلاح، ولم ينقله من جموده الذى استولى عليه، فبقى التعليم فيه كما كان مقصوراً على العلوم الدينية والعربية وقليل من الهيئة والميقات والحساب للحاجة إليها فى مواقيت الصلات والمواريث. ولم يتأثر الأزهر ولا مناهج الدراسة فيه بالنهضة العلمية التى بعثها محمد على الكبير فى مصر، على حين أن الباشا قد وجد فى أبناء الأزهر المادة الأساسية التى أقام بها دعائم نهضته.

ورغم اقتصار الأزهر على هذه المواد فإن الطلبة كانوا يقضون فى تحصيلها مداداً طويلة أقلها خمس عشرة سنة، ولا حد لأكثرها.

---

(١) وقد وضع هذا القانون لجنة مؤلفة من فتحى زغلول باشا، وعبد الخالق ثروت باشا، وإسماعيل صدقى باشاو على أثر ثورة إصلاحية قام بها طلاب الأزهر، وساعدهم على ذلك؛ بعض العلماء فى ذلك العهد. ولم يقبل أولو الأمر منهم فى مبدأ الحركة مطالبهم التى يعبرون فيها عن آلامهم من النظام القائم، فلما اشتدت الحركة ورأت الحكومة أن الأمر كاد يخرج من يدها لاستغلال بعض الأحزاب هذه الحركة، ولاستقالة الشيخ حسونة النواوى شيخ الأزهر بسبب ذلك، أصدرت أمرًا بتأليف اللجنة التى أشرنا إليها، ووضع القانون رقم ١٠ لسنة ١٩١١م.

ومع أنها كانت تدرس فى كتب سقيمة من المختصرات التى لا تفهم إلا بشروح وحواش وتقارير، فإن الطلبة كانوا يقدرون على الإستقلال بدراسة الكتب ويقدرون على فهمها وكانت تنمو فيهم ملكات البحث والجدل. ولكن إذا وازنا بين الفائدة التى يجنيها الأزهر من التعليم التحاورى اللفظى والمزايا الى يفقدها من عدم عنايته بالعلوم الكونية التى لا بد منها فى تطبيق الأحكام الشرعية على وجهها الصحيح، لو وازنا بين ذلك أدركنا عدم قيام الأزهر بالثقافات التى تتطلبها حاجات العصر.

كل هذا كان يبعث أهل الغيرة من رجال الأمة ورجال الحكومة على تلمس وجوه الإصلاح، ولم يكن من الميسور أن يكون إصلاح الأزهر سهلاً لاعتبارات تقليدية تاريخية. ولا من الجائز أن يسلك فى إصلاحه ما يسلك فى تنظيم المدارس المدنية. بل كان يجب أن يتناوله الإصلاح برفق، وأن يكون بإضافة القدر الضرورى من المعارف، وإصلاح طريقة التعليم، وباختيار الكتب، وبتوجيه هذه القوى الجبارة إلى جوهر العلم، وأسرار الدين، وأسرار العربية.

وهذا الذى أشرنا إليه هو الذى لاحظه واضعو قانون سنة ١٨٩٦ فضمنوه من وجوه الإصلاح ما رأوه كفيلاً بإنهاض الأزهر، وكان من حسن الحظ أن الذى قام على تنفيذ هذا القانون مجلس إدارة يضم طائفة من العلماء خلصت نيتهم وتوافرت لديهم وسائل التنفيد، وهم المشايخ: حسونة النواوى، محمد عبده، سليم البشرى، عبد الكريم سلمان، سليمان العبد، أسبغ الله عليهم واسع رحمته ورضوانه.. وقد أضاف هذا القانون مواد جديدة هى: الأخلاق، مصطلح الحديث، الحساب، الجبر، العروض والقافية.

وجعل التاريخ الإسلامى والإنشاء ومتن اللغة ومبادئ الهندسة وتقويم البلدان، وغيرها من مواد يفضل محصلها على غيره ويقدم عليه، وفك التقيد بكتب دون أخرى، وحرم قراءة الحواشى فى السنوات الأربع الأولى. وجعل من اختصاص مجلس الإدارة أن يعدل فى مواد التعليم طبقًا لما يراه من المصلحة.

سار الأزهر على هذا النظام عشر سنوات سيراً متئدًا متزنًا، لم تطغ فيه المواد الجديدة على المواد القديمة، لأنها أخذت بمقدار يناسب حال الأزهر، ونشطت

دراسة العلوم الدينية والعربية بما كان يعطى للطلاب من المكافآت السنوية، ربما كان ينشر بينهم من أفكار المرحوم الشيخ محمد عبده فى دروسه ومجتمعاته. وقد انفرط عقد النظام بخروج الشيخ محمد عبده من مجلس الإدارة ثم وفاته سنة ١٩٠٥ رضى الله عنه كما قدمنا،

جدت بعد ذلك أحداث وفتن، وعولت الحكومة على إنشاء مدرسة للقضاء الشرعى، فصدر بها قانون فى سنة ١٩٠٧، وشعر الأزهريون بأن الحكومة أصبحت فى غنى عنهم، لأن لها مدرسة لتخريج معلمى العربية فى مدارسها ومعاهدها، هى دار العلوم، ومدرسة لتخريج القضاة.

وخاف القائمون على الأزهر من تقلص ظله، ومن عدم إقبال الناس عليه، حيث لم يبق بعد ذلك للعلماء إلا وظائف الإمامة والخطابة فى المساجد، ففكروا وفكر الناس معهم فى إعادة تنظيم الأزهر على مثال مدرسة القضاء، ومدرسة دار العلوم، بل على مثال يوجد للدراسة مواد أكثر ومناهج أطول. وانتهى الأمر بهم إلى وضع القانون رقم ١٠ لسنة ١٩١١ وكثر الإقبال على الأزهر، ووجدت معاهد أخرى فى عواصم المديريات، وبعض المحافظات، جرت على نهجه، وسارت عليها نظمه، حتى صار عدد الطلاب فى سنة ١٩١٧م أكثر من عشرين ألفا.

وهذا القانون لم يخل من الفائدة، لأن تعلم التاريخ والجغرافيا والرياضة ومبادئ الطبيعة والكيمياء قرب طلبة الأزهر من تلاميذ المعاهد الأخرى، وغير عقليتهم، ووسع أفقهم، وإدخال المطالعة والمحفوظات والإنشاء أوجد من أهل الأزهر عدداً كبيراً من الكتاب والشعراء، ومكن لهم من القدرة على الخطابة والوعظ.

وهذه الفائدة التى أفادها القانون رقم ١٠ لسنة ١٩١١ تعد ضئيلة بجانب الضرر الذى نجم عنه، فقد اضطروا ليفوزوا بالنجاح فى الامتحان التحريرى إلى أن يعتمدوا على الحفظ والاستظهار، واستهانت المعاهد بالامتحان الشفوى.

وقد شعر المهيمنون على التعليم فى الأزهر منذ وضع ذلك القانون بأن الأزهر أخذ يفقد أهم خصائصه ومميزات تعليمه، ولم تخل تقارير المفتشين فى سنة من

السنوات من الشكوى من اعتماد الطلبة على الاستظهار، ومن ضعف ملكاتهم العلمية. وقد توالت على هذا القانون تعديلات آخرها الذى أدخل عليه بالقانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٣٠ وهو أظهر تعديل طرأ عليه، ففى هذا القانون قسم التعليم العالى إلى ثلاث كليات: واحدة لعلم أصول الدين، وثانية لعلوم الشريعة، وثالثة لعلوم اللغة العربية، وأوجد تخصصًا سمى تخصص المادة، وآخر سمى تخصص المهنة.

وقد كان الغرض من هذا تفرغ كل طائفة من التلاميذ فى التعليم العالى والتخصص لطائفة من المواد الكثيرة التى كانت تدرس مجتمعة حتى يتيسر إتقان الدرس والفهم، وإتقان التحصيل. ومع هذا ظلت الشكوى قائمة، وظهر أن الذى يجب أن يحسم ويستأصل هو ضعف الطلبة فى القسم الثانوى بسبب كثرة المواد، وبسبب طول المناهج فى بعض المواد التى لا يحتاج الطالب فى الأزهر إلى طول المناهج فيها. فهذه الكثرة وهذا الطول لم يدعا وقتًا لفهم الدروس وتمثيلها، ولم يدعا وقتًا لطول التفكير والبحث والجدل، وتنمية ملكات العلوم والاستنباط[1].

القانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٣٠:

صدر هذا القانون فى عهد المغفور له الشيخ محمد الأحمدى الظواهرى شيخ الجامع الأزهر (١٩٢٩- ١٩٣٥) وقد أنشئت بمقتضاه الكليات الثلاث القائمة الآن بالأزهر، وهى كليات اللغة العربية، وأصول الدين، والشريعة. وقد نص فيه على جواز إنشاء كليات أخرى.

ويعد هذا القانون بحق أول خطوة رسمية فى تمكين الجامع الأزهر من مسايرة التقدم العلمى والاجتماعى فى العصر الحاضر وفى تزويد طلابه بما يجب أن يحيط به رجل الدين الحديث من العلوم ومن الاتجاهات.

وقد افتتحت هذه الكليات فى الأماكن التى أعدت لها مؤقتًا لحين الانتهاء من

---

(١) كان الشيخ المراغى فى آخر مشيخته الأولى قد وضع مشروع قانون الإصلاح الأزهر، وتقدم به لأولى الأمر، ولكن الظروف حالت دون النظر فى ذلك المشروع فانصرف الشيخ المراغى عن مشيخة الأزهر، وتولاها الشيخ محمد الأحمدى الظواهرى فى أكتوبر سنة ١٩٢٩م ووكل إليه النظر فى مشروع قانون للجامعة والمعاهد الدينية، فوضعه، واعتمد من ولى الأمر، ونفذ سنة ١٩٣١ وافتتحت كليات الأزهر التى أنشئت بذلك القانون سنة ١٩٣٣.

الأبنية الفخمة التى خصصت لها. فتم ذلك فى يومين مشهودين فى حياة الأزهر، هما يوما ١٧ و١٨ مارس سنة ١٩٣٣.

وقد جعل هذا القانون التعليم فى الأزهر أربع مراحل:

١- ابتدائى ومدته أربع سنوات، ويدرس فيه من المواد ما يلى:

الفقه، الأخلاق الدينية، التجويد، استذكار القرآن الكريم، التوحيد، السيرة النبوية. المطالعة والمحفوظات، الإنشاء، النحو، الصرف، الإملاء، الخط، التاريخ، الجغرافيا، الحساب، الهندسة العملية، مبادئ العلوم، تدبير الصحة، الرسم.

٢- ثانوى ومدته خمس سنوات، وتمنح منه شهادة الثانوية قسم أول، و«شهادة الثانوية قسم ثان» ويدرس فيه المواد ما يلى:

الفقه، التفسير، الحديث، التوحيد. استذكار القرآن الكريم، النحو الصرف، البلاغة (البيان والبديع والمعانى)، العروض والقافية، المطالعة والمحفوظات، الإنشاء، أدب اللغة، الرياضة (الحساب والهندسة والجبر)، العلوم (الطبيعة والكيمياء والتاريخ الطبيعى)، المنطق، التاريخ، الجغرافيا، الأخلاق، التربية الوطنية.

٣- عال ومدته أربع سنوات، وينقسم إلى ثلاث كليات:

١- كلية اللغة العربية، ويدرس فيها من المواد ما يلى:

النحو: الوضع، الصرف، المنطق، علوم البلاغة، الآداب العربية وتاريخها، تاريخ العرب قبل الإسلام وتاريخ الأمم الإسلامية، التفسير، الحديث، الأصول، الإنشاء، فقه اللغة.

٢- كلية الشريعة ويدرس من المواد ما يلى:

التفسير، الحديث متنا ورجالاً ومصطلحًا، أصول الفقه، تاريخ التشريع الإسلامى، الفقه مع مقارنة المذاهب فى المسائل الكلية وحكمة التشريع، أدب اللغة العربية، علوم البلاغة، المنطق.

٣- كلية أصول الدين. ويدرس فيها من المواد ما يلى:

التوحيد مع إيراد الحجج ودفع الشبه خصوصًا الذائع فى العصر منها: المنطق والمناظرة، الفلسفة مع الرد على ما يكون منافيًا للدين منها، الأخلاق، التفسير، الحديث، آداب اللغة العربية وتاريخها، تاريخ الإسلام، علم النفس، علوم البلاغة.

٤- التخصص وهو على نوعين: تخصص فى المهنة، وتخصص فى المادة، والغرض من التخصص فى المهنة، هو إعداد علماء يقومون بمهنة الوعظ والارشاد أو الوظائف القضائية بالمحاكم الشرعية، والافتاء والمحاماة، أو التدريس فى المعاهد الدينية ومدارس الحكومة.

والغرض من التخصص فى المادة: إعداد علماء متفوقين فى العلوم الأساسية لكل كلية من الكليات الثلاث.

ويعين حاملو شهادة هذا القسم فى وظائف التدريس بالكليات، وبأقسام التحصص وهناك علاوة على ذلك أقسام غير نظامية يسمح فيها بدخول الطلبة الذين لم تتوافر فيهم شروط القبول بالأقسام النظامية. وكذلك أفراد الجمهور للتوسع فى دراسة العربية والعلوم الدينية.

قانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦:

ورأى الشيخ محمد مصطفى المراغى عقب توليته شيخًا للأزهر سنة ١٩٣٥م أن يضع مشروع قانون لإصلاح الأزهر يفى بالأغراض التى تحقق آمال المسلمين فيه، وترجع به إلى عصوره الزاهرة من البحث العلمى السليم والتفكير الحر، ودراسة الفنون التى تتفق مع طابعه القديم. وتطابق مقتضيات العصر وتلبى مطالبه، وقد وضع ذلك المشروع، وتقدم به لولى الأمر فصدر به مرسوم بقانون تحت رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦، وقد وضع بجانبه مذكرة إيضاحية بين فيها الأغراض التى قصد إليها فى مشروعه. ونحن نثبت هنا بعض ما جاء فى المذكرة فى هذا الصدد.

«إننا إذ نحاول إصلاح الأزهر نريد أن نوجد طالبًا يفهم مسائل العلوم فهمًا صحيحًا، ويفهم أغراضها وصلتها بأدلتها، وصلتها بعضها ببعض، ويستطيع

التطبيق على الجزئيات، ويستطيع الاستنباط والتدليل، ويستطيع فهم الكتب القديمة التى ألفت فى العصور المختلفة فى جميع الفنون الإسلامية.

«وإنى على بغضى لأكثر الكتب التى ألفت فى العصور المتأخرة، أكره من الطلاب أن يعجزوا عن فهمها. لأن فيها خيراً كثيراً، ودقائق لا يصح الجهل بها، لذلك أحب أن يستطيع الطلاب فهمها، ويقدروا على حلها.

«نعم إنى لا أحب أن تدرس العلوم على هذه الكتب، بل أحب أن توجد كتب فى جميع الفنون الحديثة على أسلوب عربى صحيح مناسب لأذواق الأجيال الحاضرة تهذب فيه المسائل على أحسن ما وصل إليه التحقيق العلمى، وأن تحيا الكتب القديمة الجيدة فى الأسلوب والوضع. فهذا الميراث العظيم يجب أن يؤخذ كله سلسلة متصلة الحلقات.

«هذا الذى نحاوله بالتجديد يجب على ما أرى أن يضعه الناس أمامهم، وأن يجدوا للوصول إليه، وهو غاية يقل فى جانبها كل جهد، ويرخص فى سبيلها كل ما يبذل للوصول إليها. ولقد كان أسلافنا أشد الناس عناية بالعلم، فلم يمض الزمن القليل حتى أخذوا علم اليونان وأدب الفرس وحكمة الهند، واستعانوا بذلك كله فى تفسير القرآن، وفى وضع علم الكلام على الأسس التى نراها فى مثل المواقف والمقاصد، واستعانوا به فى تنظيم مسائل العلوم جميعها، فلم يخل علم من أثر الفلسفة والمنطق. ولقد كانت لهم محاولات جديرة بالإعجاب فى التوفيق بين الدين ونظريات الفلسفة. وقد أخذ العلم يسير فى هذا العصر سيرة جديدة، وتغيرت نظريات الفلسفة وحدثت نظريات أخرى، وكان من شأن ذلك كله أن توجه على الأديان جملة، وعلى الإسلام خاصة، حملات، وصار من الواجب الحتم على علماء المسلمين أن يحطيوا علماً بكل ما يوجه إلى الأديان عامة، وإلى الإسلام خاصة من مطاعن، وأن يردوا تلك المطاعن التى توجه إلى الإسلام، ويذودوا عن عقيدتهم بأدلة ناصعة، وأسلوب مقنع ممتع، ليجنبوا المتعلمين تعليماً مدنياً الشبه الزائفة، وليضموا إلى الإسلام أفراداً وشعوباً من الأمم التى تتطلع إلى الإسلام، وتبتغى الوقوف على خصائصه ومزاياه. وهذا لا يتم لهم على ما ينبغى إلا بالاتصال بغيرهم اتصالاً علمياً وبتعرف اللغات الحية التى يكثر فيها الإنتاج

العلمى، والتى يتناول بهـا العلماء مسـائل الإسلام ومسـائل اللغة العـربية. لذلك وجب أن يكون لأهل الأزهر نصيب مـن هذه اللغات. وهناك فائدة أخـرى لتعليم اللغات، وهى أنها تساعد على معرفة طريقة وضع الكتب، وعلى معرفة الأسلوب الحديث فى التأليف والتفكير، وطريقة عرض المسائل على أنظار المتعلمين.

«ولا ندعى أن إصـلاح القانون، وتنفـيذ هذا المشـروع، يحقق الأغـراض التى نرمى إليـهـا، ويوجـد الطالب الأزهرى الذى نبـتغـيـه، بل إن الذى يحـقق هذه الأغراض الرغبة الصادقة فى التعليم، والعزيمـة القوية على احتمال الجهد والصبر لقطع مراحل التعليم فى هدوء وطمأنينة، والإيمـان بأن العلم عزيز يقتنى، وحلية للنفس، ومتعـة للعقل، وجمال لمن يتصف به، والحـرص على الإفادة والتعليم، والإيمـان بأن ذلك فرض للعلم واجب لله ولرسـوله وللمـؤمنين، والشعـور بلذة الإنفاق منه يزيد فى الثروة، ويشبع نهـم النفس التواقة إلى الغنى، وأن هذه الثروة خيـر مما هو مخـزون فى خزائن الأغنياء. وعـند النظر فى مواد التـعليم لإصلاح القانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٣٠ والقـانون رقم ٣٧ لسنة ١٩٣٣ رئى إدماجهمـا معًا، كـما رئى أيضًـا أن يشمل الإصـلاح الأبواب الأخرى مـن هذين القانونين، فـتم ذلك، وتألف منهما هذا المشروع».

الدراسة فى الأزهر الحديث(١)

جعل قانون ٣٦ التعليم فى الأزهر أربع مراحل:

١- ابتدائى ومدته أربع سنوات، ويدرس فيه من المواد ما يلى:

علوم دينية: الفـقه، التوحيـد، السيرة النبوية، وسـيرة كبار الصحـابة، تجويد القرآن الكريم.

علوم اللغة العربية: الإنشاء، النحو، الصرف، الإملاء، المطالعة، المحفوظات.

علوم أخرى: التاريخ، الجغرافيا، الرياضة، تدبير الصحة، الرسم، الخط.

٢- ثانوى ومدته خمس سنوات، ويمنح منه شهادة واحدة هى شهادة إتمام الدراسة الثانوية، ويدرس فيه من المواد ما يلى:

---

(١) طبقًا للقانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦ - وقد أدخلت عليه فيما بعد عدة تعديلات

علوم دينية: الفقه، التفسير، الحديث متنًا ومصطلحًا، التوحيد.

علوم اللغة العربية: النحو، الصرف، البلاغة: البيان والمعانى والبديع، والإنشاء، أدب اللغة، العروض، والقافية، والمطالعة، والمحفوظات.

علوم أخرى: المنطق وأدب البحث، الطبيعة، الكيمياء، علم الحياة، الجغرافيا.

٣- الكيات وهى ثلاث:

كلية الشريعة وتتبعها الأقسام الآتية:

أ- شهادة الدراسة العالية ومدتها أربع سنوات. والمواد التى تدرس للحصول عليها:

التفسير: الحديث متنا ورجالاً ومصطلحًا، أصول الفقه مع حكمة للتشريع ومقارنة المذاهب فى المسائل الكلية، تاريخ التشريع الإسلامى، المنطق، الفلسفة، لغة أجنبية (الإنجليزية أو الفرنسية) وتدرس بصفة اختيارية.

ب- شهادة العالمية مع إجازة القضاء. والمواد التى تدرس للحصول عليها بعد النجاح فى الشهادة العالية: قوانين ولوائح المحاكم الشرعية والأوقاف والمجالس الحسبية، والتوثيقات الشرعية، إجراءات وتمرينات قضائية، ودراسة القضايا ذات المبادئ، السياسية الشرعية، القانون الدولى الخاص، تاريخ القضاء والقضاة فى الإسلام، النظام الدستورى للدولة، محاضرات فى مبادئ الاقتصاد، محاضرات طبية، محاضرات فلكية، لغة أجنبية اختيارية، وهى التى درست فى الكلية.

ج- شهادة العالمية من درجة أستاذ فى الفقه والأصول. والمواد التى يتخصص فيها للحصول عليها بعد النجاح فى الشهادة العالية: الأصول الفقه مع حكمة التشريع ومقارنة المذاهب، وتاريخ التشريع الإسلامى.

كلية أصول الدين، وتتبعها الأقسام الآتية:

أ- شهادة الدراسة العالية فى أصول الدين. والعلوم التى تدرس للحصول عليها هى:

التوحيد، التفسير، الحديث متنا ومصطلحًا ورجالاً، المنطق وأدب البحث، الأخلاق، الفلسفة، الأصول، التاريخ الإسلامى، علم النفس، لغة أجنبية (الإنجليزية أو الفرنسية).

ب- شهادة العالمية مع الإجازة فى الدعوة والإرشاد، والمواد التى تدرس للحصول عليها بعد النجاح فى الشهادة العالية هى:

القرآن الكريم وعلومه، الحديث الشريف وعلومه، الدعوة إلى سبيل الله ووسائلها، الخطابة والمناظرة، الملل والنحل والمذاهب الفقهية وتواريخها، البدع والعادات، اللغة الأجنبية التى درست فى الكلية، لغة شرقية.

ج- شهادة العالمية مع درجة أستاذ فى التوحيد والفلسفة. والمواد التى تدرس للحصول عليها بعد النجاح فى الشهادة العالية وهى: التوحيد، الفلسفة، الأخلاق.

د- شهادة العالمية مع درجة أستاذ فى علوم القرآن الكريم والحديث الشريف.

هـ- شهادة العالمية، مع درجة أستاذ فى التاريخ الإسلامى.

كلية اللغة العربية، وتتبعها الأقسام الآتية:

أ- شهادة الدراسة العالية فى اللغة العربية.

ب- شهادة العالمية مع الإجازة فى التدريس.

ج- شهادة العالمية من درجة أستاذ فى النحو.

د- شهادة العالمية من درجة أستاذ فى البلاغة والأدب.

قانون الأزهر الجديد لعام ١٩٦١

وافق مجلس الأمة على القانون الجديد لتنظيم الأزهر وتطويره مع الاحتفاظ له بطابعه وبخصائصه وصفته، عالج القانون مشكلات الأزهر فى صميمها.

المذكرة الإيضاحية:

لقد قام بدور عظيم فى تاريخ العلم، وفى تاريخ الإسلام، وفى تاريخ العروبة، وفى تاريخ الكفاح القومى على توالى العصور ووقف قلعة شامخة فى وجه كل

المحاولات التى قصد منها استعبادنا والسيطرة علينا وتحطيم كياننا القومى والروحى.

وكانت التقاليد العلمية فى الأزهر أساسًا للنظام الجامعى والتقاليد الجامعية فى كل بلاد الدنيا، فهو أقدم جامعة فى العالم وإن لم يكن اسمه بين أسماء جامعاتنا.

ومن علم الأزهر شع نور الإسلام فى بلاد كثيرة من إفريقيا ومن آسيا وزاد عد المسلمين عشرات الملايين، . و كانت بعوث الأمم المختلفة إلى الأزهر سببًا لتوثيق علاقاتنا ببلاد كثيرة وشعوب منذ أقدم العصور إلى اليوم، وقد اكتسب اسم الأزهر بذلك قدسية، واكتسب المنتسبون إليه احترامًا، وصار رأيه الرأى فى كل ما يتعلق بالعقيدة والشريعة، وصار هو الجامعة الإسلامية الكبرى فى الشرق والغرب، لا يطلب أحد علوم الإسلام إلا عن طريق الأزهر، ولا تتجه قلوب المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها إلى معهد يفد إليه أولادهم للتزود من أسباب المعرفة غير الأزهر.

على أن التزام الأزهر الوقوف قرونًا طويلة فى وجه كل محاولات العدوان قد ألزمه نوعًا من المحافظة لعلها كانت بعض خصائص الموقف الدفاعى الذى التزمه خلال تلك القرون، فلما نشطت الحياة حواليه، وزالت الأسباب التى كانت تضطره إلى المحافظة والتزمت لم يجد الوسيلة الملائمة التى تعينه على الحركة المتجددة التى تلائم بينه وبين عصره مع احتفاظه بخصائصه وقيامه بواجبه لحياطة الدين والمحافظة على تراث الإسلام، من ذلك أن خريجيه لم يزالوا حتى اليوم - فيما يريدون لأنفسهم أو فيما يصفهم غيرهم- رجال دين، لا يكادون يتصلون بعلوم الدنيا اتصال النفع والانتفاع، والإسلام فى حقيقته الأصيلة لا يفرق بين علم الدين وعلم الدنيا، لأنه دين اجتماعى ينظم سلوك الناس فى الحياة ليحيوا حياتهم فى حب الله عاملين مؤثرين فى المجتمع فى ظل طاعة الله، ولأن الإسلام يفرض على كل مسلم أن يأخذ بنصيبه من الدين والدنيا، فكل مسلم يجب أن يكون رجل دين ورجل دنيا فى وقت معًا، إذا دعاه، فليس فى حاجة إلى شفيع أو وسيط يقربه إليه.

على أن العالم الإسلامى اليوم قد انفسح مداه واتسع نطاقه وأطل على آفاق فكر جديدة ووضعته الظروف السياسية التى تمر به وضع الاختبار فى مجالات شتى. وأكثره قد خرج منذ قريب من تحت النير الاستعمارى وفى نفوس أهله آمال ضخمة لاستكمال أسباب تحرره ونهضته والارتفاع بمستوى معيشته.

وكانت الثقافات الاستعمارية تحاول طوال السنين التى يسيطر فيها الاستعمار على العالم الإسلامى أن تلون أفكار أهله وعقائدهم وأن تضع فى نفوسهم موازين جديدة وقيمًا جديدة يمكن أن تباعد بينهم وبين الإسلام. فلولا طبيعة المقاومة فى نفوس المسلمين لسحقتهم المحاولات المتوالية حين أوقعت فى أذهان كثير منهم أن الإسلام عبادة وقربى إلى الله وفناء فى الله، وأن العمل للحياة شىء آخر يختلف عن الدين أو يتعارض مع الدين. وربما أوقعت فى أذهان بعضهم كذلك أن المذاهب الاجتماعية المستحدثة تضمن للبشر سعادة ورفاهة لا يكفل مثلها الإسلام، وربما لا يكفلها غير الإسلام من الأديان السماوية.

وفى كثير من البلاد التى تخلصت حديثًا من ربقة الاستعمار رغبة فى التخطيط والعمل والإنتاج فى مجالات الصناعة والتجارة والتعدين والتعليم والصحة وغيرها من أسباب النهوض، وهى حين تلتمس الخبراء فى كل نوع من أنواع هذا النشاط لا تكاد تجد إلا أجانب عن بيئتها ودينها من المواطنين أو من غير المواطنين، وحين تلتمس من المواطنين خبراء يملكون مع الخبرة معارف دينية صحيحة وعقيدة واعية لا تكاد تعرف أين توافدهم ليتعلموا ويستفيدوا الخبرة والمعرفة والعقيدة. وهى عناصر ثلاثة ضرورية لتستكمل هذه البلاد نهضتها وتمضى فى وجهها على الطريق السوى. وإذ كان الأزهر وحده هو المعهد أو الجامعة التى يحرص المسلمون وراء الحدود على أن يقنع فيه أبناؤهم لهذه المسئوليات فقد كان من الطبيعى أن يكون نظام الأزهر وعلى الأزهر بحيث تعد هؤلاء الخبراء مستكملين لكل العناصر التى تهيئهم لحمل أعباء النهضة فى بلادهم.

لكن الأزهر إذ يعد علماء فى الدين وفى لغة القرآن لم يتهيأ بعد لتأهيل العالم الدينى المتخصص فى عمل من أعمال الخبرة والإنتاج التى تحتاج إليها نهضة المسلمين فى كل البلاد. وحين تنبهت بعض البلاد الإسلامية إلى هذه الحقيقة

المؤسفة فحولت بعثاتها كلها أو بعضها إلى الجامعات المدنية فى الجمهورية العربية المتحدة أو فى غيرها من البلاد، عاد إليها مبعوثوها بعد إتمام دراستهم وهم يملكون الخبرة ولا يكادون يعرفون الدين، فى حين يعود المبعوثون منهم إلى الأزهر وقد حصلوا من علوم الدين وعلوم القرآن حظًا كبيرًا، ولكنهم لا يحسنون عملاً ولا يطبقون إنتاجًا ولا يقدرون على المشاركة فى لون من ألوان النهضة التى أشرنا إليها آنفًا. وبهؤلاء وأولئك تعقدت الحياة الاجتماعية فى كثير من بلاد العالم الإسلامى وتعثرت النهضة فى تلك البلاد.

ومن حسن الحظ أن يجمع كل أهل الغيرة فى كل البلاد الإسلامية على رأى واحد فى هذه المشكلة هو أن يعرف عالم الدين علومًا أخرى يعيش بها ويشارك بها فى النهضة ليرتفع مقام الدين عن أن يكون حرفة أو أن يكون سببًا للتعطل والضياع فى المجتمع، وسبيل ذلك أن تتطور معاهد الدراسات الإسلامية العالية بحيث تواجه احتياجات النهضة فلا تقتصر على الدراسات الدينية بل يجب أن تجمع إليها علومًا أخرى تتحقق بها لكل خريج الخبرة والمعرفة وسلامة العقيدة ليعود هؤلاء الخريجون إلى مراكز القيادة فى كل مجال من مجالات النشاط فى العالم الإسلامى المتحرر.

هذه الحقائق المسلم بها لا تكاد تجد لها صورة صحيحة فى خريجى الأزهر لعصرنا، ومن ثم كان نوع الانعزال بينهم وبين المجتمع الذى يعيشون فيه. ونشأت مشكلة تعطل كبيرة بين هؤلاء الخريجين زادتهم انعزالاً عن المجتمع. وأعقبت هذه المشكلة آثارًا كبيرة فى نفوس الأزهريين وفى نفوس الشعب جميعًا، كما كان لها أثرها فى قوة العقيدة فى نفوس هؤلاء وأولئك، أما فى نفوس الأزهريين فذلك أن خريج الأزهر حين يتعطل يمكن أن يقع فى وهمه أمرين: إما أن عالم الدين مآله التعطل والهوان فيصيبه وهن العقيدة قبل أن يصيب غيره، وإما أن الدولة لا تعترف به والشعب يحاربه، فيعتزل الدولة والمجتمع.

وأما فى نفوس الشعب فإن الناس لا يكادون يعرفون الدين إلا من صورة عالم الدين، فإذا كان عالم الدين على ما وصفنا فما أسرع أن يرين الشك على بعض القلوب وتفسد بعض العقائد.

ومن ذلك أو من بعضه يكون وهن العقيدة وتكون بعض صور الانقسام فى المجتمع، ويكون تعقد نفوس كثيرة، ويكون سوء ظن بعض المواطنين ببعض، وسوء رأى بعض المواطنين فى بعض.

ويمكن أن نلحظ مثل هذا الشعور فى بلاد أخرى وراء حدود وطننا، إذ كان مآل كثيرين من المبعوثين من تلك البلاد إلى الأزهر بعد أن عادوا إلى بلادهم مثل مصير خريجى الأزهر فى بلادنا، فانتقلت هذه الأثار إلى مجتمعهم وكاد مجتمعهم يفقد ثقته بالأزهر، ويوشك هذا الشعور إن عم أن يقطع كثيراً من الأواصر بيننا وبين تلك البلاد.

من أجل ذلك جميعه كان لابد من تجديد الأزهر وتطويره والاعتراف بمكانته وأثره مع الاحتفاظ له بطابعه وخصائصه وصفته التى استحق بها أن يبقى مسيطراً على تاريخنا على العلاقات الوثيقة بيننا وبين إخوان لنا فى شرق الأرض وغربها أكثر من ألف سنة.

وقد تكررت محاولات لمثل هذا الغرض منذ أكثر من نصف قرن، ولكنها جميعًا لم تنفذ إلى صميم المشكلة ولم تحاول علاجها جذريًا، فكانت قشوراً من الإصلاح لعل بعضها كان أسوأ أثراً.

ولعلاج المشكلة من صميمها كان لا بد لها من تقرير مبادئ لتكون أساسًا لكل محاولة إصلاح.

وعلى أساس المبادئ التى انتهينا إلى تقريرها كان مشروع الإصلاح الذى يتضمنه هذا القانون. وهذه المبادئ هى:

أولاً: أن يبقى الأزهر أو أن يدعم، ليظل أكبر جامعة إسلامية وأقدم جامعة فى الشرق والغرب.

ثانيًا: أن يظل كما كان منذ أكثر من ألف سنة حصنًا للدين والعروبة، يرتقى به الإسلام ويتجدد ويتجلى فى جوهره الأصيل ويتسع نطاق العلم به فى كل مستوى وفى كل بيئة ويذاد عنه كل ما يشوبه وكل ما يرمى به.

ثالثًا: أن يخرج علماء قد حصلوا كل ما يمكن تحصيله من علوم الدين وتهيئوا بكل ما يمكن من أسباب العلم والخبرة للعمل والإنتاج فى كل مجال من مجالات العمل والإنتاج فلا تكون كل حرفتهم أو كل بضاعتهم هى الدين.

رابعًا: أن تتحطم الحواجز والسدود بينه وبين الجامعات ومعاهد التعليم الأخرى وتزول الفوارق بين خريجيه وسائر الخريجين فى كل مستوى، وتتكافأ فرصهم جميعًا فى مجالات العلم ومجالات العمل.

خامسًا: أن يتحقق قدر مشترك من المعرفة والخبرة بين المتعلمين فى جامعة الأزهر والمعاهد الأزهرية وبين سائر المتعلمين فى الجامعات والمدارس الأخرى -مع الحرص على الدراسات الدينية والعربية التى يمتاز بها الأزهر منذ كان -لتتحقق لخريجى الأزهر الحديث وحدة فكرية ونفسية بين أبناء الوطن، ويتحقق بهم للوطن وللعالم الإسلامى نوع من الخريجين مؤهل للقيادة فى كل مجال من المجالات الروحية والعلمية.

سادسًا: أن توحد الشهادات الدراسية والجامعية فى كل الجامعات ومعاهد التعليم فى الجمهورية العربية المتحدة.

على أساس هذه المبادئ أعد مشروع القانون المرافق لتنظيم الأزهر فاحتفظ له بكيانه وصفته وخصائصه العلمية، وجعلت الهيئات التى يتكون منها خمسًا هى:

١- المجلس الأعلى للأزهر.

٢- مجمع البحوث الإسلامية.

٣- إدارة الثقافة والبعوث الإسلامية.

٤- جامعة الأزهر.

٥- المعاهد الأزهرية.

أما المجلس الأعلى للأزهر، فهو الهيئة التى تحمل مسئوليات التوجيه فى كل شئون الأزهر وتخطيط لأنواع النشاط فى هيئاته المختلفة، ويرأسها الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر، ويشترك فى عضويتها إلى جانب الكبار من العلماء - متخصصون وذوو خبرة فى التعليم وفى الإدارة.

وأما مجمع البحوث الإسلامية فوضع نظامه بحيث يكون هو الهيئة العليا للبحوث الإسلامية، يقوم بالدارسة فى كل ما يتصل بهذه البحوث، ويعمل على تجديد الثقافة الإسلامية، وتجريدها من الفضول والشوائب وتجليتها فى جوهرها الأصيل الخالص، وتوسيع نطاق العلم بها لكل مستوى وفى كل بيئة وبيان الرأى فيما يجد من مشكلات مذهبية أو اجتماعية تتصل بالعقيدة وحمل تبعة الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وجعل من مهمة هذا المجمع كذلك أن يتتبع ما ينشر عن الإسلام والتراث الإسلامى من بحوث الأجانب ودراساتهم، للانتفاع بما فيها من رأى صحيح أو مواجهتها بالتصحيح والرد. كما يقوم المجمع على رسم نظام بعوث الأزهر إلى العالم الإسلامى ومن العالم الإسلامى، كما يعاون فى توجيه الدراسات الإسلامية العليا لدرجتى التخصص والعالمية فى جامعة الأزهر والإشراف عليها والمشاركة فى امتحاناتها، وجعلت شروط العضوية فى هذا المجمع تضم أصلح العناصر لأداء مهمته.

وأما إدارة الثقافة والبعوث الإسلامية فهى الجهاز الذى يهىء لمجمع البحوث الإسلامية كل أسباب البحث والدراسة فى الموضوعات التى تتصل باختصاصته، كما تقوم بالإعداد والتحضير والتنفيذ، وتضع نتائج هذه البحوث والدراسات موضع الانتفاع العام، سواء فى المجالات الثقافية العامة أو فى فروع الدراسات الأزهرية.

وتقوم هذه الإدارة كذلك على إعداد مشروعات البعوث من الأزهر وإليه، وتحمل مسئولية التنفيذ بالنسبة لهذه البعوث وتقوم نتائجها.

وأما جامعة الأزهر فقد وضع مشروعها على أساس أن تختص بكل ما يتعلق بالتعليم العالى فى الأزهر، والبحوث الى تتصل بهذا التعليم أو تترتب عليه، كما نهتم ببعث التراث العلمى والفكرى والروحى للشعوب الإسلامية والعربية، وتعمل على تزويد العالم الإسلامى والوطن العربى بالعلماء العاملين الذين يجمعون إلى التفقه فى العقيدة والشريعة ولغة القرآن، كفاية علمية وعملية ومهنية تؤهلهم للمشاركة فى كل أنواع النشاط والإنتاج والريادة والقدوة الطيبة والدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، كما تعنى بتوثيق الروابط الثقافية والعلمية مع الجامعات والهيئات العلمية والإسلامية والعربية والأجنبية. وقد نص القانون فى المادة ٣٤ على الكليات التى تشملها جامعة الأزهر وهى:

كليات الدراسات الإسلامية، وكلية الدراسات العربية، وكلية المعاملات والإدارة. وكلية الهندسة والصناعات، وكلية الزراعة، وكلية الطب، مع النص على جواز إنشاء كليات أخرى كلما دعت الحاجة، وطبيعى أن هذه الكليات كلها أو بعضها لا يمكن أن تكون صورة مكررة للكليات القائمة الآن فى الأزهر أو فى الجامعات الأخرى، إذ لابد أن تتحقق لها مع صفتها العامة صفة تلائم الصفة الخاصة بجامعة الأزهر، بحيث يكون فيها إلى جانب الدراسات الفنية الخاصة، دراسات إسلامية ودينية تتحقق بها للطالب ثقافة دينية عميقة وواعية إلى جانب الثقافة المهنية التى يحصلها نظراؤه فى الكليات المماثلة فى الجامعات الأخرى، وبحيث تتاح لخريجيها بعد الحصول على درجة الإجازة العالية (الليسانس أو البكالوريوس) من أية كلية من كلياتها دراسة عليا فى مادة التخصص أو فى مادة من مواد الدراسات الإسلامية والعربية العالية للحصول بها على درجة التخصص أو العالمية (الماجستير أو الدكتوراه) فى مادة الدراسة، وليس مثل هذا النظام مستحدثًا فى تاريخ الأزهر والجامعات الإسلامية، فإن أعظم علماء الطب والكيمياء والرياضة فى الماضى كانوا علماء فى الدين، منهم ابن سينا والفارابى وابن الهيثم وجابر بن حيان وآخرون.

ولابد أن يكون لكل كلية من هذه الكليات أقسام مختلفة تختص بها أو تشترك فيها مع غيرها من الكليات لتنويع الدراسات وتنويع الخريجين إلى أكثر مما يدل عليه عدد هذه الكليات.

وإذ كانت جامعة الأزهر هى جامعة المسلمين من كل بلد منذ كانت، فقد نصت المادة الثامنة والثلاثون على أن تتساوى فرص القبول فى كلياتها والأقسام الملحقة بها للطلاب المسلمين من كل بلد.

ورعاية للصفة الخاصة لجامعة الأزهر، رؤى أن تستقل عن الجامعات الأخرى فى الجمهورية العربية المتحدة، بتبعيتها لرياسة الجمهورية، مع الحرص على التنسيق بينها وبين الجامعات الأخرى بقدر ما تقتضيه الصفة الخاصة بالأزهر وأغراض الدراسة فيه.

وحرص القانون على أن يكون أعضاء مجمع البحوث الإسلامية ممثلين فى مجلس الجامعة بالقدر الذى يتيح لهم أن يوجهوا الدراسات الإسلامية فى الكليات المختلفة، فتقرر أن يكون منهم فى مجلس الجامعة ثلاثة من أعضاء هذا المجمع، مع احتمال زيادة عددهم ببعض الأعضاء الذين يمثلون هيئات أخرى من الأزهر أو من خارجه.

وإذ كان المأمول أن تكون بعض أنواع الدراسة فى كليات جامعة الأزهر على هذا الأساس نموذجًا لنوع من الدراسات يلائم رغبات كثير من المواطنين، لتتحقق بها لأبنائهم معارف وثقافات دينية وقومية وكان من المتوقع لذلك أن يقبل بعض خريجى المدارس الثانوية على هذه الكليات، فقد حرص مشروع القانون على مواجهة هذا الاحتمال باشتراط أداء الطلاب الذين لم تتهيأ لهم فرصة الدراسة فى المعاهد الأزهرية امتحان معادلة يؤهلهم لمتابعة الدراسة فى هذه الكليات مع زملائهم من خريجى المعاهد الأزهرية.

وأما المعاهد الأزهرية، فإنه لكى يعد لكليات الجامعة الأزهرية على اختلافها طلاب على حظ من الثقافة الإسلامية والعربية لا يقل عن حظهم منها فى الوقت الحاضر، إلى جانب المعارف والخبرات التى تتيح لهم الاستمرار فى الدراسات الجامعية على الوجه الذى وصفناه، وضع نظام المعاهد الثانوية والابتدائية للأزهر، بحيث يتهيأ فيها الطلاب إلى جانب دراساتهم الدينية والعربية للحصول على الشهادات الإعدادية والثانوية بأنواعها المختلفة، لتتكافأ فرصهم مع فرص غيرهم من التلاميذ فى مدارس الدولة فيحصل تلميذ القسم الابتدائى على الإعدادية العامة، أو الإعدادية الفنية، إلى جانب ما درس من علوم الدين واللغة، ويحصل تلميذ القسم الثانوى على الثانوية العامة بأحد قسميها الأدبى أو العلمى، أو على الثانوية الفنية بأنواعها من زراعية أو صناعية أو تجارية أو غير ذلك، إلى جانب ما درس كذلك من علوم الدين أو اللغة، وبهذا يتاح لكل تلميذ فى هذه الأقسام أن يوجه حياته الوجهة التى يريد والتى تلائم ميوله واستعداده، فإن شاء خرج إلى الحياة ليعمل ويكسب بعد كل مرحلة، وإن شاء استمر فى الدراسة مرحلة أخرى أو مرحلتين ليخرج بعدها مؤهلا للعمل والكسب، وإن شاء تحول إلى المدارس

الأخرى يتم فيها دراسته وفق ميوله ورغباته، وتجد كليات جامعة الأزهر فى النهاية طلابا يجمعون بين علوم الدين وعلوم الدنيا، ولهم كل الأهلية لمتابعة الدراسة الجامعية فى كليات جامعة الأزهر أو فى غيرها من الكليات ومعاهد الدراسة العالية.

وقد حرص القانون فى هذه الناحية على أن يكون التعاون كاملا بين وزارة التربية والتعليم والإدارة المختصة بالإشراف على هذه الأقسام وإدارتها ليتحقق بهذا التعاون نوع من الثقة يدعم قيمة الشهادات التى يحصل عليها الطلاب من هذه الأقسام.

وقد واجه مشروع القانون مرحلة الانتقال بين وضع الأزهر وكلياته والأقسام الملحقة به فى الوقت الحاضر. ووضعها المنتظر بعد التطبيق الكامل لهذا القانون فنص على إنشاء دراسات إضافية فى الأقسام الثانوية والابتدائية منذ الموسم الدراسى المقبل لتهيئة تلاميذ هذه الأقسام الحاليين للحصول على شهادات معادلة تتيح لهم الانتفاع بمزايا هذا القانون فى أسرع وقت ممكن. كما حرص على الملاءمة بين وضع الطلاب الحاليين فى الكليات الأزهرية وبين مقتضيات تطبيق القانون.

كما نص مشروع القانون على أن يحتفظ للعلماء الموظفين الآن والمدرسين فى أقسام الأزهر وأعضاء هيئات التدريس فى الكليات الأزهرية الحالية وأعضاء جماعة كبار العلماء، ولطلاب الأزهر الحاليين، بكل الحقوق المالية المقررة لهم فلا تتأثر هذه الحقوق بشىء نتيجة لتطبيق هذا القانون. سواء فى المرتبات أو فى المعاشات ومدة الخدمة. أو غير ذلك. لتكون النظم المستحدثة فى هذا الشأن بغير أثر رجعى.

ولكيلا يتضمن القانون تفصيلات يضخم بها رؤى أن يقتصر على الخطوط الرئيسية للتنظيم، على أن تتضمن اللائحة التنفيذية التى يصدر بها قرار من رئيس الجمهورية كل التفصيلات التى توضح الصورة وتيسر التنفيذ.

وإذ كانت تفصيلات المشروع قد أحيل أكثرها على تلك اللائحة التنفيذية، فقد نص المشروع على ألا يتأخر صدور هذه اللائحة عن تاريخ معين، ليتهيأ الأخذ فى أسباب التنفيذ الكامل للمشروع قبل ابتداء الموسم الدراسى المقبل.

والمشروع معروض رجاء الموافقة على إصداره:

باسم الأمة

رئيس الجمهورية:

قرر مجلس الأمة القانون الآتى نصه وقد أصدرناه:

مادة ١- تستبدل النصوص المرافقة بأحكام القانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦ بإعادة تنظيم الجامع الأزهر والقوانين المعدلة له ويبطل كل ما يخلفه من القوانين.

مادة ٢- الأزهر هو الهيئة العلمية الإسلامية الكبرى التى تقوم على حفظ التراث الإسلامى ودراسته وتجليته ونشره، وتحمل أمانة الرسالة الإسلامية إلى كل الشعوب، وتعمل على إظهار حقيقة الإسلام وأثره فى تقدم البشر ورقى الحضارة وكفالة الأمن والطمأنينة وراحة النفس لكل الناس فى الدنيا والآخرة، كما تهتم ببعث الحضارة العربية والتراث العلمى والفكرى للأمة العربية، وإظهار أثر العرب فى تطور الإنسانية وتقدمها، وتعمل على رقى الآداب وتقدم العلوم والفنون وخدمة المجتمع والأهداف القومية والإنسانية والقيم الروحية، وتزويد العالم الإسلامى والوطن العربى بالمختصين وأصحاب الرأى فيما يتصل بالشريعة الإسلامية والثقافة الدينية والعربية ولغة القرآن، وتخريج علماء عاملين مثقفين فى الدين يجمعون إلى الإيمان بالله والثقة بالنفس وقوة الروح، كفاية علمية وعملية ومهنية، لتأكيد الصلة بين الدين والحياة والربط بين العقيدة والسلوك، وتأهيل عالم الدين للمشاركة فى كل أسباب النشاط والإنتاج والريادة والقدوة الطيبة، وعالم الدنيا للمشاركة فى الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، كما تهتم بتوثيق الروابط الثقافية والعلمية مع الجامعات والهيئات العلمية الإسلامية والعربية والأجنبية ومقره القاهرة، ويتبع رياسة الجمهورية.

مادة ٣- يعين بقرار من رئيس الجمهورية وزير لشئون الأزهر.

مادة ٤- شيخ الأزهر هو الإمام الأكبر وصاحب الرأى فى كل ما يتصل بالشئون الدينية والمشتغلين بالقرآن وعلوم الإسلام، وله الرياسة والتوجيه فى كل ما يتصل بالدراسات الإسلامية فى الأزهر وهيئاته ويرأس المجلس الأعلى للأزهر.

مادة ٥- يختار شيخ الأزهر من بين هيئة مجمع البحوث الإسلامية أو ممن تتوافر فيهم الصفـات المشروطة فى أعضاء هذه الهيئة. ويعين بقـرار من رئيس الجمهورية فإن لم يكن قبل هذا التعيين عضواً فى تلك الهيئة صار بمقتضى هذا التعيين عضواً فيها.

مادة ٦- يكون للأزهر شخصـية معنوية عربيـة الجنس ويكون له الأهلية الكاملة للمقاضاة وقبول التبرعات التى ترد إليه عن طريق الوقف والوصايا والهيبات بشرط ألا تتعارض مع الغرض الذى يقوم عليه الأزهر.

وشيخ الأزهر هو الذى يمثل الأزهـر ويكون له حق مقاضـاة نظار الأوقاف التى للمـدرسين أو الموظفين أو الطلاب نصـيب فـيهـا، وذلك دون إخـلال بما لوزارة الأوقاف من الحقوق والاختصاصات المقررة فى اللوائح والقوانين.

مادة ٧- يكون للأزهر وكيل يختـار من بين هيئة مجمع البحـوث الإسلامية أو من تتوافـر فيهم الـصفات المشـروطة لأعضاء هذه الهـيئة ويعـين بقرار من رئيس الجمهورية، فإن لم يكن قبل هذا التعيين عـضواً فى هيئة المجمع صار بمقتضى هذا التعيين عضواً فيها.

ويعاون الوكيل شيخ الأزهر ويقوم مقامه حين غيابه.

هيئات الأزهر:

مادة ٨- يشمل الأزهر الهيئات الآتية:

١- المجلس الأعلى للأزهر.

٢- محمع البحوث الإسلامية

٣- إدارة الثقافة والبعوث الإسلامية.

٤- جامعة الأزهر.

٥- المعاهد الأزهرية.

المجلس الأعلى للأزهر

مادة ٩- يكون للأزهر مجلس يسمى المجلس الأعلى للأزهر، ويتكون على الوجه الآتى:

شيخ الأزهر وله رياسة المجلس.

وكيل الأزهر.

مدير جامعة الأزهر.

عمداء الكليات بجامعة الأزهر.

أربعة من أعضاء مجمع البحوث الإسلامية يختارهم المجمع ويصدر بتعيينهم قرار من رئيس الجمهورية بناء على ترشيح شيخ الأزهر لمدة سنتين.

أحد وكلاء الوزارات أو الوكلاء المساعدين من كل من وزارات الأوقاف والتربية والتعليم والعدل والخزانة، يصدر بتعيين كل منهم قرار من الوزير الذى يمثل وزارته فى المجلس.

مدير الثقافة والبعوث الإسلامية.

مدير المعاهد الأزهرية.

ثلاثة أعضاء على الأكثر من ذوى الخبرة فى شئون التعليم الجامعى والشئون العامة المتعلقة به، يكون أحدهم على الأقل من أعضاء المجلس الأعلى للجامعات فى الجمهورية العربية المتحدة، ويعينون بقرار من الوزير المختص بعد أخذ رأى المجلس، وبناء على ترشيح شيخ الأزهر وذلك لمدة سنتين.

مادة ١٠- يختص المجلس الأعلى للأزهر بالنظر فى الأمور الآتية:

١- التخطيط ورسم السياسة العامة لكل ما يحقق الأغراض التى يقوم عليها الأزهر ويعمل لها فى خدمة الفكرة الإسلامية الشاملة.

٢- رسم السياسة التعليمية التى تسير عليها جامعة الأزهر والمعاهد الأزهرية والأقسام التعليمية فى كل ما يتصل بالدراسات الإسلامية والعربية واقتراح المواد والمقررات التى تدرس لتحقيق أغراض الأزهر.

٣- النظر فى مشروع ميزانية هيئات الأزهر وإعداد الحساب الختامى.

٤- اقتراح إنشاء الكليات والمعاهد الأزهرية والأقسام التعليمية.

٥- قبول الأوقاف والوصايا والهبات مع مراعاة أحكام المادة (٦) من هذا القانون.

٦- النظر فى كل مشروع قانون أو قرار جمهورى يتعلق بأى شأن من شئون الأزهر.

٧- النظر فى منح العالمية الفخرية لجامعة الأزهر أو إحدى كلياتها بناء على اقتراح الكلية أو الجامعة.

٨- تشكيل للجان الفنية الدائمة أو المؤقتة من بين أعضائه أو من غيرهم من المتخصصين لبحث الموضوعات التى تدخل فى اختصاصه.

٩- تدبير أموال الأزهر واستثمارها وإدارتها.

١٠- النظر فيما يعهد إليه هذا القانون أو غيره من القوانين والقرارات واللوائح وفيما يعرضه عليه شيخ الأزهر، وفى كل ما يرى المجلس فائدة فى بحثه من المسائل التى تدخل فى اختصاصه.

مادة ١١- لا تنفذ قرارات المجلس الأعلى للأزهر فيما يحتاج إلى قرار من الوزير المختص إلا بعد صدور هذا القرار -فإذا لم يصدر منه قرار فى شأنها خلال الستين يوما التالية لتاريخ وصولها مستوفاة إلى مكتبه تكون نافذة.

مادة ١٢- يكون للمجلس الأعلى للأزهر أمين عام، يصدر بتعيينه قرار من رئيس الجمهورية.

مادة ١٣- يحدد الجدول الملحق باللائحة التنفيذية لهذا القانون مرتبات شيخ الأزهر ووكيله وأمين المجلس الأعلى للأزهر ومكافآت أعضائه.

مادة ١٤- يكون للمجلس جهاز يتابع تنفيذ مقرراته ويرأسه الأمين العام للمجلس.

مجمع البحوث الإسلامية وإدارة الثقافة

مادة ١٥- مجمع البحوث الإسلامية هو الهيئة العليا للبحوث الإسلامية وتقوم بالدراسة فى كل ما يتصل بهذه البحوث وتعمل على تجديد الثقافة الإسلامية وتجريدها من الفضول والشوائب وآثار التعصب السياسى والمذهبى، وتجليتها فى جوهرها الأصيل الخالص، وتوسيع نطاق العلم بها لكل مستوى وفى كل بيئة، وبيان الرأى فيما يجد من مشكلات مذهبية أو اجتماعية تتعلق بالعقيدة وحمل تبعة الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

وتعاون جامعة الأزهر فى توجيه الدراسات الإسلامية العليا لدرجتى التخصص والعالمية والإشراف عليها والمشاركة فى امتحاناتها.

وتحدد اللائحة التنفيذية لهذا القانون واجبات مجمع البحوث الإسلامية بالتفصيل الذى يساعد على تحقيق الغرض من إنشائه.

مادة ١٦- يتألف مجمع البحوث الإسلامية من خمسين عضوا من كبار علماء الإسلام، يمثلون جميع المذاهب الإسلامية، ويكون من بينهم عدد لا يزيد على العشرين من غير مواطنى الجمهورية العربية المتحدة.

مادة ١٧- يشترط فى عضو المجمع.

١- ألا تقل سنه عن أربعين سنة.

٢- أن يكون معروفا بالورع والتقوى فى ماضيه وحاضره.

٣- أن يكون حائزًا لأحد المؤهلات العلمية العليا من الأزهر. أو إحدى الكليات أو المعاهد العليا التى تهتم بالدراسات الإسلامية.

٤- أن يكون له إنتاج علمى بارز فى الدراسات الإسلامية، أو اشتغل بالتدريس لمادة من مواد الدراسات الإسلامية فى كلية أو معهد من معاهد التعليم العالى لمدة أدناها ٥ سنوات أو شغل إحدى الوظائف الإسلامية فى القضاء أو الإفتاء أو التشريع لمدة أدناها خمس سنوات.

ويعتبر الأعضاء الحاليون فى جماعة كبار العلماء -فى حكم هذا القانون- مستوفين لهذا الشرط.

مادة ١٨- يعين بقرار من رئيس الجمهورية أعضاء مجمع البحوث الإسلامية فى أول تشكيل له -بناء على عرض الوزير المختص باقتراح من شيخ الأزهر.

ويكون شيخ الأزهر رئيسًا لهذا المجمع.

مادة ١٩- يكون نصف أعضاء المجمع على الأقل متفرغين لعضويته، وتبين اللائحة التنفيذية واجبات العضو المتفرغ والعضو غير المتفرغ.

مادة ٢٠- هيئات المجمع هى:

(أ) مجلس المجمع: ويتألف من الرئيس، والأعضاء المتفرغين، والأعضاء غير المتفرغين من مواطنى الجمهورية العربية المتحدة، والأمين العام للمجمع.

(ب) مؤتمر المجمع ويتألف من كل أعضاء المجمع.

(جـ) الأمانة العامة للمجمع.

مادة ٢١- يجتمع مجلس المجمع مرة فى كل شهر على الأقل -ولا يكون اجتماعه صحيحا إلا بحضور أكثرية أعضائه.

مادة ٢٢- يجتمع مؤتمر المجمع اجتماعًا عاديًا مرة فى كل سنة وتستمر دورة اجتماعه أربعة أسابيع للنظر فى جدول أعمال السنة ويجوز أن يدعى المؤتمر إلى اجتماع غير عادى إذا اقتضت الظروف ذلك بموافقة الوزير المختص وبناء على اقتراح شيخ الأزهر ويكون اجتماع المؤتمر صحيحًا فى الحالتين بحضور أكثرية أعضائه، بشرط أن يكون من بينهم ربع الأعضاء غير المواطنين على الأقل.

مادة ٢٣- يكون للمجمع أمانة عامة دائمة يرأسها أمين عام ويشغل هذا المنصب مدير الثقافة والبعوث الإسلامية بشرط أن تتحقق فيه شروط العضوية المنصوص عليها فى المادة ١٧ من هذا القانون، ويصدر بتعيينه قرار من رئيس الجمهورية. بناء على عرض الوزير المختص وبموافقة شيخ الأزهر ويكون الأمين العام للمجمع بمقتضى قرار التعيين عضوا فى المجمع ما دام شاغلا لهذه الوظيفة.

مادة ٢٤- تتألف الأمانة العامة للمجمع من الأمين العام، وأمين مساعد أو أكثر، وعدد من الموظفين اللازمين لتصريف الشئون الفنية والإدارية للمجمع ومباشرة تنفيذ قرارته طبقًا لما تبينه اللائحة التنفيذية لهذا القانون.

مادة ٢٥- تختص إدارة الثقافة والبعوث الإسلامية بكل ما يتصل بالنشر والترجمة والعلاقات الإسلامية من البعوث والدعاة واستقبال طلاب المنح وغيرهم من ذوى العلاقة، فى نطاق أغراض الأزهر، وعليها إلى ذلك تنفيذ مقررات المجمع ونشر بحوثه ودراساته وتجميع ما يلزمه من البيانات لهذه الدراسات.

وتبين اللائحة التنفيذية لهذا القانون تفصيل ذلك ووسائل تنفيذه.

مادة ٢٦- يختار مؤتمر المجمع بالأغلبية المطلقة بناء على ترشيح اثنين من الأعضاء، أعضاء مراسلين من مواطنى الجمهورية العربية المتحدة أو من غيرهم، ممن يرى الاستعانة بهم فى تحقيق أغراضه ويصدر باعتماد عضويتهم قرار من الوزير المختص.

مادة ٢٧- يجوز منح لقب عضو فخرى لأعضاء المجمع السابقين، أو لمن يؤدى للإسلام خدمات علمية ذات أثر، ويصدر بمنح هذا اللقب قرار من رئيس الجمهورية بناء على عرض الوزير المختص باقتراح من مؤتمر المجمع.

مادة ٢٨- يؤلف المجمع من أعضائه لجانًا لتحقيق أغراضه المنصوص عليها فى هذا القانون وفى اللائحة التنفيذية.

مادة ٢٩- يجوز دعوة الأعضاء المراسلين والأعضاء الفخريين إلى جلسات المجمع بموافقة الوزير المختص بناء على قرار مجلس المجمع.

مادة ٣٠- تسقط عضوية المجمع فى إحدى الحالات الآتية:

(أ) إذا صدر ضد العضو حكم ماس بالشرف والأمانة.

(ب) إذا وقع من العضو ما لا يلائم صفة العضوية، كالطعن فى الإسلام، أو إنكار ما علم منه بالضرورة، أو سلك سلوكًا ينقص من قدره كعالم مسلم، ويكون سقوط العضوية فى هذه الحالة بقرار مسبب يصدره المجمع بأغلبية الثلثين من أعضائه ويعتمده الوزير المختص.

(جـ) إذا عجز العضو عن مباشرة أعماله لمرض أو لظروف أخرى، ويكون سقوط العضوية فى هذه الحالة بقرار جمهورى بعد موافقة المجمع.

(د) إذا تقرر قبول استقالته، أو اعتبره المجمع مستقيلاً بتخلفه عن حضور جلسات المجمع، وفقًا لما تفصله اللائحة التنفيذية لهذا القانون.

مادة ٣١- إذا خلا مكان عضو من أعضاء المجمع لأى سبب من الأسباب السابقة أو غيرها، انتخب المجمع العضو الذى يخلفه من بين المرشحين للعضوية ويتم الترشيح بتزكية اثنين من الأعضاء،ولا تكون جلسة الانتخاب صحيحة إلا إذا حضرها الثلثان على الأقل من أعضاء المجمع، ويكون انتخاب المرشح صحيحًا إذا حصل على أكثرية أصوات الحاضرين بشرط ألا يقل عددهم عن نصف العدد الكلى لأعضاء المجمع ويكون التصويت سريًا، ويصدر باعتماد العضوية قرار من رئيس الجمهورية بناء على عرض الوزير المختص.

مادة ٣٢- يحدد الجدول الملحق باللائحة التنفيذية لهذا القانون مكافآت المتفرغين وغير المتفرغين من أعضاء المجمع، كما يحدد مكافآت أعضاء اللجان من غير أعضاء المجمع الذين قد يستعان بهم لخبرتهم.

جامعة الأزهر

مادة ٣٣- تختص جامعة الأزهر بكل ما يتعلق بالتعليم العالى فى الأزهر وبالبحوث التى تتصل بهذا التعليم أو تترتب عليه وتقوم على حفظ التراث الإسلامى ودراسته وتجليته ونشره. وتؤدى رسالة الإسلام إلى الناس وتعمل على إظهار حقيقته وأثره فى تقدم البشر وكفالة السعادة لهم فى الدنيا وفى الآخرة كما تهتم ببعث الحضارة العربية والتراث العلمى والفكرى والروحى للأمة العربية. وتعمل على تزويد العالم الإسلامى والوطن العربى بالعلماء العاملين الذين يجمعون إلى الإيمان بالله والثقة بالنفس وقوة الروح والتفقه فى العقيدة والشريعة ولغة القرآن، كفاية علمية وعملية ومهنية لتأكيد الصلة بين الدين والحياة، والربط بين العقيدة والسلوك، وتأهيل عالم الدين للمشاركة فى كل أنواع النشاط، والإنتاج والريادة والقدوة الطيبة، وعالم الدنيا للمشاركة فى الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، فى داخل الجمهورية العربية المتحدة وخارجها من أبناء الجمهورية وغيرهم كما تعنى بتوثيق الروابط الثقافية والعلمية مع الجامعات والهيئات العلمية الإسلامية والعربية والأجنبية.

مادة ٣٤- تتكون جامعة الأزهر من الكليات الآتية:

١- كليات للدراسات الإسلامية تحدد عددها اللائحة التنفيذية.

٢- كلية الدارسات العربية.

٣- كلية المعاملات والإدارة.

٤- كلية الهندسة والصناعات.

٥- كلية الزراعة.

٦- كلية الطب.

ويجوز إنشاء كليات أخرى أو معاهد عالية بقرار من رئيس الجمهورية.

وتتكون كل كلية من عدد من الأقسام العلمية يتولى كل قسم منها تدريس المواد التى تدخل فى اختصاصه ويقوم على بحوثها فى الكلية أو فى غيرها من كليات الجامعة ومعاهدها وتعين هذه الأقسام بقرار من الوزير المختص.

ولا يجوز أن تتكرر الأقسام المتماثلة فى كليات الجامعة.

وتحدد اللائحة التنفيذية لهذا القانون الأقسام التى تتبع كل كلية من هذه الكليات وأنواع الدراسات بها والدرجات العلمية التى تمنحها الجامعة من هذه الكليات.

مادة ٣٥- يجور أن تنشأ بقرار من الوزير المختص معاهد تابعة للكليات إذا كانت الدراسة فيها تتصل بأكثر من قسم من الأقسام، وتسرى على هذه المعاهد الأحكام الخاصة بأقسام الكلية.

مادة ٣٦- يجوز أن تلحق بكليات الجامعة أو بعضها مدارس تعليمية لمواد أو دراسات تتصل بأغراض الأزهر، مثل مدرسة تجويد القرآن الكريم وتعليم القراءات، أو أقسام الإرشاد العامة المنشأة لمراجعة حاجات الذين يريدون التزويد من المعارف الدينية والعربية وغيرها من فئات الشعب. ولا تنطبق على هذه المدارس والأقسام شروط الدراسة الجامعية، وتحدد اللائحة التنفيذية نظام العمل بها.

مادة ٣٧- اللغة العربيــة هى لغة التعليم فى جامعة الأزهر، مـا لم يقرر مجلس الجامعة فى أحوال خاصة استعمال لغة أخرى.

مادة ٣٨- تتساوى فـرص القبول للتعليم بالمجـان فى كليات الجامعــة ومعاهدها المختلفة للطلاب المسلمين من كل جنس وكل بلد، فى حـدود الإمكانيات والميزانية والأعداد المقرر قبولها، وفقًا لما تقضى به اللائحة التنفيذية.

وتنظم الدراسات الخـاصة لطلاب البعوث من غيـر مواطنى الجمهـورية العربية المتحـدة، ليتـأهلوا لمتابعة الدراسـة فى الكليات والمعـاهد مع نظرائهم من الطلاب العرب.

مادة ٣٩- يتولى إدار جامعة الأزهر:

١- مدير جامعة الأزهر.

٢- مجلس الجامعة.

مادة ٤٠- يتولى إدارة كل كلية:

١- عميد الكلية.

٢- مجلس الكلية.

مادة ٤١- يكون تعـيين مدير الجـامعــة بقرار من رئيس الجـمهـورية، بناء على ترشيح الوزير المختص واقتراح شيخ الأزهر ويشـترط فيه أن يكون قد شغل أحد كراسى الأستاذية بجامعة الأزهر أو إحدى الجامعات فى الجمهورية العربية المتحدة.

مادة ٤٢- يتولى مدير الجامعة إدارة شئون الجامعة العلمية والإدارية والمالية. وهو الذى يمثلها أمـام الهيئـات الأخرى، وهو مسـئول عن تنفيـذ القوانين واللوائح فى الجامـعة وقرارات مـجلس الجامعــة فى حدود هذه القوانين والـلوائح وله فى حالة الإخلال بالـنظام أن يقف الدراسة كلهـا أو بعضـها. على أن يعرض قـرار الوقف على مجلس الجامعة خلال ثلاثة أيام.

مادة ٤٣- يقدم مدير الجامعة إلى شيخ الأزهر فى نـهاية كل سنة جامعية تقريراً عن شئون التعليم والبحوث العلمية وسائر نواحى النشاط الأخرى بالجامعة.

مادة ٤٤- يكون لجامعة الأزهر وكيل يعاون المدير فى إدارة شئونها العلمية والإدارية والمالية، ويقوم مقامه عند غيابه. ويكون تعيين وكيل الجامعة بقرار من رئيس الجمهورية بناء على عرض الوزير المختص واقتراح مدير الجامعة وموافقة شيخ الأزهر. ويشترط فيه أن يكون قد شغل أحد كراسى الأستاذية بجامعة الأزهر أو بإحدى الجامعات فى الجمهورية العربية المتحدة.

مادة ٤٥- يكون للجامعة أمين يعين بقرار من رئيس الجمهورية بناء على عرض الوزير المختص بعد استطلاع رأى مدير الجامعة.

مادة ٤٦- يدير الأمين العام للجامعة الأعمال المالية والإدارية بالجامعة تحت إشراف مدير الجامعة ووكيلها، ويكون مسئولا عن تنفيذ القوانين واللوائح فى حدود اختصاصه.

مادة ٤٧- يتكون مجلس جامعة الأزهر على الوجه الآتى:

مدير الجامعة: وله رياسة المجلس.

وكيل الجامعة.

عمداء الكليات.

ممثل لوزارة التربية والتعليم يختاره الوزير من بين كبار موظفيها.

ثلاثة أعضاء على الأكثر من بين أعضاء مجمع البحوث الإسلامية يرشحهم المجمع ويصدر بتعيينهم قرار من الوزير المختص، وذلك لمدة سنتين.

ثلاثة أعضاء على الأكثر من ذوى الخبرة فى شئون التعليم الجامعِى والشؤون العامة المتعلقة به، يعينون بقرار من الوزير المختص وذلك لمدة سنتين.

مادة ٤٨- يختص مجلس جامعة الأزهر بالنظر فى الأمور الآتية:

١- وضع خطط الدراسة.

٢- وضع النظام العام للدروس والمحاضرات والبحوث والأشغال العلمية وتوزيع الدروس والمحاضرات بالكليات.

٣- تعيين مدة الدراسة ومدة الامتحان ومدة العطلة.

٤- شروط قبول الطلاب فى الجامعة ونظام تأديبهم.

٥- المكافآت والإعانات المالية على اختلاف أنواعها.

٦- إدارة حركة الامتحانات وتشمل مدة اشتغال الممتحنين ولجان الامتحان ومقدار مكافآتهم وكيفية تعيينهم وواجباتهم.

٧- منح الدرجات العلمية والشهادات.

٨- تنظيم الشئون الاجتماعية للطلاب.

٩- وضع اللوائح الخاصة بالمتاحف والمكتبات ومساكن الطلبة وغيرها من المنشآت الجامعية.

١٠- تتبع النشاط العلمى للكليات والمعاهد والتنسيق بين الدراسات والبحوث القائمة بها.

١١- تنظيم البحث العلمى وتوفير الإمكانيات اللازمة له.

١٢- إنشاء كراسى الأستاذية.

١٣- تعيين أعضاء هيئات التدريس بالجامعة ونقلهم وإيفادهم للمهمات العلمية.

١٤- ندب أعضاء هيئة التدريس وإعارتهم.

١٥- إعداد مشروعات الميزانية والحساب الختامى.

١٦- إقامة أبنية الجامعة وترميمها.

١٧- منح العالمية الفخرية للجامعة أو إحدى كلياتها بناء على اقتراح مجلسها وبموافقة المجلس الأعلى للأزهر، ويصدر بذلك قرار من رئيس الجمهورية.

١٨- إبداء الرأى فيما يتعلق بجميع مسائل التعليم فى درجاته المختلفة.

١٩- الترخيص لمدير الجامعة فى إجراء التعليم فى درجاته المختلفة.

٢٠- الترخيص لمدير الجامعة فى إجراء التصرفات القانونية.

٢١- وقف الدراسة بالكليات ومعاهد الجامعة.

٢٢- الموضوعات التى يحيلها عليه الوزير المختص أو شيخ الأزهر.

٢٣- الموضوعات الأخرى التى تتصل باختصاص الجامعة وفقًا لهذا القانون.

يؤلف مجلس الجامعة بين أعضائه ومن غيره من أعضاء هيئة التدريس والمتخصصين لجانًا فنية دائمة أو مؤقتة لبحث الموضوعات التى تدخل فى اختصاصه.

مادة ٤٩- لمجلس الجامعة أن يلغى القرارات الصادرة من مجالس الكليات أو المعاهد التابعة للجامعة إذا كانت مخالفة للقوانين واللوائح أو القرارات التنظيمية التى تعمل بها الجامعة.

مادة ٥٠- لا تنفذ قرارات مجلس الجامعة فيما يحتاج تنفيذه فى هذا القانون أو فى اللائحة التنفيذية إلى تصديق من شيخ الأزهر أو من الوزير المختص إلا بعد صدور قرار التصديق. فإذا لم يصدر قرار فى شأنها خلال الستين يومًا التالية لتاريخ وصولها مستوفاة إلى مكتبه تكون نافذة.

مادة ٥١- يعين الوزير المختص عميد الكلية من بين أساتذة الكلية بناء على ترشيح مدير الجامعة وموافقة شيخ الأزهر، ويكون العميد مسئولاً عن تنفيذ القوانين واللوائح الجامعية، وكذلك عن تنفيذ قرارات مجلس الكلية ومجلس الجامعة، فى حدود هذه القوانين واللوائح، ويقدم العميد إلى مدير الجامعة فى كل سنة جامعية تقريرًا عن شئون التعليم والبحوث العلمية وسائر نواحى النشاط بالكلية.

مادة ٥٢- يكون لكل كلية وكيل يعاون العميد فى أعماله ويقوم مقامه عند غيابه، ويكون تعيينه من بين أساتذة الكلية بترشيح من العميد وقرار من مجلس الجامعة.

مادة ٥٣- يكون تعيين كل من العميد والوكيل لمدة سنتين.

مادة ٥٤- يؤلف مجلس الكلية من:

عميد الكلية.

رؤساء الأقسام بالكلية.

أحد الأساتذة من كل قسم.

وللوزير المختص بناء على اقتراح الجامعة أن يضم إلى مجلس الكلية عضواً أو عضوين من الخارج ممن لهم دراية خاصة فى المواد التى تدرس فى الكلية، ويكون التعيين لمدة سنتين.

وتكون رياسة المجلس لعميد الكلية وعند غيابه للوكيل.

ويشترك رؤساء الأقسام التى تقوم بأعباء التدريس بكلية غير الكلية التابعة لها فى مجلس هذه الكلية عند النظر فى المسائل الداخلة فى اختصاص أقسامها.

مادة ٥٥- يختص مجلس الكلية بالنظر فى الأمور الآتية:

١- وضع القواعد المتعلقة بمواظبة الطلاب ونظام الدروس والمحاضرات والأعمال الجامعية الأخرى.

٢- وضع مناهج الدراسة وبرامجها والتنسيق بينها فى الأقسام المختلفة وتوزيع الدروس والمحاضرات على أعضاء هيئة التدريس.

٣- تنظيم البحوث العلمية وتنسيقها بين أقسام الكلية.

٤- وضع نظام الامتحان وتوزيع أعماله على هيئة الممتحنين.

٥- تقديم اقتراحاته إلى مجلس الجامعة بخطط الدراسة ومواعيد الامتحان وشروط منح الدرجات العلمية الدبلومات والشهادات.

٦- رعاية الشئون الاجتماعية والرياضية للطلاب.

٧- تقديم ما يراه من الاقتراحات إلى مجلس الجامعة فى شأن التعليم والنظام فى الكلية.

٨- الأمور الأخرى التى يختص بها وفقًا للقانون.

ويؤلف المجلس من بين أعضائه وغيرهم من أعضاء هيئة التدريس والمتخصصين لجانًا فنية دائمة أو مؤقتة لدراسة الموضوعات التى تدخل فى اختصاصه.

مادة ٥٦- أعضاء هيئة التدريس فى الجامعة هم:

أ- الأساتذة.

ب- الأساتذة المساعدون.

جـ- المدرسون.

وتحدد اللائحة التنفيذية لهذا القانون شروط تعيينهم ونقلهم وندبهم وإعارتهم وإجازاتهم العلمية والإجازات الاعتيادية والمرضية وغير ذلك من شئون الوظيفة، كما تحدد اللائحة واجباتهم والنظم التأديبية الخاصة بهم وجدول مرتباتهم.

مادة ٥٧- يجوز أن يعين فى هيئة التدريس مسلمون من غير مواطنى الجمهورية العربية المتحدة ممن تؤهلهم كفايتهم لذلك لمدة معينة ويكون التعيين بقرار من الوزير المختص بناء على طلب الجامعة.

مادة ٥٨- يجوز الاستعانة بأساتذة مسلمين من غير مواطنى الجمهورية العربية المتحدة بصفة زائرين لمدة معينة ويكون ذلك بقرار من مدير الجامعة بناء على طلب الكلية المختصة.

مادة ٥٩- يجوز أن يعين مدرسو لغات وموظفون فنيون مسلمون من غير مواطنى الجمهورية العربية المتحدة لمدة معينة ويكون تعيينهم بقرار من مدير الجامعة بناء على طلب الكلية المختصة.

مادة ٦٠- يجوز أن يعين فى الكلية معيدون يقومون بالدراسات والبحوث العلمية وبما يعهد إليهم القسم المختص من التمرينات والدروس العملية وسواها من الأعمال تحت إشراف أعضاء هيئة التدريس وبالأعمال الأخرى التى يكلفهم بها العميد وتحدد اللائحة التنفيذية شروط تعيينهم.

مادة ٦١- مرتبات مدير الجامعة ووكيلها وأعضاء هيئة التدريس والمعيدين وقواعد تطبيقها ومكافآت الأساتذة غير المتفرغين يحددها الجدول الملحق باللائحة التنفيذية لهذا القانون.

مادة ٦٢- مع مراعاة أحكام هذا القانون ولائحته التنفيذية:

أ- يطبق مجلس الجامعة دون الرجوع إلى وزارة الخزانة أو ديوان الموظفين اللوائح الخاصة بأعضاء هيئة التدريس، وتكون قراراته فى ذلك نهائية ونافذة.

ب- يطبق مدير الجامعة دون الرجوع إلى وزارة الخزانة أو ديوان الموظفين القواعد المالية العامة المعمول بها فى حق جميع الموظفين والمستخدمين فى الدولة على المعيدين وعلى سائر الموظفين بالجامعة من غير أعضاء هيئة التدريس، إلا أنه فى الحالات التى توجب القوانين إصدار قرار من رئيس الجمهورية يتعين إرسال القرارات إلى الوزير المختص لاتخاذ اللازم فى شأنها.

مادة ٦٣- للجامعة فى حالة الضرورة التجاوز عن شرط الحصول على شهادة الدراسة الثانوية العامة أو ما يعادلها عند التعيين فى وظائف مدرسى اللغات إذا كانت لدى المرشح إجازات علمية أخرى تعتبر كافية بالنسبة إلى الوظيفة التى سيعين فيها.

مادة ٦٤- لمدير الجامعة إعفاء الموظفين من شروط اللياقة الطبية كلها أو بعضها بعد أخذ رأى اللجنة الطبية العامة «القومسيون الطبى العام».

مادة ٦٥- تكون الإجازات الاعتيادية السنوية لموظفى الجامعة من غير أعضاء هيئة التدريس فى أثناء العطلة الصيفية فيما عدا المعاهد التى تكون طبيعة العمل فيها مختلفة فتحدد الإجازات فى هذه الحالة بقرار من مدير الجامعة بعد أخذ رأى عميد الكلية المختص.

ويجوز منح الموظف إجازة اعتيادية بمرتب كامل لتأدية فريضة الحج وذلك مرة واحدة خلال مدة خدمته.

مادة ٦٦- فيما عدا أعضاء هيئة التدريس فى كليات الجامعة، ومع مراعاة أحكام هذا القانون يطبق على الموظفين فى الأزهر بجميع هيئاته القانون رقم ٢١٠ لسنة ١٩٥١ بشأن نظام موظفى الدولة فى الإقليم المصرى والقوانين المعدة له.

وذلك فيما يختص بتعيينهم وتأديبهم وإنهاء خدمتهم وإجازاتهم وترقياتهم وغير ذلك من شئونهم الوظيفية، ويكون للأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر وللأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية وللأمين العام للجامعة، ولمدير الثقافة والبعوث الإسلامية ولمدير المعاهد الأزهرية سلطة مدير المصلحة بالنسبة للموظفين التابعين لكل منهم ولوكيل الجامعة سلطة وكيل الوزارة بالنسبة للموظفين التابعين له ولمدير الجامعة سلطة الوزير فيما يختص بموظفى الجامعة طبقًا لما تحدده اللائحة التنفيذية.

مادة ٦٧- إذا نسب إلى أحد أعضاء هيئة التدريس بالجامعة ما يوجب التحقيق معه طلب مدير الجامعة إلى أحد أعضاء هيئة التدريس بإحدى الكليات أو طلب إلى النيابة الإدارية مباشرة التحقيق ويقدم عن التحقيق تقرير إلى مدير الجامعة، وإلى الوزير المختص إذا طلبه -ويحيل مدير الجامعة العضو المحقق معه إلى مجلس التأديب إن رأى محلاً لذلك.

مادة ٦٨- لمدير الجامعة أن يوقف أى عضو من أعضاء هيئة التدريس عن عمله احتياطيًا إذا اقتضت مصلحة التحقيق معه ذلك. ولا يجوز أن تزيد مدة الوقف على ثلاثة أشهر إلا بقرار من المحكمة التأديبية، ويترتب على وقف عضو هيئة التدريس عن عمله وقف صرف مرتبه ابتداء من اليوم الذى أوقف فيه، ما لم يقرر مجلس التأديب صرف المرتب كله أو بعضه بصفة مؤقتة إلى أن يقرر عند الفصل فى الدعوة التأديبية ما يتبع فى شأن المرتب عن مدة الوقف سواء بحرمان عضو هيئة التدريس منه أو بصرفه إليه كله أو بعضه.

مادة ٦٩- يعلن مدير الجامعة عضو هيئة التدريس المحال إلى مجلس التأديب ببيان التهم الموجهة إليه وبصورة من تقرير التحقيق وذلك بكتاب موصى عليه مصحوب بعلم وصول قبل الجلسة المعنية للمحاكمة بعشرين يومًا على الأقل.

مادة ٧٠- لعضو هيئة التدريس المحال إلى مجلس التأديب الإطلاع على التحقيقات التى أجريت وذلك فى الأيام التى يعينها له مدير الجامعة.

مادة ٧١- تكون محاكمة أعضاء هيئة التدريس بجميع درجاتهم أمام مجلس تأديب يشكل من:

وكيل الجامعة رئيسًا.

مستشار من مجلس الدولة.

أستاذ من إحدى كليات الجامعة يعينه مجلس الجامعة سنويًا.

ويحل أقدم العمداء محل وكيل الجامعة عند غيابه.

وتسرى بالنسبة للمحاكمة أحكام القانون رقم ١١٧ لسنة ١٩٥٨ على أن تراعى بالنسبة للتحقيق والإحالة إلى مجلس التأديب أحكام المادة ٧٦ من ذلك القانون.

مادة ٧٢- العقوبات التأديبية التى يجوز توقيعها على أعضاء هيئة التدريس هى:

١- الإنذار.

٢- توجيه اللوم.

٣- توجيه اللوم مع تأخير العلاوة المستحقة.

٤- العزل من الوظيفة مع الاحتفاظ بالمعاش أو المكافأة.

٥- العزل مع الحرمان من كل أو بعض المعاش أو المكافأة وفقًا للقوانين واللوائح المعمول بها فى هذا الشأن.

وكل فعل يزرى بشرف عضو هيئة التدريس أو لا يلائم صفته كعالم مسلم أو يتعارض مع حقائق الإسلام. أو يمس دينه ونزاهته يكون جزاؤه العزل.

مادة ٧٣- تقضى الدعوى التأديبية باستقالة عضو هيئة التدريس وقبول مجلس الجامعة لها وموافقة الوزير المختص وذلك فيما عدا الحالات التى نصت عليها القوانين واللوائح الخاصة بالمخالفات المالية ولا تأثير للدعوى التأديبية فى الدعوى الجنائية والدعوى المدنية الناشئتين عن الواقعة ذاتها.

مادة ٧٤- لمدير الجامعة أن يوجه تنبيهًا إلى أعضاء هيئة التدريس الذين يخلون بواجباتهم أو يتصرفون تصرفًا لا يلائم صفتهم كعلماء مسلمين، ويكون التنبيه شفهيًا أو كتابيًا وله توقيع عقوبتى الإنذار وتوجيه اللوم المنصوص عليهما فى المادة ٧٢، أو يطلب نقلهم إلى وظائف أخرى خارج نطاق الأزهر وذلك كله بعد سماع

أقوال عضـو هيئة التدريس وتحـقيق دفاعه. ويكون قـراره فى ذلك مسببًـا ونهائيًا وعلى عميد كل كلية أن يبلغ مدير الجامعة كل ما يقع من أعضاء هيئة التدريس فى كليته من إخلال بواجباتهم أو بمقتضيات وظيفتهم.

مادة ٧٥- تمنح جامـعة الأزهر الدرجـات العلمية الآتيـة وفقًا لأحـكام اللائحة التنفيذية.

أولاً: درجة الإجـازة العالية للكليـات، وتعادل الليسـانس أو البكالوريوس فى الجامعات الأخرى بالجمهورية العربية المتحدة.

ثانيًا: درجة التـخصص فى دراسـة من الدراسات المقـررة فى إحدى الكـليات وتعادل درجة الماجستير.

ثالثًا: درجة العـالمية فى أى الدراسات الإسلامـية أو العربية من إحـدى كليات الدراسات الإسلاميـة والدراسات العربية للحاصلين على الإجازة العـالية منهما أو من غيرها من الكليات: وتعادل درجة الدكتوراه.

رابعًا: درجة العالميـة أو الدكتوراه فى أى من الدراسات العليـا من أى الكليات الأخرى.

مادة ٧٦- تبين اللائحـة التنفيـذية تفصيل الدرجـات العلميـة والإجازات التى تمنحها جامعة الأزهر والشروط اللازمـة للحصول على كل منها، ويجوز بقرار من رئيس الجمهـورية التعديل فى الدرجات العلمية بالإضـافة أو بالحذف ويكون ذلك بناء على عرض الوزير المخـتص وبعد أخذ رأى مجلس الجـامعة وموافـقة المجلس الأعلى للأزهر فيما يخصه.

مادة ٧٧- تبـين اللائحة التنفـيذية منـاهج الدراسة والمقـررات التى تدرس لنيل الدرجات العلمية والإجازات والشهادات التى تمنحها جـامعة الأزهر كما تبين كيفية توزيعها على سنين الدراسة وفصولها الدراسية.

ولمجلس الجـامعـة بناء على طلب الكلية أو المعـهد ومـوافقـة المجلس الأعلى للأزهر فيـما يخصه أن يعـدل فى هذه المناهج والمقررات بالإضافـة أو بالحذف إذا اقتضت مصلحة التعليم ذلك.

مادة ٧٨- تنظم اللائحة التنفيذية الامتحانات، ولا تمنح الدرجات العلمية أو الإجازات العالية أو الشهادات إلا من نجح فى جميع الامتحانات المقررة لكل منها.

مادة ٧٩- يشترط لنجاح الطالب فى الإمتحانات أن ترضى لجنة الإمتحانات عن فهمه وتحصيله فى كل مقررات الدراسة، وذلك وفقًا لأحكام اللائحة التنفيذية.

مادة ٨٠- لمجلس الجامعة بناء على طلب مجلس الكلية أو المعهد أن يعفى طالب الإجازة العالية من المقررات الدراسية كلها أو بعضها عدا مقررات السنة النهائية، إذا ثبت أنه حضر مقررات دراسية تعادلها فى كلية جامعية أو معهد عال معترف بهما من الجامعة.

وللمجلس أن يعفيه كذلك من امتحانات النقل كلها أو بعضها إذا ثبت أنه أدى بنجاح امتحانات تعادلها فى كلية أو معهد عال معترف بهما من الجامعة.

وللمجلس أن يعفى طالب الدراسات العليا من بعض المقررات الدراسية ومن امتحاناتها إذا ثبت أنه حضر مقررات مماثلة فى كلية جامعية أو معهد عال معترف بهما أو أدى بنجاح الإمتحانات المقررة.

مادة ٨١- يشترط فى قيد الطالب للتحضير لدرجة التخصص أو لدرجة العالمية أن يحصل على إذن من مجلس الكلية فى متابعة الدراسات والبحوث الخاصة بالدرجة.

مادة ٨٢- يشترط فى رسالة العالمية: «الدكتوراه» أن تكون عملاً ذا قيمة علمية يشهد للطالب بكفايته الشخصية فى بحوثه ودراساته ويأتى للعلم بفائدة محققة.

ويشترك مجمع البحوث الإسلامية فى الموضوعات التى تتصل بإختصاصه.

مادة ٨٣- تلحق بالأزهر المعاهد الأزهرية المذكورة فى اللائحة التنفيذية، ويجوز أن تنشأ معاهد أخرى بقرار من الوزير المختص بعد موافقة المجلس الأعلى للأزهر.

وتسمى الأقسام الابتدائية منها المعاهد الإعدادية للأزهر وتسمى الأقسام الثانوية المعاهد الثانوية للأزهر.

مادة ٨٤- تقوم مدارس تحفيظ القرآن مقام مدارس المرحلة الأولى بالنسبة للطلاب المتقدمين إلى المعاهد الإعدادية للأزهر.

وتحدد اللائحة التنفيذية نظام القبول وشروطه بالنسبة للمتقدمين من تلاميذ هذه المدارس ومن غيرها.

مادة ٨٥- الغرض من المعاهد الأزهرية الملحقة بالأزهر تزويد تلاميذها بالقدر الكافى من الثقافة الإسلامية، وإلى جانبها المعارف والخبرات التى يتزود بها نظراؤهم فى المدارس الأخرى المماثلة ليخرجوا إلى الحياة مزودين بوسائلها وإعدادهم الإعداد الكامل للدخول فى كليات جامعة الأزهر ولتتهيأ لهم جميعًا فرص متكافئة فى مجال العمل والإنتاج، كما تتهيأ لهم الفرص المتكافأة للدخول فى كليات الجامعات الأخرى فى الجمهورية العربية المتحدة وسائر الكليات ومعاهد التعليم العالى.

مادة ٨٦- مدة الدراسة فى المعاهد الإعدادية للأزهر أربع سنوات، يعد فيها التلميذ إلى جانب ما يحصل من علوم الدين واللغة للحصول على الشهادة الإعدادية العامة أو الفنية.

مادة ٨٧- مدة الدارسة فى المعاهد الثانوية فى الأزهر خمس سنوات يعد فيها التلميذ إلى جانب ما يحصل من علوم الدين واللغة للحصول على الشهادة الثانوية العامة بأحد قسميها العلمى والأدبى، أو للحصول على الشهادة الثانوية الفنية بأحد أنواعها الصناعى والتجارى والزراعى وغيرها.

ويجوز أن تعدل مدة الدراسة فى الأقسام الثانوية الفنية بالزيادة أو بالنقص بقرار من رئيس الجمهورية.

مادة ٨٨- للحاصلين على الشهادة الإعدادية من المعاهد الإعدادية للأزهر حق الدخول فى المعاهد الثانوية للأزهر ولهم إلى جانب ذلك فرص متكافئة مع نظرائهم للتقدم إلى المدارس الأخرى التى تجعل الشهادة الإعدادية شرطًا للقبول.

وتحدد وزارة التربية والتعليم مدى التجاوز عن شرط السن بالنسبة لهؤلاء التلاميذ على أن يوضح ذلك فى اللائحة التنفيذية كما يجوز للحاصلين على

الشهادة الإعدادية من المدارس الإعدادية العامة أن يطلبوا اللالتحاق بالمعاهد الثانوية بالأزهر بعد النجاح فى امتحان يحقق التعادل بينهم وبين الحاصلين على الشهادة الإعدادية من المعاهد الإعدادية للأزهر.

مادة ٨٩- للحاصلين على الشهادة الثانوية من المعاهد الثانوية للأزهر حق الدخول فى إحدى كليات جامعة الأزهر ومعاهدها وفق قواعد القبول التى يقررها مجلس الجامعة، ولهم إلى ذلك فرص متكافئة مع نظرائهم للتقدم إلى الكليات المختلفة فى الجامعات الأخرى، وإلى سائر الكليات ومعاهد التعليم العالى وفقًا للقواعد المقررة لذلك. كما يجوز للحاصلين على الشهادة العامة من المدارس الثانوية العامة أن يطلبوا الالتحاق بإحدى كليات جامعة الأزهر ومعاهدها بعد النجاح فى امتحان يحقق التعادل بينهم وبين الحاصلين على الشهادة الثانوية من المعاهد الثانوية للأزهر.

مادة ٩٠- مع مراعاة أحكام المواد ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، من هذا القانون تحدد اللائحة التنفيذية المواد التى تدرس فى كل من المعاهد الإعدادية والثانوية للأزهر بناء على اقتراح لجنة من الأزهر ووزارة التربية والتعليم. كما تحدد اللائحة التنفيذية شروط القبول والنظام العام للدراسة والإمتحانات فى هذه المعاهد.

مادة ٩١- يكون للمعاهد الأزهرية إدارة عامة مهمتها الإشراف والإدارة وعلى وزارة التربية والتعليم تقديم المعونة اللازمة فى هذا الشأن مع الاستعانة بالأجهزة المختصة بوزارة التربية والتعليم. وتحدد اللائحة التنفيذية لهذا القانون مهمة هذه الإدارة ونظام العمل بها واختصاصات مديرها وموظفيها ووسائل التعاون بينها وبين وزارة التربية والتعليم.

مادة ٩٢- تشكل لجنة من الأزهر ووزارة التربية والتعليم لوضع المناهج وتخطيط المواد الدراسية فى المعاهد الأزهرية وفقًا لأحكام هذا القانون وتحدد اللائحة التنفيذية نظام العمل فى هذه اللجنة.

مادة ٩٣- تجرى الإدارة العامة للمعاهد الأزهرية بالإشتراك مع وزارة التربية والتعليم امتحانات الشهادات الإعدادية والثانوية بأنواعها المختلفة فى المعاهد الأزهرية.

مادة ٩٤- إلى أن يتم تنفيذ هذا القانون ويتعادل خريجو الأقسام الابتدائية والثانوية بالمعاهد الأزهرية مع نظـرائهم مع خريجى المدارس الإعدادية والثـانوية تنظم دراسات إضافية للتـلاميذ المقيدين فى هذه الأقسام حين صـدور هذا القانون لتأهيلهم لدخول امتحانات معادلة للشهادة الإعدادية بالنسبة لتلاميذ الأقسام الابتدائية للمعاهد الأزهرية وللشهادة الثانوية العامة أو الفنية بالنسبة لتلاميذ الأقسام الثانوية لهذه المعاهد.

وعلى وزارة التربية والتعليم أن تعـاون فى تنظيم هذه الدراسات وأن تعد العدة الإمتحانات المعادلة المشار إليها فى ختام العام الدراسى ١٩٦١/ ١٩٦٢.

ومع ذلك فإن من حق كل حـاصل على إحدى الشهادتين الابتدائـية أو الثانوية من هذه الأقسـام دخول امتـحانات المعـادلة المشار إليهـا وفقًا لـلنظام الذى تحدده اللائحة التنفيذية وينتهى العمل بهذا النظام بانتهاء العام الدراسى ١٩٦٥/ ١٩٦٦.

مادة ٩٥- يستمـر قبول التلاميـذ الحاصلين على الشهادة الابتدائيـة من الأقسام الابتدائية فى المعاهد الأزهرية هذا العام فى الأقسام الثانوية بهذه المعاهد وفقًا للنظام الذى تحدده الـلائحة التنفـيذية وتعـدل مناهج الدراسة بالنسـبة لهـؤلاء التلامـيذ، وللتلاميذ المعيدين بالسنة الأولى بالأقسـام الثانوية على الوجه الذى يحقق التعادل فى آخر المرحلة.

مادة ٩٦- ابتداء من الـعام الدراسى ١٩٦٢/ ١٩٦٣ وإلى ابتداء الـعام الدراسى ١٩٦٦/ ١٩٦٧ يكون التلاميـذ الحاصلين على معادلة الشهادة الإعـدادية أو معادلة الشهادة الثـانوية المشار إليهما فى المادتين الـسابقتين كل الحقـوق المقررة للحاصلين على الشهـادة الإعدادية أو الشـهادة الثانوية سـواء فى القبول بـالمدارس والكليات الجامـعية ومـعاهد التعـليم العالى، أو فى غيـر ذلك من الحقوق المـقررة باللوائح والقوانين والقـرارات، مع التجاوز عن شـرط السن إلى سنتين بالنسبـة للحاصلين على معادلة الإعدادية وإلى ثلاث سنوات بالنسبة للحاصلين على معادلة الثانوية أو طبقًا لما تحدد اللائحة التنفيذية.

مادة ٩٧- الطلاب المقيدون فى كليات الأزهر الحـالية، والذين ينتظر قيدهم فى أول الموسم الدراسى ١٩٦١/ ١٩٦٢، تحـدد اللائحة التنفـيذية لهذا القـانون النظام الذى يتبع للملائمة بين وضعهم وبين مقتضيات تطبيق هذا القانون.

ومع ذلك فإنه يجوز أن تزاد سنة الدراسة بالنسبة للطلاب المقيدين حاليًا فى كليات الأزهر سنة أو سنتين بصفة مؤقتة لتحقيق هذه الملاءمة.

كما يجوز للحاصلين على الشهادة العالية من كليات الأزهر الحالية أن ينتظموا فى دراسات عليا فى جامعة الأزهر الجديدة للحصول على درجة التخصص أو العالمية، والذين يحصلون منهم على إحدى هاتين الدرجتين أو كلتيهما مثل الحقوق المخولة للحاصلين عليهما أو على الماجستير أو الدكتوراه من جامعات الجمهورية العربية المتحدة.

مادة ٩٨- يحتفظ للعلماء الموظفين الآن وللمدرسين فى أقسام الأزهر المختلفة وفى المعاهد الأزهرية وأعضاء هيئات التدريس فى كليات الأزهر الحالية وأعضاء جماعة كبار العلماء، كما يحتفظ بأصحاب الحقوق من أولاد العلماء وللطلاب فى الكليات والمعاهد الأزهرية والأقسام العامة بكل الحقوق المالية المقررة لهم قبل صدور هذا القانون سواء فى المرتبات أو فى المعاشات أو فى الأوقاف أو فى مدة الخدمة بالنسبة للموظفين، أو غير ذلك. على أن تتضمن اللائحة التنفيذية لهذا القانون تحديد كل ما يتعلق بهذه الحقوق بالنسبة للذين يعينون فى الوظائف أو يلتحقون بأقسام الدراسة المختلفة مستقبلاً.

مادة ٩٩- تحدد اللائحة التنفيذية لهذا القانون المسائل الآتية وغيرها مما وردت الإشارة إليه فى هذا القانون:

١- اختصاصات شيخ الأزهر، ووكيل الأزهر، ومدير جامعة الأزهر، ووكيل جامعة الأزهر، وعمداء الكليات، والأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر، والأمين العام للجامعة، ومدير الثقافة والبعوث الإسلامية، ومدير المعاهد الأزهرية، والمجالس المختلفة، وذلك فى الحدود المبينة فى هذا القانون.

٢- جدول المرتبات والمكافآت لشيخ الأزهر ووكيل الأزهر وأعضاء المجلس الأعلى للأزهر وأعضاء مجمع البحوث الإسلامية.

٣- كيفية إدارة أموال جامعة الأزهر.

٤- شروط قبول الطلاب فى الجامعة.

٥- نظام تأديب الطلاب.

٦- كل ما يتعلق بالمنح والمكافآت والإعانة الخاصة بالطلاب.

٧- مناهج الدراسة.

٨- مدة الدراسة ومدة الإمتحان ومدة العطلة.

٩- الدرجات العلمية والشهادات التى تمنحها الجامعة وشروط كل منها.

١٠- القواعد العامة للإمتحان.

١١- مدة اشتغال الممتحنين ولجان الإمتحان ومقدار مكافآتهم وكيفية تعيينهم وواجباتهم.

١٢- الانتداب للتدريس.

١٣- تحديد المكافآت المالية والمنح لأعضاء هيئة التدريس والمعيدين.

١٤- نظام تعيين أعضاء هيئة التدريس والمعيدين وجدول المرتبات والمكافات فى الجامعة.

١٥- قواعد الشئون الاجتماعية والرياضية للطلاب.

١٦- القواعد العامة للتنظيم الدراسى والإدارى فى المعاهد الأزهرية الملحقة وذلك فى الحدود المبينة فى هذا القانون.

مادة ١٠٠- تصدر اللائحة التنفيذية لهذا القانون فى مدى أربعة أشهر من تاريخ صدورها، ويعمل بها من تاريخ صدورها. وللوزير المختص إصدار ما يراه من قرارات تنظيمية أو تكميلية مؤقتة تتعلق بشئون الأزهر وهيئاته بما لا يتعارض مع نصوص هذا القانون وذلك خلال الفترة التى تعد فيها اللائحة التنفيذية لحين صدورها.

التعليم فى الأزهر

يسير الأزهر على التوسع فى التعليمين الثانوى والعالى[1] وإتاحة الفرص لكل قادر على متابعة الدراسة من إكمال معارفه والتزود بحظ من الثقافة العالية يستطيع

(١) من تقرير قدم إلى الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية بناء على طلب هذه الإدارة قبل انعقاد المؤتمر العربى عام ١٩٥٠.

به أن يكون مـواطنًا نافعًـا يخدم دينـه ويعلى من شأن وطنه. ويعـتـقـد الأزهر أن الكفاية ليس لها حدود ولا موطن معين، ولذلك فسياسته التعليمية منذ قديم تقوم على مبدأ تكافؤ الفـرص بأوسع معانيه. فهو لا يضع حدودًا أو عـوائق مالية تحول بين الطالب مهما تكن قـدرته المالية وبين متابعة الدراسة حتى نهـايتها، إذ الدراسة فيه مجـانية تتكفل الدولة بكل تكاليفها المالية. وفـضلاً عن ذلك فإن الأزهر على خلاف الجـامعات كلها ينفـرد بتقرير مكافآت مـالية للطلاب تعينهم نوعًـا ما على طلب العلم وتحـمل نفقـات المعيـشة. وهو يـتبع سـياسـة منظمة فى التـوسع فى التعليمين الثانوى والعـالى بحيث يكفل فى كل وقت ألا يرد طالبًا راغبًا فى العلم عن المعاهد الـثانوية أو الكليات. وتبـدأ سيـاسة الأزهر منذ المرحلة الأولى، فـهو يضع شروطًا للقبـول بالسنة الأولى الابتدائية من شأنها أن ترد غـير القادرين على الدراسة، أو الذين لا تتوافر فـيهم الأهلية لمتابعة الدراسة الدينية، فـهو يشترط فى المادة ٩٩ من قانونه الأساسى ما يأتى: يشـترط لقبول الطالب فى السنة الأولى من القسم الابتدائى:

أولاً: ألا تقل سنه عن اثنتى عشرة سنة، ولا يزيد على ست عشرة.

ثانيًا: أن يكون حافظًا للقرآن الكريم كله ويؤدى امتحانًا يثبت ذلك.

ثالثًا: أن يؤدى بنجاح امتحانًا فى المطالعة والإملاء والخط والحساب.

رابعًا: أن ينجح فى الكشف الطبى طبقًا للشروط التى توضع لذلك.

وقد دل تحرى الدقة فى تطبيق هذه الشروط على المتقدمين إلى المعاهد الابتدائية أن نسبـة كبـيرة قد تصل إلـى ٥٠٪ من عدد المتقـدمين لم يسـتطيعـوا أن يحرزوا النصاب المقـرر للنجاح فى امتـحان القبـول، وبذلك أمكن منذ اللحظة الأولى أن يوجهوا إلى دراسة تـتـفق مع ميولهم، وبذلك ضمن إلى حد كبـير أن أكثرية الذين اجتازوا هذا الامتحان التمهـيدى لديهم استعداد للدراسة الدينية، وأنهم لديهم من الكفاية مـا يؤهلهم لمتابعة الـدراسة فى المرحلتين: الشـانوية والعالية. وفـضلاً عن اشتراط هذا الامـتحان التمهيـدى فقد جرى قانون الأزهر حـتى السنة الحالية على التشدد فى امتـحان طلاب السنتين الأولى والثانية الابتدائيتين وعـدم منحهم فرصًا

للدخول فى الدور الثانى، لينصرف الطلبة إلى الدراسة، وليبقى فى التعليم من يؤهله استعداده وحرصه على الدراسة حتى المرحلة الثانوية، وليتمكن هؤلاء الطلاب منذ بدء الدراسة من تخير طريق آخر وعدم إضاعة وقتهم وجهدهم دون جدوى. وثمة قيد آخر اختص به التعليم الابتدائى هو عدم السماح للطالب من الإعادة فى فرقة واحدة أو فى سنى الدراسة الأربع أكثر من مرتين. كل هذه القيود النافعة كانت عنصراً فعالاً فى تصفية الطلاب غير المؤهلين للدراسة، وإبقاء من لهم قدرة وكفاية على مواصلة الدرس. وبتتبع نتائج القبول وإحصائيات المتقدمين تعرف الأزهر حاجياته فى التعليم الثانوى من فصول ومعاهد. وبمراجعة البيان بعدد الطلاب الذين قبلوا فى السنوات من سنة ١٩٣٦ حتى سنة ١٩٤٩، يتبين مقدار الزيادة فى طلاب الأقسام الابتدائية واطرادها فى السنوات الأخيرة، مما حمل الأزهر على التوسع فى الفصول الثانوية، وافتتاح معاهد جديدة لتخفيف الضغط عن المعاهد القديمة.

وقد أنشأ الأزهر فى خلال هذه السنوات معهد شبين الكوم، ومعهداً بقنا (ثانوى، ابتدائى)، ومعهداً بسوهاج، ومعهداً بالمنصورة ومعهد المنيا ومعهد سمنود ومن ذلك يتبين أن الأزهر سار فى سياسة التوسع على خطة مرسومة أساسها الإحصائيات وسد حاجات الطلاب المقبولين فى المعاهد الدينية وتزايدهم سنة بعد سنة.

وحين كانت الظروف المالية لا تسمح بإنشاء معاهد جديدة أو فصول ثانوية جديدة، كان الأزهر يضطر إلى فرض قيد على قبول الطلاب، فيحدد عدد من يقبلون فى السنة الأولى الابتدائية فى جميع المعاهد. وقد كان لهذه السياسة ضرر على الطلاب أنفسهم، فقد كانوا على رغم استعدادهم ورغم صرفهم سنين فى حفظ القرآن الكريم يصرفون فى سنة متأخرة عن الدراسة التى أهلوا أنفسهم لها واستعدوا للسير فيها. وهذا بدوره يثبط روح الأمل، ويقعد بزهرة الطلاب قد تكون فيهم كفاية ناضجة عن مواصلة التعليم، وتبقيهم فى بلادهم على مضض منهم، فيصرفون جهودهم إلى أشياء أخرى قد يكون فيها ضرر على المجتمع. والأزهر حين اضطر إلى هذا التحديد كان يركن إليه لصالح الدراسة ومراعاة

القواعد، من عدم جمع أكثر من أربعين طالبًا فى فصل واحد، وكان الغرض منه أولا مراعاة إمكانيات المعاهد، وعدم توافر الفصول اللازمة لهؤلاء الطلاب، وعدم وجود المدرسين اللازمين لتعليمهم.

وثمة عامل آخر كان يراعيه الأزهر فى هذا التحديد هو ملاحظة حاجة البلاد إلى المتخرجين فى سنوات كانت الأزمة الاقتصادية فيها مستفحلة، وكان مستقبل الخريجين فيها مظلمًا لا يبشر تقدم. وفى الحق لقد عانى الأزهر من سياسة التوسع فى تخريج العلماء والمدرسين معاناة شديدة، فقد جاء وقت كان المتخرجون فيه أكثر من حاجة البلاد، مما اضطر معه الأزهر فى سبيل التخفيف عنهم إلى النزول بمرتباتهم إلى مستوى ضئيل، ومع ذلك كانوا يقبلون على هذه الوظائف إقبالاً شديدًا، فكان العالم المتخصص يمنح مقابل قيامه بالتدريس جدولاً كاملاً فى المعاهد مرتبًا شهريًا ضئيلاً لا يذكر، وقد دفع هذا ولاة الأمور إلى الأخذ بسياسة التحديد فى قبول الطلاب السنة الأولى الابتدائية حتى يمكن أن تتعادل حاجة البلاد وحاجة الأزهر إلى المدرسين مع عدد المتخرجين فى الأقسام النهائية. ويمكن القول بعد هذا أن العامل الاقتصادى لعب دوراً هامًا فى سياسة التحديد، وإنه حين -انتعشت الأحوال الاقصادية فى البلاد وسمحت ميزانية الدولة بالتوسع فى التعليم العام، وأخذت بمبدأ تكافؤ الفرص وإتاحة التعليم الابتدائى المجانى لكل من يرغب فيه، اتسعت آفاق الآمال للمتخرجين، واشتدت الحاجة إلى المعلمين يسدون حاجة هذه المدارس -خفت وطأة التحديد وبدأت المعاهد تقبل جميع الناجحين من المتقدمين إليها، حتى تضاعف هذا العدد من ١٠٠٠ فى سنة ١٩٤٠ إلى ٢٠٠٠ فى سنة ١٩٥٠.

جماعة كبار العلماء

-١-

أنشئت هذه الجماعة بمقتضى قانون إصلاح الأزهر الذى صدر عام ١٩١١، وقد ظلت قائمة حتى اليوم. وأعضاؤها يظلون فى مناصبهم العلمية حتى الوفاة، ولما جاء الشيخ عبد الرحمن تاج شيخًا لمشيخة الأزهر هذا العام وأصدر قانونه بإحالة علماء الأزهر إلى المعاش فى سن الخامسة والستين بدلاً من سن السبعين نص فى

القانون على أن هذا القيد يسرى على أعضاء جماعة كبار العلماء أيضًا، وبذلك أصبح الأعضاء لا يتمتعون بهذه الميزة الكبرى التى كانت لهم من قبل، وقد خرج من الجماعة لذلك شيوخ الأزهر الكبار الذين بلغوا هذه السن أو تجاوزوها.

وقد كتبت فى مناسبات عديدة عدة مقالات عن الجماعة، أرى تسجيلها فى هذا المقام.

-٢-

أنشئت هذه الجماعة فى الأزهر لتنهض بأعباء الإصلاح الدينى المنشود، ولتحمل عبء المجهود العلمى فى مصر والشرق، بخدمة التراث الإسلامى، ورعاية الثقافة الدينية، وامدادها بالمؤلفات والبحوث.

وقد حدد قانون سنة ١٩٣٦ المقاعد العلمية للجماعة بثلاثين كرسيا، وشرط لاختيار أعضائها شروطًا كثيرة، أهمها أن يكون العضو الذى يرشح لها من العلماء الذين أسهموا فى الثقافة الدينية بنصيب فى الأزهر أو فى خارجه وأن يقدم رسالة علمية فى أية ناحية من نواحى البحث تظهر فيها صبغة الجدة الابتكار.

إن رسالة الجماعة عظيمة خطيرة، فعليها أن تعنى بالتراث الإسلامى لعلمائنا الأمجاد، وأن تقوم بإخراجه للناس سائغًا جميلاً ملائمًا لعقولهم ومناهجهم الحديثة فى البحث والتفكير، وعليها ألا تقف عنده وتحافظ عليه فقط، ولكن عليها أن تبنى على أسسه، وأن تسير على امتداده، وأن تتابع الحركة العلمية فى مصر وسواها من الأقطار، وأن توجهها وتؤثر فيها، وتسير بها إلى غاياتها المثلى المنشودة.

تلك رسالة الجماعة، أما حاضرها على ضوء رسالتها فهو حاضر ينبغى أن يتغير لتستطيع الجماعة أن تخدم التراث الإسلامى، كما يجب أن يكون صوتها قويًا مسموعًا فى حياتنا الفكرية الصاخبة.

لقد كثر نقد الباحثين والمفكرين للجماعة، وكثر تساؤلهم عن إنتاجها وعما أدته من الواجبات الخطيرة التى وضعت فى عنقها وقامت لأجلها، وسرى هذا التيار من خارج الأزهر إلى داخله، فلفت الرأى العام الأزهرى أذهان المفكرين من رجال

الأزهر إلى ذلك. وإن يعين الجماعة على أداء رسالتها ألا تحرم أولى الكفايات، وأن تفتح أبوابها لهم حتى تجنى الأمة والأزهر ثمار هذه الجماعة، ويشعر الرأى العام بفائدتها وأثرها فى الحياة، وحتى تسير الجماعة إلى غاياتها السامية، وتخطو إلى مستقبلها المجيد، وتؤدى للعالم والدين ما ينتظر منها أن تؤديه من خدمات[١].

وأخيراً حققت الآمال العظيمة التى طمح إليها دعاة الإصلاح فى مصر والشرق الإسلامى، وتوج هذا الجهاد الحافل بالفوز والتوفيق، فأنصت الأزهر لهذه الدعوة الصارخة، وآمن بها، وأخذ يضيف إلى تاريخه التليد صفحات طريفة مجيدة. فمنذ أسابيع قرأنا أن عضواً بارزاً من جماعة كبار العلماء قدم إلى الجماعة اقتراحًا جديداً تشيع فيه الرغبة الصادقة فى توجيه الثقافة فى هذه الجامعة العظيمة وجهة جديدة صالحة تجمع بين أمرين عظيمين:

الأول: بعث روح الإنتاج العلمى، والاضطلاع بأعبائه فى شتى فروع الثقافة الدينية.

الثانى: العناية بشئون المجتمع، وبحث مشكلاته الخلقية والاجتماعية والاقتصادية، وبيان موقف الدين الإسلامى حيالها.

ثم علمنا أن هذا الإقتراح يشق طريقه نحو التنفيذ، فأيقنا أن الأزهر مصمم على السير إلى أبعد غايات الإصلاح، مؤمن بتوفيق الله ورعايته. ولا يخالجنا شك فى أن الجماعة -وقد ضمت عناصر جديدة ممتازة- ستظفر بتحقيق هذه الآمال، وستكتب فى تاريخ الأزهر الحديث أروع الصفحات. وليس هذا على الجماعة بكثير، فقد عنى بها المراغى عناية كريمة فأثر بعضويتها أولى الكفايات من العلماء الحريصين على مسايرة الحياة إلى أسمى غاياتها، وتوجيه الحياة الاجتماعية بنور الدين وهدايته. إن المجتمع فى حاجة إلى الأزهر، والأزهر فى حاجة إلى المجتمع، ولا ريب فى أن اتجاه علمائنا نحو المجتمع وبحث شئونه ومشاكله ستجعل الناس على بينة من دينهم، وتهديهم إلى سبل الخير والفضيلة والرشاد.

---

(١) من مقالة طويلة نشرتها فى البلاغ عام ١٩٤١.

لقد مضى زمن الجدل العقيم فى العقائد، والبحث النظرى فى القشور دون اللباب، وسئمنا الكلام فى المياه التى يجوز بها التطهير والتى لا يجوز، وفى إثبات كرامة الأولياء ونفيها، وفى طبقات السماء أمن فضة هى أم من ذهب، إلى غير ذلك. وها نحن أولاء نشاهد إشراق عهد جديد يشارك فيه علماؤنا الناس، وينزلون من عزلتهم التقليدية إلى حيث يسير الناس وتتحرك الحياة، ويضعون شئون المجتمع ومشاكله نصب أعينهم، ويقفون منه موقف الناصح الأمين.

لعمرى لقد ملأ الإيمان قلوب الناس، بل وعقولهم يوم كان الدين روحًا وعقيدة وخلقًا وعملاً. ولم يمتحن المسلمون بأعظم من الجدل فى العقيدة والخلاف فى الدين، حتى انحل ما كان معقودًا من ألفتهم، وخمد ما كان متأججًا من روحهم. ولقد ظهر الغزالى فى عصر مفعم بالفتن والاضطرابات والجدل والخلاف، فدعا الناس إلى دين الله بلغة العاطفة والقلب حين رأى الدعوة إليه عن طريق الخصومة والجدل داعية فتنة وثائرة ضلال، ولكن الغزالى يئس من المجتمع لأنه كان يود أن يراه مجتمع ملائكة أبرار لا مجتمع شياطين أشرار، فزهد فى الحياة، وعزف عن المجتمع، واعتزل الناس، إيثارًا لسلامة الدين والنفس وبعدًا عن شرور المجتمع وسيئاته، وقلده فى مذهبه الاجتماعى أصحابه ومريدوه، فظلت تلك الروح نزعة لعلمائنا حتى العصر الحديث.

ولقد كانت أسمى غاية للأستاذ الإمام محمد عبده من إصلاح الأزهر أن يحمله على الاندماج فى المجتمع، والتغلغل فى أعماقه، والسمو به -عن طريق الارشاد والتهذيب الدينى الصحيح- إلى أبعد ما يستطاع من غايات، وكان يريد من وراء ذلك أن يذكى فى الأمة الإسلامية روح القوة والفضيلة، وأن يدفع بها إلى الحياة الكريمة العزيزة، لتستطيع أن تذود عن حريتها، وتحافظ على تراثها المسلوب، حتى يتسنى لها -إذا تابعت السير فى هذا المضمار- أن تستعيد ما كان لها من مجد باذخ وجلال قديم، فتسير فى قافلة الحياة البشرية داعية خير وهدى وسلام. ولقد أبى الأزهر حينئذ أن يستجيب لدعوة الأستاذ الإمام وآثر أن يعيش فى ظلال الجمود والحيرة، عزوفا عن الجديد الذى كان يؤمن بأنه بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار.

وبعد ربع قرن من وفاة الأستاذ الإمام تكشفت غيوم الحيرة، وخفضت شوكة الجمود وحماته، وألقيت مقادة الأزهر فى يد تلميذ من تلامذة الإمام، فأخذت دعوته طريقها إلى قلوب الأزهريين وعقولهم، وسرت فى الأزهر روح جديدة، وأيقن رجالاته بضرورة الإصلاح، وإن اتجهوا فى ذلك وجهات مختلفة متباينة.

فليعد علماؤنا إلى المجتمع حاملين فى ظلمات الحياة الاجتماعية نور الدين وهدايته، ناشرين فى ضلال الحياة الإنسانية دعوة الله ورسالته، هادين الناس إلى الحق وإلى طريق مستقيم...[1].

إن هيئة كبار العلماء أكبر هيئة دينية فى العالم الإسلامى، وأعضاؤها الموقرون من أفذاذ العلماء فى الأزهر الشريف، وإنى لأقترح على أولى الأمر فى الأزهر تحويل عضوية الهيئة إلى كراسى دائمة، تطلق عليها أسماء الخالدين من شيوخ الأزهر وسواهم من أعلام العلماء: فنجد من بينها كرسى الظواهرى، والمراغى، ومصطفى عبد الرازق، والشناوى. وكرسى محمد عبده، وجمال الدين الأفغانى.. ففى ذلك تخليد لذكرى أئمتنا وكبار شيوخنا، وفيه تمجيد لأعمالهم العظيمة فى خدمة الأزهر، وما حملوا من أعباء الجهاد فى سبيل الإصلاح الدينى.

الدراسات العليا فى الأزهر الجامعى

-١-

نعنى بالدراسات العليا تلك الدراسات الخاصة التى تنظمها الجامعات للنابغين من أبنائها الذين وقفوا حياتهم على الدرس والبحث.

وهذه الدراسات بمعناها العلمى دعامة من دعامات الحضارات الإنسانية التى تقوم على أساس وطيد من المعرفة والثقافة، وهى أعظم ما تعنى به الجامعات الكبيرة فى الدولة العريقة، وعليها يتوقف التطور البشرى.

ولقد عرفتها الجامعات العلمية الأولى فى الشرق فى أحقاب التاريخ القديم، وفى شتى أطوار الحياة الإسلامية العظيمة، ففى البصرة والكوفة، وفى دمشق وبغداد وفى قرطبة والقاهرة وسواها من العواصم الإسلامية ازدهرت الدراسات

---

(١) من مقال نشر فى الرسالة ٢٩ - ١٢ - ١٩٤١.

العليا التى كان يقوم بها قادة الفكر الإسلامى، ثم شاء الله أن تذوى هذه الحضارة الزاهرة، وتطفأ مصابيح ذلك النور المشرق، وأن يستكين المسلمون لأحداث الزمن ونكبات التاريخ، فحمل العلماء فى هذا الاضطراب العاصف مشعل الثقافة الإسلامية، ولكن الأحداث كانت أقوى من جهودهم، فتلاشى كثير من تلك الدراسات فى شتى الجامعات، ولم يبق منها إلا شعاع خافت ضئيل.

وخضع الأزهر فى حياته العلمية الطويلة لهذه التطورات حتى كان العصر الحديث، وقيض الله لمصر والشرق رجلاً من أنبه رجال الفكر فيه هو السيد جمال الدين الأفغانى، فنفخ فى حياته روح الشباب والقوة والتفكير، وكان من أبر أبنائه الإمام محمد عبده الذى جاهد فى سبيل الأزهر والعلم والدين جهاد الأبطال، وكانت أول دعوة للأستاذ الإمام رفع مستوى الدراسة فى الأزهر، حتى يستطيع أن يساير النهضة الفكرية فى الشرق والغرب أولاً، وأن تؤدى رسالته العظيمة ثانيًا، وأنشئت على أساس أفكاره أقسام الدراسات العليا فى الأزهر -التخصصات- بعد وفاته بكثير، وكان من هم هذه الأقسام تخصصات العالمية من درجة أستاذ التى أنشئت عام ١٩٣٠ والتى حملت عبء الثقافة الدينية والعربية والعقلية فى الأزهر وكلياته من ذلك العهد إلى الآن، وقام خريجوها ببحوث جديدة فى شتى فروع الثقافة تجلت فى رسائلهم المختلفة التى تقدموا بها لنيل العالمية من درجة أستاذ، وكانت الغاية من إنشاء هذه الأقسام هى:

أولاً: إفساح مجال البحث الحر أمام الأساتذة والكفايات الممتازة من طلبة الأزهر.

ثانيًا: خلق جيل جديد من الخريجين يحملون فى مستقبل حياتهم مشعل الثقافة فى مصر والعالم الإسلامى.

وقد بعثت رغبات جامحة لا نعرف أسبابها على أن ينظر كثير من المسئولين فى الأزهر إلى هذه الأقسام نظرة لا تليق بمكانتها وجهودها فى الأزهر ورسالتها التى تحملها، حتى لقد مضى عليها خمس سنوات لم يقبل فيها أحد من أوائل الشهادات العالية بالأزهر.

ونحن ننادى بفتح هذه الأقسام من جديد، على أسس أكثر نظامًا، وأدق تجديدًا

من النظم الأولى التى كان يسير الأزهر عليها، فجهود خريجيه ورسائلهم وبحوثهم العلمية وآثارهم الثقافية فى حياة الأزهر الآن هى سجل ناطق بمدى نجاحهم ونجاح هذه الأقسام الدراسية العليا فى غايتها الثقافية والعلمية.

وأهم هذه الأسس التى نراها صالحة لتوجيه هذه الدراسات والطلبة المثابرين عليها هى:

أولاً: العناية التامة بطلبة هذه الأقسام عناية أدبية ومادية تحول بينهم وبين كل ما يعوقهم عن التفرغ للبحث والدرس.

ثانيًا: الاختيار الصالح لأساتذة هذه الأقسام، فحيث يوجد الأستاذ الكفء يوجد النشاط العلمى والحياة العقلية الخصبة، ويخلق الطالب النابغة، وذلك هو ما ننشده لهذه الأقسام، ولقد كانت محاضرات الأستاذ الشيخ محمد عرفه فى هذه الأقسام ومدى أثرها وتوجيهها العقلى دليلاً على ما يمكن للأستاذ أن يفعله وأن يأتى به من معجزات حينما يختار لمهمته فيحسن اختياره، ويكلف بالعبء الذى يستطيع أن ينهض به.

ثالثًا: تحديد مناهج الدراسة والكتب ومواعيد المحاضرات والامتحانات تحديدًا واضحًا لا لبس فيه ولا غموض.

رابعًا: جعل العلوم الإضافية فى هذه الأقسام قاصرة على السنتين الأوليتين فيها، على أن يعقد امتحان بعد العامين للطالب الذى يلتحق بها يمتحن فيه فى جميع المواد الإضافية ليفرغ بعد هذا الامتحان إلى المواد الأساسية التى يعد نفسه من أجلها.

خامسًا: دراسة إحدى اللغات الأجنبية الأوروبية فى هذه الأقسام.

سادسًا: وضع الخريجين من هذه الأقسام بعد تخرجهم منها فى وظائف التدريس فى الكليات مباشرة بدون أى تأخير، واختيار أعضاء البعثات التى تسافر إلى الخارج من بينهم. فبذلك يكون الأزهر قد عمل على خلق جيل جديد من شبابه يقدر على حمل أعباء رسالته والنهوض بها.

-٢-

ولقد كان محمد عبده رحمه الله أبرز قائد لحركة البعث والإصلاح الدينى فى مصر والشرق الإسلامى، بعد أستاذه جمال الدين الأفغانى. وكان من البدهى أن يتجه هذا المصلح الدينى الخالد الذكر إلى إصلاح الأزهر نفسه لأنه نواة الفكرة الإسلامية، ومغذى الروح الدينى. ولم تظهر آثار جهاد الشيخ عبده وجهوده فى إصلاح الأزهر إلا بعد وفاته، وعلى أيدى تلاميذه الذين تحمسوا لآراء أستاذهم فى الإصلاح، وتعهدوها بالعناية والتنفيذ.

كانت الدراسة فى الأزهر فى عهد محمد عبده تسير على النظام القديم البدائى: حلقات للتعليم، وطلبة يختارون أستاذهم الذى يتتلمذون عليه ويناقشونه فيما صعب من مشكلات العلم والثقافة، وكتب ألفت فى العصور الوسطى وغلبت عليها آثار الثقافة العقلية التى كانت سائدة فى هذه العصور. وفى ١٨٧٢م وضع قانون لإصلاح الأزهر، نظم طريقة نيل العالمية، وحدد مواد الامتحان فيها، وبتعضيد الشيخ محمدد عبده، وعلى يدى صديقه المرحوم الشيخ حسونة النواوى شيخ الأزهر حينذاك، صدر قانون عام ١٨٩٦، الذى نظم الدراسة فى الأزهر، وأدخل العلوم الحديثة فى مناهجه، أما النظام الإدارى للأزهر ومعاهده فقد صدر به قانون عام ١٩١١، بعد وفاة الإمام محمد عبده بسنوات، وأخذ الأزهر يسير على هذا النمط من الدراسة، دون أن يوجد فيه أثر للدراسات العليا، حتى صدر قانون ١٩٢٣، الذى أوجد نوعًا من هذه الدراسات قامت على أسسه أقسام التخصص القديم، التى كانت تمنح درجات علمية تعادل درجة الماجستير فى جامعتى القاهرة والإسكندرية، ثم أخذ الأزهر يعمل على مسايرة النظم الجامعية التى تسير عليها شتى الجامعات فى الشرق والغرب، ففكر المراغى فى عهد مشيخته الأولى فى إنشاء أقسام أكبر للدراسات العليا فى الأزهر، والمراغى أنبه تلاميذ محمد عبده، وأكثرهم دعاية لآراء أستاذه، وتحقيقًا للكثير منها.. وقد ظهرت آثار هذا الاتجاه فى قانون إصلاح الأزهر الذى صدر عام ١٩٣٠ فى عهد المرحوم الشيخ الأحمدى الظواهرى، وقد نظم هذا القانون الأزهر الجامعى، فقسمه إلى كليات ومعاهده، وأنشأ أقسام الدراسات العليا بشتى فروعها، وعدل عام ١٩٣٦

وما والاه تعـديلاً أملته الضرورة والتـجربة والرغبـة فى خلق الروح الجامعـية فى الأزهر. وسمى هذا القانون أقسام الدراسات العـليا: أقسام تخصص المادة، ومنها ينال المتخرج شهـادة العالمية من درجة أستاذ، وهى أرفع شـهادات الأزهر العلمية، وتعـادل الدكتـوراه الممتـازة، وتدرس بها عـلوم الشريعـة وأصول الدين والقـرآن والحديث والبلاغة والأدب واللغة والفلسفة والتاريخ، ومدة الدراسة بها لا تقل عن ست سنوات بعـد انتهـاء دراسـة الكلية، وكـان طلبتـهـا يختـارون من بين أوائل المتخـرجين. واخـتير للتـدريس بهذه الأقـسام أئمة العلمـاء والمفكرين فى الأزهر ومـصر، وقـد حقـقوا نهـضة فكرية وعـلميـة جديرة بالإشـارة فى تاريخ الأزهر الحديث، كما كانت امتحانات أقـسام هذه الدراسات، ومناقشات رسائل الخريجين مواسم خالدة للعلم والأدب فى الأزهر، وكان يشـرف عليها أفذاذ العلماء والأدباء والمفكرين، ومن بينهم المراغى ولطفى السـيد ومأمون الشناوى واللبـان وحمروش وعبد المجيد سليم وعرفة وشلتوت والجـارم وسواهم، ورسائل الخريجين من أقسام العالمية من درجة أستاذ فيها جـهد كبير وألوان جديدة من البحث والتحليل، وهى أوضح أثر لنهضة الأزهر العلمـية الحديثة، وقد طبع بعض قليل منهـا. كما حمل خريجوه بجدارة مناصب التدريس فى كلياتـه ومعاهده، ولكثير منهم نشاط علمى خصب، وإنتاج حافل فى الأدب والشريعة والفلسفة والتاريخ والعقائد. ومن سوء الحظ ألا يهـضم الأزهر الجامـعى نظام الدراسـات العليـا، وأن يحاربهـا من وراء ستار، وأن يعطل الدراسة بأقسامها من عام ١٩٤١ حتى الآن. وكان اعتزاز الأزهر بهـذه الدراسات ضـئلا مـحـدودًا، تجلى فى طبع رسـالتين أو ثلاث من رســائل خريجيها، وفى عرض بعـضها فى المعرض الزراعى عام ١٩٤٩ ولا يزال جل هذه الرسائل مخطوطًا فى مكتبات الكليات الأزهرية، وعددها يقارب المائتين.

فمن مبلغ الأزهر بأن نظـامه الجامعى وازدهاره العلمى لن يكون لهمـا كيان إلا إذا عادت من جديد هذه الدراسات العـليا فيه، تؤدى رسالتها العظيـمة فى خدمة الدين والثـقافة، وتجـديد مناهج البـحث العلمى الحر، والكشف عن آثـار التراث الإسلامى المجيد، والنهضة بالثقافة الأزهرية، حتى تبلغ المنزلة الرفيعة، التى بلغتها الثقافات الحديثة، فى جامعات الشرق والغرب.

ويتحدث الخريجون من أقسام الأستاذية فى مذكرة رفعوها إلى المسئولين فى أكتوبر عام ١٩٥٢، عن حاضرهم وآمالهم فيقولون:

أنشىء قسم الأستاذية فى الأزهر بمقتضى القانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٣٠ المعدل بالقانون رقم ٢٩ لسنة ١٩٣٦ حينما أريد للأزهر أن يكون جامعة وأن تنشأ به كليات للتعليم العالى، وأن يقضى على عوامل الانحلال التى عصفت به وذهبت بكل ما كان له من مجد وجلال. ولم يكن بالأزهر عند صدور القانون أساتذة يحملون مؤهلات ممتازة تخول حامليها التدريس فى كلياته، فأنشىء فيه هذا القسم لتخريج أساتذة ممتازين يعهد إليهم بهذه المهمة، وأطلق عليه اسم تخصص المادة.. ويختار طلابه من أوائل الشهادات العالية من الكليات ويقضى فيه الطالب ست سنوات على الأقل، ثم يقدم فى نهايته رسالة قيمة تناقش مناقشة علنية ويمنح الناجح فيها شهادة تسمى العالمية من درجة أستاذ وهى تعادل «دكتوراه ممتازة حرف أ» ومن هؤلاء وحدهم تتكون هيئات التدريس بالكليات تطبيقًا للمواد ٤١، ٤٢، ١١٩ من القانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦، كما جعل الحصول على هذه الشهادة شرطًا لعضوية جماعة كبار العلماء، ومن بين هؤلاء يختار شيخ الأزهر وكبار الموظفين الإداريين فيه.

ولكن الذى حدث من المسئولين فى الأزهر حيال أقسام الأستاذية هو:

١- أغلقوا قسم الأستاذية إغلاقًا نهائيًا منذ أكثر من أربع عشرة سنة، واحتجوا لذلك بأنهم سيعيدون النظر فى نظامه.

٢- سلكوا الحاصلين على هذه الشهادة مع حملة أدنى شهادات الأزهر فى سلك واحد وحكموا الأقدمية المطلقة بينهم فى الترقيات ومنح الألقاب العلمية.

وإنا لنقترح مساواة خريجى الأستاذية بنظرائهم فى الجامعات من كل النواحى العلمية والأدبية والمادية، وفتح أقسام الدراسات العليا فى كليات الأزهر فوراً وقبول المتقدمين إليها من الطلاب. وزيادة عدد الأساتذة ذوى الكراسى فى كليات الأزهر بما يناسب الزيادة فى عدد الطلاب والمدرسين والمواد الدراسية فقد حدد عدد هذه الكراسى فى عام ١٩٣٦، ولم يكن بالكليات من المدرسين والطلاب أكثر من خمس العدد الحالى.

الصلات العلمية بين الأزهر والجامعة

منذ أعـوام قلائل قـرأت فى بعض الصحف، سـؤالاً لشاب أزهرى كـتب يقول: «أنا طالب أزهرى حاصل عـلى شهادة إتمام الدراسة الثانوية من مـعهد القاهرة وأجيد الفرنسية والإنجليزية إجـادة تامة، فهل يجوز لى الالتحاق بكلية الآداب؟» ونشر مع السؤال رأى سـيادة عميد كلـية الآداب ونصه: «لا يمكن قبول الطالب بكلية الآداب، وفقًا لـلوائح التى لا تزال متبعة إلى الآن»، وأمر هذه اللوائح عـجيب حقًـا، فهى التى تسـيطر على التفكيـر الحر فى مـصر. وكيف يمكن إقناع الطالب المسكين الذى يريد إكمال دراسته بقسم اللغة بكلية الآداب بأن رد العميـد عادل ومعقـول؟ ولـم فات الدكتور طه حـسين أمر هذه اللوائح حين كـان عميـدًا لكلية الآداب، فـأمر بقبـول عدد كبـير من طلاب الأزهر بكليته، ونظم لمـن لا يعرف منهم لغة أجنبية دراسـات خاصة، فكانوا أكثر خريجيها نشـاطًا وانتاجًا؟ . . ولا تزال هذه اللوائح أيضًا تحول بين أساتذة الأزهر وحرية التقديـم لشهادات الجامعة، والانتظام فى دراساتـها، فإلى متى تظل هذه اللوائح والقيود والأفكار القديمة تتحكم فى مـصير الثقافة فى مصر فى القرن العشرين؟

حياة الأزهر الثقافية

-١-

لقد ابتدأت الدولة الفـاطمية حياتهـا السياسية بالقـيروان سنة ٢٩٦هـ على يدى مؤسـسها الأول عبـيد الله بن محمـد -وأخذت توسع نطاقهـا السياسى ومجـالها الدولى بالتدرج، وفى عهد الخليفة الرابع المعز لدين الله دخل الفاطميون مصر بعد منتصف القرن الرابع الهـجرى بقليل. . فقضوا على نفـوذ الخلافة العباسيـة فيها، وعلى مذاهبها السياسية والاجتمـاعية والعقلية من جميع أرجائها، وبسطت الدولة الجديدة سيادتـها على البلاد بالقوة وأخذت تصبغ جـميع نواحى النشاط فى الدولة بصبغة تلائم عـقيدتها الشيعيـة الإسماعيلية، سواء فى أداء الشعـائر أم فى سياسة الدولة وأمور الاجتماع ونواحى التفكير.

وكان لابد للدولة الجديدة أن تقوم بدعاية واسعة النطاق تكرس لها كل ما تستطيع من قوة وجهد فى سبيل تغيير الاتجاه الفكرى فى مصر كلها، حتى يؤمن العقل المصرى بعقيدتها الشيعية، ويتحمس لها ويدعو إليها، ويكون بين الدولة والشعب تفاهم عقلى بعد هذا الوئام السياسى الذى وجهته القوة وأملاه السيف.

ومن ذا الذى يقوم بهذه الدعاية، وبدأ فى جد لتغير مناحى التفكير فى مصر، ولجذب الشعور الوطنى نحو الدولة؟ إنهم العلماء الشيعيون الإسماعيليون ورجال السياسة والتفكير فيهم.. وإذا فلتقم جامعة علمية منظمة، ولتشرف هذه الجامعة بأساتذتها وشيوخها على مناحى الثقافة والتفكير فى الدولة، داعية إلى العقيدة الشيعية بأصولها وتشريعها الفقهى وكافة آرائها السياسية والاجتماعية والعقلية، حريصة على نشر هذه المبادىء فى مصر وسائر أنحاء الشرق الإسلامى.

وشيد الأزهر وتم تشييده فى عامين وافتتح فعلا للصلاة فى ٧ رمضان عام ٣٦١هـ وقام رجال الدولة بإلقاء المحاضرات العامة فيه بين حين وحين إلى أن تولى العزيز بن المعز لدين الله العرش (من عام ٣٦٥ إلى ٣٨٦هـ) فاتجه بعنايته إلى الأزهر وجعله معهداً علمياً منظماً، شمله برعايته الكاملة، واختار للدراسة فيه أساطين الفقه الشرعى من شتى أنحاء العالم الإسلامى وأحاطهم بشتى أسباب الرعاية والتقدير وكان من بين هؤلاء وزير العزيز بالله يعقوب بن كلس.

وقام الأزهر بما طلبته منه الدولة، وما هيأته له، فأخذ ينشر العقيدة الإسماعيلية ويدرس مبادئها السياسية وتشريعاتها الفقهية، وأصولها المذهبية واتجاهاتها الفكرية فضلاً عن عنايته بالكثير من الدراسات العقلية واللغوية والأدبية -وصار أعظم بيئة علمية وأحفلها فى الشرق الإسلامى بهذه الدراسات، التى خرج فيها جيلاً جديداً من العلماء الذين أصبحوا يد الدولة ودعاتها وقوام الحياة السياسية والاجتماعية والعقلية والأدبية فيها، كانت الدولة الفاطمية تشمل بنفوذها السياسى حوض البحر الأبيض الأفريقى كله من مراكش إلى الشام، فضلاً عن الحجاز ويهفو إليها جميع الإسماعيليين فى العراق وإيران والهند بقلوبهم، ويتجهون إليها بشعورهم وكان الأزهر هو المثابة العظيمة للعلم والتفكير والثقافة فى هذه الأقطار كلها، وهو الذى

(١) من محاضرة ألقاها المؤلف عام ١٩٤٠م.

يحمل مشعل النور والهداية إلى سائر هذه الأمصار، ووفدت إليه أفواج الشباب من شتى هذه الأرجاء، ترتوى من معينه -وتقتبس من نوره وتهتدى بهديه، وتضافرت هذه العوامل الأجنبية والسياسية والفكرية كافة على تكوين شخصية مستقلة لهذه الجامعات الجديدة، ظهر أثرها الفذ فى الثقافة الإسلامية فى مصر وجاراتها الشقيقة على عهد الدولة الفاطمية.

ومن العبث أن نوازن بين الأزهر حينئذ وبين المدرسة النظامية التى كان يدرس فيها أقطاب العلماء ببغداد كالغزالى وسواه، لأن مواد هذه الموازنة مفقودة، فالتاريخ الذى حفظ لنا تراث المدرسة النظامية فى شخصيات كبار أساتذتها قد ضن علينا بتراث الأزهر وإنتاجه العلمى فى هذه الحقبة، لأنه إنتاج شيعى تعصب عليه وناوأه أعداء الشيعة.

ولقد شاء القدر العتيد أن تطوى الدولة الفاطمية وآثارها من الوجود بعد قرنين حافلين -حيث ثل السلطان صلاح الدين الأيوبى عرشها ومحى آثارها وثقافتها، وقبض بيده على أمور مصر وسياستها عام ٥٦٧هـ، وكان فيما حاربه وقضى عليه المذهب الشيعى الفاطمى، وأحل محله المذهب السنى الذى تؤيده خلافة بنى العباس وتنكر الزمن للأزهر فعطلت دروسه، وتفرقت شيوخه، ومنعت منه الخطبة، وحل الكثير من أوقافه، وشارك الدولة الراحلة آلام التطور السياسى الجديد وبعد عهد الانقلاب السياسى وعودة الاطمئنان العقلى، عادت إلى حلقاته الدراسات الفقهية، لا سيما الفقه الشافعى ولكن بشكل متقطع غير مستقر، واستمر الأمر على ذلك قرنًا من الزمن.

ولكن الأحداث السياسية العظيمة فى الشرق الإسلامى أعادت إلى الأزهر ماضيه العلمى المجيد.. ففتح التتار المغول لبغداد وشتى عواصم البلاد الإسلامية وعصفهم بالتراث الإسلامى الثقافى بإحراق دور الكتب، وتبديد نفائس الأسفار فيها حرقًا وتمزيقًا ورميًا بها فى ماء دجلة والفرات، وتفريق العلماء ورجال الثقافة الإسلامية وتعطيل الدراسات الثقافية: دينية وعقلية ولغوية فى شتى مدارس الشرق الإسلامى وجامعاته، ثم انتقال الخلافة العباسية من بغداد إلى القاهرة فى عهد المماليك وعلى يد السلطان الظاهر بيبرس سنة ٦٥٩هـ، ثم أهمية مصر السياسية

والاقتصادية وصبغتها العربية، ووقوعها فى قلب العالم الإسلامى وثقافتها العقلية القديمة -كل هذه الأسباب أدت إلى إعادة النشاط العلمى فى الأزهر فشجع بيبرس التعليم فيه وأعاد إليه الخطبة عام ٦٥٩هـ، ووقف على أساتذته وطلابه الأوقاف الكثيرة والأموال الطائلة.

ومنذ ذلك الحين ذاع صيت الأزهر واستعاد مكانته العلمية وأمه الطلاب من كل صوب وحدب، من أواسط أفريقية إلى جنوب روسيا، ومن مراكش إلى أقاصى الهند، وجد الأزهر وعلماؤه فى إحياء الثقافة الإسلامية التى رماها التتار بأقسى النكبات فى فتحهم الوحشى لبلاد الخلافة العباسية، فكان للأزهر جهوده العظيمة الحافلة فى هذا المضمار، مما وطد من مكانته، ودعم من كيانه، وأقر له منزلته العلمية العظيمة وشخصيته الجامعية الضخمة. وزاد من مكانة الأزهر قوة واستقراراً انقراض الحضارة الإسلامية من الأندلس عام ٨٩٧هـ وانتهاء جامعاتها العلمية الكبيرة وتبديد مسيحيى أسبانيا للتراث العربى فيها، فألفيت مقاليد الثقافة الإسلامية فى الشرق كافة فى يد الأزهر، فحمل الأمانة، وبذل فى سبيل أداء رسالته كل ما يستطيع من جهد وقوة، وأخذ الأزهر يسير فى دراساته الدينية، وفى إنتاجه الثقافى على المنهج العلمى المألوف فى عصره، فكانت كتب الدراسة فيه والمؤلفات العلمية التى يؤلفها علماؤه، شروحًا لأصول الكتب العلمية الدائمة فى عصره، وحواشى على هذه الشروح وتقارير على هذه الحواشى؟ -وهذه الشروح والتقارير والحواشى تتجه إلى خدمة أمرين عظيمين: أولاً: الشرح التحليلى التفصيلى لأساليب هذا الأصل العلمى المشروح، والمبالغة البعيدة فى توجيه الفهم فيه وجهة خاصة، يتحرى فيها الدقة والعمق والإحاطة بألوان الثقافة المنوعة، عندما تستوجب هذه الإحاطة دراسة الأسلوب وألفاظه. وثانيًا: إثارة المشكلات العلمية العميقة التى تتصل بأصل الفكرة المبحوثة أو التى تضىء جوانب البحث فيها، أو التى تعتبر لازمة للتوسع فى دراستها، وبجانب هذه الدراسة العلمية، وهذا الإنتاج الثقافى الخاص، توجد موسوعات علمية ألفت فى شتى نواحى الثقافة الإسلامية لتعويض ما فقده التراث الإسلامى من نفائس المؤلفات وكانت الطريقة العلمية ملائمة لعقول العلماء إذ ذاك ومتمشية مع أساليب المنهج العلمى

المألوف فى عصرهم، فقد كان الشرق كله يقررها ويسير عليها فى ميادين الثقافة والتعليم والتفكير، وما زالت محل إعجاب الباحثين من المستشرقين والمفكرين، ومن العبث أن نزوى بها أو نحط من شأنها، أو نرميها بالخطأ والخمول.

ومن أساتذة الأزهر فى ذلك العهد عز الدين بن عبد السلام الملقب بسلطان العلماء وتلميذه القشيرى وهو الذى لقبه بهذا اللقب، وعز الدين هذا كما كان مثلا فى الشجاعة وهو أصدق مرآة نرى فيها أخلاق العلماء، يقول ابن السبكى فى طبقاته: «إنه وقف فى وجه القائم بأمر مصر وقتئذ لما أراد أن يفرض ضريبة على التجار قائلاً: «إذا أحضرت ما عندك وعند حريمك من الحلى وأحضر الأمراء ما عندهم من الحلى الحرام وضربته سكة ونقداً وفرقته ولم يقم بالكفاية، فلك أن تطلب القرض، وأما قبل ذلك فلا». ويقول عنه أيضًا إنه لما توفى عز الدين بن عبد السلام سنة ٦٦٠هـ ومرت جنازته تحت القلعة، وشاهد الظاهر بيبرس كثرة الخلق الذين معها قال لبعض خواصه: «اليوم استقر أمرى فى الملك لأن هذا الشيخ لو كان أمر الناس فى بما أراد لبادروا إلى امتثال أمره» وكان عز الدين هذا خطيبًا لجامع عمرو، ولهذه المناسبة أقول: إن المقريزى المؤرخ العظيم كان هو الآخر خطيبًا لجامع الحاكم.

ومن علماء مصر الأفاضل الذين أثروا فى الأزهر وتأثروا به العالم البارع الطويل البارع فى أصول الفقه وفروعه وفى العربية وغيرها، الفقيه المالكى ابن الحاجب وكان أبوه حاجبًا عند الأمير عز الدين موسك الصلاحى، وقد صنف فى الأصول: المختصر والمنتهى، وفى فقه المالكية المختصر وله فى النحو الكافية، والوافية، وفى التصريف الشافية، وشرح الكل، وله شرح المفصل، والأمالى النحوية وقصيدة فى العروض. ومن أساتذته فى القراءات الشاطبى وتوفى بالأسكندرية سنة ٦٤٦هـ، ونذكر أنه مدفون بجوار أبى العباس المرسى، ومنهم إمام النحو واللغة ابن هشام الذى قال عنه ابن خلدون «ما زلنا ونحن بالمغرب نسمع أنه ظهر بمصر عالم بالعربية يقال له ابن هشام أنحى من سيبويه»، ومن أكابر أساتذة العلم المنتجين الذين عرفتهم مصر: الثبت الثقة، الصدوق النبيل، الحافظ للحديث، الحجة فيه، أستاذ الحديث فى المؤيد، البدر العينى صاحب

عمدة القارىء شرح صحيح البخارى، ويقولون: إنه داوم على إقراء الحديث فيه وحده ما يقرب من أربعين سنة عدا ما له من الدروس فى بقية مدارس القاهرة، وتناوب وظيفة حسبة القاهرة هو والمقريزى مدة، وقد ولاه الملك المؤيد «نظر الأحباس» -وزارة الأوقاف- وكان معاصرًا للحافظ ابن حجر صاحب كتاب فتح البارى شرح صحيح البخارى «وكان ابن حجر هذا أصغر من العينى باثنتى عشرة سنة، ويروى المقريزى أنه كان بينهما من المنافسة ما يكون بين المتعاصرين، فلما فوض إلى العينى تدريس الحديث بالمؤيدية صادف أن مالت مئذنة الجامع المؤيدى على البرج الشمالى وكادت تسقط فهدمت وبنيت من جديد، فقال الحافظ بن حجر فى ذلك:

لجامع مولانا المؤيد رونق ... منارته بالحسن تزهو وبالزين

تقول وقد مالت عليهم: تمهلوا ... فليس على حسنى أضر من العين

فتحدث الناس أنه قصد التورية بالعينى، ويروى المقريزى أن العينى رد عليه بهذين البيتين وهما من نظمه، وغيره يقول إنهما لبدر الدين العنتابى:

منارة كعروس الحسن إذ جليت ... وهدمها بقضاء الله والقدر

قالوا أصيبت بعين قلت ذا غلط ... ما آفة الهدم إلا خسة الحجر

وللعينى مؤلفات كثيرة أجلها عمدة القارى الذى تقدم ذكره، ويقولون: إنه ابتدأ فيه سنة ٨٢١ وأتمه سنة ٨٤٧هـ بعد فراغ ابن حجر من شرحه فتح البارى بخمس سنوات، وله أيضًا «نخب الأفكار فى تنقيح مبانى الأخبار، فى شرح الآثار» فى مجلدين، ومنها «البناية فى شرح الهداية» للإمام المرغينانى فى عشرة مجلدات، ومنها «الدرر الزاهرة فى شرح البحار الزاخرة» لشيخه الرهاوى فى المذاهب الأربعة فى مجلدين، ومنها عقد الجمان فى تاريخ الزمان» فى خمسة وعشرين مجلدًا، وعد مؤلفاته أمر يطول، فليرجع إليها فى مقدمة كتابه عمدة القارىء.

ومن رجالات مصر وأعيان العلماء جلال الدين السيوطى مؤلف حسن المحاضرة وسواه من نفائس المؤلفات.

وجاء العصر العثمانى بفتح السلطان سليم مصر سنة ٩٢٢. وبقضائه على دولة المماليك فيها فاستمرت للأزهر أهميته البالغة فى الدراسات الدينية. ولكن روحه أصابها الوهن. وقوته نال منها الضعف واعتورتها عوامل الخمول والجمود، ولذلك أسبابه البعيدة والقريبة.. فقد ضعفت ملكات التفكير فى الشرق كافة وصارت الدولة الحاكمة بعيدة عن الروح العربية الصحيحة، بعنصرها ودمها التركى المتطرف وكثرت الفتن السياسية والأحداث الاجتماعية فى مصر والشرق ولم تجد دولة العلم والثقافة من الدولة رعاية ولا عطفًا، اللهم إلا نوعًا ضئيلاً من التشجيع لا يجدى ولا يبعث على المجد والرجاء. كل ذلك أورث الأزهر صبغة من التقليد العلمى وأضاع منه روح التجديد والاجتهاد فأصبحت غاية رجاله نقل ماورثوه عن السلف فى أمانة واخلاص دونه العناية بالبحث والتمحيص والموازنة والتحقيق وعكف شيوخه على دراسة الكتب التقريرية التى ألفت فى العصور المتأخرة دون الرجوع إلى الأصول الأولى التى ألفت قديمًا والتى قلت فيها روح البحث والجدة والابتكار.

وكانوا يقدسون كل ما يتصل بالقديم من خلق وعادات ودين، وكانت الدراسة قاصرة على العلوم الدينية وما يتصل بها من العلوم اللغوية وقليلاً من الفلسفة، وقلت فيه الدراسات العقلية والفلسفية فى كتبها الواسعة التى كان يحرمها عصره، وتحاربها الهيئات العلمية والجماعات الدينية حين ذاك، وفضلاً عن ذلك فقد ناوأ الأزهر المذاهب المتطرفة لأنها كانت مشربة بفلسفة خاصة، ولم يكن فيه مكان للشعرانى الصوفى م سنة ٩٧٣ ولا لأمثاله، وكانت كل جهود الأزهر فى هذا العصر العثمانى هى المحافظة على التراث القديم، والذود عنه والقيام بشرحه والتعليق عليه دون زيادة به أو تغيير فى أصوله أو تجديد فى بحوثه، وليس فى ذلك من ذنب، فالأحوال السياسية والاجتماعية التى عاش فيها المسلمون آنذاك، كانت باعثة على الضعف العقلى الذى تجلى أثره فى بيئة الأزهر العلمية.

كان الأزهر منذ نشأته يدرس العلوم العقلية والرياضية والطب والموسيقى، وفى العصر الأيوبى شاعت فكرة تحريم علوم الفلسفة والرياضة على العالمين والمتعلمين، وقد ساعد على ذلك فتوى ابن الصلاح بتحريم المنطق، حيث سادت موجة كراهية علم المنطق والفلسفة، ولذلك كره العلماء دراسة المنطق وتدريسه، ومنهم السيوطى.

ولما تولى حكم مصر سنة ١٦١١هـ أحمد كور باشا، وكان ولعا بالعلوم العقلية، قابل صدور العلماء، ومنهم الشيخ عبد الله الشبراوى شيخ الأزهر، فتكلم معهم فى الرياضيات، فقالوا لا نعرف هذه العلوم، فضحك. . واستمر الحال كذلك إلى أن أصدر الشيخ محمد الأنبابى والشيخ محمد البنا فتوى بجواز تعلم هذه العلوم، وذلك فى أواخر عام ١٣٠٥هـ.

وكان الأزهر مبعث المقاومة الوطنية للاحتلال الفرنسى فلقى من القائد وجيشه كثيرًا من الأذى والمقاومة، وإن استعان ببعض رجاله المرنين فى أعمال الإصلاح والإدارة، فكان فى المجلس الوطنى الذى ألفه نابليون بعض كبار شيوخه وأعلامه.

وكان الأزهر يكره الاستعانة برجال الغرب وعلمائه، فقاوم محمد على، واستولت الحكومة على أملاكه وأوقافه ولكن بقى له على كل حال نفوذه الدينى والأدبى بين الشعب.

فعلماء الأزهر وشبابه هم الذين اختارهم الوالى للدراسة فى مدارسه الخصوصية الكثيرة التى أنشأها من طب وهندسة وزراعة وصناعة وقانون ولغات إلخ.

وأعضاء بعوثه العلمية التى أوفدها إلى أوروبا من بدء عام ١٨٢٦ كان جلها من أبناء الأزهر الناضجين.

وعاد أعضاء هذه البعثات من أوروبا فكانوا فى مصر جيلا جديدًا له ميزته الخاصة فى الثقافة والتفكير والترجمة والإنتاج.

وسار الأزهر على منهجه العلمى القويم بعيدًا عن الدراسات العقلية والأدبية وعن العلوم الحديثة، اللهم إلا دراسة الكتب الأولية فى المنطق ودراسة بعض كتب الأدب وآثاره كالمقامات والمعلقات التى ابتدئت قراءتها فيه نحو عام ١٨٢٨.

-٢-

وفى الحديث انتشر النفوذ الأجنبى، والثقافة الغربية فى مصر، ووفدت على ربوعها رسل الثقافة الأوروبية ورجال البعثات العلمية الذين أوفدهم إسماعيل إلى باريس وروما وجامعات إنجلترا، وأخذت هذه العوامل الجديدة تعمل عملها فى تكوين العقلية المصرية تكوينًا يتلاءم مع النهضة الفكرية والاجتماعية التى كانت

تسود أوروبا، وأبعد رجال الأزهر عن كثير من ميادين النشاط الاجتماعى فى الدولة، ومع هذه العوامل الهدامة فى صرح الأزهر فقد كان إسماعيل يحلم بتكوين دولة عربية خاضعة لنفوذه، مؤتمرة بأمره، فدفعته آماله السياسية إلى العناية بأمر الأزهر وإصلاحه حتى يساير روح النهضة الحديثة فى مصر، وفى عام ١٨٧١ صدر قانون بإصلاح الأزهر لرفع مستوى أساتذته وطلابه والثقافة فيه، وذلك فى عهد شيخه الشيخ محمد العباسى المهدى الحنفى الذى كان يتبرك به الخديوى ويصطفيه. ونص هذا القانون على إجراء امتحان نهائى للمتخرجين فى الأزهر، وعين المواد التى يجب أداء الامتحان فيها (وهى إحدى عشرة مادة).. وقدرت مرتبات عالية للأساتذة ومكافآت مالية للطلاب. ولكن الأزهر عادى الإصلاح، وحمل الشيخ عليش لواء المعارضة، فوقفت روح الإصلاح فيه.

واضطرب جو مصر السياسى بالثورة العربية وأحداثها، كما زلزل كيانها المالى فى تصفية ديونها العامة، وكان الاحتلال الأجنبى عام ١٨٨٢، فوقفت حركات التجديد فى سائر مرافق البلاد، وأخذ دنلوب وأعوانه يغيرون اتجاه الثقافة فى المدارس المصرية، حريصين على تغيير العقلية المصرية المعارضة لمبادئ إنجلترا السياسية، سواء بنشر الثقافة الإنجليزية فى مصر ومدارسها الحكومية أم بإرسال بعوث إلى إنجلترا، أم بإنشاء مدارس إنجليزية لنشر الثقافة الغربية أم بإلقاء زمام الثقافة فى مصر فى أيدى الأساتذة والمستشارين الإنجليز.

وأخذت المدارس المصرية تتأثر بالآراء الغربية على كل حال، ما عدا الأزهر فإنه بقى على تقاليده الصريحة وآثر الذود والدفاع عنها، ونجم عن ذلك أن اتسعت مسافة الخلاف بين الأزهر ورجال المدرسة الحديثة، ووجدت فى مصر ثقافتان مختلفتان متعارضتان: تقوم إحداهما على التراث الشرقى القديم والتخصص له وتتمثل فى بيئة الأزهر، وتقوم الأخرى على العلم والتفكير الغربى الحديث وتتمثل فى مدارس الحكومة على شتى درجاتها، وفى المدارس الأجنبية على اختلاف الثقافات التى تدعو إليها، من فرنسية وإنجليزية وأمريكية وإيطالية.. وهكذا استقلت الحياة السياسية فى الدولة عن الأزهر، وترك الأزهر على حاله، يتصرف فيه رجاله كما يريدون، بعيدين عن توجيه السياسة المباشرة لشئون الثقافة والتعليم

فيـه، وفكر الغيورون علـى مستـقبل العلم والدين من أبنائه مليـا فى أمره، ورأوا حاجته الماسة إلى الإصلاح، فطالبوا بإصلاح مناهجه ونظمه، ولكن هذه الدعوات قوبلت فى داخل الأزهر بـعصبـية متطرفـة فى الإنكار، بيد أن رغبـات الإصلاح كانت قوية جبارة، وكانت النهضة الحديثة تدفع الأزهر إلى التجديد العلمى، وكان أبرز شخصية دعت إلى هذا الإصلاح هى شخصية الإمام محمد عبده تلميذ جمال الدين الأفغانى، وكان الشـيخ محمد عبده يرى أن بقـاء الأزهر على حاله محال، فإما أن يعمر وإمـا أن يخرب وابتدأ يعمل على تغيير مناهج الدراسة والثـقافة فيه: بدراسته كتابى عبد القاهر الأسرار والدلائل، وبقراءته البصائر النصيرية، وقد علق الشيخ مـحمد عبـده على نهج البلاغة ومـقامات البـديع، وهو مدين فى أسلوبه لمقدمة ابن خلدون، واهتم الشيخ بالإصلاح.

فاستصدر مرسومًا بكسـاوي التشريف، واهتم بمساكن الطلاب ومكافآتهم المالية وحـدد مدة الإجـازات السنوية وأدخل فى مناهج الدراسـة بعض العلوم الحديثـة، وعنى بمكتبة الأزهر ومكتبات المعـاهد التابعة له. وفى عام ١٩١١ صدر قانون رقم ١٠ الذى انتقل بالأزهر إلى مـرحلة أخرى من النظام فزيدت مواد الـدراسة وجدد اختصـاص شيخ الأزهر، وأنشىء للأزهر مجلس يسـمى مجلس الأزهر الأعلى، ووضع نظام هيئة كبار العلماء وجعل لكل معهد مجلس إدارة ولكل مذهب شيخ.

وهكذا أثرت دعوات الإصلاح وأخذت تخطو بالأزهـر خطوة فخطوة فى سبيل التجديد والنظام والثقافة، وكان من أثرها صدور قانون رقم ٣٣ عام ١٩٢٣ خاصًا بإنشاء قـسم للتخصـص.. ثم صدر عام ١٩٣٠ مـرسوم بقانون رقم ٤٩ خـاصا بإعادة تنظيم الأزهر وفروعه فقسم الأزهر إلى كليـات، وأنشئت معاهد وفروعا له فى كثير من الأقاليم وأنشئت أقسام الإجازات وأقسام الدراسات العليا وتخصصات الأستـاذية، وعـدل هذا المرسوم بمرسـوم جديد عـام ١٩٣٦. وهكذا خطا الأزهر خطوات جديدة واسـعة فى سبـيل إصلاحه المنشـود، وصار الأزهر يخرج شـبانًا ناضجى العقلية والثقافة.

وأصبحت مناهج الدراسة والتعليم فى الأزهر تنصـرف تدريجيًا عن القشور إلى اللباب وعن العناية بالبحوث اللفظية إلى الاهتمام بالفكرة وفهمها ومناقشتها.

ولكن رغم ذلك كله يجب أن نسائل أنفسنا من جديد. هل فرغنا حقا من خطوات الإصلاح، وهل أثمرت هذه الإصلاحات ثمراتها المنشودة؟ وللجواب عن ذلك نقرر الحقائق الآتية:

١- ما يزال المنهج العلمى السائد فى الأزهر: كلياته ومعاهده، هو المنهج القديم المحافظ. ولا تزال الكتب القديمة هى أهم المقررات العلمية للطلبة.

٢- لا يزال إنتاج الأزهر العلمى ضئيلاً قليلاً لا تكاد تحس به أو تلمس آثاره.

٣- ما تزال رغبات الإصلاح فى الأزهر حائرة لا يستقر لها قرار، ولا ندرى كيف تسير مرافق الدولة بسرعة مدهشة، ويبقى الأزهر وحده متخلفًا عن القافلة لا يشعر بأثر الحياة فيه أحد.

٤- ما تزال مكانة الأزهر الاجتماعية فى الدولة ضئيلة وشخصيته فى المجتمع غير واضحة.

- ٣ -

وقد بسطنا تاريخ الأزهر الثقافى والعيوب التى لا تزال محيطة به، والآن نبسط رأينا فى بعض مناهج الإصلاح، راجين أن يتفضل الغيورون على الأزهر بإصلاحه وتمكينه من أداء رسالته.

إننا نريد أن يكون للأزهر شخصية علمية واضحة، وأن يكون فيه بيئة قوية مهذبة أساسها الخلق الدينى والنمو الروحى، الذى يجب أن يشيع فى نفس كل رجل من رجال الدين.

ونرى أنه يجب علينا أن نعنى بالأمور الآتية:

أولا- مدة التعليم فى الأزهر.

وفى رأيى أن يكون التعليم فى الأزهر على المراحل الآتية:

١- مرحلة التعليم العام ومدتها ست سنوات، وتدرس فيها إحدى اللغات الأجنبية، وتكون مناهجها قريبة جدًا من مناهج التعليم فى وزارة المعارف ويجب إقصاء الكتب القديمة والحواشى عن هذه المرحلة إقصاء تامًا، ويباح لمن

ينال هذه المرحلة الالتحاق بجميع المدارس المتوسطة، الزراعية والصناعية والتجارة والصيارف ومدارس الجيش ومدرسة أخرى تنشأ لتكوين المعلم تكوينًا قويًا ملائمًا للآمال المنشودة الملقاة على عاتق رجال التعليم.

٢- مرحلة التعليم الخاص: ومدتها ثلاث سنوات، ويعنى فيها بدراسة العلوم الدينية والعلوم الحديثة، وإكمال دراسة لغة من اللغات الأجنبية، ويباح لخريجى هذا القسم الالتحاق بجميع المدارس العالية وبالجامعات المصرية.

٣- مرحلة التعليم العالى ومدة الدراسة فيها خمس سنوات، ويمنح منها الطالب العالمية ويباح له الالتحاق بجميع وظائف الدولة وبالوظائف الدينية وسواها فى الأزهر وفروعه وفى خارجه.

٤- مرحلة الدراسات العليا ومدتها أربع سنوات، ويخرج منها أساتذة الكليات وأعضاء البعثات التى تسافر إلى الخارج.

ثانيًا- يجب تغيير الزى الأزهرى بالزى المدنى فى المراحل الثلاث الدراسية، أما مرحلة الدراسات الدينية فيجب الاحتفاظ فيها بالزى الأزهرى خاصة.

ثالثًا- خلق صلات ثقافية بين كلية اللغة وكليات الآداب وبين كليات الشريعة وكلية الحقوق.

رابعًا: تنظيم الأزهر وفروعه ومعاهده وهيئاته العلمية تنظيمًا حديثًا قائمًا على أساس الإفادة من التجارب الحديثة فى التربية والثقافة والتنظيم.

خامسًا- وضع الفقه الإسلامى على نظام المجموعات الفقهية الحديثة كما هو متبع فى الفقه المدنى والكتابة فيه.

سادسًا- يرسم برنامج واضح لإصلاح الأزهر محدد الزمن والغاية والأهداف.

سابعًا- يجب أن يؤلف رجال الأزهر مؤلفات حديثة فى فروع الثقافة التى تدرس فيه ليستطيع أن يفيد منها الناس كافة.

ثامنًا- يجب أن يكون مستوى القضاء الشرعى والأهلى واحدًا، كما يجب إتمام مدينة الأزهر. وإنشاء كراسى الأساتذة وجعل كادر الأزهر على نظام الكادر الجامعى.

دراسة النحو فى الأزهر

كان يدرس فى الأزهر من كتب النحو شرح الشيخ حسن الكفراوى على متن الأجرومية ثم حاشية أبى النجا على شرح الشيخ خالد ثم حاشية العطار على الأزهرية ثم حاشية السجاعى على شرح القطر ثم شرح الشذور وحواشيه ثم حاشية السجاعى أو الخضرى على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ثم حاشية الصبان على شرح الأشمونى على الألفية ثم المغنى وشروحه وحواشيه وذلك فى نحو ست سنوات وهذا كله بعد حفظ الطلاب متن الآجرومية ومنظومة الألفية وغيرهما وكيفية الدراسة أن يعين المدرس لطلبته جزءاً من أول الكتاب المراد قراءته يطالعه كل واحد منهم على انفراده أو بالاشتراك مع غيره ثم يجيئون فى اليوم التالى ويجلسون بين يدى شيخهم بهيئة حلقة ويسمعون منه توضيح ما عينه لهم ويناقشونه فيه هذا يسأل وهذا يعترض على المصنف وثالث يجيب عنه وهكذا وكل منهم يجتهد فى إظهار علمه فى مناقشاته وربما طالع لهذا الغرض حواشى غير المقرر قراءتها ولا يزال الطلبة فى أخذ ورد وتصويب وتخطئة إلى أن ينتهى الدرس فى نحو ساعتين وربما لا يتم الجزء المعين فيعين لهم جزءا آخر ويحصل فيه ما حصل فى سابقه وهكذا إلى أن يفرغ الكتاب وهذه الطريقة تربى فيهم ملكة الجدل والبحث.

دراسة النحو فى المدارس

نتقدم أولاً بذكر نبذة من تاريخ المدارس فى مصر فنقول:

قبل استيلاء محمد على باشا رأس الأسرة الفخيمة الخديوية على مصر كانت المعارف فيها مقصورة على معرفة القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم بالكتاتيب التى أنشأها سلاطين المماليك وأمراؤهم وعلى التخرج من علوم الأزهر السابقة فكانت هذه الكتاتيب بمنزلة مدارس ابتدائية والأزهر بمنزلة مدارس ثانوية وعليا فلما استقام الأمر للباشا بهذه الديار أنشأ عدة مدارس ذات شأن كبير منها مدرسة للطب بأبى زعبل ومدرسة للهندسة ببولاق ومدرسة للألسن ومدرسة للزراعة ببلدة نبروه ومدرسة للصناعات وثلاث مدارس للفنون الحربية ثم اقتفى أثره فى ذلك من خلفه

من أمراء هذه الأسرة الخديوية وكذا حكوماتهم وأشـراف الأمة فزادوا فى المدارس وشيدوا فى أركانها وفرضوا لهـا النفقات إلى أن وصلت إلى ما هى عليه فى وقتنا الحاضـر من التقـدم والنظام يدير شئـونها ديوان عال يرأسـه وزير كبـير من وزراء الحكومة وله وكيل من كبار الأمراء.

من تاريخ الأزهر المعاصر

تولى الشيخ عبـد المجيد سليم المشيخة فى ٢٦ ذى الحـجة ١٣٦٩هـ- ٦ أكتوبر ١٩٥٠، وأقيل منها فى ٢ ذى الحـجة سنة ١٣٧٠هـ- ٤ سبتـمبر ١٩٥١، وتولى مكانه فى اليوم نفسه الشيخ إبراهيم حمروش.

وفى ١٤ جمـادى الأولى ١٣٧١هـ- ١٠ فبرايـر ١٩٥٢ أقيل الشيخ حـمروش وعين مكانه الشيخ عبد المجيد سليم.

وقد استـقال الشيخ سليم فى ٢٧ ذى الحـجة ١٣٧١هـ - ١٧ سبتـمبر ١٩٥٢م وعين مكانه الشيخ محمد الخضر الحسين، وظل فيها إلى أن استقال فى يوم ٨ يناير ١٩٥٤ وتولى مكانه الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الأزهر الحالى.

المعمرون من علماء الأزهر

فى عام ١٩٥٢ احتـفل بالعيد المئوى للشيـخ عبد المعطى الشرشيـمى من كبار علماء الأزهر الشريف، متعه الله بالصحة والعمر المديد.

ومن علماء الأزهر المعمرين ممن عرفناهم الشيخ محمد عبد الله العربى وقد ولد عام ١٢٤٠هـ فهـو اليوم يبلغ أربعة وثلاثين ومائة عام من عمـره المديد، وقد تخرج فى الأزهر عـام ١٢٧٤هـ، واشـتـغل مـدرسًـا فى الأزهر، وترك التـدريس عـام ١٣١٥هـ، وكان من شيـوخه الشيخ الباجورى والشيخ عليش، وحـدثنا أن جمال الدين الأفغانى حدثه أنه -أى الأفغانى- من مواليد عام ١٢٣٥هـ.

مكتبة الأزهر[1]

كان من تمام التـيسيـر على طلبة العلم أن يكون لكـل رواق مكتبة خـاصة به، تبتدئ بعدد قليل من الكتب يقفهـا أهل الخير ثم يتكاثر، وعلى هذا كان لكثير من

---

(١) من تقرير للأستاذ مدير مكتبة الأزهر: الشيخ أبو الوفا المراغى - مجلة الأزهر.

الأروقة مكتبات خاصة لا تخضع لأنظمة المكتبات التى عرفت أخيراً، بل كان الانتفاع بها متروكاً لمن ينشده من أهل الرواق أو غيرهم، وليس فى التاريخ نص صريح على أنه كان للأزهر مكتبة عامة قبل هذه المكتبة، كما أنه يتعذر تحديد الوقت الذى نشأت فيه مكتبات الأروقة، وكل ما يمكن أن يقال عنها: إنها قديمة أو قديمة جداً.

وقد لبثت مكتبات الأروقة على النحو الذى ذكرناه من عدم الضبط وإهمال الرقابة إلى عهد بعيد، فقد كان فيما تناوله تفكيره فى الإصلاح إنشاء مكتبة أزهرية عامة تجمع شتات هذه الكتب المتفرقة فى مكتبات الأروقة، وتحفظ ما بقى من ذلك التراث العلمى الذى خلفه علماء الجامع الأزهر فى العصور المتعاقبة من العبث والضياع. فقد ذكر بعض الباحثين أن كثيراً من نفائس الكتب التى كانت مودعة بمكتبات الأروقة تسرب إلى أيدى علماء أوروبا بواسطة سماسرة الكتب واستغلال الجهل والضعف الخلقى فى نفوس القائمين على هذه المكتبات، «فحين رئى تنظيم الجامع الأزهر وتوحيد مكتبته ظهر وهن الضمائر وضعف النفوس وإهمال الواجب نحو الكتب التى لعبت بها أيدى الضياع، فتسرب بعضها وأهمل البعض الآخر للحشرات والأتربة فتلفت أوراقها وبليت ومزقت وخرمت وقطعت جلودها، وأصبح لا يوجد منها كتاب سليم مستقيم وإلا ما ندر، ويظهر للباحث أن كتب الأزهر قبل سنة ١٨٩٧ كانت تتسرب لمتصيديها المتربصين لها منتهزين فرصة وجودها فى عهدة أشخاص ملأ الجهل صدورهم وتبرأت الأمانة من قلوبهم بداعى الحاجة أو الإغراء، فأساءوا للتعليم وخانوه جهلاً أو عمداً أو تقصيراً من أولى الشأن، فبدد هؤلاء الأشخاص أثمن ما ترك السلف ثروة للخلف من هذه الكتب القيمة، وتصرفوا فيها تصرف الملاك فباعوها مع نفاستها بالثمن البخس، ولا أدل على مقدار ما فقدت مكتبات الأزهر فى الماضى من المثال الآتى: «حوالى سنة ١٢٧٠هـ- ١٨٥٣م أمر ديوان عموم الأوقاف بجرد كتب مكتبات المساجد والتكايا وأروقة الأزهر وحاراته وقيدت جميعها فى سجلين جامعين، خصص أولهما لمكتبات الجامع الأزهر، وثانيهما لمكتبات المساجد والتكايا، وقد بلغ مجموع المجلدات الموجودة فى ذلك الوقت فى مكتبات أروقة الأزهر وحاراته ١٨٥٦٤

مجلداً: فإذا رجعنا الآن إلى هذا السجل التاريخى فلا نجد من أثمن الكتب وأنفسها إلا أسماءها، وكأن هذين السجلين أنشأ ليكونا فى الواقع مرشداً لأيدى الاغتيال التى عمدت إلى أنفس ما فى المكتبات من المؤلفات الأصيلة القيمة فانتهبتها انتهاباً. «وأغرب من هذا أن نفس السجلين تسرباً أيضًا إلى أيد أجنبية خارج الأزهر ولم يعودا إليه إلا بالشراء سنة ١٩١١م ودفع لهما ثمن قدره ١٥٠ قرشًا، وأعيد قيدهما بالمكتبة.

ويقول الأستاذ عبد الكريم سلمان: «كان فى الأزهر خزائن كتب وضعت فى بعض الأروقة والحارات وبعضها فى المساجد القريبة كجامع الفاكهانى وجامع العينى ونيط حفظها جميعها بأشخاص يقال لهم «المغيرون» فتصرفوا فيها تصرفًا سيئًا للغاية صح معه إطلاق اسم «المغيرين» عليهم، لأنهم غيروا وضعها وشتتوا جمعها، ومزقوا جلودها وأوراقها، وتركوا ما لا عناية لهم به منها فى التراب يأكله العث ويبليه التراب، وهذا غير ما تصرفوا فيه تصرف الملاك وطار بأيدى باعة الكتب، يباع على نفاسته بالثمن البخس، ولم يبال المتصرف الأول والباعة بما كتب على ظهور تلك الكتب من العبارات التى تفيد وقفها على طلبة العلم والعلماء، وبالجملة فلم يكن ليعرف للكتب قيمة، ولا لينتفع بها لعدم إمكان الانتفاع». ولقد كان تعرض كتب الأروقة والحارات للضياع والتسري إلى أيدى المترصدين لها ممن يعرف مقدارها، هو الذى أوحى إلى الإمام بفكرة إنشاء المكتبة، وقد تقدم بها إلى مجلس إدارة الأزهر وكان ذا نفوذ فيه فنالت القبول من أعضائه، وبخاصة من الشيخ حسونه النواوى، والشيخ عبد الكريم سلمان الذى كان عضداً قويًا للأستاذ الإمام فى حركات إصلاح الأزهر، ووافق عليها المجلس واختار المكان المناسب، وكتب لديوان الأوقاف الذى كان يتولى الأشراف على شئون الأزهر لأعداده للمهمة التى اختير لها، فنفذت الفكرة فعلا من أول سنة ١٨٩٧م الموافق شعبان سنة ١٣١٤، وقد لاقى صاحب الفكرة عناء عظيمًا فى إقناع أهل الأروقة بفائدتها، ورغم ما بذله من المحاولات فى هذا السبيل فقد امتنع أهل بعض الأروقة عن ضم مكتباتها إلى المكتبة العامة كرواق الأتراك ورواق المغاربة، وقد ضمت مكتبة الصعايدة إلى المكتبة العامة سنة ١٩٣٦، ولاقى المباشرون للتنفيذ

صعوبات جمة فى ترميم الكتب وإصلاحها وترتيبها للحالة السيئة التى كانت عليها فى خزائن الأروقة كما أسلفنا.. ويصور الشيخ عبد الكريم سلمان هذه الصعوبات كلها، فيقول:

«حملت تلك الكتب من خزائنها إلى المكان الجديد، فكان يأتى بها أولئك المغيرون محشوة فى الزكائب والمقاطف، ثم يفرغونها تلالاً وأكوامًا عليها خيوط العناكب وبينها الأتربة، ويتخللها الجلود البالية، وليس بينها من كتاب سليم مستقيم الوضع إلا ما لا يكاد يذكر، وبجانبها أولئك الموظفون المكلفون بجمعها وترتيبها وأعضاء المجلس والأمين يراقبون عملهم ويرشدونهم إلى الطريق الأقوم، فعملوا وأكدوا وأستخلصوا من بين هذه الدشوت والأوراق المتفرقة كتبا معتبرة فى كل الفنون، وكان معهم مندوب من ديوان الأوقاف وموظف آخر نيط به تقويم كل كتاب وجد أو جمع بالثمن اللائق به، وقيدت فى دفاتر بأعداد متسلسلة، واستلمها الأمين بأثمانها المقدر لها، ثم اشتغلوا بعد ذلك فى توحيد الفنون، وقرروا لكل فن موضعًا مخصوصًا من المكان، وقد استغرق عملهم هذا أزمانًا طوالا كانت كلها أتعابًا ومشاقًا، وإنى لأعرف كتبًا كثيرة مما نجده الآن كاملا كان الكتاب الواحد منها بعضه فى خزانة فلان، وبعضه الآخر فى خزانة فلان، وباقيه فى خزانة فلان، ولم تجمع أجزاؤه بعضها على بعض إلا بطريق المصادفة الحسنة، وأعرف كذلك أن بعض الكتب النفيسة النادرة الوجود وجد فى دشت كان فى خزائن الجامع العينى ولم يعبأ به أحد ممن تولوا تغييرها للطلاب، ولم يعن بفرز الدشت لتوحيد تلك النفائس، إلا بعد أن كان قد صدر أمر أحد مشايخ الجامع بإحراقه وتدارك الأمر من يعرف قيمة العلم ولا يبالى بالتعب فى المحافظة عليه، وقد رأيت بعينى كثيرًا من المصاحف الشريفة وهى بين الأتربة مع أنها من أجود المصاحف خطًا وورقًا وفيها من الفوائد وعلوم التجويد ما لا يوجد فى سواها، غير ذلك كثير نكتفى بما ذكرناه، فما الغرض إلا بيان حالها قبل جمعها، وفى هذا القدر ما يكفى».

ولم يكتف الأستاذ الإمام فى تكوين المكتبة بما جمع من مكتبات الأروقة، بل دعا العظماء والعلماء إلى المشاركة فى فضل تكوينها، واستعان فى ذلك بنفوذه

عندهم ومكانته لديهم، فاستجاب لدعوته بعض هؤلاء، ووهبها الشيخ حسونة مكتبته الخاصة، ووهبها ورثة سليمان باشا أباظة مكتبة والدهم، وكان المرحوم سليمان أباظة من خاصة أصدقاء الشيخ، وكان أبناؤه يعدون الشيخ كوالدهم فى العطف والرعاية، وهذه المكتبة أنفس المكتبات الخاصة بالمكتبة الأزهرية.

وتشغل المكتبة الأزهرية الآن ثلاثة أمكنة: اثنان منها داخل الأزهر وهما: المدرسة الأقبغاوية والمدرسة الطيبرسية، والثالث خارج الأزهر ملاصق له وهو الطابق الثانى من بناء أنشأته مشيخة الجامع الأزهر سنة ١٩٣٦ كملحق للإدارة العامة المجاورة للأزهر. ولقدم المكانين الأولين وقيمتهما نلم بتاريخهما: أما المدرسة الأقبغاوية فهى على يسار الداخل إلى الأزهر من بابه الغربى الكبير «باب المزينين» وقد أنشأها الزمير أقبغا على نظم المدارس الإسلامية لهذا العهد، والمدرسة الإسلامية لهذا العهد مسجد له خصائص المساجد من منارة ومحراب وميضأة ونحو ذلك، إلا أنه تقام فيه الحلقات الدراسية فيقال له مدرسة، وأنشأ بها مدفنًا به قبة تعتبر من نوادر الفن الإسلامى فى العمارة إلا أنه لم يدفن به ودفن بالإسكندرية، وانتهت عمارة المدرسة سنة ٧٤٠هـ. ومن الطرائف التاريخية عن هذه المدرسة ما يرويه المؤرخون من أنها «مدرسة مظلمة ليس عليها من بهجة المساجد ولا أنس بيوت العبادات شىء البتة، ويعللون ذلك بأن منشئها اغتصب مكانها من مالكيها وسخر العمال فى عمارتها وحصل على مواد البناء ولوازم العمارة بطريق الغصب أو الخيانة ووقف على هذه المدرسة أوقافًا وشرط فى كتاب وقفه ألا يلى النظر أحد من ورثته.

وأقبغا هو الأمير علاء الدين، كان رقيقًا للتاجر عبد الواحد ابن بدال اشتراه منه الناصر قلاوون، ورفعه حظه وذكاؤه إلي مراتب الموظفين وتقلب فى مناصب الدولة المختلفة، إلى أن قتله الملك الصالح عماد الدين فى الفتنة بينه وبين أخيه أحمد الناصر. أما المدرسة الطيبرسية فهى على يمين الداخل إلى الأزهر من بابه الغربى المذكور، وقد أنشأها علاء الدين الطيبرسى نقيب الجيوش المصرية، وفرغ من عمارتها سنة ٧٠٩هـ وجعل له بها مدفنًا دفن به، وقد عرف بالصلاح والتقوى، فاتفق أنه لما فرغ من بناء هذه المدرسة أحضروا له حساب مصروفها

فاستدعى بطست فيه ماء وغسل أوراق الحساب بأسرها من غير أن يقف على شىء عنها، وقال: «شىء خرجنا عنه لله لا نحاسب عليه».

وقد شغلت المكتبة أولاً المدرسة الأقبغاوية، لاتساعها واستقلالها بعض الاستقلال، ولما ضاقت بالكتب ضمت إليها المدرسة الطيبرسية، ويقول الشيخ عبد الكريم سلمان: «ولما جاءت للمجلس فكرة جمع هذه الكتب في مكان واحد وإصلاح ما أفسدته منها هذه الأيدى وتسهيل الانتفاع بها اختار المكان المعروف فى الأزهر برواق (الابتغاوية) وكتب لديوان الأوقاف سنة ١٣١٤ فأرسل من أخذ المقايسة لإصلاحه وإنشاء ما يلزم له من الخزائن التى توضع فيها الكتب، ثم عرض الأمر على ولى الأمر فأمره مستحسنًا له، وخرج هذا العمل من القوة إلى الفعل وتهيأ المكان لما وجد له من وضع الكتب وحفظها فيه ومن الانتفاع بها تحت ضوابط ونظامات، وشرع عمالها فى إنقاذ ما عهد إليهم من أول مايو سنة ١٨٩٧ الموافق شعبان سنة ١٣١٤، ويقول: واشتريت كتبًا كثيرة من التركات حتى ضاق بها المكان على سعته، فاضطر المجلس إلى أخذ مكان آخر من الأزهر أصلحه ديوان الأوقاف فيه ما عمل فى الأول، وامتلأت خزائنه أيضًا بمعتبرات الكتب ونفائسها مما يتجدد شراؤه كل عام.

وبالمدرسة الأقبغاوية الآن المكتبة العامة بجميع فنونها، وبقبتها الخارجية، ودهليزها مكتب الأمين وإدارة المكتبة، وبالمدرسة الطيبرسية طائفة من كتب الفنون التى تدور حولها الدراسات الأزهرية، كالتفسير والحديث، والفقه المالكى، والحنفى، والشافعي، والحنبلي، والبلاغة، والنحو، والصرف.. وبالمبنى الجديد مكتبتا الشيخين المغفور لهما الشيخ الإمبابى والشيخ بخيت، والأمكنة المشار إليها لم يلاحظ فى إنشائها أن تكون مكتبة، لهذا فهى غير وافية بالغرض الذي تؤديه، وتفقد كثيراً من الأمور التى يجب توافرها فى أبنية المكتبات، ويكفى للتدليل على ذلك أن المكتبة تفقد أهم خواص المكتبات، وهى قاعة المطالعة ومكان الإدارة وليس لها مرافق خاصة بها، وينقصها الإحكام فى الأبواب والنوافذ لمنع تسرب الأتربة والحشرات.

وكان عدد الكتب التى ابتدأت بها المكتبة سنة ١٨٩٧ - ٧٧٠٣ كتابا منها ٦٦١٧ كتابًا بطريق الإهداء، و١٠٨٦ بطريق الشراء وعدد فنونها ٢٧ فنًا وهى:

المصاحف. القراءات، التفسير، الحديث، الأصول، النحو، الصرف، البلاغة، فقه أبى حنيفة. فقه مالك، فقه الشافعى، فقه أحمد بن حنبل، المجاميع، التوحيد، المنطق، التاريخ، التصوف، الأدب والمديح، الآداب والمواعظ والفضائل، الأحزاب والأوراد والأدعية، الوضع وآداب البحث والعروض، الفلك والميقات، مصطلح الحديث، الفنون المنوعة، الحساب والهندسة، اللغة، الطب، وقد بلغت فنون المكتبة سنة ١٩٤٣ - ٥٨ فنًا وبلغ عدد مجلداتها ٩٠٠٧٥ مجلدًا.

وبالمكتبة الأزهرية مكتبات خاصة حملت الغيرة الدينية أصحابها أو ورثتهم على إهدائها للمكتبة الأزهرية ليكون نفعها وقفًا على العلماء وطلبة العلم بالأزهر ابتغاء مغفرة الله ورضوانه، ويذكر لأصحابها هذا العمل بالثناء مقرونًا بالدعاء أن يحسن الله لهم الجزاء ويهبهم الثواب، وهذه المكتبات وإن كان بعضها مستقلاً بخزائنه كشروط أصحابها إلا أنها مسجلة ومفهرسة ضمن المكتبة العامة، ويجرى الانتفاع بهما معًا دون تمييز، وهذه هى أهم هذه المكتبات مرتبة حسب أهميتها:

١- مكتبة سليمان أباظة باشا، وقد أهداها ورثته إلى الأزهر سنة ١٨٩٨م عملاً بمشورة الإمام محمد عبده كما أسلفنا، وهى أنفس المكتبات الخاصة بالمكتبة الأزهرية، يستأثر فنًا التاريخ والأدب بغالب كتبها، وتمتاز بكثرة وبخاصة الفنين المذكورين وعدد مجلداتها ١٤٨١ مجلدًا، وبها جملة صالحة من مطبوعات أوروبا.

٢- مكتبة حليم باشا، وقد وزعت بين المكتبة الأزهرية ووزارة المعارف فى أغسطس سنة ١٩١٢، وخصت المكتبة الأزهرية منها نحو ٢٨٥٧ مجلدًا، ويظهر من فنونها: القراءات والحديث والتصوف والطب والفلك والتاريخ، وبها كتب فى بعض الفنون باللغات التركية والفارسية، وكثير من كتبها بخطوط جيدة موشاة بالذهب.

٣- مكتبة الشيخ عبد القادر الرافعى المفتى المتوفى سنة ١٣٢٣هـ وقد وقفت بخزائنها الخاصة بها على الأزهر فى مارس سنة ١٩٢٧م ووضعت فى حجرة خاصة بها، وعدد مجلداتها ١٤٥٧ مجلدًا، وهى أغنى المكتبات الخاصة بفن الفقه الحنفى، وبها مخطوطات فى هذا الفن يقال إنها من النوادر العالمية كشرح السندى على الدر المختار.

٤- مكتبة المغفور له الشيخ محمد بخيت المطيعى مفتى الديار المصرية المتوفى سنة ١٩٣٥م، وقد وقفها فى حياته بخزائنها الجميلة، ونفذ ورثته رغبته سنة ١٩٣٨م، وعدد مجلداتها ٣٣٦٥ مجلداً فى فنون مختلفة يغلب فيها الفقه على مذهب أبى حنيفة.

٥- مكتبة المغفور له الشيخ الإمبابى شيخ الجامع الأزهر المتوفى سنة ١٣١٣هـ، وقفها على طلبة العلم، وجعل مقرها منزله بالظاهر، وجعل لها مغيراً بمرتب مما وقفه من ماله على جهات البر، وقد خشيت عليها وزارة الأوقاف فأهدتها إلى المكتبة الأزهرية سنة ١٩٤١م، وعدد مجلداتها ١٤٥٢ مجلداً، وبها مخطوطات نادرة فى الفقه الشافعي.

٦- مكتبة يسيم أغا، كانت برواق الجبرتى، ورغب فى نقلها إلى المكتبة الأزهرية بخزائنها، فتمت رغبته سنة ١٩٢٥، وبها نحو ألف مجلد في مختلف الفنون.

٧- مكتبة الشيخ العروسى شيخ الجامع الأزهر المتوفى سنة ١٢٩٣هـ، وقد أهداها ورثته إلى المكتبة الأزهرية سنة ١٩٢٧م وعدد مجلداتها ٥٩٠ مجلداً، وبها نوادر من الكتب الخطية.

٩- مكتبة إبراهيم بك حفظى، وقد أهديت إلى المكتبة الأزهرية سنة ١٩٢٢م، وعدد مجلداتها الآن نحو ٣٩٢ مجلداً، وهى فى نمو مستمر وتجدد دائم، فقد وقف عليها مهديها مبلغاً سنويًا خصص نصفه لشراء كتب برسمها ونصفه للمغيرين بها.

١٠- مكتبة المغفور له الشيخ حسونة النواوى شيخ الجامع الأزهر المتوفى سنة ١٩٢٥م؛ وبها كتب كثيرة فى فنون مختلفة، أهداها إلى المكتبة الأزهرية عقب إنشائها لتكون نواة للمكتبة، وليحرك بها همم أهل الخير إلى تعضيد مشروعها.

١١- مكتبة الشيخ الجوهرى، وقد أهديت إلى المكتبة سنة ١٩٢٨م، وعدد مجلداتها ٣٤١ مجلداً.

١٢- مكتبة المرحوم الشيخ محمد عبد اللطيف الفحام المتوفى سنة ١٩٤٣، أهداها ورثته إلى المكتبة إثر وفاته، وبها نحو ألف مجلد.

وبالمكتبة الأزهرية مكتبات أخرى كمكتبة رضوان باشا ومختار باشا وثابت باشا ورشيد باشا وبعض مكتبة مدرسة القضاء وبعض مكتبة زكى باشا ومكتبة رواق الصعايدة.

ومما تختص به المكتبة الأزهرية كثرة المخطوطات بالنسبة إلى مجموع كتبها، وقد بلغت المخطوطات إلى سنة ١٩٤٣م ٢٤٠٠٠ مجلد تقريبًا.

❁❁❁



رفاعة رافع الطهطاوى

رفاعة الطهطاوى الأزهرى
رائد الفكر الحديث فى مصر

هو أحد زعماء نهضتنا العربية الحديثة الذى فتح أمامنا آفاقًا واسعة للمعرفة.. وعلى يديه تكونت نواة الطبقة المثقفة الصحيحة التى حملت لواء التجديد.. وهو ابن نابه من سلالة أرض الكنانة تفخر الأمة به.. رفاعة الطهطاوى أحد العباقرة الذين سيخلدهم تاريخ مصر الحديثة.

رجل جاد به الزمان حين شح الزمان بالرجال وجاد هو على الزمان حين شح الرجال بالأعمال استطاع أن يجمع بين حضارة الغرب المتقدمة ومفاخر حضارة العرب القديمة، ولذلك عنى بإحياء التراث القديم مثلما عنى بالترجمة لمآثر الغرب تحقيقا للنهضة الفكرية ودفعًا لحركة البعث الجديد.. وكما كان الطهطاوى مترجما مبدعًا فى اختيار ما تناوله -وليس مجرد ناقل - كان أيضًا موسوعيًا فى كتاباته المختلفة وليس مجرد رحالة، كما كان عالمًا مؤرخًا يستند إلى الوقائع ويرجع إلى الكشوف الأثرية، خاصة وأنه من رواد المؤرخين المصريين الذين عرفوا تاريخ مصر القديم وعنوا بأمجاد هذا التاريخ. عنى بالكشف عن هذه الحقبة الحضارية الأصيلة فى تاريخنا، فأرخ أيضًا للدعوة الإسلامية والفتح العربى الإسلامى فى كتابه الذى صدر بعد عام واحد من وفاته «نهاية الإيجاز فى سيرة ساكن الحجاز» ولعل من الجوانب المجهولة فى حياة رفاعة هو اهتمامه بحقوق المرأة، وقد كتب فى ذلك كتابًا شهيرًا: «المرشد الأمين فى تربية البنات والبنين».

* تبدأ السيرة العطرة للمصرى الفذ رفاعة الطهطاوى فى صعيد مصر، حينما ولد فى طهطا عام ١٨٠١ فى أسرة متواضعة الحال، وجاء إلى القاهرة صغيراً ليتخرج فى الجامع الأزهر، وينتهز فرصة تعيينه إمامًا لأول بعثة تعليمية أرسلتها مصر إلى فرنسا، فيتعلم الفرنسية ويتقنها، وبعد عودته يعمل مترجمًا فى المدارس الفنية التى أنشأها محمد على قبل أن يعين مديراً لمدرسة الترجمة والتى تغير اسمها لمدرسة الألسن فيما بعد، والمؤرخ لتاريخ الصحافة العربية يضع رفاعة وأعماله الصحفية فى الصدارة.. فالرجل وجد فى الصحافة منبراً شعبيًا وسلطة كبيرة لها

خطرها كما لمس حوادث الثورة الفرنسية عام ١٨٢٠ الأمر الذى جعله يأخذ على عاتقه مهمة التجديد فى الصحافة التى لم تكن وقتئذ سوى نشرات رسمية، وحينما صدرت جريدة «الوقائع الرسمية» ظل رفاعة مشرفًا عليها لمدة ثمانى سنوات فى الفترة من عام ١٨٤٢ حتى عام ١٨٥٠ بعد أن كلفه محمد على بالإشراف على القسم الأدبى فيها، وأن جزءًا كبيرًا منها كان يحرر بالتركية، وبعد الوقائع تولى رئاسة تحرير مجلة «روضة المدارس» عام ١٨٧٠.. وكانت لرفاعة الطهطاوى نظرات فى السياسة مثلما كانت له نظرات فى التربية والاجتماع، وآراؤه السياسية موزعة بين كتبه العديدة: «تخليص الإبريز، والمرشد الأمين، وأنوار الجليل، ومناهج الألباب المصرية» وغيرها وكان فيها جميعًا متأثرًا بالعلوم السياسية الفرنسية وليس أدل على ذلك من ترجمته للديوان الفرنسى.. ولم يعش الطهطاوى ليرى بنفسه ثمرات جهوده فى بناء الوعى السياسى فى مصر فرحل عام ١٨٧٣ بعد أن سجل اسمه فى مقدمة قادة نهضة مصر الحديثة فى القرن ١٩.

❁❁❁

العيد الألفى للأزهر

احتفل الأزهر بعيده الألفى عام ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣ احتفالاً كبيراً شهده الرئيس حسنى مبارك. وبدأ الأزهر الشريف احتفالات مرور ألف سنة على إنشائه. يشارك العالم الإسلامى فى الاحتفالات التى تأخرت ١٠ سنوات عن موعدها الأساسى. تقرر أن تحتفل الهيئات الإسلامية والوزارات والمؤسسات الشعبية والحكومية فى الاحتفالات التى تعم مصر تقديراً لدور الأزهر.

كما تنظم وزارة الأوقاف حلقات فى المساجد حول هذه الذكرى وكذلك الجامعات فى مصر والخارج. وعدداً من المنظمات العالمية فى أوروبا وآسيا وأمريكا ستحتفل بذكرى مرور ألف سنة على الأزهر الشريف. ينتظر أن تستمر الاحتفالات الرسمية أكثر من شهر وعلى مدى السنة الهجرية الحالية بما يحفظ للذكرى جلالها.

وكان الأزهر مثابة العلماء والطلاب من أنحاء العالم الإسلامى. كما كان معقل الوطنية وموكل الأحرار.. لقد قاد الأزهر ثورتين كبيرتين تعدان من أسبق الثورات الدستورية العالمية ومن أعلم معالم الحركة الوطنية.. الثورة الأولى كانت بقيادة الإمام أحمد الدردير. والثانية بقيادة شيخ الأزهر الشيخ عبد الله الشرقاوى فى أواخر القرن الثامن عشر الميلادى.

أما الثورة الأولى فكانت فى ربيع الأولى من عام ١٢٠٠ هجرية- يناير عام ١٧٨٦. وكان سببها أن محافظ القاهرة آنذاك وهو أحد المماليك واسمه حسين بك بشفت، بعث بجنوده فنهبوا دار رجل من الشعب اسمه أحمد سالم الجزار نائب طريقة الشيخ البيومى الصوفى بالحسينية. فثارت ثائرة أهالى الحى وتوجهوا إلى الشيخ الدردير الذى أعلن أنه سيخرج مع الجماهير من كل أنحاء القاهرة لينهب بيوت المماليك كما نهبوا بيوت الشعب.. وأمر الشيخ بدق الطبول على المنارات إيذانًا بالاستعداد.

وأصبحت القاهرة على أبواب ثورة شعبية.. وأصبح المماليك يحيط بهم الرعب. وبلغ ذلك إبراهيم بك والى مصر. فأرسل نائبه فى الحكم. ومعه أحد

الأمراء من المماليك إلى الإمام الدردير يعتذر له عما حدث ويعده بأن يبعد الأمراء عن الناس ويرد كل ما نهب إلى صاحبه وقبل الشيخ الدردير ذلك وتم ما أراده.. وهكذا وضع هذا الإمام الجليل قاعدة دستورية فحواها «وجوب احترام الحاكم لإرادة المحكومين».

وأما الثورة الثانية فقد حدثت بعد ذلك بتسع سنوات. فى شهر ذى الحجة عام ١٢٠٩ هجرية ١٧٩٥ ميلادية. وكان بطلها هو الإمام الشيخ عبد الله الشرقاوى شيخ الأزهر الشريف.. وسببها أن الفلاحين فى قرية من قرى بلبيس ذهبوا إلى الشيخ الشرقاوى فى الجامع الأزهر وشكوا له من ظلم محمد بك الألفى ورجاله لهم، ومن فرضهم على القرية أموالاً لا طاقة لها بها.

وتأثر الشيخ الشرقاوى بما بلغه، وبلغ الشكوى إلى كل من مراد بك وإبراهيم بك. ولكنهما لم يفعلا شيئًا. فعقد مؤتمرًا وطنيًا فى الأزهر حضره العلماء والطلاب والشعب. حيث استقر الرأى على مقاومة الأمراء بالقوة حتى يخضعوا لمطالب الشعب. وعندئذ أمر الإمام الشرقاوى بإغلاق أبواب الجامع الأزهر. كما أعلن الشعب بإعلان الإضراب العام وإغلاق الأسواق والمحلات.

وفى اليوم التالى ركب الشيخ الشرقاوى ومعه العلماء وتبعتهم الجماهير. وسار الموكب إلى منزل الشيخ السادات وهو من كبار العلماء وكان منزله قريبًا من قصر إبراهيم بك. فأفزعه مواكب الشعب الثائرة فبادر بإرسال رئيس ديوانه أيوب بك ليسأل العلماء عن مطالبهم وحاول التنصل من إجابة مطلب الشعب.. ولكن العلماء أصروا على موقفهم وتقاطرت الجماهير صوب الأزهر.. وبدأت ثورة وطنية عاصفة.

هال إبراهيم بك ما بلغه.. وأرسل إلى العلماء يعتذر.. وفى اليوم التالى توجه والى مصر العثمانى إلى منزل إبراهيم بك واجتمع مع أمراء المماليك حيث أرسلوا إلى العلماء ليجتمعوا بهم. فحضر الإمام الشرقاوى والسيد عمر مكرم والشيخ السادات والشيخ البكرى والشيخ الأمير.. وانتهى الاجتماع بالموافقة على مطالب الشعب التى قدموها وتتلخص فى:

«عدم فرض أية ضريبة إلا إذا أقرها مندوبو الشعب. وينزل الحكام على مقتضى أحكام المحاكم. ولا تمتد يد أى سلطان إلى أى فرد إلا بالحق» وتم تحرير وثيقة تتضمن هذه القرارات.. ورجع العلماء يحيط بهم موكب من الأهالى وهم يهتفون «حسب ما رسمه ساداتنا العلماء بأن جميع المظالم والمكوس والكوادر لاغية من جميع الديار المصرية».

ويجمع أكثر المؤرخين على أن هذه الوثيقة كانت بمثابة إعلان حقوق الإنسان سبقت بها مصر غيرها من الشعوب. وذلك قبل إعلان الثورة الفرنسية لميثاق حقوق الإنسان.

احتفال الأزهر بعيده الألفى

ومن احتفال الأزهر بعيده الألفى أن أعلن فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر فى كلمته أن رسالة الأزهر ليست من الرسالات المحلية بل رسالته تجاوزت توصيل المعرفة للفرد والجماعة إلى تنمية العلاقات بين الشعوب العربية والإسلامية باعتبارها أمة واحدة، تجمعها أخوة الإسلام.

وقال فضيلته: لقد تبوأ الأزهر مكانته العالمية المتينة فى دراسة علوم القرآن والسنة النبوية وشتى العلوم الإسلامية، والحفاظ على اللغة العربية والقيادة الرشيدة إلى العمل بأحكام الإسلام وتعاليمه ونظمه وقوانينه.. حتى أصبح له جامعة تضم ٣٥ كلية تخدم الإسلام والمسلمين، ونمت معاهده فبلغت أكثر من ألف ومائة معهد. وأنه فى كنف مصر يستقبل الأزهر أبناء المسلمين من كافة الشعوب والأقطار فى أعداد متزايدة حتى بلغوا بضعة آلاف يواصلون الدراسة فى كافة مراحلها بالمعاهد والكليات.

وأشار فضيلة الدكتور محمد الطيب النجار رئيس جامعة الأزهر فى كلمته إلى الدور الدينى والعلمى والوطنى الذى قام به الأزهر فى مختلف العصور حتى أصبح منارًا للدين الإسلامى وأن رسالة الأزهر تنبثق من رسالات السماء. وأن دعوته تأتى من العبادات السليمة. وتنقية الإسلام من بعض المفاهيم الخاطئة.

وقال فضيلته: إذا ما اجتمع القول بالعمل لعلمائنا فيكونون بحق ورثة الأنبياء.. وحتى يضطلع الأزهر برسالته على أكمل وجه فلابد له من العناية التامة من المسئولين.. والمزيد من العناية والرعاية والدعم المادى الكبير حتى يؤدى رسالته على أكمل وجه استجابة لمطالب المجتمع الإسلامى.

الأزهر والحكومة

وأشاد فضيلة الدكتور محمد السعدى فرهود وكيل الأزهر والأمين العام للجنة العليا للاحتفال بالعيد الألفى للأزهر بالجهود المبذولة لرفع شأن الأزهر والأزهريين والخطوات التى بذلتها الحكومة حتى يشهد جيلنا هذا الحدث التاريخى فى حياة الأمة الإسلامية. وضرب الأمثلة لدعم هذا العمل.

وألقى فضيلة الدكتور الحسينى هاشم الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية كلمة قال فيها: إن الأزهر الشريف قد فتح أبوابه منذ القدم، وتلاقت فى رحابه جميع الأجناس وألوان المسلمين ينهلون من علمه فأصبح الأزهر المعمور بطلابه وعلمائه الذين يسعون فى الأرض لنشر الدين الحنيف.

كلمة الوفود

وألقى كلمة الوفود لحضور احتفالات العيد الألفى للأزهر فخامة الرئيس مأمون عبد القيوم رئيس جمهورية مالاديف.. ووجه التهنئة باسم جميع الشعوب الإسلامية إلى الأزهر الشريف فى احتفاله بالعيد الألفى.. وأشاد بالعلاقات الطيبة التى تربط مصر بدول العالم العربى والإسلامى بصفة عامة وبجمهورية مالاديف بصفة خاصة.

وقام الرئيس حسنى مبارك خلال المؤتمر العام لعلماء المسلمين الذى عقده مجمع البحوث الإسلامية احتفالاً بالعيد الألفى للأزهر بتوزيع الأوسمة على بعض علماء الأزهر. فقد سلم الرئيس وشاح النيل إلى فضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق. وسلم الرئيس وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى إلى أصحاب الفضيلة الشيوخ إبراهيم الدسوقى وأحمد حسن الباقورى ومحمد متولى الشعراوى وزكريا البرى ومحمد السعدى فرهود وحسنين محمد مخلوف ومصطفى محمد الطير

وعطية محمد صقر وأحمد فتحى الزيات وعبد اللطيف خليف وأحمد محمد عمر وعبد الرحمن الكردى والحسينى هاشم وعبد الكريم حسن نعناع وحامد عبد الحميد جامع.

ومنح الرئيس حسنى مبارك وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى إلى كل من اسم المرحومين أصحاب الفضيلة الشيوخ حسونه عبد الله النواوى وسليم أبو فرهاد البشرى ومحمد أبو الفضل الجيزاوى ومحمد مصطفى محمد المراغى ومحمد الأحمدى إبراهيم الظواهرى ومصطفى حسن أحمد عبد الرازق ومحمد مأمون سيد أحمد الشناوى وعبد المجيد سليم وإبراهيم سيد حمروش ومحمد الخضر حسين - من أصل تونسى- وعبد الرحمن سيد على حسن ومحمود شلتوت وحس مصطفى مأمون ومحمد محمد الفحام وعبد الحليم محمود على.

ومنح الرئيس حسنى مبارك نفس الوسام للدكتور عبد المنعم أحمد النمر واسم المرحوم الشيخ الدكتور محمد البهى والدكتور محمد حسين الذهبى والدكتور بدوى عبد اللطيف عوض والدكتور عوض الله حجازي والدكتور محمد حسن فايق، والحسينى أحمد سلطان ودسوقى محمد العربى وسيد على المرصفى وعبد الرحمن حسن عبد المنعم وعبد الرحمن محمد قراعة ومحمد أحمد عرفة ومحمد بخيت المسيرى ومحمد الشافعى الظواهرى ومحمد عبد اللطيف الفحام ومحمد عبد الله دراز ومحمود إسماعيل الدينارى ويوسف أحمد نصر الدجوى.

ومنح الرئيس نفس الوسام للدكتور أحمد فهمى أبو سنة وأصحاب الفضيلة الشيوخ أحمد محمد هريدى وبدر متولى عبد الباسط وعلى حسن عبد القادر وعبد العزيز هويدى وسليمان حزين وصالح موسى شرف وعبد الحليم الجندى وعبد الله عبد الخالق المشد والدكتور محمد جمال الدين الفندى ومحمد خاطر الشيخ ومحمد شمس الدين إبراهيم ومحمد عبد الله ماضى والدكتور محمد مصطفى شلبى والدكتور محمد مهدى علام.

ومنح نفس الوسام لأعضاء مجمع البحوث الإسلامية من البلاد الشقيقة وهم: الدكتور إسحاق موسى الحسينى- من فلسطين- والدكتور عبد الجليل حسن- من ماليزيا- والدكتور عبد الله تمام- من المغرب- وعلى عبد الرحمن الأمين- من

السودان- والدكتور محمد الحبيب الشاذلى- من تونس واللواء الركن محمود خطاب- من العراق- والأستاذ وفيق القطان- من لبنان.

ومنح الرئيس حسنى مبارك هذا الوسام إلى أسماء المرحومين الشيوخ عيسى أحمد متولى- وهو من أصل فلسطينى- ومحمد أبو زهرة، ومحمد أحمد فرج السنهورى ومحمد على السايس ومحمد نور الحسن- وهو من أصل سودانى- والمهندس عبد السلام فهمى والشيخ ثابت أبو المعالى عثمان واسم المرحومين الشيخ محمد عبد اللطيف دراز ومحمود أبو العيون ومنحه لكل من: الشيخ خلف السيد على وعبد الجليل عبده شلبى واسم المرحوم محمود حب الله ومنحه للشيخ عبد الحميد عبد الحكيم الغفارى وعبد العزيز عبيد الله وعبد الغنى عبد الله الراجحى ومحمد أبو شهبة واسم المرحوم محمد على سالم أبو الروس.

ومنح الرئيس الوسام إلى أصحاب الفضيلة الشيوخ سليمان حسن ربيع والشيخ عبد السلام أبو النجا ومحمد عبد المنعم خفاجى ومحمد نايل أحمد ويوسف أبو العلا الجرشة ويوسف البيومى البسيونى واسم المرحومين الشيوخ إمام الخولى ويوسف أحمد عوض.

ومنح الرئيس نفس الوسام إلى الشيوخ محمد قناوى عبد الله ومحمد كامل الفقى وإبراهيم على أبو الخشب وعبد العظيم على الشناوى ومحمد رفعت فتح الله سليمان وسيد أحمد دنيا وعبد الغنى عبد الخالق.

وإلى أسماء المرحومين الشيوخ أحمد الشرباصى وعبد الحميد على قادوم وعبد المتعال الصعيدى ومحمد يوسف موسى ومنحه إلى الشيخ زكى إبراهيم سويلم واسم المرحوم الشيخ محمد حسن شبانة.

ومنحه إلى الشيوخ محمد عبد التواب محمد مرسى عامر وأسماء المرحومين الشيوخ محمد التميرى وعلى محمود.

❁❁❁

الفصل الثانى:

المدارس العلمية والأدبية فى الأزهر الشريف خلال ألف عام

-١-

جامعة الجامعات، وحارس الإسلام، والداعية الأمين إلى دين الله، طيلة ألف عام أو تزيد.

وحدث عن مجد الأزهر العلمى خلال تاريخه الطويل ولا حرج، وعن مواكب العلم والعلماء فيه على امتداد عشرة قرون كاملة، وعن حلقات العلم فى أروقته الشم، وعن طلابه وعلمائه الوافدين من قرى مصر ومن كل أنحاء البلاد الإسلامية ولا عجب.. فالحديث كله عطر وشذى، وكله حقيقة وتاريخ.

الأزهر هذه الكلمة الجميلة، المقدسة، الطاهرة، ما أجملها، وما أكرمها وما أروعها.. إنها تاريخ أجيال، وصمود أبطال، ومواكب تاريخ وهى فلق الصباح، ونور الشمس الباهر، وضوء البدر المسفر، واليقين كل اليقين بعظمة الإسلام وجلاله وخلوده. ويقول الشاعر الكبير إبراهيم ناجى من رسالة أدبية له وجهها إلى الدكتور طه حسين (٩٢ من كتاب ناجى الشاعر لصالح جودت):

«أرجو بحق الله عليك ألا تذكر الأزهر إلا بالخير، أتعلم لِمَ أحبهُّ؟ أحبهُّ لتلك الحلقات التى تجعل العالم وتلاميذه فى صعيد واحد، فلا يعلو عليهم إلا بعلمه؛ وعلى ذكر الأزهر لأجلسن فى الحلقات، وأتعلم الصبر على المكاره».

ويقول أمير الشعراء. أحمد شوقى: (١٨٦٩- ١٩٣٢):

يا معهدا أفنى القرون جدارهُ ... وطوى الليالى ركنهُ والأعصرا

إن الذى جعل العتيق مثابة ... جعل الكنانى المبارك كوثرا

أمضى الأزهر أحقابا طوالاً فى حراسة التراث، إذ ظل بيت العلم والعلماء، وموئل المفكرين والرواد، ومجدد الثقافة الإسلامية الخالدة، والنور الوهّاج الذى يضىء ولا يحرق، والملاذ الذى تهوى إليه أفئدة المسلمين من كل صوب وحدب.

ومصر منذ القدم وطن الجامعات، جامعة عين شمس القديمة، وجامعة منف، وجامعة الإسكندرية الأولى، وفى الإسلام جامعة الفسطاط، ثم جامعة الأزهر، ودار الحكمة؛ ثم جامعات مصر الحديثة.

وحين تحتفل مصر، ويحتفل معها العالم الإسلامى بالعيد الألفى للأزهر نذكر كيف أصبح الأزهر منذ إنشائه قلعة الإسلام الثقافية وصرح اللغة العربية الحضارى، ومعقل التراث الإسلامى العربى بكل ذخائره وفنونه وعلومه على امتداد الأجيال... ولقد شيده الفاطميون فى مطلع حكمهم لمصر، بعد أن شيدوا مدينة القاهرة لتكون حاضرة دولتهم الكبيرة، وقصدوا أن يكون الأزهر المنارة الثقافية والحضارية لمملكتهم الواسعة..

-٢-

ويحدثنا التاريخ فيقول:

- وضع الحجر الأساسى يوم السبت لست بقين من جمادى الأولى عام ٣٥٩هـ- ٩٧٠م فى رواية، أو يوم السبت الرابع من رمضان فى العام نفسه فى رواية أخرى؛ وكمل بناؤه لسبع خلون من رمضان عام (٣٦١هـ- ٢٢ يونيو ٩٧٢م).

- إختار المعز لدين الله عددًا من كبار العلماء والفقهاء فى عصره ليتولوا الوعظ والإرشاد فى هذا البيت الكريم، وكان عددهم ثلاثين، وأجزل لهم العطاء، وبنى لهم منازل فخمة، ألحقت بالأزهر، وصارت فيما بعد من أروقته.

- وفى صفر ٣٦٥هـ- ٩٧٦م جلس فى الأزهر قاضى القضاة أبو الحسن على ابن النعمان بن محمد، يملى ويشرح مختصر أبيه فى الفقه على مذهب آل البيت؛ وعنوان هذا المختصر هو «الاقتصار»، وكان جمعًا كبيرًا أُثْبِتَ فيه أسماء الحاضرين من شهود هذا الجمع. وكان ذلك بمثابة افتتاح رسمى لحلقات التدريس فى الأزهر الشريف.

وكان وزير المعز يعقوب بن كلس يجلس كل يوم جمعة فى الأزهر ليدرس. مؤلَّفه «الرسالة الوزيرية» فى فقه آل البيت فى حلقة خاصة به. كما كان يجتمع فيه

كل ثلاثاء بالفقهاء وجماعة المتكلمين وأهل الجدل، وذلك منذ عام ٣٦٩هـ- ٩٨٠م وكان يهرع إلى مجلسه القضاة والفقهاء والأدباء وأكابر القصر، ورجالات الدولة والدعوة.

- وفى عام ٣٧٨هـ- ٩٨٨م استأذن هذا الوزير الخليفة العزيز بالله فى أن يعيش بالأزهر جماعة من الفقهاء للتدريس فيه، وكان عددهم سبعة وثلاثين فقيهًا، وقد رتب لهم العزيز أرزاقًا وجرايات شهرية، وأنشأ لهم دار للسكنى بجوار الجامع، وخلع عليهم فى يوم الفطر وكان عدد الطلبة خمسة وثلاثين طالبًا، كانوا موضع رعاية العزيز وتشجيعه. . وبذلك صار الجامع جامعة، وأصبح قبلة العلماء والطلاب، وأخذت حلقاته تنال شهرة عالمية. . وقامت المدارس الفكرية والعلمية والأدبية فيه.

والمدرسة الفقهية فى الأزهر هى دعامة من أكبر دعاماته، ففى العصر الفاطمى رأينا مدرسة فقه آل البيت يتصدرها القضاة من بنى النعمان، وأحيانًا داعى الدعاة، والمؤيد الشيرازى داعى الدعاة هو ممن كان يلقى محاضراته فى الأزهر فى عهد المستنصر الفاطمى (٤٢٧- ٤٨٧هـ: ١٠٣٦- ١٠٩٤)، وكان المؤيد شاعرًا كبيرًا، وأديبًا موهوبًا، وله ديوان شعر، ومن كتبه: المجالس المستنصرية -نهج الهداية- نهج العبادة، وغيرها. وكان يناظر أبا العلاء المعرى فى بعض محاضراته.

فتحت أبواب الأزهر منذ إنشائه لكل مسلم، وقصده الطلاب من مشارق الأرض ومغاربها. يتلقون العلم فيه، وتجرى عليهم الأرزاق، وتقيم كل جماعة منهم فى مكان خاص بهم، وهذا هو نظام الأروقة الذى بدأ ببداية الحلقات العلمية فى الأزهر. ومن كتب فقه آل البيت التى كانت تدرس فى الأزهر آنذاك: كتاب الاقتصار- الرسالة الوزيرية- دعائم الإسلام وغيرها. وفى مقدمة الأساتذة المدرسين فى الأزهر.

- بنو النعمان قضاة مصر، ومنهم: أبو الحسن على بن النعمان -(٣٧٤هـ) وأخوه أبو عبد الله محمد بن النعمان (٣٨٩هـ)- وابنه الحسن بن على بن النعمان قاضى الحاكم بأمر الله. وقد ظل فقه آل البيت يدرس حتى جاء الأيوبيون، فمنعوا دراسة الفقه الإسماعيلى فيه.

ومن المرجح أن فقيه مصر ومؤرخها الكبير، الحسن بن زولاق (-٣٨٧) كان من الذين تولوا التدريس فيه، فقد كان صديق المعز لدين الله ومؤرخ سيرته، ثم صديق ولده العزيز من بعده، فمن المعقول أن يكون من الذين اختيروا للتدريس فيه.

وفى العصر الفاطمى كان الأزهر مركزًا، ومقرًا لمجالس القضاء، ومركز الاحتفال الرسمى بالمولد النبوى الشريف، وبيوم عاشوراء كذلك قبل إنشاء المشهد الحسينى عام ٥٤٩ هـ.

ومن أعلام الفكر فى الأزهر فى العصر الفاطمى: المسبحى الكاتب والمؤرخ المشهور (٣٦٦- ٤٢٠هـ)، وقد أخذ بقسط كبير من ثقافات عصره وعلومه.

ومن كتبه: أخبار مصر، وكتب أخرى مفقودة. وقد نشأ وتعلم فى الأزهر وأفاد من علمائه.

ومنهم كذلك أبو عبد الله القضُاعى (٣٩٠- ٤٥٤هـ) الذى كان فى أقطاب العلماء، وتولى منصب القضاء وغيره من مهام الدولة فى عهد المستنصر وأوفده الخليفة سفيرًا إلى قيصرة القسطنطينية عام ٤٤٧هـ/ ١٠٥٥ م للمفاوضة فى عقد صلح بينهما. وله كتاب مفقود فى تاريخ مصر بعنوان «المختار فى ذكر الخطط والآثار». ومنهم الحافظ السلفى (٤٧٠- ٥٧٦هـ).

وفى العصر الأيوبى عطلت صلاة الجمعة فى الأزهر نحو مائة عام، ولكن حلقات الدراسة بقيت مستمرة فيه، وألغى درس الفقه الإسماعيلى، ودرس فقه أهل السنة والمذاهب الأخرى. وقام فى حلقاته فى هذا العصر وما بعده الآلاف من كبار الفقهاء والمفتين، ونذكر منهم:

- شيخ الإسلام الحافظ المنذرى (٥٨١- ٦٠٠هـ).
- شيخ الإسلام عز الدين عبد السلام (٥٧٧- ٦٦٠).
- قطبَ الدين القسطلانى (٦١٤- ٦٦٦هـ).

شيخ الإسلام ابن دقيق العيد (٦٢٥- ٧٠٢هـ).

- الإمام الزيلعى ٧٤٣هـ.
- الإمام تقى الدين بن السبكى (٦٨٣- ٧٥٦هـ).
- الإمام البلقينى (٧٢٤- ٨٠٥هـ) مجدد المائة الثامنة.
- الإمام السيوطى (٨٤٩- ٩١١هـ) مجدد الإسلام فى المائة التاسعة.
- الإمام الكمال بن الهمام (-٨٦١هـ).
- الإمام شهاب الدين ابن عبد الحق السنباطى (٩٢١هـ).
  وكان واعظًا بالأزهر الشريف.
- شيخ الإسلام الرملى.
- شيخ الإسلام الشيخ عبد الله الشبراوى (١٠٩١- ١١٧١هـ)
- شيخ الإسلام الفقيه المحدث المفتى أحمد الخالدى الأزهرى الشهير بالجوهرى (١٠٩٦- ١١٨٢هـ).
- شيخ الإسلام الشيخ الخراشى(١٠٠١هـ).
- الشيخ على العدوى المالكى (١١١٢- ١١٨٩هـ).
- الشيخ الدردير (١١٢٧- ١٢٠١).

وظلت المدرسة الفقهية ممثلة فى الأزهر أتم تمثيل، وبها نال مجدًا باذخًا وصيتًا عاليًا، فى جميع المذاهب الإسلامية الفقهية، فكان شيوخ الأزهر من كبار الفقهاء فى العالم الإسلامى، حيث وجدنا:

- الشيخ المهدى العباس الحنفى مفتى الديار المصرية، وصاحب الفتاوى المهدية (١٢٤٣- ١٣١٥هـ).
- الشيخ بخيت المطيعى.
- الشيخ عبد المجيد سليم.
- الشيخ حسنين مخلوف.

- الشيخ محمد حسنين مخلوف.

- الشيخ محمود شلتوت. وغيرهم.

ولا ريب أن المدرسة الفقهية فى الأزهر خلال ألف عام قد رفعت راية الإسلام خفاقة عالية، وحافظت كل المحافظة على روح التشريع الإسلامى. فقهًا وأصولاً وفتيًا وقضاء.

-٤-

ومدرسة التفسير والحديث والقراءات فى الأزهر الشريف ذات صدى كبير فى التراث الإسلامى، وقبل إنشاء الأزهر عاش فى مصر نافع(١٢٠هـ)، وورش شيخ القراء، وحسبنا فى القراءات الشاطبى (٥٣٨- ٥٩٠هـ) والفخر البلبيسى أستاذ القراءات وإمام الأزهر؛ ومحمد بن سرافة الشاطبى (٥٩٢- ٦٦٣هـ)، وقد تولى مشيخة دار الحديث الكاملية فى القاهرة.

ومن المحدثين من أعلام الأزهر كذلك: أبو العباس أحمد بن هاشم المصرى، كان من كبار المحدثين والمقرئين حيث اشتهر بدرسه فى القراءات بالأزهر الشريف، وتوفى عام ٤٤٥هـ، ومنهم. السخاوى المصرى (٥٥٨- ٦٤٣هـ)، وهو صاحب تفسير مشهور، والحافظ المنذرى شيخ الإسلام، والحافظ السلفى، وابن المنير وكان إمامًا فى التفسير والنحو والأدب (٦٠٢- ٦٨٣هـ)، وقطب الدين القسطلانى (٦١٤- ٦٦٦هـ)، وشرف الدين الدمياطى المحدث (٦١٣- ٧١٥هـ)، وابن حجر (٧٧٣- ٨٥٢هـ) وهو مؤلف «فتح البارى فى شرح صحيح البخارى» وقد تولى خطابة الأزهر حينا من الزمان، وكذلك بدر الدين العينى (٧٦٢- ٨٥٥هـ) مؤلف «عمدة القارئ بشرح صحيح البخارى»، وكذلك شيخ الأزهر الشيخ عبد الله الشرقاوى (١١٥٠- ١٢٢٧هـ).

ومن المفسرين الأجلاء: الجلالان: (السيوطى، والمحلى)، والخطيب الشربينى.. ومن المفسرين فى عصرنا: شلتوت ومخلوف والشيخ عبد الجليل عيسى، والخفاجى فى تفسيره «تفسير القرآن الحكيم» ثلاثون جزءا وسواهم.

وليتنا نجد فى جامعة الأزهر كلية للتفسير والحديث خاصة ليستعيد الأزهر مكانته فى هذا الجانب العلمى الجليل.

-٥-

وحدث عن مدرسة التصوف فى الأزهر الشريف ولا حرج، وأمامنا: عبد الرحيم القنائى (٥٩٢هـ)، وأبو العباس المرسى (٦١٦- ٦٨٦هـ)، وابن الفارض (٤٧٦- ٦٣٢هـ)، وإبراهيم الدسوقى (٦٣٣- ٦٧٦هـ)، والبوصيرى (٦٠٨- ٦٣٩هـ)، وابن عطاء الله السكندرى (٦٣٨- ٧٠٩هـ) وابن دقيق العيد (٦٢٣- ٧٠٢هـ)، وشمس الدين الحنفى (٨٤٧هـ)، والشعرانى (٨٩٨- ٩٧٣)، وعبد الله الشبراوى (١١٧١م)، والشيخ الحفنى (١١٨١هـ) والشيخ الدردير.. وسواهم.

-٦-

ومدرسة الأدب والشعر والنقد فى الأزهر مدرسة ممتدة على طول الأيام.. ونحن لا ننسى: ابن شيت من أدباء القرن السادس، وابن الفارض (-=٦٣٢هـ)، وابن أبى الأصبع (-٦٥٤)، وابن الساعاتى (-٦٠٤هـ)، والبهاء زهير (٥٨١-٦٥٦هـ)، وابن مطروح (٥٩٢- ٦٤٩هـ)، والقلقشندى صاحب صبح الأعشى (-٨٢١هـ) والنويرى، صاحب نهاية الأرب(٧٣٢هـ) والسيوطى (٩١١هـ)، والعباسى صاحب كتاب «معاهد التنصيص»، وابن نباتة المصرى (٦٨٦-٧٦٨هـ)، ومحمد جلال الدين الوطواط (-٨١٨هـ)، وابن الوردى، وشمس الدين النواحى، والشهاب الخفاجى (٩٧٥-١٠٦٩)، والنحبى (١٠٦١- ١١١١هـ)، وعبد الله الشبراوى (١١٧١) وسواهم. وفى العصر الحديث نجد الشيخ حسن العطار والشيخ عبد الهادى نجا الإبيارى (١٨٢١- ١٨٨٨م) وحسين المرصفى وسيد بن على المرصفى وغيرهم.

ولما ظهر الإمام محمد عبده بدأت النهضة الأدبية تشق طريقها بقوة داخل أروقة الأزهر، وقد ألف الإمام جمعية إحياء العلوم العربية عام ١٩٠٠م وكان فاتحة أعمال هذه الجمعية - طبع كتاب المخصص لابن سيده، ثم نهج البلاغة. كما طبع أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز وهما لعبد القاهر الجرجانى، وقد درسهما الإمام محمد عبده فى الأزهر.

ولما ألقى الإمام محمد عبده درسه الأول فى كتاب «أسرار البلاغة» فى الأزهر قال الشيخ محمد المهدى: لقد اكتشفت معنى البيان هذه الليلة: ومن تلاميذ الإمام فى حلقات العلم والفكر: حافظ إبراهيم، ومحمد رشيد رضا: وسعد زغلول، ومصطفى لطفى المنفلوطى، ومصطفى صادق الرافعى، وعبد المحسن الكاظمى، وأحمد لطفى السيد، الذى كان يقول عن الإمام: أستاذنا، والشيخ مصطفى عبد الرازق، ومحمد مصطفى المراغى، والشيخ حسين والى، وعباس محمود العقاد الذى كان يقول عن الإمام محمد عبده: إنه أعظم رجل ظهر فى مصر منذ خمسة قرون. ومدرسة الإمام هى التى قادت مواكب النهضة والتجديد والإصلاح فى مصر. على أن جل أدباء مصر منذ القرن الخامس حتى اليوم، هم من أبناء الأزهر، وفى هذا المقام نذكر الشيخ محمد الخضر حسين، والسيد حسن القاياتى، وشاعر الأزهر الشيخ محمد الأسمر (١٩٠٠- ١٩٥٦): ونذكر الشاعر محمود أبو الوفا؛ وصالح الشرنوبى.

وأول رائد فى النقد فى العصر الحديث هو الشيخ الأزهرى حسين المرصفى (١٨٨٩م)، وأول رائد فى القصة القصيرة هو الأزهرى مصطفى المنفلوطى، وأول رائد فى الصحافة المصرية هو الصحفى الأزهرى الشيخ على يوسف رحمه الله.

وفى الأزهر ألف المقرى كتابه الخالد «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب» نحو عام ١٠٢٠هـ، وكذلك فى الأزهر ألف كتاب «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٦٨١هـ).

-٧-

وفى البلاغة والنقد ظهرت مدرسة كبيرة فى الأزهر، ومن أعلامها:

ابن أبى الأصبع المصرى (٥٨٥- ٦٥٤هـ) وهو مؤلف كتاب بديع القرآن، وتحرير التحبير.

وتلاه ابن السبكى صاحب كتاب «عروس الأفراح» (٦٨٣- ٧٥٦هـ)، ثم السيوطى صاحب كتاب «عقود الجمان فى المعانى والبيان».

وألف البديعى (١٠٧٣هـ) كتابه «الصبح المنبى» عن حيثية المتنبى.

وتمتاز مدرسة البلاغة فى الأزهر بجمعها بين طريقتى المتكلمين والأدباء وبأنها ترجع إلى الذوق أكثر من احتكامها إلى المنطق.

-٨-

وقامت فى الأزهر مدرسة لغوية ونحوية كبيرة، وبدأت بالحوفى النحوى الذى كان من أئمة اللغة فى عصره، وألف كتبًا كثيرة فى النحو والأدب، منها كتاب «إعراب القرآن» وتوفى عام ٤٣٠هـ؛ وقد أخذ عن أبى بكر الأدفوى، وكتابه «الموضح» فى النحو استوفى فيه العلل والأصول.

ثم ظهر ابن بابشاذ النحوى المشهور، وكان كاتبا فى ديوان الإنشاء فى خلافة المستنصر الفاطمى، وتوفى عام ٤٦٩هـ، وله شرح على كتاب الجمل للزجاجى، وشرح على الأصول لابن السراج.

وتلاه أبو عبد الله بن محمد بن بركات النحوى، وهو تلميذ القضاعى، وكان من أئمة اللغة والنحو، وتوفى عام ٥٢٠هـ.

وتلاهم ابن برى المصرى المتوفى عام ٥٨٢هـ، الذى رأس ديوان الرسائل، كابن بابشاذ، وله فى النحو واللغة مؤلفات كثيرة، ثم ابن القطاع اللغوى صاحب كتاب الأفعال.

وفى العصر الأيوبى وعصر المماليك والعصر العثمانى فى الأزهر طائفة من أعلام اللغويين والنحاة، من أشهرهم:

ابن منظور (٦٣٢- ٧١١هـ) الذى ألف معجمه «لسان العرب» فى الأزهر.

وابن معطى (٦٢٨هـ) الذى تصدر لقراءة النحو والأدب فى الأزهر، وله شرح على الجمل للزجاجى.

وابن الحاجب، الذى تصدر فى النحو، وله كتاب الإيضاح وهو شرح على المفصل للزمخشرى.

والمرادى المصرى (٧٤٩هـ)، وله شرح كذلك على المفصل، وشرح على كتاب التسهيل لابن مالك.

والفيروز أبادى (٨١٧٠هـ) الذى وضع معجمه «القاموس المحيط» فى الأزهر.

كما ظهر ابن هشام النحوى المصرى (٧٠٨- ٧٦١هـ) صاحب الشذور، والقطر، وأوضح المسالك، ومغنى اللبيب، والجامع الكبير، والجامع الصغير، وقواعد الإعراب، وغيرها. وقال عنه ابن خلدون فى مقدمته: ما زلنا نسمع ونحن بالمغرب أنه قد ظهر بمصر عالم بالعربية يقال له ابن هشام أنحى من سيبويه.

وتلاه ابن عقيل المصرى (٧٦٩هـ) والدمامينى الذى التف حوله الطلاب فى الأزهر، وله شرح على التسهيل وشرح على المغنى.

ثم الشمنى (٨٧٢هـ)، وخالد الأزهرى، والسيوطى (٩١١هـ) والأشمونى (٩٢٩هـ)، وابن قاسم (٩٩٤هـ)، والشنوانى (١٠١٩هـ) وعبد القادر البغدادى (١٠٩٣هـ) صاحب «خزانة الأدب»، والشيخ يس (١٠٦١هـ) والحفنى ١١٧٨هـ والصبان (١٢٠٦هـ) وغيرهم.

وفى الأزهر ألف السيد مرتضى الزبيدى (١٢١٥هـ) معجمه اللغوى الكبير «تاج العروس».

-٩-

وفى الأزهر ظهرت مدرسة تاريخية ضخمةبدأت بالحسن بن زولاق المصرى (٣٨٧هـ) الذى كان من أوائل الذين تولوا التدريس فى الأزهر.

ثم ظهر المسبحى (٣٦٦- ٤٢٠هـ) الكاتب والمؤرخ الشهير، وكتابه «أخبار مصر» الذى فقدناه كان ثروة كبيرة، وقد اعتمد عليه المؤرخون.

وظهر بعد المسبحى القضاعى المؤرخ والمحدث والفقيه وله كتب كثيرة منها «المختار فى ذكر الخطط والآثار».

وفى الأزهر فى العصر الأيوبى وفد على مصر عام ٥٨٩هـ عبد اللطيف البغدادى (٥٥٧-٦٢٩هـ) المؤرخ والأديب والناقد والطبيب، الذى ألقى رحاله فى الأزهر، وكان يلقى دروسه فيه على الطلاب أعوامًا طوالاً.

ثم وفد كـذلك على مصر ابن خـلدون (٧٢٧- ٨٠٨هـ) وذلك عام ٧٨٤هـ، وألقى رحاله فى الأزهر، وأكمل كتابه التاريخى «العـبر وديوان المبتدأ والخبر» وهو ستـة أجزاء، وانتـهى كذلك فى الأزهر من كـتاب مـقدمـة هذا التاريخ المعـروفة بالمقـدمة، وهى فـى علم الإجتـمـاع، وابن خلدون هو رائد علم الإجـتمـاع فى العالم. ونشرت المقـدمة فى مصر عام ١٨٥٨م، وقـد كان الإمام محمـد يدرسها لتلاميذه فى الأزهر، وفى مدرسة دار العلوم.

وفى عصـر المماليك ظهـر أيضًا من أعـلام المؤرخين فى الأزهر: السـخاوى، والمقـريزى، وابن إياس، وتقى الدين الفـاسى تلمـيـذ ابن خلدون، والسـيـوطى وسواهم.

-١٠-

ولم يقتصر التعليم فى الأزهر على المبصرين، بل شمل المكفوفين كذلك، وكان منهم طائفة من كبـار العلماء، ومنهم فى عصرنا الحـديث الشيخ يوسف الدجوى (١٩٤٦م).

وكذلك لم يقتصر على الرجال، بل شمل النسـاء، ويحدثنا المقريزى عن فقيهة كانـت تدرس فى الأزهر للنساء واسـمهـا أم زينب فاطمـة بنت عبـاس البغـدادية (٧١٤هـ). ويحدث الجبرتى عن فقيهة مكفوفة كانت تحضر دروس الشيخ عبد الله الشرقاوى شيخ الأزهر فى المسجد الشريف (٤/ ١٧٢ الجبرتى).

-١١-

وقد شملت ثقافات الأزهر العلوم الرياضيـة والهندسة والطب والفلسفة غيرها، فقد كانت العلوم الرياضة والفلكية والطبيـعية والجغرافية تدرس فى الأزهر الشريف منذ العصر الفاطمى.

ومن الفلاسفة الأطباء الأزهريين أبو الحسن على بن رضوان (-٥٤٣هـ) وشرف الدين عبـد الله بن على (٥٩٢هـ)، والرشيد بن الزبيـر، وكان شيخًـا للأطباء فى مصر وتوفى عام ٥٦٣هـ، والقطب المصرى (-٦١٨هـ).

وكان عبد اللطيف البغدادى يدرس فى الأزهر الطب لطلابه وجاء فى إجازة الشيخ أحمد عبد المنعم الدمنهورى (شيخ الأزهر من عام ١٧٦٨- ١٧٧٦م)، والذى توفى عام ١١٩٢هـ- ١٧٧٨م أنه تلقى فى الأزهر العلوم الآتية، وله تأليف فى كثير منها، وهى:

الحساب -الميقات- الجبر والمقابلة- المنحرفات- أسباب الأمراض وعلاماتها- علم الاسطرلاب- الزيج- الهندسة- الهيئة- علم المزاول- علم الأعمال الرصدية- علم الحيوان والنبات والمعادن - علم استنباط المياه- علاج البواسير- علم التشريح- علاج لسع العقرب- التاريخ.

وكان الشيخ حسن الجبرتى، وهو والد الجبرتى المؤرخ، ذا شهرة كبيرة فى العلوم الرياضية، وقد ذكر ابنه المؤرخ أنه فى عام ١١٥٩هـ- ١٧٤٦م أتى إليه طلاب من الفرنجة وتلقوا عليه علم الهندسة.

وقد تلقى الشيخ حسن الجبرتى هذه العلوم الرياضة فى الأزهر على الشيخ محمد النجاحى، ثم على الشيخ حسام الدين الهندى الذى كان قدم إلى الأزهر للتعلم، وكان بارعا فى العلوم الرياضية والفلسفية، فتلقاها عنه طلاب الأزهر، ومن بينهم الشيخ حسن الجبرتى الذى طارت شهرته بها، وكان عنده كثير من الآلات الفلكية والهندسية وآلات أكثر الصناعات والأسطرلابات وغيرها وآلات الرسم والتقاسيم، وكان يجتمع به مهرة الصناع ليستفيدوا من علمه. وكان يعرف صناعة استخراج المياه.

وفى سنة ١١٧٢هـ/ ١٧٥٨م وقع خلل فى الموازين فصححها.. ولم ينقص ذلك من إلمامه بالعلوم الدينية والعربية، بل كان حجة فى الفقه وغيره. وتوفى عام ١١٨٨هـ/ ١٨٧٤م.

ولقد نعى والى مصر العثمانى منذ عام ١١٦١هـ أحمد كورباشا إهمال مصر والأزهر للعلوم الرياضية وذلك أمام الشيخ عبد الله الشبراوى شيخ الأزهر الشريف.

كما كان الشيخ حسن العطار ينعى على الأزهر أيضًا إهمال هذه العلوم وله مؤلفات فى الطب والتشريح.

والوالى أحمد كور باشا هو الذى روى عنه قوله:

إن مصر منبع العلوم والفضائل كما هو مسموع عندنا فى الديار الرومية - العثمانية- (١/ ١٨٧ الجبرتى).

وفى وثيقة رسمية لمشيخة الأزهر عام ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٤م أن من العلوم التى كانت تدرس فى الأزهر آنذاك: التصوف والفلسفة والهندسة والموسيقى والمنطق والحساب والجبر والفلك والهيئة.

وفى عام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م كان من العلوم التى تدرس فيه: التصوف.

وقد أصدر الشيخ الإنبابى فتوى بجواز تعلم العلوم الرياضية وعلم الطب وغيرهما.

-١٢-

وبعد فهذا هو الأزهر، وهذه صورة للمدارس العلمية التى كانت سائدة فيه طيلة عشرة قرون.

الأزهر العظيم الذى وصفه المقريزى بأنه دار الإسلام، وأن الزائر له يجد فيه من الأنس بالله والارتياح له ونزوع النفس إليه ما لا يجده فى غيره.

وحينما وفد ابن خلدون من تونس إلى القاهرة للإقامة فيها هاله أمر القاهرة ومسجدها العظيم وجامعتها الكبرى فقال مشدوها. انتقلت إلى القاهرة فرأيت محشر الأمم وإيوان الإسلام وكرسى العلم وحاضرة الدنيا -(نفح الطيب للمقرى ٣/ ١٣٣). وروى ابن خلدون عن قاضى الجماعة بفاس: ومن لم ير القاهرة وأزهرها لم يعرف عزة الإسلام.

وحين وصف ابن بطوطة مصر قال: إنها أم البلاد وإن قاهرتها قهرت الأمم.

وفى عصرنا كتب أمير الشعراء أحمد شوقى فى صحيفة الأخبار القديمة عدد اليوم السادس من سبتمبر ١٩٢٤ يقول: سأظل فخوراً بأن من أساتذتى شيوخًا من صميم الأزهر الشريف وكبار علمائه. ولقد سد الأزهر فراغًا كبيرًا فى التعليم فى مصر والبلاد الشرقية جميعًا.

وحين زار سعد زغلول الأزهر عام ١٩٢١ بعد عودته من منفاه لأداء صلاة الجمعة فيه خطب فى علمائه وطلابه، فقال فيما قال:

«جئت اليوم لأؤدى فى هذا المكان الشريف فريضة صلاة الجمعة، وأقدم واجب الاحترام لمكان نشأت فيه، وكان له فضل كبير فى النهضة الحاضرة؛ وتلقنت فيه مبادىء الحرية والاستقلال..» -ص ٦١ سعد زغلول العقاد-.

وفى اليوم الأول للاحتفال بالعيد الألفى للأزهر الشريف خطب الرئيس حسنى مبارك فى الأزهر، فقال:

كان الأزهر على مر العصور القلعة الشامخة التى حفظت للقرآن لغته، وللحديث مكانته، وللدين تعاليمه وللشريعة أحكامها، وللفقه أصوله وضوابطه، وللأمة الإسلامية رقيها الحضارى الفريد، وأصالتها الفكرية الراسخة فى مواجهة الغزو الثقافى من الخارج.

وقال رئيس جمهورية المالاديف: إن تاريخ الأزهر ليس هو تاريخ مصر وحدها، بل هو تاريخ الأمة الإسلامية جمعاء.

وصدقوا فيما قالوا ويقولون عن الأزهر الشريف، النغم الحلو فى فم الزمان، واللواء المرفوع فى مواكب التاريخ، والسهم المسدد فى صدور أعداء الإسلام.

❁❁❁

علماء أزهريون من العصر المملوكى

العصر المملوكى بشقيه التركى والجركسى كان زاخراً بعلماء متصوفة وقد شجع على ذلك كثير من السلاطين والأمراء والمماليك، فكانوا فى الحجة قصراً على مؤسساتهم العلمية والدينية والصحية وغيرها يشترطون لتولى وظائفها أن يكون الطلاب والمدرسون من الصوفية، حتى ولو كانوا يدرسون علومًا أخرى كالفقه والحديث والتفسير وغيرها. بجانب عملهم بالتصوف.

ولم يكتف السلاطين والأمراء بهذا، بل إن غالبية كبيرة منهم كانوا من كبار الصوفية، وفى مقدمتهم السلطان قايتباى نفسه.

وقد انسحب ذلك المعنى على الجامع الأزهر، بل إن ذلك كان أصيلاً فيه، فمعظم علمائه نشئوا على الزهد فى الدنيا مع شظف العيش والبساطة فى المأكل والملبس ومعظمهم أيضًا تصدروا للدروس بالأزهر دونما أجر طلبًا لثواب الله ورضاه.

وكان الأمراء والمماليك يرتبون دروسًا للتصوف بالجامع الأزهر، وأوقفوا عليها الأوقاف الوفيرة التى تضمن لها الدوام والاستمرار وكان منهم الأمير خشقدم الزمام الذى رتب أربعين طالبًا وشيخهم من المتصوفين بالجامع الأزهر، وكذلك الأمير فيروز الناصرى وغيرهما من الأمراء.

والحقيقة أن رجال الأزهر من المتصوفين قاموا بدور بارز، بجلد وصبر منقطع النظير فى الحفاظ على التراث الموجود الآن بالأزهر وغيره من مكتبات مصر والهند وتركيا، فإن السلطان سليم قد نقل من تراث الأزهر وملأ به مكتبات استنبول وغيرها.

ولقد عكف المتصوفون بالجامع الأزهر ليل نهار، يكتبون وينسخون المخططات التى كادت تبلو من القدم، وكذلك يبيضون بخطوط جميلة الأمالى التى أملاها عليهم شيوخهم فى الحلقات العلمية.

وفضل الصوفية فى الحفاظ على التراث الإسلامى، والتمسك بعقيدتهم ومبادئهم ومثلهم ووقوفهم فى وجه التيارات المعادية للوطن فى كل العصور،

وحبهم لطلابهم ومشايخهم وأزهرهم ومصرهم، بالإضافة إلى حب الله ورسوله وصحابته وآله والتابعين. . لا ينكره إلا مكابر.

١- قنبر بن عبد الله العجمى الشيزوارى ثم القاهرى الأزهرى الشافعى المتوفى سنة ٨٠١هـ- ١٣٩٨م مهر فى العلوم العقلية، تصدر بالأزهر مدة يدرس للطلبة بعد قدومه للديار المصرية قبيل سنة ٧٩٠هـ.

٢- محمد بن إبراهيم الشمسى بن عبد الله الشافعى المولود سنة ٧٤٧هـ مات سنة ٨١١هـ، قدم القاهرة فقطنها وأقبل على الزهد والعبادة، فكان لا يضع جنبه بالأرض بل يصلى بالليل ويتلو القرآن، فإن نعس أغفى أغفاءة، ثم يعود فيواصل الصلاة والقراءة.

٣- إبراهيم بن عمر الادكاوى الأزهرى المتوفى سنة ٨٣٤هـ.

ومن تلاميذ الادكاوى وممن لبسوا منه خرقة التصوف العلامة العاصفى شيخ رواق الريافة بالأزهر، والشمس السكندرى المولود سنة ٨١٨هـ مات، سنة ٩٠٦هـ، كما صحبه الإيناسى والشهاب اللامى المعروف بالصندلى مات سنة ٨٨٩هـ وغيرهم.

٤- الشيخ خليفة المغربى المعتقد نزيل جامع الأزهر الذى كان يزوره السلاطين بالجامع الأزهر.

٥- الشيخ سعيد المغربى المعتقد الصالح نزيل الجامع الأزهر جاور به عدة سنين. وله مريدون وللناس فى صلاحه اعتقاد كبير، زاره وزميله السابق السلطان برسباى.

٦- سليمان بن شعيب البحيرى: تصدر لتدريس الفقه المالكى بالأزهر وغيره.

٧- محمد بن موسى اللقانى ولد سنة ٧٧٢هـ ومات بمنزله بالقرب من الأزهر سنة ٨٤٠هـ، ضبط الأسماء وقرأ الجوق وكان ذا صوت حسن.

٨- شمس الدين أبو عبد الله الغمرى ثم المحلى الشافعى قدم القاهرة فأقام بالجامع الأزهر فأخذ الفقه والفرائض والميقات وغيرها عن شيوخ الجامع، وكان يتكسب بالعطر حرفة أبيه.

٩- محمد بن عبد الله الرشيدى المولود بالقاهرة سنة ٧٦٧هـ كان قد درس بالأزهر وكان خطيبًا كأسلافه ينشىء الخطبة المناسبة لمقام الحال، وبرع فيها حتى أن الناس كانوا يأتون لسماعه من أماكن بعيدة.

١٠- على بن عمر بن القاهرة الأزهرى الشافعى المولود سنة ٨٢٥هـ وانتقل منها إلى القاهرة سنة ٨٤١هـ فأقام ومات سنة ٨٩٠ بالجامع الأزهر.

وكان أحد من يلبسون الصوف، ونزل فى صوفية سعيد السعداء والبيبرسيه وغيرهما، ثم آل أمره بالذهاب إلى الريف بنواحى المنصورة، فأقام ببعض الجوامع وانتفع الناس بعلمه وصلاحه.

١١- محمد بن موسى الشمس الفيومى ثم القاهرى الأزهرى الشافعى درس لبعض الطلبة، وكان خيرًا ذا فضيلة.

١٢- حسن بن على حسن البدر السفطى الأزهرى الشافعى ممن تتلمذ على يد السخاوى.

١٣- عبد اللطيف بن عيسى بن الحصباى الأزهرى الشافعى، تكسب بالشهادة أولا ثم أصبح قاضيًا درس بالمدرسة الباسطية وغيرها.

١٤- ومن أئمة الصوفية: الشيخ الدردير رحمه الله.

بقى أن نذكر بعض أمراء المماليك درسوا بالأزهر وتأثروا بعلمائه وحملوا علم التصوف ومنهم الأمير الصوفى صاحب المبرات المقصود بالشفاعات «إينال» كان حنفيًا جركسيًا من مماليك «نوروز الحافظى» نائب الشام، تجرد «إينال» هذا فى أيام أستاذه، وجال فى بلاد الروم وغيرها بعد اشتغاله ودراسته بالجامع الأزهر ثم قدم القاهرة، واقتدى به تلميذه الصوفى الأمير «خجابردى» مات إينال سنة ٨٦٤هـ ودفن بزاوية خجابردى المذكور.

وهذا يؤيد ما قلناه سابقًا من أن أمراء المماليك، تأثروا بالتصوف فى هذا العصر الذى نؤرخ له، وكانت لهم بالأزهر وغيره خيرات ومبرات[1].

---

(١) راجع مجلة التصوف الإسلامى ١٩٨٣. د. مجاهد توفيق الجندى.

الإمام السيوطى

الإمام جلال الدين السيوطى من أشهر علماء عصره (٨٤٩- ٩١١هـ) الموافق (١٤٤٥- ١٥٠٥م)؛ كان نادرة عصره، بقية السلف وعمدة الخلف كما يقول عنه معاصره «ابن إياس» فى كتابه «بدائع الزهور» بل كان جلال الدين والدنيا ومعدن التدريس والفتيا، جمل الله به ملة الإسلام كما يقول الشهاب المنصورى الشاعر المعاصر له.

ولقد عاش السيوطى فى أواخر عصر المماليك الذين إمتد نفوذهم فى كل مكان، وقامت لمصر فى أيامهم دولة عظمى وامبراطورية كبرى كان لها الرأي الفاصل فى كل القضايا العالمية آنذاك، وامتدت هيبتهم من الهند إلى شواطئ المحيط الأطلسى، وشمل حكمهم ما بين برقة وضفاف الفرات وما بين قبرص إلى مجاهل أفريقيا، كما شمل اليمن والحجاز وسواحل المحيط الهندى، بل امتد إلى حدود الحبشة وجهات سواكن وجزائرها وحدث عن مجد المماليك ومصر بعد هزيمة الجيش المصرى للتتار فى عين جالوت عام ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م، ثم بعد إجلائهم الكامل للصليبيين من سواحل الشام عام ٦٩١هـ/ ١٢٩٠م، بل حدث عن أثر نقل الخلافة العباسية إلى القاهرة عام ٦٥٩هـ/ ١٢٦١م ولا حرج حتى قال السيوطى فى كتابه «حسن المحاضرة»: «اعلم أن مصر حين صارت دار الخلافة عظم أمرها وصارت محل سكنى العلماء ومحط رحال الفضلاء» (٢/ ٦٥ حسن المحاضرة).

وكانت دولة آل عثمان بعد فتح القسطنطينية عام ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م تتطلع وهى فى آسيا الصغرى إلى هذا المجد الكبير وإلى مكانة مصر العالمية الكبرى بعين الحدث وتتربص بامبراطوريتها ريب الأحداث.

وصارت حضارة مصر آنذاك مضرب الأمثال، فمفاتيح التجارة العالمية بين الشرق والغرب فى يدى الشعب المصرى والأموال تتدفق عليه بلا حساب والرخاء والازدهار تبلغ القاهرة كل أحلامها منهما. . وكان سلطان المماليك يلقب بسلطان

البرين والبحرين أى البر المصرى والبر الشامى، والبحر الأبيض والبحر الأحمر.. وكان لقب قلاوون «ملك البرين والبحرين وصاحب القبلتين وخادم الحرمين الشريفين». وأحيانًا كان يلقب بسلطان الشام واليمن ملك البحرين خادم الحرمين الشريفين صاحب القبلتين ملك الديار المصرية والجهات الحجازية والبلاد الشامية والأعمال الفراتية والديار البكرية.. بل لقد خطب للسلطان برقوق باسمه فى توريز من بلاد العجم وفى الموصل وماردين وسنجار وضربت النقود باسمه فى جميع هذه البقاع.

وكان عصر السيوطى عصر ازدهار الثقافة الإسلامية والعربية، وحدث عن جامعة مصر الكبرى الأزهر. ويقول المقريزى فيه الزائر له يجد من الأنس بالله والارتياح ونزوع النفس ما لا يجد فى غيره.. ومع أن المماليك كانوا ينتمون إلى أصول غير عربية إلا أنهم بإقامتهم فى أرض العروبة اعتبروا أنفسهم عربًا، بل حماة للعرب حتى كان من ألقاب سلاطينهم «سيد ملوك العرب»(١) وعدوا أنفسهم مصريين بما اكتسبوا من الروح المصرية لحياتهم الطويلة على ضفاف النيل قبل وبعد قيام دولتهم، ومع أن لغتهم الأولى كانت هى التركية المملوءة بألفاظ فارسية وعربية فإنهم كانوا يتعلمون العربية ويتقنونها حتى صار كبارهم وأمراؤهم بل جمهرتهم يتكلمون العربية الفصحى ويتخاطبون بها.. وكان السلطان الأشرف خليل يعقد المجالس الأدبية ويطارح الأدباء والشعراء مع معرفته بصناعة الإنشاء، واشتهر كذلك السلطان «جقمق» و «خشقدم» بفصاحة اللسان بالعربية الفصحى البليغة.. وكذلك جانى بك (٨٦٨هـ) وخاير بك (٨٨٧هـ) وحبيب العلائى الإينالى (٨٩٣هـ) وكذلك السلطان قانصوه الغورى حيث كان يجيد العربية، شديد الولع بعلومها وآدابها وله فيها مشاركة كبيرة، كما كان يتذوق الشعر وإلى ما شهر عنه من غرامه بقراءة السير والتواريخ، وله مجالس عرفت باسمه عنوانها «مجالس الغورى» وهى مناظرات كانت تجرى فى مجلسه.

وفى القاهرة كانت المدارس العلمية والخوانق (البيوت) الصوفية تنهض برسالة دينية وثقافية وعلمية كبرى وتعمل من أجل نشر الثقافة الإسلامية وحمايتها، ومن

---

(١) ابن إياس: بدائع الزهور ٣/ ١٢٩.

بينها: المدرسة الصالحية والكاملية والظاهرية والمنصورية والناصرية والمؤيدية والخانقاه البيبرسية والمدرسة الشيخونية التى درس فيها السيوطى على شيخه البلقينى ومنحه فيها إجازة علمية عام ٨٦٤هـ/ ١٤٦٠م ثم كان أستاذًا فيها ذاتها كذلك عام ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م. وكان الأزهر يشد أزر هذه المدارس ويغذيها بالأساتذة الأعلام، فهو وجه مصر الروحى والفكرى والحضارى، وهو أبرز معاهد العلم والدراسات الإسلامية والعربية فى «دولة البرين والبحرين»، وإليه يفد طلاب العلم وشيوخه من مشارق الأرض ومغاربها للتعمق فى دراسة علوم الدين والعربية، وفيه كانت تعقد مجالس الوعظ وحلقات التدريس، وقد أكسب مصر سمعة إسلامية عالمية، حتى صارت حاملة مشاعل الثقافة الإسلامية بعد بغداد التى صارت أطلالاً دارسة، فالأزهر هو الذى رفع المشاعل وأوقد المصابيح، وأضاء الدنيا وتصدر حلقاته العلمية الأئمة والأعلام من العلماء، أولى المناهج العلمية وقد عرفت طريقتهم باسم «الطريقة المصرية»[1].

وعاصر السيوطى ثلاثة عشر من سلاطين المماليك الجراكسة، كما عاصر السيوطى كذلك أئمة كبارًا من العلماء وبحسبك ابن حجر (٨٥٣هـ/ ١٤٤٩م)، ولقد طلب والد السيوطى منه أن يدعو لابنه بالبركة والتوفيق، وكان السيوطى يرى فى هذا العالم المصرى العظيم مصدر إشعاع روحى له، وكذلك الإمام العينى (٨٥٥/ ١٤٥١م) والقسطلانى (٩٢٣هـ/ ١٥١٧م) والسخاوى (٩٠٢هـ/ ١٤٩٧م) والمقريزى وابن إياس وغيرهم من أعلام عصره.

ولقد صار السيوطى واحدًا من بينهم وعلمًا من كبار علمائهم، واحتل مركز الصدارة فى القاهرة فى عصره، وصار فى مقدمة الذين أثروا الثقافة الإسلامية العربية ورفعوا من شأنها وأحلوها مكانًا عاليًا ومنزلة شاهقة تبوأتها من ذلك الحين حتى يومنا هذا، فهو أحد الذين قادوا مواكب الثقافة الإسلامية فى عصره بشخصيته الإسلامية الجليلة وبموسوعيته العلمية التى ليس لها نظير فى تاريخ العقل العربى فى عصر نهايات دولة المماليك.

(١) ابن خلدون: المقدمة ٤٤٢.

ولد جلال الـدين عبد الرحـمن السيـوطى فى القاهرة أول رجـب عام ٨٤٩هـ الثالث من أكـتوبر عـام ١٤٤٥م فى منزل والده بالروضة. وهو من أسـرة بغدادية الأصل استـقر بها المقام فى أسـيوط قبل مـيلاد السيوطى بعـدة قرون، وذلك منذ عصر الدولة الأيوبية واشـتهر منها العلماء والعديد من الرجـال، وكان والده كمال الدين أبو بكر السيـوطى (المولود بعد عام ٨٠٠هـ والمتوفى فى صـفر عام ٨٥٥هـ) من أجلة العلماء وقد نزح من أسـيوط إلى القاهرة قبل ميلاد ابنه بأربـعة وعشرين عامًا، وانقطع لطلب العلم فى الأزهر وغيره ثم للتعليم والإفادة وتدريس الفقه فى الجامع الشيخونى وللخطابة فى الجامع الطولونى، وكان بيته بجزيرة الروضة مقصد الطلاب والعلماء، وكان الخليفة المستكفى بالله يجله ويعظمه، ولعل عطف الخلفاء العباسيين عليه مما يؤيد أصله البغدادى.

وتوفى والد جلال الدين وهو طفل صـغير فى السادسة من عـمره فكفل الابن الصغـير عبد الرحـمن صديق لوالده وزميل له فى المدرسة الشـيخونية وهـو كمال الدين بن الهـمام الحنفى (٨٦١هـ) الذى أخذ يـتعهـده ويرعى شئـونه، وكان ابن الهمام محـققًا جدليًا ولى مشيخـة المدرسة الشيخونية وله كتب مشـهورة فى الفقه وفى الأصول منها كتابه فتح القدير وشرح الهداية.

وظهرت على الابن الصغير مخايل النبـوغ والذكاء وقوة الحافظة حتى لقد حفظ القرآن الكريم وهو دون الثمانية من عمره، وحـفظ فنون العلوم الإسلامية والعربية وهو دون الخامسة عشرة، وأقبل عبد الرحمن السيوطي على حضور دروس مشايخ عصـره وتلقى العلم على أيدى علمـاء عصره منذ مـستهـل عام ٨٦٤هـ وهو فى الخامسة عشرة، وكان من بين هؤلاء الأساتذة:

١- شيخ الإسلام البلقينى (٧٩١هـ/ ٨٦٨هـ) إمام العلماء فى المائة الثامنة وهو من أساتذته فى الفقه، وهو الذى أجازه بالتدريس والإفتاء وكان التصدير الذى ألقاه لما باشر التدريس بجـامع شيخون يحضره أسـتاذه البلقينى هو الكلام على أول سورة الفتح، كما كان الكلام على حديث ابن عباس، «احفظ الله يحفظك» هو التصدير الذى ألقـاه لما ولى درس الحديث بالشيخونيـة، ولما مات البلقينى لازم عبد الرحمن السيوطي ولده عليا حتى توفى أيضًا بعد وفاة والده العظيم بقليل.

٢- شهاب الدين الشارماصى، الذى أخذ عنه الفرائض.

٣- شيخ الإسلام شرف الدين المناوى (٧٩٨ -٨٧١هـ) الذى تتلمذ عليه فى الفقه ولما مات رثاه السيوطى بشعر له.

٤- محيى الدين الكافيجى (٧٨٨- ٨٧٩هـ) وقد تلقى على يديه التفسير والأصول والمعانى العربية ولزمه أربع عشرة سنة.

٥- تقى الدين الشبلى الحنفى؛ وكان أستاذه فى علوم العربية.

٦- سيف الدين الحنفى: وهو أستاذه فى البلاغة.

٧- ابن الهمام (٨٦١هـ).

٨- تقى الدين الشمنى (٨٠١- ٨٧١هـ): وهو أستاذه فى التفسير والحديث وفى العربية وقد لازمه أربع سنين ولما مات الشمنى رثاه السيوطى بقصيدة طويلة من شعره.

وغير هؤلاء، وهم كثير وذكر السيوطى أن شيوخه الذين أخذ عنهم نحو المائة والخمسين. وقد ترجم لهم فى معجم خاص -وواصل السيوطى مسيرته العلمية حتى تفقه فى علوم عصره وألف أول كتبه وهو فى الخامسة عشرة وهو تفسير للاستعاذة والبسملة وذلك عام ٨٦٤هـ وهو دليل على طموح علمى كبير وهذا النهم العلمى الذى لا يقف عند غاية هو أحد معالم شخصية عالمنا الكبير حتى لقد أجيز بتدريس العربية وهو فى الخامسة عشرة، وروى عنه علماء عصره الحديث وهو فى الثانية والعشرين من عمره، وذلك عام ٨٧١هـ وأجيز بتدريس الفقه وبالفتيا وهو فى السابعة والعشرين من سنى حياته المباركة، وكان أول درس ألقاه فى الأزهر الشريف فى تفسير سورة الفاتحة.

لقد أحب السيوطى الكتاب منذ صغره، وكان يرى فى الإمامين البلقينى وابن حجر مثله الأعلى فدعا الله وهو يشرب من ماء زمزم أن يجعله فى الفقه مثل البلقينى وفى الحديث مثل ابن حجر، وكان والده قد ترك له مكتبة كبيرة زاخرة بالمخطوطات، فكان يطالع فيها فوق تردده على مكتبة المدرسة المحمودية الحافلة بمختلف المؤلفات فى شتى الفنون والعلوم، وكانت من أنفس خزائن الكتب

بالقاهرة وبها نحو أربعة آلاف مجلد، وقد قام ابن حجر بفهرستها ثم تلاه السيوطى فكتب فهارس لها جمعها فى كتاب سماه «بذل المجهود فى خزانة محمود» وأخذ السيوطى يبحث عن خزائن الكتب المختلفة ويطالع فيها، ثم أخذ يطوف فى أنحاء مصر يلقى العلماء ويحادثهم ويأخذ عنهم ويأخذون عنه، وبعد أن كان يتولى تدريس الفقه بالجامع الشيخونى خلفا لوالده صار يتولى منصب المشيخة فى المدرسة الشيخونية وهو المنصب الذى كان يشغله أبوه من قبل، كما شغله أيضًا أستاذه الكحال بن الهمام (٨٦١هـ) وتصدى للإفتاء واملاء الحديث بالجامع الطولونى ودرس الحديث بالخانقاه الشيخونية وتولى مشيخة الصوفية بمدفن برقوق الناصرى، ثم تولى مشيخة المدرسة البيبرسية وهى أكبر خوانق (بيوت الصوفية) بالقاهرة وبيوتها الصوفية وأكثرها أوقافا فى عصره[1]، ثم نحاه عنها السلطان محمد بن قايتباى[2] وكان آنذاك فى الأربعين من عمره، فاعتزل الناس وزهد فى الدنيا، وعكف على التأليف طيلة عشرين عامًا فى منزله بالروضة، ورفض أن يستقبل أحدًا، من زائريه ومريديه حتى لقد أغلق نوافذ منزله بالروضة، المطلة على النيل، وكتب فى ذلك رسالة سماها، «تأخير الظلامة إلى يوم القيامة».

ولما تولى «طومان باى» الحكم خاف السيوطى أن يضطهده، فاختفى حتى توفى هذا السلطان، ولحسن الحظ لم يمكث هذا السلطان فى الحكم إلا شهورًا قلائل عاد السيوطى بعدها إلى منزله فى الروضة، وكان قد تولى حكم مصر السلطان قانصوه الغورى، وقد عرض هذا السلطان عليه العودة إلى المشيخة فى المدرسة البيبرسية فاعتذر وآثر العزلة عن الناس.

حج السيوطى عام ٨٨٧هـ ١٤٨٢م، وجاور فى مكة المكرمة عامًا كاملا[3] وطاف فى أنحاء العالم الإسلامى دارسًا ومدرسًا وموجهًا، فرحل إلى الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب وبلاد التكرور، وتصدر مجالس العلم والعلماء فى الأزهر وفى غير الأزهر من أمهات المدارس الإسلامية حتى غدا علم الأعلام ورائدًا عظيمًا من رواد الثقافة الإسلامية.

---

(١) ابن العماد: شذرات الذهب: ٨/ ٥٢. (٢) السيوطى: طبقات المفسرين: ٢٦.

(٣) السخاوى: الضوء اللامع: ٤/ ٦٥.

وبعد عمر غير طويل وعن اثنين وستين عامًا هجريًا أو ستين عامًا ميلاديًا توفى الإمام جلال الدين السيوطى فى التاسع عشر من جمادى الأولى عام ٩١١هـ التاسع عشر من أكتوبر سنة ١٥٠٥هـ، وقال فيه تلميذه عبد الباسط بن خليل الحنفى (٩٢٠هـ):

مات جلال الدين غيث الورى مجتهد العصر، أمام الوجود

كانت الثقافة الإسلامية قد أصيبت بنكبات كبيرة فى بغداد على أيدى التتار وفى الأندلس على أيدى الأسبان المتعصبين، وسلمت مصر بانتصارها على التتار فى عين جالوت فسلمت لها مجالس العلم ومدارسه وجامعته الكبرى الأزهر وسلمت خزائن الكتب فى القاهرة، وبقيت حلقات الثقافة وأنديتها لم يمسها سوء، وظلت القاهرة ترسل أشعتها إلى كل مكان، وتوالى أداء رسالتها فى خدمة الثقافة الإسلامية، ووفد عليها العلماء والأدباء والشعراء من كل مكان.

وقد شمر علماء مصر عن ساعد الجد لتعويض ما بدد من التراث الإسلامى فى بغداد والأندلس وصقلية وغيرها، فألفوا الكتب وصنفوا الموسوعات وكتبوا فى كل العلوم والفنون، وجمعوا ما وصلهم من روايات ومأثورات من مختلف المصادر، ورأوا أن هذه المهمة هى فريضة إسلامية كبيرة ألقيت على كاهلهم، فنهضوا بها وقاموا بأدائها خير قيام، فرأينا المؤلفات الضخمة من مثل: صبح الأعشى ونهاية الأرب والنجوم الزاهرة وفتح البارى وبدائع الزهور والدر المنثور وغيرها من أمهات الكتب التى خلفها لنا أمثال: القلقشندى والنويرى وابن تغرى بردى والمقريزى وابن حجر وابن إياس والسخاوى والقسطلانى والعينى والدمامينى والشمنى وابن الكمال والسبكى وابن فضل الله العمرى والدميرى والأسنوى والمناوى والبلقينى والشعرانى وغيرهم.. وكذلك فعل السيوطى بل لقد فاقهم جميعًا فى عظمة التحصيل وغزارة التأليف وروعة التحقيق، وظلت القاهرة تتصدر عواصم العالم الإسلامى حضاريًا وثقافيًا، وظلت أنديتها العلمية والأدبية حافلة بالعلم والعلماء والطلاب.

لقد عكف السيوطى على الكتاب والكتابة والتأليف طيلة حياته فأثرى المكتبة العربية بنفائس المؤلفات وبذخائر المصنفات مما شهد لها المحققون وأقروا لصاحبها

بطول الباع وسعة الإطلاع وبوفرة المحصول وموسوعية المعرفة وبغزارة العلم والرواية وبالوقوف على مختلف مصادر البحث والإحاطة بكل ما تشمل عليه خزائن الكتب فى القاهرة وغيرها.. وذهل الناس لما رأوا من باهر تحصيله ومن وقوفه على دقائق العلوم وحقائق المعرفة وخفايا المخطوطات.

ويقول السيوطى عن نفسه: «لقد رزقت التبحر فى سبعة علوم هى التفسير والحديث والفقه والنحو والمعانى والبيان والبديع على طريقة العرب البلغاء لا على طريقة العجم وأهل الفلسفة، والذى اعتقده أن الذى وصلت إليه من هذه العلوم السبعة سوى الفقه والفتيا التى اطلعت عليها فيها لم يصل إليه ولا وقف عليه أحد من أشياخى، فضلاً عمن هو دونهم»، وهو فى كتابه حسن المحاضرة يذكر أن مؤلفاته آنذاك بلغت ثلاثمائة، ويذكر ابن إياس أنها فى جملتها تبلغ ستمائة، ويذكر بروكلمان أنها أكثر من أربعمائة[1] وأحصى له المستشرق فلو كل ٥٦١ مؤلفًا، وقد تكون بعض كتبه وريقات قليلات، ككتابه «المتوكلى» مثلاً، وقد تكون أجزاء كثيرة مثل: الدر المنثور والجامع الكبير وغيرهما، وقد جمع السيوطى فى كتابه «الحاوى للفتاوى» الذى يقع فى نحو ألف صفحة ثمانية وسبعين مؤلفًا منفرداً أغلبها من الفتاوى والبحوث المنفردة[2] وجمع فى كتابه «النقابة» أربعة عشر علما، هى: التفسير والحديث وأصول الدين والمعانى والبيان والبديع والتشريع والخط والصرف والنحو والفرائض وأصول الفقه والتصوف والطب.. وله شرح عليه.

وليس فى العالم من بلغ ما بلغه السيوطى فى كثرة المؤلفات سوى رامون لول الأسبانى وأحد كتاب العصور الوسطى الذى بلغت مؤلفاته نحو الخمسمائة[3] ويقول الداودى تلميذ السيوطى (٩٤٥هـ) الشافعى المصرى العلامة المحدث فى انبهار بعظمة شيخه: كان السيوطى فى سرعة الكتابة آية كبرى من آيات الله.. وهكذا كان جلال الدين السيوطى أرفع علماء عصره همة وأعظمهم نشاطًا وأكثرهم تأليفًا وأغزرهم مادة.

---

(١) بروكلمان: تاريخ الأدب العربى: ٢/ ١٤٥.

(٢) الحاوى: ١/ ٩٩ - ١٤٦.

(٣) د. محمد مصطفى زيادة: المؤرخون ٦٠.

وعلى ما سبق نقول إن السيوطى كان أغزر علماء العربية قاطبة تصنيفًا حتى لقد ضرب به المثل على طول العصور فى غزارة التأليف، ومن أجل ذلك لقب بابن الكتاب وبصديق الكتب والكتاب.

وكان التأليف عند جلال الدين هواية وفنا تبحر فيه حتى لقد اتخذ منه سلاحًا يدافع به عن نفسه ضد مخالفيه فى الرأى من منافسيه وخصومه والحاقدين عليه، يقول: خالفنى أهل عصرى فى خمسين مسألة فألفت فى كل مسألة مؤلفًا بينت فيه وجه الحق[١].

واختصر السيوطى الكثير من نفائس كتب التراث حتى لنجد من كتبه:

١- مختصر الأحكام للماوردى.

٢- مختصر الروضة فى الفقه.

٣- مختصر التنبيه فى الفقه.

٤- مختصر الأحياء للغزالى.

٥- مختصر معجم البلدان لياقوت الحموى.

٦- مختصر تهذيب الأسماء للنواوى.

٧- مختصر تاريخ ابن عساكر: سماه تحفة المذاكر فى المنتقى من تاريخ ابن عساكر.

٨- وله كتاب سماه «ديوان الحيوان» وهو خلاصة لكتاب حياة الحيوان للدميرى، (ت ٨٠٨هـ).

وألف مئات الكتب فى شتى الفنون والعلوم، فمنها فى التفسير: الدر المنثور - لباب النقول فى أسباب النزول تكملة تفسير الجلالين الذى كتب نصفه الأخير الجلال المحلى (٧٩١هـ- ٨٦٤هـ) وكتب هو نصفه الأول -الاتقان- وغير ذلك وللسيوطى الباع الطويل فى التفسير بالمأثور.

---

(١) ٢/ ٢٨١ بدائع الزهور لابن أياس.

وتبلغ مؤلفاته فى الحديث أكثر من مائة وستين كتابًا من أشهرها الجامع الكبير - والجامع الصغير، ويقول السيوطى عن نفسه: ليس على وجه الأرض من مشرقها إلى مغربها من هو أعلم بالحديث والعربية منى[(١)].

وله فى الفقه عشرات المؤلفات ومنها: جمع الجوامع وكتاب الجامع فى الفرائض، وكتاب «أدب الفتيا».

وفى علوم العربية: كان له القدح المعلى وله فضل السبق فى ابتكار علم أصول اللغة والنحو وكان يعد من كبار المصنفين فى العربية. ويقول عن علم أصول اللغة: هو علم اخترعته لم أسبق إليه، لم يسبقنى إليه ولا طرق سبيله طارق، ومن أجل ما كتب فى هذا المجال: شرح ألفية ابن مالك، الفتح القريب على «مغنى اللبيب»، ، الاقتراح فى أصول النحو، الأشباه والنظائر والمزهر.

وفى علوم البلاغة: ألف الكثير من الكتب ومن بينها: عقود الجمان فى المعانى والبيان.

وفى الأدب له عشرات الكتب: من بينها: ديوان خطب -ديوان شعر- المقامات- دُرر الكلم وغرر الحكم -شرح بانت سعاد- فصل الشتاء. . إلخ.

وفى أدب الرحلات نجد له الرحلة المكية -الرحلة الدمياطية- الرحلة الفيومية.

وفى التاريخ: نجده فى مقدمة مؤرخى عصره، وله فى هذا المضمار كتب كثيرة منها: تاريخ الخلفاء -حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة- تاريخ السلطان الأشرف قايتباى- تاريخ أسيوط- تاريخ الصحابة. وغير ذلك مما يدل على منهجه التاريخى الذى بلغ فيه وبه غاية التحقيق، وله كتاب فى تاريخ جامع عمر وآخر فى تاريخ جامع ابن طولون.

وفى التراجم: نجد له كتبًا كثيرة منها:

١- طبقات النحويين واللغويين: الكبرى وهى مفقودة، والوسطى طبعت فى باريس، والصغرى هى التى طبعت بعنوان «بغية الوعاة».

---

(١) تدريب الراوى - المقدمة.

٢- طبقات الكتاب.

٣- طبقات شعراء العرب.

٤- طبقات المفسرين.

٥- طبقات الحفاظ.

٦- طبقات الأصوليين.

٧- طبقات الشافعية. وغير ذلك..

لقد انتشرت مؤلفات السيوطى فى العالم الإسلامى كافة وأقبل عليها الطلاب والدارسون والعلماء بشوق ولذة وأذن السيوطى فى حياته لتلميذه الداودى بروايتها وقرئت فى بلاد الشام والحجاز واليمن والروم والعجم والحبشة والمغرب وبلاد التكرور وامتدت إلى البحر المحيط.. وبالمثل سارت فتاواه وعلومه فى سائر الأقطار مسير الشمس، ورزق من القبول من علماء عصره ما لم يرزقه أحد سواه..

وقد كان لمكانته العلمية والأدبية ولأسلوبه السهل الممتنع ولتحقيقاته الفريدة ولاحاطته الواسعة بشتى المصادر ومختلف المذاهب والآراء ولشخصيته الحرة الشجاعة التى لا تتملق حاكمًا ولا تتزلف لكبير، كان لذلك كله أثره فى عموم النفع بعلمه وكتبه إذ كان الشعب يرى فيه صورة الأمين على الشريعة، والشجاع فى قول كلمة الحق والنزيه فى أحكامه وفتاواه.

كان السيوطى مخلصًا للعلم وحده صادقًا فيه مع نفسه بعيدًا عن الملق والتزلف والرياء وحب الدنيا والرياسة والجاه، شديد المراقبة لله عز وجل، وإن غضب عليه الحكام والسلاطين، وكم لاقى فى سبيل جرأته وشجاعته ورأية الحر الكثير من العنف.

أرسل إليه السلطان الغورى غلامًا وألف دينار، فرد الدنانير وأخذ الغلام وأعتقه، وقال لرسول السلطان: لا تعد تأتينا بهدية فإن الله أغنانا عن مثل ذلك.

وكان الأمراء يزورونه ويعرضون عليه هداياهم وهباتهم فيردها[1] وقد عرض عليه الغورى رياسة مشيخة مدرسته بأول الغورية،فرفض وقبل البقاء فى عزلته...

---

(١) ٦٦٣ - المزهر.

* ولم يكن يكترث لغضب الأمراء والسلاطين، وكـان الحريص على إقامة الحدود وتطبيق الأحكام الشرعية مهما كلفه ذلك من عنت.

* رفض جلال الدين الذهاب مع العلماء لتهنئـة السلطان بالشفاء من مرض ألم به وألف فى ذلك كتابه «رواية الأساطين فى عدم المجىء إلى السلاطين».

* ذهب ذات مرة لمقابلة قايتباى فى مظلمة لإنسان وعلى رأسه الطيلسان مما خالف فيـه التقـاليد المرعـية آنذاك ومما أخـذ عليـه عند السلطان فرد على ذلك بكتـابه «الأحاديث الحسان فى فضل الطيلسان».

* وحين عـزل عن مشيخـة البيبرسـية كتب كتـابًا عنوانه «التنفيس فى ترك الفتـيا والتدريس».

وكان من أجل تلاميذ جلال الدين: الداودى (٩٤٥هـ) والشامى المحدث الحافظ (٩٤٢هـ) وابن طولون الدمشقى المحدث (٨٨٠ -٩٥٣هـ) وسواهم.

وكان السيوطى كثيراً ما ينوه فى كتبـه بنفسه وبمؤلفاته وبآرائه فيها حتى لنقرأ فى آخر حاشيته على المغنى: فقد أودعتها من الفوائد والفرائد والغرائب والزوائد ما لو رامه غيرى لم يكن له إلى ذلك سبيل.

وفى آخر كتابه «بغية الوعـاة» يقول عن الكتاب: الجامع من كل شريدة ووريدة العجب العجـاب. وكذلك كان فى كل كتبـه يقول فى أنواع البديع: قررت فـيها بضعة عشر نوعًا من الأنواع البديعيـة، ثم وقع لى التأمل فيها بعد ذلك، ففتح الله بزيادة على ذلك حتى جـاوزت الأربعين، ثم قدحت الفكر إلى أن وصلت بحـمد الله مائة وعشرين نوعًا. وقد استخرج السيوطى هذه الأنواع كلها من الآية الشريفة ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة:٢٥٧] إلى آخر هذه الآية الكريمة.. ومن الأنواع التى ابتكرها مـا سماه بالتأسيس والتفـريع وما سماه بالانسجام[1] أو بالمنتخل أو بحسن الطلب[2] إلى غير ذلك..

وقد دفعت المنافسـة إلى إعلان الخصومة بينه وبين السخـاوى الذى اتهمه بعدم الأمانة العلمية فـيما يكتب، فكتب السيوطى فى الرد عليه كـتابه المشهور «الكاوى

(١، ٢) بغية الوعاة للسيوطى ٤٦٠، ١٥٥.

فى تاريخ السخاوى» كما عرض باقى كتب له.. والسيوطى بخاصة من أكثر العلماء التزامًا بالأمانة العلمية حتى لنراه يذكر فى مقدمات كتبه دائمًا المصادر التى رجع إليها وأخذ منها فى حرص تام على الأمانة العلمية فى كل ما يكتبه.

يذكر فى كتابه المزهر[(١)] بابًا جعل عنوانه «عزو العلم إلى قائله» ويقول فيه: لا ترانى أذكر فى شىء من تصانيفى حرفًا إلا معزوا لقائله.

ومما يذكر السيوطى فى مقدمات كتبه من المصادر نجده قد أطلق على كثير من المخطوطات التى لم يطلع عليها الكثير من علماء عصره.. وبحق لقد كان مفخرة من مفاخر العالم الإسلامى الثقافية وسيظل أثره وتراثه خالدين على الأيام.

والسيوطى كان يرى فى نفسه أنه المبعوث على رأس القرن التاسع الهجرى ليجدد للأمة الإسلامية دينها، مصداقًا للحديث الشريف «إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة لهذه الأمة من يجدد لها دينها».

ويقول السيوطى: ومن اللطائف أن المبعوثين على رأس أكثر القرون مصريون: عمر بن عبد العزيز[(٢)] فى المائة الأولى والشافعى فى الثانية، وابن دقيق العيد فى السابعة والبلقينى فى الثامنة وعسى أن يكون المبعوث على رأس المائة التاسعة من أهل مصر[(٣)] وهو يعنى بذلك نفسه.

وكان السيوطى كثير الاجتهاد فى عصره، وكان يرى أن الاجتهاد فرض كفاية مفروض على العلماء أو خاصتهم، وألف فى ضرورة الاجتهاد كتابًا سماه «من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد فى كل عصر فرض» وقد تحدث فى هذا الكتاب عن الاجتهاد وضرورته فى كل عصر لأنه فرض من فروض الكفاية وواجب على أهل كل عصر أن يقوم طائفة فى كل قطر منهم، ويحتوى هذا الكتاب على أربعة أبواب:

الأول: فى نصوص العلماء على أن الاجتهاد فى كل عصر فرض من فروض الكفاية.

---

(١) ٢/ ٣١٩ - المزهر للسيوطى: تحقيق جاد المولى وآخرين.

(٢) كان أبوه عبد العزيز بن مروان أميرًا على مصر فى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان وقد نشأ عمر بن عبد العزيز طفولته الأولى فى مصر.

(٣) ١/ ١٣٥ - حسن المحاضرة.

الثانى: فى نصوص العلماء على أن الدهر لا يخلو من مجتهد، وأنه لا يجوز عقلا خلو العصر منه.

الثالث: فى ذكر من حث على الاجتهاد وأمر به، وذم التقليد ونهى عنه..

الرابع: فى فرائد الاجتهاد.

وهو فى هذا الكتاب يقف مع العصر ومع العقل وينأى عن التقليد والمقلدين.

كملت عند السيوطى أدوات الاجتهاد على ما اشترطه الأصوليون فكان عالمًا بآيات الأحكام وأحاديث الأحكام وشروط القياس ومعرفة مواقع الاجماع، غير أنه لم يجتهد بالفعل إلا اجتهاد المذهب بالترجيح على مذهب الإمام الشافعى[1].

ويقول السيوطى: «اجتمع عندى -بحمد الله- الحديث والفقه والأصول وسائر الآلات من العربية، فأنا كيف أتكلم وكيف أستدل وكيف أرجح[2]».

ويقول: وقد كملت عندى أدوات الاجتهاد -بحمد الله- ولو شئت أن أكتب فى كل مسألة تصنيفًا بأقوالها وأدلتها العقلية والقياسية ومداركها ونقوضها وأجوبتها والمقارنة بين اختلاف المذاهب فيها لقدرت على ذلك[3].

ويقول: وقد كملت عندى الآن آلات الاجتهاد وبحمد الله تعالى أقول ذلك تحدثًا بنعمة الله عز وجل[4].

وبعقلية المجتهد أثرى السيوطى العلم وأثرى التراث الإسلامى وأثرى الثقافة الإسلامية.

***

وهكذا نرى شخصية الإمام السيوطى الجليلة فى كل شىء شخصية جعلت منه أعظم رواد الثقافة الإسلامية فى القرن التاسع الهجرى، وهى شخصية العالم العامل من أجل وطنه وعروبته ودينه، شخصية المعتز بنفسه وكرامته.

---

(١) مقدمة كتاب تدريب الراوى: تحقيق د. عبد الوهاب عبد اللطيف.

(٢) الكاوى فى تاريخ السخاوى.

(٣) ٢/ ٢٤٨ - الحاوى للسيوطى.

(٤) ١/ ١٤١ - حسن المحاضرة.

شخصية المجتهد ما شاء له الاجتهاد.. المخلص للعلم اخلاصًا شديدًا.. الصادق كل الصدق.. الكاره للنفاق والزلفى والرياء والملق للحكام.. المتعفف الزاهد فى المال لا يقبل شيئًا منه وأن أتاه من حاكم أو أمير أو غنى.. شخصية العالم المفكر والفقيه الأصيل والأديب البليغ صاحب الأسلوب البارع الجميل والمضامين الإنسانية الرفيعة مما نجده فى رسائله وشعره وفى مقدمات كتبه وفى مقاماته وعلى الأخص مقامته اللؤلؤية التى ذكر فيها أسباب تركه للتدريس.

وهكذا تصدر السيوطى مواكب العلماء فى عصره حتى كان ظاهرة فكرية فريدة فى تاريخنا العلمى والثقافى الطويل.

كتبه المطبوعة والمخطوطة فى كل مكتبات العالم وفى مكتبة الأزهر الكثير من مؤلفاته المخطوطة، وفى مكتبة جامعة الرياض أكثر من سبعين مخطوطة له، وقد صدر بها فهرست خاص.. الدراسات عنه تنمو على مدى الأيام وكتبت عنه رسائل جامعية كثيرة.

فليس بعجيب أن يصبح السيوطى فى عصره، وبعد عصره رائدًا للثقافة الإسلامية الخالدة، وأن يكون فى عصره كالجاحظ فى عصره كلاهما بعد عن حياة الوظائف والمناصب وكلاهما كان ممثلاً لشعبه ولعصره ولحياته نفسها، وكلاهما تصدر زعامة الثقافة الإسلامية العربية فى أيامه.

أضاف السيوطى إلى سجل تراثنا الخالد من الثقافة الإسلامية حتى عصره إضافات كثيرة فى كتبه مما جعل العالم الإسلامى كله يتطلع إليه بكل حب وتقدير وإكبار.

لقد أكسب السيوطى العالم الإسلامى أولاً ووطنه مصر ثانيًا مجدًا كبيرًا خالدًا على مرور الأيام.. رحمه الله وأجزل مثوبته.

✿✿✿

شمس الدين الحنفى

جامع الحنفى مسجد كبير معروف فى القاهرة وشمس الدين شخصية جليلة من أعلام علماء الأزهر فى القرن التاسع الهجرى.

نشأ شمس الدين يتيمًا من أمه وأبيه وربته خالته. وحفظ القرآن الكريم وكان ابن حجر رفيقه فى الكتاب ثم اعتزل الناس للعبادة والاطلاع سبع سنوات وخرج من عزلته وهو أعلى كعبًا فى علوم الدين، وتعلم فى الأزهر الشريف وصار من أنبه طلابه وأكرم خريجيه.

وكان لا يترك حاكمًا إلا نصحه وأخذ بحق المظلومين منه.

وكان السلطان فرج بن برقوق (٨٠١- ٨١٥هـ) من سلاطين المماليك بعد وقفه لزحف تيمورلنك الكبير على الشام قد أخذ يظلم الرعية ويجور فى حكمها فكان الإمام شمس الدين الحنفى يعارضه ويندد به ويعنف فى نصحه ويغلظ له القول وقال فرج للشيخ يومًا بعد أن سمع منه ما أمله: المملكة لى أم لك فقال الشيخ: إنها ليست لى ولا لك إنها لله الواحد القهار. وقام الشيخ متغيراً ثائراً فمرض فرج وعجز الأطباء عن علاجه فطلب السلطان الشيخ ليدعو له بالشفاء. وأرسل خلفه الأمراء فوجده بنواحى المطرية خارج القاهرة فطلبوا منه العودة معهم تنفيذاً لأمر السلطان، فأبى فأخذوا يتلطفون بالشيخ حتى قام فصلى وأخذ يدعو للسلطان وقال لهم: قد برىء.

ويقول العينى فى تاريخه الكبير: «ما سمعنا أحدًا من الشيوخ أعطى من العز والرفعة والكلمة النافذة والشفاعة المقبولة عند الملوك والأمراء وأرباب الدولة والوزراء مثلما أعطى الشيخ، وحسبك أنه لم يقم من مجلسه لأحد من الملوك والأمراء قط، ولا من القضاة الأربع وغيرهم».

وكان السلطان بحق يكره شمس الدين، ومع ذلك كان يقضى للشيخ كل حاجاته وشفاعاته فى الناس ويقول لحاشيته: كلما أقول لا أقبل لهذا الشيخ شفاعته لا أستطيع بل أقبل شفاعته وذهب الملك «المؤيد» للشيخ ليزوره فى زاويته فوجد الشيخ فوق سطح الزاوية فأخبروا الشيخ بقدوم السلطان، فقال لهم: قولوا له إن مما يرضينى عن السلطان أن يكف عن ظلم أحد.

وبعث الأمير للشيخ بأموال فوزعها شمس الدين كلها على الفقراء، وبلغ ذلك الأمير فجاء للشيخ وقبل يده، وكان «ططر» يذهب إلى شمس الدين ويخدمه فى جملة أتباعه وخدمه، فلما تولى ططر الملك ظل يذهب للشيخ كعادته والشيخ يقول له: إنك صرت سلطانًا والزم القلعة فقال له السلطان: لا أستطيع.

وكان «برسباى» يوقر الشيخ ويجله ويقضى له جميع حاجاته وشفاعاته.

وهكذا عاش شمس الدين العالم الأزهرى معظمًا موقرًا فى قلوب الشعب والحكام حتى توفى إلى رحمة الله عام ٨٤٧هـ.

شهاب الدين السنباطى

كان لانتصار مصر فى موقعة عين جالوت ٦٥٨هـ ١٢٦٠م وهزيمتها للتتار، دوى كبير فى أنحاء العالم الإسلامى، وامتدت امبراطورية مصر امتدادًا لم تصل إليه من قبل ولا من بعد.. ولكن مصر فوجئت بالغزو العثمانى لها.. فتوقفت حركة التاريخ وعادت مصر دولة تابعة لاستامبول وكان ذلك أعظم محنة امتحن بها الشعب المصرى على طول عصور التاريخ.. ولكن مقاومة الشعب المصرى وعلماء الأزهر للطغاة لم تسكت فى يوم من الأيام.. وكان مظهر هذه المقاومة هو الشيخ الأزهرى الخالد شهاب الدين أحمد بن عبد الحق السنباطى.

كان عالمًا جليلاً وإمامًا عظيمًا ومصريًا كريمًا وكان واعظًا فى الجامع الأزهر، ويذكر أمين سامى عنه إنه كان شيخ الجامع الأزهر -تقويم النيل ١٦/٢- وقال الشعرانى عنه لم نر أحدًا من الوعاظ أقبل عليه الخلائق مثله.

كان السنباطى ملاذًا للشعب المصرى المغلوب على أمره، وكان يهدد الوالى التركى باعلان الثورة عليه كلما تحزبت الأمور واشتهر ظلم الأتراك للشعب وكان القضاة الأربعة الذين ولاهم سليم على مصر عام ٩٢٣هـ لا يستطيعون مجابهة الوالى التركى بشىء فكان السنباطى يحذر الحاكمين المستبدين من ثورة الشعب ويهدد الوالى إن لم يستمع له.

وكان السنباطى يلقب بشيخ الإسلام وهو لقب كان يطلق قبل الفتح العثمانى لمصر على قاضى القضاة الشافعى وكان آخر من لقب به من علماء الأزهر قاضى

القضاة شهاب الدين أحمد بن عبد العزيز (٩٤٩هـ- ١٥٤٢م) فلما ألغى الأتراك نظام القضاء المصرى وأقاموا فى رياسة القضاء قاضيًا تركيًا، أصبح هذا اللقب يطلق على ما ترجح على شيوخ الأزهر وعلى الرغم مما يذهب إليه كثير من المؤرخين من أن الشيخ الخراشى المالكى (١١٠١هـ) هو أول شيخ للأزهر فإننى أرجح أن السنباطى كان هو أول شيخ عرفه التاريخ للأزهر الشريف وبذلك يكون منصب شيخ الأزهر راجعًا إلى أواسط القرن العاشر.

وفى شعبان عام ٩٥٠هـ/ ١٥٤٣م كان والى مصر وهو داود باشا الذى تولى حكمها قبل ذلك بخمس سنوات وكان داود ظالمًا متكبرًا متعسفًا وكان الشعب يئن من مظالم الأتراك ويتحمل كل ذلك بجلد وصبر.

وكلم الشيخ الإمام السنباطى داود باشا فى مظلمة من هذه المظالم فلم يبال داود بنصيحة الشيخ فصادف أن كان داود فى موكبه فى أواخر شهر شعبان من عام ٩٥٠هـ فانبرى له السنباطى وجابهه بالقول.

يا داود إنك عبد مملوك لا يجوز لك أن تتولى الأحكام وإن أحكامك باطلة ما لم تحصل على عتقك.

* داود لجنده اقبضوا على هذا الشيخ.

- الجند ينحازون إلى جانب الشيخ.

* داود يرفع سيفه ويهم بقتل الشيخ.

- الجند: مهلاً اطرح الحسام أنه شيخ الإسلام، وإننا سنقاتلك معه إذا اضطررنا إلى ذلك.

* داود: يجن وينحدر إلى منزله ويرسل إلى الخليفة العثمانى يعلمه بما يحدث.

وبعد قليل جاء إلى داود أمر عثمانى بعتقه مع تكليفه بتبليغ الشكر للشيخ.. وذهب داود إلى الشيخ ليبلغه رسالة الخليفة سليمان القانونى واسترضاه واعتذر إليه وقدم هدية إلى الشيخ فرفضها.

وأصبح الوالى ذليلاً حقيرًا بجانب عظمة الشيخ وصموده وصلابته وكبريائه وصار الوالى لا يرد للشيخ رأيًا ولا يرفض له شفاعة.

وهكذا عاش السنباطى إمامًا جليلاً وشيخًا عظيمًا حتى توفى إلى رحمة الله فى آخر عام ٩٥٠هـ ونسينا ذكره إلا من شارع صغير خلف الأوبرا سمى باسمه ومن مسجد متواضع فيه أطلق عليه اسمه.. ولكن التاريخ لا ينسى أول شيخ للأزهر وأول مظهر لمقاومة الشعب لبطش الأتراك وأول زعيم للمقاومة الشعبية فى أوائل الفتح العثمانى لمصر.. رحمه الله..

الشيخ أحمد الدردير

الشيخ الدردير من أشهر علماء الأزهر الشريف قبيل الحملة الفرنسية على مصر، كان شيخ علماء المالكية فى الأزهر، وكان مشهوراً بالزهد والورع والتقوى. مشهودًا له بالعلم الغزير، والشجاعة الفائقة، ومراقبة الله فى السر والعلن.



قاد ثورة شعبية لها شهرتها فى تاريخ الوطن ففى يوم من أيام ربيع الأول عام ١٢٠٠هـ/ يناير ١٧٨٦م نهب أحد أمراء المماليك واسمه حسين بك شفت هو وجنوده داراً لشخص اسمه أحمد سالم الجزار وهو نائب رئيس الطريقة البيومية بالحسينية بالقاهرة ظلمًا وعدوانًا فثارت ثائرة الشعب وتشاوروا فيما بينهم فيما يجب أن يفعلوه، واتفقت كلمتهم أخيراً على الالتجاء إلى أقوى العلماء شخصية، وأوسعهم نفوذًا وهو الإمام الدردير، فاجتمع الشعب فى اليوم التالى للحادث، ويمموا وجوههم شطر الجامع الأزهر، وقصدوا الشيخ الدردير وهو فى حلقته بين طلابه ومريديه وأخبروه بالحادثة فغضب الشيخ لاستهتار الأمراء وتعسفهم.

ونادى الدردير فى الجماهير غير هائب ولا خائف قائلاً لهم: أنا معكم، وغدًا نجمع الشعب من كل مكان فى الحارات والضواحى وبولاق ومصر القديمة، وأركب معكم وننهب بيوتهم كما ينهبون بيوتنا ونموت شهداء أو ينصرنا الله عليهم.

وأمر الشيخ بدق الطبول على المنارات، إيذانًا بالاستعداد للقتال وترامت الأخبار إلى الأهالى فأسرعوا نحو الأزهر للاشتراك مع الثائرين.

وبلغت أخبار الجماهير الثائرة إلى الأمير إبراهيم بك، وبلغه تصميم الشيخ الدرديرى على قيادة الشعب ضد الأمراء، وكان يعلم مقدار ما للشيخ من مكانة ونفوذ بين الشعب فخشى أن يستفحل الأمر، وتصبح هذه الثورة نهاية لحكمهم ونفوذهم وسلطانهم، فأرسل نائبه ومعه أحد الأمراء إلى الإمام الدردير ليعتذر له عما حدث ووعد بأن يكف أيدى الأمراء عن الشعب كما قرر توبيخ حسين بك شفت على صنيعه، وطلب قائمة بجميع ما نهبه ليأمره برد تلك المنهوبات إلى صاحبها ووافق الشيخ الدردير على ذلك.

وهكذا وضع هذا الإمام الجليل قاعدة دستورية هامة، وهى احترام الحاكمين لإرادة المحكومين [٢/ ١٠٣ و١٠٤ الجبرتى].

وعاش الإمام الدردير أربعًا وستين سنة (١١٣٧ - ١٢٠١هـ) وكان فى نهاية حياته العلمية شيخًا على المالكية، ومفتيًا على المذهب المالكى، وناظرًا على وقف الصعايدة، وشيخًا على طائفة هذا الرواق.

ويقول فيه الجبرتى: كان يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويصدع بالحق، ولا تأخذه فى الله لومة لائم وله فى السعى على الخير يد بيضاء.

هذا هو الإمام الدردير شيخ من شيوخ الأزهر أصر على أن يؤدى الأمانة ويحافظ على شرف مصر، وشرف الشعب وشرف الأزهر، ومات راضيًا مرضيًا عنه من الله والملائكة والناس أجمعين.

الشيخ الصعيدى(١)

الشيخ الصعيدى (١١١٠ - ١١٨٩هـ) من أشهر علماء الأزهر قبيل الحملة الفرنسية على مصر. كان أغلب وقته بين تلاميذه ومريديه متوافرًا على درس العلم منقطعًا للإرشاد والهداية لا يقصد إلى أمير أو حاكم ما لم ير مظلمة يجب عليه أن يسعى لإبطالها.

ذهب فى يوم إلى الأمير على بك وعلم الأمير من حاشيته بقدوم الشيخ، فقام كعادته يستقبله من خارج قصره، ثم دخل الشيخ والأمير وجلسا فى صدر المكان

---

(١) انظر كتابنا «الحركة العلمية للأزهر في القرنين التاسع عشر والعشرين جـ١ ص٢٠٥ تجد دراسة كاملة - المكتبة الأزهرية للتراث د. خفاجي ود. على صبح.



فضيلة الشيخ عبد المتعال الصعيدى

ثم جاءت حاشية الأمير وشغلته عن الشيخ، فبادره الشيخ يقول له «غضبك ورضاك سواء، بل غضبك خير من رضاك» وقام الشيخ، وقام الأمير يحاول إعادة الشيخ إلى مكانه معتذراً إليه، فرفض الشيخ.

ومرت الأيام، وركب الشيخ فى ليلة من ليالى رمضان، مع شيخه الشيخ حسن الجبرتى، والد المؤرخ الكبير، وقال الشيخ حسن الجبرتى له اذهب بنا إلى على بك نسلم عليه فقال الصعيدى: يا شيخنا أنا لا أدخل، وقال الجبرتى: لابد من دخولك معى، فلم تسعه مخالفة شيخه، ودخلا على الأمير، وكان مصادفة عجيبة أن الأمير مات فى تلك الليلة، فاستبشر أهله بالمغفرة له لزيارة الشيخين له.

وكان الشيخ الصعيدى من بنى عدى وتلقى العلم على كبار الشيوخ فى الأزهر من مثل الديربى، والملوى، وإبراهيم شعيب المالكى، والحنفى، وسواهم وتصدر حلقات العلم فى الأزهر الشريف شيخًا جليلاً وقوراً مهيبًا، فى أدب وتواضع وإكباب على الدرس والبحث. فأفاد وأجاد وصار له تلامذة ومريدون. وتخرج على يديه أجيال من العلماء من بينهم القلعى، والفرماوى، والدردير، والجناحى وغيرهم، وكلهم ممن لهم مكانتهم العلمية فى الأزهر.

وكان الصعيدى من الراسخين فى العلم، والمبرزين فيه. فقد عاش منقطعًا له، مستزيداً منه، محصلاً لمسائله، غيوراً على الدين وأهله ومن فتاواه تحريم شرب الدخان..

وكان الشيخ يتردد على محمد بك أبى الذهب يعظه ويذكره بالله ويخوفه من بطشه، وكان يمسك بيدى أبى الذهب ويقول ما أحسنهما لو سلمتا من عذاب جهنم وأرجو أن يغفر الله لك ذنوبك، ويتجاوز عنك.

وكان مريدو الشيخ وتلاميذه كثيرين، وكانوا لا يملون دروس الشيخ ومجالس علمه ووعظه. ويقبل عليه الطلاب والعامة وجماهير المتعلمين والمستفيدين وكان بيته يعج بالزائرين والوافدين وأصحاب الحاجات والمظالم، والشيخ لا يمل ولا يكل ما يصنعه بالليل والنهار من مآثر وأعمال طيبات.

ومات الشيخ وخلف وراءه تراثًا علميًا خالداً على الأيام.

عمر مكرم

من أنبه أعلام مصر والأزهر فى القرن الثامن عشر والتاسع عشر، وأسيرهم ذكرًا.. قضى حياته فى خدمة وطنه، وخدمة شعبه، وفى السعى إلى تحريره والدفاع عن حريته، وكان من زعماء المقاومة الشعبية ضد الحملة الفرنسية، وكما سعى لرفع الحيف عن الجماهير فى بلاده، لتحقيق آمالهم فى الحياة.

كان ممن أعلن المقاومة ضد طغيان إبراهيم ومراد من أمراء المماليك منذ عام ١٧٩٥م، وفى ثورة شعبية ألزم الشعب -وعلى رأسه العلماء ونقيب الأشراف- أمراء المماليك بوثيقة مكتوبة وموقعة منهم بالتزام العدل فى معاملة الرعية، وهذه الوثيقة يعدها المؤرخون وثيقة حقوق الإنسان الأولى وقد سبقت إعلان حقوق الإنسان فى فرنسا فى أعقاب ثورة عام ١٧٩٨م، وفى هذه الوثيقة الكبرى أعلن أمراء المماليك أنهم يتعهدون بالعدل، ويتوبون عن المظالم، ويعدون بالقيام بالواجبات التى يفرضها عليهم القانون والعرف، من صرف الأموال على مستحقيها ورفع الضرائب الإضافية.

وفى نضال الشعب ضد الغزو الفرنسى لمصر عام ١٧٩٨ قاد مكرم -العالم الأزهرى الأسيوطى- الجماهير، إذ هبط من القلعة إلى ساحل بولاق يحمل علمًا يسميه العامة «البيرق النبوى»، والناس من حوله، آلاف مؤلفة يحملون السلاح، يشدون أزر جيش المماليك الذى كان يقاتل على الضفة الأخرى للنيل.

ولما احتل نابليون القاهرة خرج من مصر إلى العريش ثم عاد إلى القاهرة واشترك فى ثورة القاهرة الأولى والثانية فنفاه الفرنسيون إلى دمياط.

وبعد جلاء الجيش الفرنسى، كان محمد على يلتف حول الوطنيين المصريين ويعدهم بالآمال المعسولة فرشحه عمر مكرم حاكمًا على مصر، وقاد مكرم الشعب فى ثورته ضد الحاكم خورشيد باشا، وفى المناداة بإسناد ولاية مصر إلى محمد على.

وقاد بعد ذلك حملة مقاومة الغزو الإنجليزى لبلادنا عن طريق رشيد وهزمت حملة فريزر هزيمة ساحقة، رفع بعدها مكرم رأسه للسماء بالحمد والدعاء والشكر.

وتولى محمد على حكم مصر نزولاً على إرادة الشعب والعلماء وكان محمد على لا يفتأ يلجأ إلى مكرم لأنه يدرك مدى زعامته الشعبية فى نفوس العلماء والجماهير وقادة الرأى وجميع الطبقات ولما اطمأن محمد على إلى نفسه وجيشه قلب للزعيم عمر مكرم ظهر المجن وامتنع عن مشاورته وأقصاه عن جميع أمور الدولة وعن مسائل الدفاع عن الوطن.

وأخذ محمد على يغتصب أرض الأوقاف فاجتمع عمر مكرم بالعلماء، محتجين على مسلك الوالى فكان رده عليهم:

إننى على استعداد لأن أرمى عنق كل من يستظل بلواء المعارضة فى وجه سياستى.

وبادر مكرم بجمع العلماء، وفى الاجتماع أعلن أمامهم: إن محمد على محتال وإذا تمكن فسيصعب إزالته فلنعزله من الآن.

ونفى محمد على عمر مكرم من مصر، فكان رد هذا الزعيم الشجاع: إن النفى غاية ما أتمناه غير أننى أريد العيش فى بلد لا يدين بحكم محمد على.

وفى الثالث عشر من أغسطس عام ١٨٠٩م احتشدت على ساحل بولاق طوائف كبيرة من الشعب يودعون زعيمهم المنفى، وهو يبحر فى مركبه إلى دمياط، وبكى الشعب بكاء مريراً، وهو يودع الرجل الذى أوقف حياته فى سبيل الدفاع عن حقوقه ورد المظالم عنه. وهكذا اختفت الزعامة الشعبية من الميدان، وأصبح محمد على يتحرك بهواه كما يريد دون مراعاة للشعب ولا لحقوقه ومواثيقه.

وقضى الشيخ حياته بين العبادة والمطالعة وخاصة أهله. ولما مات بكاه الناس فى كل مكان.

الشيخ الشرقاوى

شيخ الأزهر الشيخ عبد الله الشرقاوى عاصر الحملة الفرنسية على مصر، وقاد الشعب من أجل مقاومتها حينًا، ومن أجل التخفيف من شدة وطأتها على الشعب

حينًا آخر، وطار صيته فى كل مكان، وكتب عنه الأوروبيون فصولاً طوالاً، وذهب كل من كتب عنه مذهبًا يتفق ومدى فهمه للأحداث الجسام التى وقعت فى هذه الفترة القصيرة الحافلة فى تاريخ الوطن.

ولد بالطويلة إحدى قرى بلبيس عام ١١٥٠ هـ - ١٧٣٧م، وتعلم فى الأزهر، وتخرج منه، وصارت له حلقة علمية قيمة، وكثر طلابه، وعم علمه الآفاق.

ولما مات الشيخ أحمد العروسى شيخ الأزهر عام ١٢٠٨هـ تولى الشرقاوى مشيخة الأزهر بعده، وكان من المرشحين معه لتولى هذا المنصب العلمى والدينى الجليل الشيخ مصطفى العروسى، فآلت إليه، وأسندت له، وتولاها وهو موضع ثقة الجميع، وكان شيخ علماء الشافعية ومفتيهم فى عصره، وله مؤلفات دالة على سعة فضله فى الفقه والحديث والعقائد. ومن مؤلفاته:

مختصر الشمايل مع شرحه وشرح على «الحكم» لابن عطاء الله، ومختصر على «مغنى اللبيب» لابن هشام فى النحو، فقهاء الشافعية المتقدمين والمتأخرين، وتاريخ مصر وهو الذى أنشأ رواق الشراقوة في الجامع الأزهر.

واشترك الشرقاوى في قيادة الشعب فى كل الأحداث السياسية والقومية.. فى الحملة الفرنسية كان الناطق أمام الغزاة باسم الشعب، وأذاع نابليون نبأ رياسة الشرقاوى للمجلس المخصوص الذى ألفه، ودون موافقة من الشيخ، ليسكت ثورة الشعب وغضبه ومقاومته، وقبل الحملة الفرنسية قاد ثورة شعبية ضد المماليك تعد من أشهر الثورات الشعبية فى مصر ففى شهر ذى الحجة عام ١٢٠٩هـ/ ١٧٩٥م، وبعد توليه مشيخة الأزهر بعام جاء له الفلاحون من إحدى قرى بلبيس وشكوا له من ظلم محمد بك الألفى وجنوده وأتباعه لهم، وفرضهم على القرية أموالاً كثيرة لا طاقة للفلاحين بها، وتأثر الشيخ بما سمع، وبلغ الشكوى إلى كل من مراد بك وإبراهيم بك، ولكنهما لم يفعلا شيئًا، فعقد الشيخ مؤتمرًا شعبيًا وطنيًا فى الأزهر، حضره العلماء والطلاب، حيث استقر الرأى على مقاومة الأمراء المماليك بالقوة، حتى يخضعوا لمطالب الشعب، وعندئذ أمر الإمام الشرقاوى بإغلاق أبواب الجامع الأزهر وأعلن للشعب قراراً بالإضراب العام وبإغلاق الأسواق والمحلات.

وفى اليوم التـالى ركب الشرقـاوى ومعه العلمـاء، وتبعتـهم الجماهيـر، وسار الموكب إلى منزل الشيخ السادات وهو من كبار العلماء، وكان منزله قريبًا من قصر إبراهيم بك الذى أفزعته مواكب الشعب الثائرة فبادر -إبراهيم بك- بإرسال رئيس ديوانه أيوب بك ليسـأل العلماء عن مطالبـهم، وحاول المماطلة فى تحـقيق مطالب الشعب، ولكن العلمـاء أصروا على موقفـهم، وتقاطرت الجماهيـر صوب الأزهر وبدأت ثورة وطنية عاصفة.

وهال إبراهيم بك ما بلغه عن الأحداث. فأرسل إلى العلماء يعتذر إليهم، وفى اليـوم التالى توجـه إلى مصـر العثـمانى إلى منزل إبراهيم بك، واجـتمع بـأمراء المماليك حيث أرسلوا إلى العلماء ليجتمعـوا بهم، فحضر الإمام الشرقاوى والسيد عمر مكرم، والشيـخ السادات. والشيخ البكرى والشيخ الأمير، وانتـهى الاجتماع بالموافقة على مطالب الشعب التى قدموها.

وتم تحرير وثيـقة تتضمـن هذه القرارات، وقع عليهـا الحاكم العثمـانى وأمراء المماليك، وكبار العلماء، ورجع العلماء يحيط بهم الشعب بمواكبه الزاخرة.

ويجمع أكثـر المؤرخين على أن هذه الوثيقة كانت بمثابة إعلان لحـقوق الإنسان، سبقت بـها مصر غيـرها من الشعوب، وسبـقت بها إعلان حقـوق الإنسان الذي أعلنته الثورة الفرنسيـة فى باريس بسنوات، ومصر دائمًا هى قائدة المواكب، ورائدة الحرية، وحاملة مشاعل الحضارة فى كل مكان وزمان.

ومات الشـيخ الشرقـاوى رحمه الله يوم الخـميس الثانـى من شهر شـوال عام ١٢٢٧هـ/ ١٨١٢م[1].

الشيخ حسن العطار

ولد الشيخ حسن العطار فى أول الثلث الأخير من القرن الثامن عشر ١٧٦٦ أى قبل الحملة الفرنسية على مصـر باثنين وثلاثين عامًا، فهو يعطينا بمولده هذا صورة لمصر السياسية فى القرن الذى كان نهاية لحكم الولاة العثمانيين فى مصر.

والحق أن مصـر فى القرن الثـامن عشر كـانت تختم القرون الـثلاثة من الحكم العثـمانى الذى سـاقه القـدر إليها على يد الـسلطان سليم الأول الذى فتح مـصر

(١) تكرر ترجمته أكثر من مرة بصور متشابهة تقريبًا وتركتها كما هى حرصًا على الأمانة العلمية فى التحقيق.

١٥١٧م وهى قرون شهدت البلاد فيها من الظلام والجهل والضعف والتأخر في كل الميادين ما لا يمكن أن يصار إلى أسوأ منه. وكان بداية القرون الثلاثة كنهايتها: سوء حال وضعف آمال.

وكان والد الشيخ حسن عطارًا -ومن هنا جاءه اللقب- وكان لهذا الوالد مشاركة فى بعض العلوم، فلما رأى من ولده إقبالاً على العلم، ساعده على تحصيله، فكان يتردد على الأزهر ويحضر حلقات كبار مشايخه فى ذلك العصر، فلما جاء الفرنسيون إلى مصر ١٧٩٨ هرب حسن إلى الصعيد خوفًا على نفسه من أذاهم، ثم عاد إلى القاهرة بعد قليل فاتصل ببعض رجال الحملة من العلماء فأفاد منهم وأطلع على كتبهم وآلاتهم وتجاربهم العلمية فكان ذلك بدء اتجاهه إلى تقدير العلوم الطبيعية والمناداة بضرورتها وقد اشتغل فى الوقت نفسه بتعليم اللغة العربية لبعض هؤلاء العلماء الفرنسيين، كما اشتغل بالتدريب فى الأزهر.

وقد عرف الشيخ حسن العطار بمؤلفاته الكثيرة، كما عرف بأسلوبه الأدبى وعباراته الإنشائية الأنيقة التى كانت تجرى على طريقة الزخرف والمحسنات، وله أشعار رقيقة، أما ميله إلى العلوم الطبيعية والرياضية والفلك والطب، فيدل عليه كتبه ورسائله في كيفية عمل الأسطرلاب، والربعين المقنطر والمجيب، والطب والتشريح، وأشكال التأسيس فى علم الهندسة بالإضافة إلى إتقانه رسم المزاول الليلية والنهارية بيديه.

وقد امتاز حسن العطار بقراءاته الواسعة العميقة للكتب العربية والمعربة فى زمانه، ولم يختص بعلم معين، أو بفن بعينه من الفنون، ولكنه كان حريصًا على الإفادة من كل علم، وكان يطرز الكتب التى يقرؤها بهوامشه وتعليقاته، ويقول فى ذلك فى تلميذه الشيخ رفاعة الطهطاوى: كان له مشاركة فى كثير من العلوم، حتى فى العلوم الجغرافية، فقد وجدت بخطه هوامش جليلة على كتاب تقويم البلدان لإسماعيل أبى الفداء سلطان حماة المشهور أيضًا بالملك المؤيد، وللشيخ المذكور هوامش أيضًا وجدتها بأكثر التواريخ وعلى طبقات الأطباء وغيرها، وكان يطلع دائمًا على الكتب المعربة من تاريخ وغيرها.. وكان له ولوع شديد بسائر المعارف البشرية..

ويعتبر رفـاعة الطهطاوى - رائد الفكر وإمام النهضة الحديثـة فى القرن التاسع عـشر - أنجب تلاميـذ حـسن العطار، فـأحبـه الشيـخ لما أنسه فـيه من الذكـاء والانكباب على العلم، وقـربه إليه، وحفـه برعايته، وكـان التلميذ رفاعـة يتردد على شيخه كثيرًا فى بيتـه ويأخذ عنه العلم والأدب والجغرافيا والتاريخ، ولما كان العطار ميالاً بطبعه إلى العلوم العصرية، ولا يرى الانحصار فى دائرة كتب الشرع فحـسب، فقـد أودع هذا الميل فى نفس تلميـذه رفاعة الطهطاوى، ممـا أهله بعد ذلك ليكون إمامًا للبـعثة العلمية فى باريس، ومما فتح ذهنه إلـى البحث وسلامة التفكيـر والإسهام فى نقل العلوم عن الغـربيين حتى يفيـد منها أهل وطنه، وهنا يظهر فضل العطار عـلى الطهطاوى فهو أول من وجهه إلى الاعـتراف من موارد العلم والأدب، وهو أول من دله على قيمة العلوم العلمية الطبيعية وضرورتها بما لا يقل عن أهمية العلوم الشرعية.

والشـيخ العطار من القلائل الـذين جمـعوا بين التـدريس فى الأزهر -فى أول عمـره- ومشـيخـة الجامع الأزهر فى خـتام حـياته، وكـان حلقتـه بالأزهر تغص بالطلاب، فكان العلماء يتـركون حلقات غيـره ويتكاثرون على حلقته يستـمعون. ولا شك أن تحرر الشـيخ العطار الفكرى وبعده عن الجمود، ودعـوته الجديدة إلى الأخذ بالعلوم الحديثة مع الاهتمـام بالعلوم القديمة، قد جذب إليه الطلاب من كل فج، وهداهم إلى مجلسه فى أثناء تدريسه بالأزهر، ويستوى في ذلك مقامه بمصر أم بالخارج، ففى مقـامه بدمشق لفت إليه أنظار طلبة العلم هناك (فـتلقاه أهلها بما يليق، وعقدوا على تفوقه وتفرده بالفضائل كلمة الاتفاق)[1].

❁❁❁

(١) تكرر الحديث عنه أكثر من مرة فى مواطن متشابهة تقريبًا وتركته حرصًا على الأمانة العلمية فى التحقيق.

الشيخ محمد عياد الطنطاوى

لا يكاد أحد من العرب ممن كان له علاقة بروسيا فى القرن التاسع عشر يكون شخصية طريفة كشخصية أستاذ جامعة بطرسبرج الشيخ الطنطاوى، فالدور الذى لعبه الشيخ فى تاريخ الاستغراب الأوروبى ليس يسيراً[١]. كان الطنطاوى رجل الآداب العربية الحديثة العامل فى حقل الاستغراب الروسى[٢] ويبرز الطنطاوى فى تاريخ هذا الاستغراب والآداب الجديدة فى صورة فريدة لا نظير لها حتى الآن[٣]. فشخصية هذا «المستشار» تبرز بروزاً فريداً فى تاريخ كرسى اللغة العربية وآدابها فى مدى قرن ونيف فى جامعة بطرسبرج[٤].

هكذا يقول المستشرق الروسى كراتشكوفسكى عن الطنطاوى الذى كان شخصية فذة فى تاريخ الاستشراق، والذى وضع أصولاً ثابتة للدراسات الاستشراقية فى الغرب وقد شغل أذهان المستشرقين وكتاباتهم أمداً طويلاً ويعد أستاذ الكثيرين منهم.

٢- كتبت دور الاستشراق عن الطنطاوى كتابات طويلة، ونوهت بدوره الفعال فى خدمة اللغة العربية، ووصفت أعماله العجيبة وصفاً رائعاً، وسجلت دوائر المعارف العالمية الكثير من المعلومات عنه.

وعكف كراتشكوفسكى شيخ المستشرقين الروس عشر سنوات لكتابة دراسة عنه، وأخيراً ألف بالروسية كتابه الرائع «حياة الشيخ محمد عياد الطنطاوى»[٥]، الذى عهد المجلس الأعلى للفنون والآداب فى الجمهورية العربية المتحدة إلى السيدة أم كلثوم عودة. وهى عربية فلسطينية مقيمة فى روسيا، بترجمته إلى العربية،

---

(١) ص ١١٤ حياة الشيخ محمد عياد الطنطاوى لكراتشكوفسكى.

(٢) ص ١٧ المرجع نفسه. (٣) ص ١٠٨ المرجع نفسه.

(٤) ص ٩ المرجع نفسه.

(٥) لكراتشكوفسكي دراسة عن الوأواء الدمشقى، وعدة دراسات أخرى وهو الذى نشر كتاب البديع لابن المعتز وكان كتابه عن الطنطاوى أحب كتبه إلى نفسه وتوفى كراتشكوفيسكى بعد الحرب العالمية الثانية بعد أن أنقذ مخطوطات مكتبة لينجراد من الدمار الذى لحق بالمدينة فى الحرب العالمية الثانية.

وعهد إلى الأستاذين: عبد الحميد حسن ومحمد عبد الغنى حسن بمراجعة النص العربى وتحقيقه والتعليق عليه، ثم قام بنشره عام ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤ فجاء سفرًا نفيسًا فى نحو ١٨٠ صفحة، ولكنه يمثل جهادًا عليًا جليلاً فى الكشف عن حياة الطنطاوى ومواهبه وآثاره وثقافته، وفى تفصيل خدماته للاستشراق والمستشرقين فى القرن التاسع عشر.

لقد تناولت الكتاب لقراءته، فإذا بى أمام بطولة علمية حقة، قام بها كراتشكوفسكى، من أجل تسجيل حياة مواطن عربى، مصرى، أزهرى، اعترافًا بفضله على الثقافة الاستشراقية فى العصر الحديث.

وكنت أقرأ الكتاب وكأننى أمام أحداث مصورة، كل الألوان والظلال والسمات، وكل خطوة خطاها هذا العالم الأزهرى الخالد، منذ ميلاده حتى وفاته، وكل حدث علمى أو فكرى أسهم فيه، قد أبرزه كراتشكوفسكى بصورة زاهية أمينة، ومعتمدًا على كثير من المصادر والمخطوطات وسجلات المستشرقين ومؤلفاتهم، وعلى مجموعة الشيخ محمد عياد الطنطاوى الخطية، التى تبلغ نحو - ١٥ مخطوطًا عربيًا، مودعة فى مكتبة جامعة بطرسبرج، والتى نرجو أن تقوم بعثات دار الكتب المصرية فى الخارج بتصويرها كلها أو بعضها مما له أهمية خاصة. وكان كراتشكوفسكى يكتب عن الطنطاوى مأخوذًا بروعة أعماله، وجهاده العلمى، ويسجل كل رأى فيه، ويزن أعماله بميزان نقدى سليم منصف، ويقول: لقد بدت لى فجأة شخصية شيخنا واضحة معبرة[١].

وكان عمل المترجمة وعمل المراجعين موازيًا لعمل المؤلف نفسه، دقة تامة، وأمانة علمية بارزة، وتحر لجميع الحقائق، ووقوف صوفى، كأنه الاستغراق، أمام جميع النصوص.. مما جعلنى مذهولاً حقًا أمام هذا العمل العلمى الفريد، الذى يجب أن ينال تقدير الدولة، وتقدير جامعاتها، وبخاصة الأزهر، وكما أود أن تكون أعمال الطنطاوى فى ميدان الاستشراق الحديث مادة للدراسة فى جميع معاهدنا وجامعاتنا، وأن يطلق أستاذنا أحمد حسن الباقورى مدير جامعة الأزهر اسم الطنطاوى على أحد مدرجات الجامعة، تخليدًا لذكرى رجل نشأ بين صفوفه طالبًا، وعمل فى حلقاته

---

(١) ١١٢ المرجع السابق.

العلميـة مدرسًا، وقدره العالم كله عـالمًا ومفكرًا ومصدرًا للحـركة الاستشـراقية فى العالم كله، وأكسب وطنه مصر مجدًا علميًا باقيًا على مر الزمان.

٣- كان الطنطاوى أعظم من ضـحوا من العرب فى خدمـة الثقافة الإنسـانية، وخدمـة البحث العلمى الحـر. ولقد ولد فى قـرية نجريد المصـرية عام ١٢٢٥هـ: ١٨١٠م، وكان أبوه تاجرًا كثير التجـول، من محلة مرحوم بقرب طنطا، وأمه من بلدة الصافية[1].

وذهب إلى طنطا فى سن السادسة لحـفظ القرآن الكريم. وبدأ فى تلقى دروس العلم فى سن العاشرة فى حلقات الجـامع الأحمدى. ثم رحل مع أبيه إلى القاهرة عـام ١٢٣٨هـ: ١٨٢٣م، ودخل الأزهر، وفيـه تتلمـذ على: مـحمـد الكومى، ومحمد أبى النجا، ومصطفى القناوى، وإبراهيم الباجورى (ت ١٨٦١م). وحسن العطار شيخ الأزهر (ت ١٨٣٥م)، وإبراهيم السقا (ت ١٨٨٠م).

وكان من زملائه فى الدراسة: الشاعـر الشيخ شهاب الدين (١٨٥٧م)، ورفاقه الطهطاوى (١٨٧٣م)، ومـحمد قطة الـعدوى (١٨٦٤م)، ومحـمد الأشـمونى، وإبراهيم الدسوقى (١٨٨٣م)، الذى تتلمذ عليه كثير من المستشرقين.

وفى عام ١٨٢٧م توفى أبوه فـترك الطنطاوى الدراسـة فى الأزهر، تحت ضغط الظروف القاسيـة، وعاد إلى طنطا، ومنحه أستاذه مصطفى القناوى شـيخ المسجد الأحـمـدى إجـازة فى التـدريس عـام ١٨٢٨م، ثم عـاد ودرس فى الأزهر عـام ١٨٣٠م، وكـان أول من قرأ المعلـقات والمقـامـات فى حلقاته العـلميـة وهو فى العشـرين من عمـره. وظل فى الأزهر عشـر سنين، وله تعليقـات على مقـامات الحريرى وشرح الزوزنى على المعلقات.

ومن تلاميذ الطنطاوى فى الأزهر: يوسف الأسير السورى (١٨٨٩م)، وإبراهيم مرزوق (١٨٦٦م)، وعبد الهادى نجا الأبيارى.

واشتغل مع عمله فى الأزهر بالتدريس فى المدرسـة الإنجليزية بالقاهرة (مدرسة الارسالية البروتسـتانتية) عام ١٨٣٥م. وفيها اتـصل بكثير من الأوروبيين الوافدين

---

(١) قرية تقع الآن فى مركز دسوق من أعمال محافظة كفر الشيخ.

على مصر، ومن بينهم جماعة من المستشرقين مثل فليمانس فريثل الفرنساوى (١٨٥٥م) الذى ترجم لامية العرب للشنفرى إلى الفرنسية بمساعدة أستاذه الطنطاوى، والذى علم أستاذه اللغة الفرنسية، وكذلك بيرون وفيل وبرونر، وأصبح الشيخ أثيرًا عندهم، واعتمدوا عليه اعتمادًا كليًا فى بحوثهم وتتلمذوا عليه تلمذة فعلية.

وكتب قرينل يقول: «أنه مدين للطنطاوى الشيخ المصرى الوحيد، الذى يدرس لغته بمحبة واهتمام، ويدرس كتب الآداب العربية القديمة».

ومن تلاميذه: موخين، وقرين الروسيان وبسببهما سافر الطنطاوى إلى روسيا عام ١٨٤٠.

غادر الطنطاوى القاهرة فى ٢٤ من المحرم ١٢٥٦هـ: فبراير ١٨٤٠م إلى الاسكندرية حيث نزل فى ضيافة قنصل روسيا فيها «مديم» وفى ٢٦ مارس ركب باخرة نمساوية إلى استامبول، ومنها إلى أوديسا، وفى يوم ٢٩ يونيو ١٨٤٠ وصل إلى بطرسبرج.

وكانت روسيا آنذاك تهتم باللغات الشرقية، وأنشأت فى بلادها دراسات لها. وفى نحو عام ١٨٣٦ أنشأت معهدًا للغات الشرقية وألحقته بجامعة بطرسبرج (بتروغراد ثم ليننجراد أو لنينجراد فيما بعد)، وخصصت كرسيا فيه -لتدريس اللغة العربية، بجانب اللغات الشرقية الأخرى كالفارسية والتركية، والمغولية والصينية، والفضل فى ذلك راجع إلى م. بوشكين «وزير المعارف الروسية آنذاك»، وأرادت روسيا شغل كرسى اللغة العربية، فكلفت قنصلها فى القاهرة، ليقوم بالاتفاق مع من يعرف فيه القدرة على القيام بهذه المهمة، فاتصل بالشيخ وحبب إليه السفر إلى روسيا لهذه الغاية، فتردد الشيخ، إلا أن أصدقاءه رغبوه فى القبول، وأضيف إلى ذلك إلحاح القنصل وسخاء العرض، فوافق على السفر ليأخذ مكانه بين أساتذة اللغات الشرقية فى بطرسبرج.

وقوبل الشيخ هناك بالحفاوة، وجعل له مرتب سخى، واشتغل منذ ٢ يوليو ١٨٤٠ بالتدريس فى معهد اللغات الشرقية. وبالعمل فى ديوان الخارجية فى بطرسبرج.

كتب سانيليف -الذى صار فيما بعد من أشهر علماء الآثار، وأحد، مؤسسى جمعية الآثار- يرحب بالطنطاوى: وبعث بمقال له -مذيل بتوقيعه، وبتاريخ ١٧ أغسطس ١٨٤٠ إلى جريدة (فدومستى بطرسبرج)، ونشرت الجريدة المقال فى عدد ١٨٩ بتاريخ ٢٢/٨/ ١٨٤٠، وجاء فيه.

(انت تسألنى: من هذا الرجل الجميل، فى لباس شرقى، وعمامة بيضاء، وله لحية سوداء كجناح الغراب، وعينان تشعان باشعاع غريب، وعلى وجهه سمة الذكاء، وقد لفحت الشمس بشرته، وليست بالطبع شمس بلادنا الشمالية الباردة، هو ضيف جديد من ضفة النيل، الشيخ الفاضل محمد عياد الطنطاوى. أن اسمه معروف لدى كل من يدرس اللغة العربية، وكل السياح الذين انتفعوا بخدماته والمدنين له بنجاح أبحاثهم يذكرونه بالشكر، ويكنون له المودة، مذيعين شهرته فى أوروبا. فمن هنا نرى ما كسبته كليات اللغات الشرقية المحلية التى دعت الشيخ القاهرى ليحتل كرسى اللغة العربية الشاغر. ويمكنك الآن أن تتعلم اللغة العربية بدون أن تغادر بطرسبرج، وفى الأسبوع الماضى ألقى الشيخ الطنطاوى أول محاضرة له فى قاعة الجامعة حضرها ما عدا تلاميذ المدرسة وبعض المستشرقين غير المنتمين إليها).

خلف الطنطاوى فى قسم اللغات الشرقية سلفه (ديمانج) الذى توفى عام ١٨٣٩م، وقضى ما يقرب من سبع سنوات مجاهدًا فى تدريس اللغة العربية ثم عين بعد ذلك عام ١٨٤٧ أستاذًا لكرسى اللغة العربية فى جامعة بطرسبرج وعين المستشرق الروسى «نفروتسكى» مساعدًا له. وظل أستاذًا لهذا الكرسى طيلة أربعة عشر عامًا (١٨٤٧- ١٨٦١م)، وعلى يديه تتلمذ كثير من المستشرقين الروس والألمان والفنلنديين الذين كان من أشهرهم «فالين».

وفى سبتمبر عام ١٨٥٥ أصيب الشيخ بشلل فى رجليه. وظل يغالب المرض والمرض يغالبه سنوات صعابًا على نفسه. وأقام فى منزله رهين المرض.

كان يشرف على العناية بالشيخ زوجته المصرية «أم حسن» التى ولدت له فى ١٩ مايو ١٨٥٠ ولدًا سماه «أحمد».

وتوفيت زوجه المصرية عام ١٨٦٠ وابنه فى سن العاشرة، ولما لم يكن الشيخ بمستطيع القيام على تربية ابنه طلب إدخاله فى داخلية إحدى المدارس الوسطى، ودخل أحمد جمناز لاريتا فى ١٩ نوفمبر ١٨٦٠ على حساب الدولة، ولم يلبث الشيخ غير قليل حتى أحيل على التقاعد فى ١٩/١/١٨٦١، ثم وافاه الأجل فى ٢٤ ربيع الثانى ١٢٧٨هـ: ٢٩ أكتوبر ١٨٦١م، ودفن فى قرية فولكوفا بجوار بطرسبرج بجوار مقبرة زوجه المصرية الوفية، وكان فى هذه القرية مقابر المسلمين. وتسمى المقابر التى دفن فى وسطها مقبرة التتر. وعين نفروتسكى خلفًا له فى كرسى اللغة العربية بالجامعة، وسرفت الدولة معاش الشيخ إلى ابنه أحمد، واختير نفروتسكى وصيًا عليه، وفى عام ١٨٧١ باع أحمد مجموعة والده الخطية إلى مكتبة الجامعة. ثم تزوج أحمد وخلف بنتا ولم يلبث كذلك إلا قليلا وتوفى عام ١٨٨١، ودفن بجوار أمه، وألحقت ابنته بدار أيتام الأشراف باسم هيلانة، وصارت مسيحية منذ ذلك التاريخ أو أريد لها ذلك، إذ كانت طفلة صغيرة آنذاك، ولا ندرى من أخبارها بعد ذلك شيئًا.

٤- ترك الشيخ آثارًا كبيرة تبلغ الواحد والأربعين مؤلفًا، أحصاها كراتشكوفسكى، وفى مقدمتها: تاريخ حياته وكتابه المخطوط وتحفة الأذكياء بأخبار بلاد روسيا»، وورد اسمه فى مرجع آخر غير كتاب كراتشكوفسكى هكذا «هدية النجباء فى تحقيق إقليم روسيا»[1]، وقد ألفه الطنطاوى عام ١٨٥٠م/١٢٦٦هـ، وأهداه إلى السلطان عبد المجيد، وكانت كتابته دقيقة، وملاحظاته فاحصة، وإحساسه وروحه عاليين ولم يكن الكتاب سردًا تاريخيًا أو جغرافيًا، بل كان وصفًا دقيقًا حيًا بيئيًا لرحلته من القاهرة إلى بطرسبرج وزياراته لأقاليم روسيا، وانفعالاته مع الإقليم والشعب فيها خلال إقامته طيلة العشر سنوات التى قضاها هناك منذ هجرته عام ١٨٤٠ حتى تاريخ تأليف الكتاب (١٨٥٠) ووصف رحلاته فى روسيا وفى دول البلطيق وفنلندا من حولها، ويتضمن الكتاب كذلك دراسة مفصلة لتاريخ الحديث وصورًا سريعة لطبوغرافية بطرسبرج فى ذلك الحين، وهذا العمل مكتوب بصورة لامعة ولا يزال محتفظًا بقيمته العلمية إلى اليوم.

(١) ص١١٥ بين المخطوطات الغربية لكراتشكوفسكى.

وللطنطاوى كتاب عنوانه «النحو العربى» أو قواعد اللغة العربية»، وهو أول كتاب كتبه كاتب عربى باللغة العربية للتدريس فى جامعات روسيا ومعاهدها العالية، وهو موضع اهتمام المستشرقين، ونال شهرة كبيرة فى كل دوائر الاستشراق الأوروبى. إلى كتب أخرى ألفها الشيخ وأحصاها كلها كراتشكوفسكى فى كتابه القيم.

٥- كان الطنطاوى يجيد عدا العربية الفرنسية والروسية والفارسية والتركية واللغة التترية، ويقول كراتشكوفسكى: أنه كان إلى جانب اللغة العربية له إلمام بست لغات أخرى، وإن هذا أفق كان بعيدًا عن مواطنيه فى ذلك الحين(١).

٦- إن هذا الكتاب القيم لتاريخ حى من تاريخ مصر وأزهرها فى العصر الحديث فهو ينطق بعظمة الفكر المصرى فى أول عصر النهضة، ويصور الحياة الثقافية فى مصر وحياة الأزهر العلمية فى القرن التاسع عشر تصويرًا صادقًا أمينًا وهو من أجمل الكتب التى أخرجتها المطبعة العربية، والفضل فى ذلك راجع إلى عمل المؤلف وعمل الترجمة وعمل المراجعين الفاضلين الذى ينم عن جهد كبير بذلاه فيه.

والكتاب مقسم إلى:

١- توطئة أو مقدمة تحدث فيها المؤلف عن مصادر حياة الطنطاوى وعن ظروف قيامه بهذه الدراسة.

٢- ثم ثلاثة فصول: الأول عن «الطنطاوى فى مصر وسفره إلى روسيا»، والثانى عن «الطنطاوى فى روسيا»، والثالث عن «مصنفات الطنطاوى».

٣- ويلى ذلك ملحقات بعضها بقلم الطنطاوى نفسه، وبعضها نصوص أخرى للمؤلف وغيره.

٤- ثم رسائل من الطنطاوى إلى غولد المستشرق (١٨٩٧م) والأستاذ فى جامعة قازان.

٥- ويلى ذلك كله تعليقات وتحقيقات بقلم المراجعين كتباها شرحًا أو تعليقًا على بعض نقاط وردت فى الكتاب.

---

(١) ١٠٢ تاريخ حياة الشيخ محمد عياد الطنطاوى.

وفى صدر الكتاب صـورة للطنطاوى رسمها له مـرتينوف عام ١٨٥٣، وصورة أخـرى لقبـره أخذها له بعض المسـتـشرقين عـام ١٩٢٣، وتقديم بقلم المراجـعين الفاضلين.

وبعد فقد مضى على وفاة الطنطاوى أكـثر من مائة عام، ومع ذلك فجهوده فى خدمة الاستشـراق حديث الجامعات فى الغرب، فمتى تذكر الجـامعات العربية هذا الرجل الفذ، ومتى ترد له بعض ديونه وتعترف بقيمة ما أداه للفكر العالمى والعربى من خدمات جليلة باقية على مر الأيام؟

ويروى المرحوم أحمد تيـمور باشا فى كتابه «أعلام الفكر الإسـلامى فى العصر الحديث» سـيرة الشيخ الطنطاوى فيـقول إنه من مواليـد طنطا، سنة ١٨١٠، وقد تلقى تعليمه فى الجامع الأحمدى، ثم انتقل إلى الأزهر.

وكان يجيـد الشعر والنثر والنقد والـنحو والفقه وعلم الكلام والحسـاب والجبر والتاريخ وله أكـثر من مائة مـؤلف فى كل هذه العلوم، أكثـرها لا يزال مخطوطا بخط يده فى مكتبة الكلية البتروغرادية.

وقد قـضى الشيخ الطـنطاوى فى روسيـا نحو ربع قرن، إلـى أن مات، وترك زوجه وولده هناك من بعده، وليدفنا إلى جواره.

وكانت بينه وبين رفاعة الطهطاوى مراسلات أدبية، يقول فى إحداها:

«أنا مشغول بكيفية معيشة الاوروبيين وألفاظهم وحسن إدارتهم، خصوصًاريفهم وبيوتهـم المحدقة بالبـساتين والأنهـار، إلى غيـر ذلك مما شاهدته قبـل بباريز، إذ بطرسبرج لا تنقص عنها، بل تفضلها فى أشياء كاتساع الطرق.

«أمـا من جهـة البرد، فلم يضـرنى جدًا، وإنما الزمـنى ربط منديل فى العنق، ولبس فروة إذا خرجت. أما فى البيت، فالمداخن المثبتة معدة للأدفاء».

على إن إقامتـه الطويلة فى روسيا لم تؤثر فى دينه، وله فى ذلك قصـيدة نذكر منها:

أنـا بين قـــــوم لا أدين بـدينهـم أبـدًا، ولا يـتـــــدينـون بدينـى

ويحدثنا تيمور باشا فى هذا الكتاب أن الشيخ الطنطاوى كان تلميذًا للشيخ حسن العطار، وهو الآخر علم من أعلام الفكر الإسلامى، عاصر الحملة الفرنسية، وأفاد بها من الناحية العلمية، واستحدث بما أفاده ثورة فى الأزهر أثارت عليه إثارة كثيرة من أصحاب العمائم.

وكان الشيخ حسن العطار فى طليعة الرواد فقد كان علم الأزهر فى عصره ليس مقصورًا على الدين وحده.

وكان الشيخ العطار قد عاشر علماء الحملة الفرنسية، وقرأ ما ترجموا من كتب علمية إلى التركية والعربية، فى الهندسة والعلوم الطبيعية والفلك والصناعات الحربية، ورأى كيف يحولون العلم إلى عمل، فآمن بضرورة الدعوة إلى مثل هذا التحول، ووضع بنفسه المؤلفات فى المنطق والفلك والطب والطبيعة والكيمياء والهندسة والعلوم الطبيعية والاجتماعية والإنسانية.

وتولى منصب شيخ الأزهر، وأمر بتدريس المواد الممنوعة كالجغرافيا والتاريخ.

وحتى تدريس الأدب كان ممنوعًا فى الأزهر، فحرض تلميذه الشيخ الطنطاوى على تدريسه. . كما حرض تلميذه الآخر رفاعة الطهطاوى على تدريس الحديث والسنة عن طريق المحاضرة، وبلا نص، مما لم تكن له سابقة فى تاريخ الأزهر.

ويروى تيمور باشا من أن علماء الأزهر غضبوا أيما غضبة عند تعيين الشيخ حسونة النواوى شيخًا للأزهر.

وكان لهذه الغضبة أكثر من سبب، ولكن أبرز هذه الأسباب، أنه جاء مؤيدًا لتدريس الحساب والهندسة والجبر وتقويم البلدان وما إليها فى الأزهر، بدعوى أنها علوم مستحدثة، بينما هى فى الحق علوم قديمة، اشتغل بها المسلمون الأوائل، وألفوا فيها كثيرًا، وكانت تدرس فى الأزهر قبل نكسته.

ولكن خصوم الشيخ حسونة زعموا أنها من علوم الفرنجة، وأنها ما أدخلت إلى الأزهر إلا للقضاء على العلوم الشرعية أو تقليل الرغبة فيها.

أئمة الأزهر فى القديم والحديث
الشيخ محمد بن عبد الله الخراشى (١)

ولد ببلدة (أبو خراش) من أعمال شبراخيت بمحافظة البحيرة سنة ١٠١٠هـ تلقى تعليمه على يد نخبة من العلماء ودرس علوم الدين واللغة والمنطق وكانوا يهتمون فى الأزهر بدراسة (علوم التفسير والحديث والفقه واللغة والفلسفة والمنطق) واستوعب معارف عصره وتخرج على يديه علماء كثيرون جاوزوا المائة من أعلام عصره ومن تلاميذه (الشيخ إبراهيم بن موسى الفيومى) وقد تولى مشيخة الأزهر بعد ذلك وكان بمثابة معيد للشيخ الخراشى يلخص ما قاله الشيخ ويوضح ما غمض (كما هو دور المعيد بالنسبة للأستاذ فى الجامعة الآن).

وكان جم الحياء متواضعا يذهب إلى السوق ويشترى حاجياته ويحملها بنفسه وتمسك بالسنة وكان لا يتخلف عن صلاة الجماعة بالجامع الأزهر ووفد عليه الطلاب من كل قطر وذاعت شهرته ووصفه الجبرتى بأنه (الإمام العلامة والحبر الفهامة شيخ الإسلام والمسلمين وارث علم سيد المرسلين) وكانت النذور تأتيه من كل الجهات فلا يحتفظ بشىء بل يتركها لمعارفه يتصرفون فيها وكانت له كرامات اشتهرت فى عصره وظل فى كفاحه العلمى حتى جاوز التسعين ولحق بربه فى ٢٧ من ذى الحجة سنة ١١٠١هـ.

مؤلفاته:

كان رحمه الله واسع الثقافة وخاصة فيما يتعلق بعلوم التفسير والفقه على مذهب الإمام مالك.. ويمكن إجمال مصنفاته فيما يلى:

١- رسالة فى البسملة فى نحو أربعين كراسة.

٢- الشرح الكبير لمختصر خليل فى ثمانية مجلدات.

(١) سبقت ترجمته فى الجزء الأول صـ٢٤٧ أكثر تفصيلاً من هذه الترجمة حرصًا على أمانة التحقيق، وهما معًا دون الترجمة التى قدمتها بالتفصيل فى نهاية الجزء الثانى، وبداية الجزء الثالث حتى أنتهيت بالإمام الأكبر فضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق، وسيأتى الإمام الأخير بعد ذلك.

٣- منتهى الرغبة فى حل ألفاظ النخبة (وهو شرح لكتاب نخبة الفكر لابن حجر العسقلانى).

٤- الفرائد السنية فى حل ألفاظ السنوسية.

٥- الأنوار القدسية فى الفرائد الخراشية (وهو شرح للعقيدة السنوسية).

٦- حاشية على شرح الشيخ على ايساغوجى فى (المنطق) وهو كتاب شهير.

٧- إجازة أجاز بها تلميذه الشيخ على الشبراملسى (ليستحق بها ما يشبه العالمية).

●●●

الشيخ إبراهيم بن محمد البرماوى

ينسب إلى بلدة (برما) من أعمال محافظة الغربية

حفظ القرآن ودرس فى الأزهر على كبار الشيوخ وعكف على (دروس الشيخ أبى العباس شهاب الدين محمد بن أحمد القليوبى) وكان من أعظم علماء عصره متعدد الثقافات وألف كثيراً من الشروح والحواشى والرسائل ثم أذن له أن يقوم بالتدريس فأقبل الطلاب على علمه وكان من أنجب تلاميذه (الشيخ إبراهيم الفيومى) الذى سبقت الإشارة إليه وترك مؤلفاته عدة تدل على غزارة علمه فى (الحديث وفقه الشافعية والمواريث والتصوف).

١- حاشية على شرح القرافى لمنظومة ابن فرح الأشبيلى (كما شرحها كثيرون لأهميتها).

٢- حاشية على شرح ابن قاسم.

٣- رسالة فى أحكام القول فى (الكلب والخنزير) على مذهب الشافعى.

٤- حاشية على شرح السبط على الرحبية فى المواريث.

٥- الميثاق والعهد فيمن تكلم فى المهد.

٦- رسالة فى الدلائل الواضحات فى إثبات الكرامات (فى التصوف والتوحيد).

تولى مشيخة الأزهر سنة ١١٠١هـ ولقى ربه سنة ١١٠٦هـ.

الشيخ محمد النشرتى

كان من أعلام المالكية ولم يعثر له على ترجمة دقيقة.

ولكنه كان واسع العلم وتتلمذ على يده نخبة من فقهاء عصره منهم (الديربى الشافعى الأزهرى) صاحب المؤلفات العديدة (عبد الحى بن الحسن بن زين العابدين) العالم الشهير (والمحدث الأصولى الشهير بالجوهرى) وكان بمثابة شيخ لعلماء المالكية.

ولد ببلدة (نشرت) بمحافظة كفر الشيخ وحفظ القرآن ودرس فى الأزهر ولما تولى مشيخة الأزهر سنة ١١٠٦هـ ظل يواصل الدرس وشغله منصبه وطلابه عن التأليف ولقد سئل جمال الدين الأفغانى لماذا لم تترك مؤلفات قال: (لقد ألفت رجالا) وهو منطق الشيخ النشرتى وتوفى فى الثامن والعشرين من ذى الحجة سنة ١١٢٠هـ.

ورغم أنه مات يوم الأحد فقد شيعت جنازته يوم الاثنين ليتمكن العلماء والأعيان وأمراء المماليك من السير فيها مما يدل على مكانته.

وظل فى مشيخة الأزهر أربعة عشر عاما وهى مدة طويلة لمن يتولون هذا المنصب.

●●●

الشيخ عبد الباقى القلينى

ولد فى بلدة قلين بمحافظة كفر الشيخ لم يعثر له على ترجمة وافية ولكن المؤكد أنه كان ذا سمعة علمية كبيرة وتتلمذ على يديه المشاهير وكان تلميذًا للإمامين (البرماى والنشرتى).

ووجه تلاميذه إلى دراسة الكتب القديمة وعدم الاكتفاء بالشروح والملخصات وكان يشرح ما استغلق فهمه عليهم ويملى الشروح مما يدل على رسوخ قدمه فى علوم الدين وتولى مشيخة الأزهر عام ١١٢٠هـ.

ولم يترك مصنفات علمية فقد انشغل بالدروس لطلابه كسابقه (الشيخ النشرتى).

الشيخ محمد شنن

لم يعثر له على ترجمة وافية وإنما الواضح أنه تميز عمن سبقه من شيوخ الأزهر بثـرائه العريض وكـان له مماليك وعبـيد وجـوار ولكن ذلك لم يصرفـه عن العلم واشتهر بغـزارة علمه وفقهه وكان علمـا من أعلام المذهب المالكى، وكان ممن حث على تجديد الجامع الأزهر وأنفق كثيراً من ماله فى سبيل ذلك خوفًا على طلابه بل ورفع مذكـرة للسلطان أحمد الثـالث الذى أوفد بعثـة عثمانيـة رسميـة تحمل المال والخبراء لاجراء الاصلاحات.

وظل يواصل البحث والدرس حتى لقى ربه سنة ١١٣٣هـ.

ولـم يترك مصنفات لأنه اكتفى بتدريس العلوم لطلابه (كسابقيه).

●●●

الشيخ إبراهيم بن موسى الفيومى

ولد سنة ١٠٦٢هـ وعين شيخا للأزهر سنة ١١٣٣هـ وتوفى سنة ١١٣٧هـ.

درس فى الأزهر على يد الشـيخ الخراشى (الرسـالة) وهى من أهم كتـاب فى ذلك العصر فى العقيدة الإسلامية وشرحها (وكان كما قدمنا معيداً له) وتلقى على يد علماء عصره كل فى تخـصصه فكان من كبار رجال الحديث فى عـصره وتبحر فى علوم اللغة حيث ألف شرحا قيما لكـتاب (المقدمة العزية للجماعة الأزهرية فى علم الصـرف) من تأليف أبى الحسن الشـاذلى المالكى وكان ذا مـوهبة خـاصة فى التدريس فكان المئـات يتوافدون عليه ويتلـقون عنه وكان يلخص ما قـاله فى نهاية الدرس ولا يغادر مجلسه حتى يطمئن عـلى فهم تلاميذه له ومن ألمع طلابه (حجة زمانه الشـيخ محمد بن عـيسى بن يوسف الدميـاطى الشافعى) (والشيخ الفـيومى المالكى) (والشيخ الصعيدى العدوى المالكى) صاحب المصنفات العديدة.

●●●

الشيخ عبد الله بن محمد بن عامر الشبراوى

ولد عام ١٠٩١هـ بالقـاهرة ونبغ من صغره فكان شاعـرا مرموقا وكاتـبا فريداً وعالما واسع الاطلاع متعمقا فى الفقه والحديث وعلم الكلام.

ورث عن أبيه وجده حب العلم وكان فاتحة لعصر النهضة والتحرر من الصنعة فى الكتابة وتتلمذ على يد (الشيخ الخراشى) (والشيخ حسن البدرى) (والشيخ خليل اللقانى) (والشيخ محمد الزرقانى) (والشيخ أحمد النفراوى) وكانوا من الأعلام ولما جلس للتدريس تتلمذ على يديه كبار العلماء من أمثال (على بن شمس الدين الخضرى) (والشيخ الزمزمى المكى الشافعى) (والوالى عبد الله باشا الكوبريلى).

كانت للشبراوى مكانة عند الحكام وبين العلماء وسجل أحداث عصره شعرا ونثرا وكانت له قصائد تغنى بها أبناء عصره وتولى المشيخة سنة ١١٣٧ وكان من أعلام الشافعية ونظم قصائد لتيسير العلوم على طلابه وترك مؤلفات عدة منها.

١- مفاتح الألطاف فى مدائح الأشراف.

٢- الاتحاف بحب الأشراف.

٣- الاستغاثة الشبراوية.

٤- درس الآداب وفرحة الألباب (فى تقويم الأخلاق ونصائح الحكام).

٥- عنوان البيان وبستان الأذهان (فى الأدب والأخلاق).

٦- نزهة الأبصار فى رقائق الأشعار.

٧- شرح الصدر فى غزوة بدر.

٨- نظم بحور الشعر وأجزائها.

٩- شرح الرسالة العضدية (فى علم الوضع).

١٠- العقد الفريد فى استنباط العقائد من كلمة التوحيد.

١١- منظومة فى علم النحو.

١٢- عنوان البيان ونسيان الأذهان (فى البلاغة).

١٣- سند الشبراوى (ذكر فيه مشايخه ومروياته).

ومات سنة ١١٧١هـ.

الشيخ محمد بن سالم الحفنى

ولد ببلدة (حفنا) من أعمال بلبيس بمحافظة الشرقية فى سنة ١١٠٠هـ.

وحفظ القرآن ووفد إلى الأزهر الشريف وأخذ العلم عن أشهر علماء عصره واجتهد حتى أجازه أساتذته للتدريس والافتاء ومن أهم شيوخه (الشيخ محمد البديرى الدمياطى الشهير بابن الميت) درس عليه (كتاب أحياء علوم الدين للإمام الغزالى) واستوعب كل كتب الحديث الشهيرة وتوافد الطلاب عليه من كل فج.

وكان من الأشراف ينتسب إلى العترة النبوية الشريفة شديد الحياء نقى النفس وبرع فى فن النثر ونظم الشعر.

وذاق مرارة الفقر ثم أقبلت عليه الدنيا فكثر ماله لكنه لم يتخل عن واجبه العلمى ومال للصوفية فكان من أقطابها يتردد على (زاوية سيدى شاهين الخلوتى بسفح الجبل) يظل فيها الليالى متعبدا متأملا فسمت به الصوفية.

ووجه طلابه إلى دراسة المصادر العلمية العميقة مثل (الأشمونى فى النحو والصرف) (وجمع الجوامع فى أصول الفقه للسبكى) (ومختصر السعد فى البلاغة).

وكان ذا مهابة يهابه الأمراء والحكام ولكنه كان متواضعا مع الفقراء سخى اليد وترددت بين الناس كراماته فازداد مكانة فى القلوب وتولى المشيخة سنة ١١٧١ وتسابق العلماء إلى استجازته وكتبوا عنه وألف (العلامة الشيخ حسن المكى) كتابا فى مناقبه ونسبه وكذلك (الشيخ محمد الدمنهورى المعروف بالهلباوى) ألف كتابا فى مدائح الشيخ (وأفرد له الجبرتى صفحات طويلة وامتدحه بما لم يمتدح أحدا).

ومن مؤلفاته:

- الثمرة البهية فى أسماء الصحابة البدرية (فى التاريخ).
- حاشية على شرح الأشمونى (لألفية ابن مالك فى النحو).
- أنفس نفائس الدرر (حاشية على همزية البوصيرى).
- حاشية على شرح السمرقندى على الرسالة العضدية (فى علم الوضع).

- رسالة فى النقلية فى الفروع فى أصول الفقه.
- حاشية على شرح الفوائد الشنشورية للشنشورى (فى المواريث).
- رسالة فى الأحاديث المتعلقة برؤية النبى ﷺ.
- رسالة فى فضل التسبيح والتحميد فى الفضائل والآداب.
- رسالة على شرح الحفيد على مختصر جده السعد التفتازانى (فى البلاغة).
- شرح المسألة الملفقة فى تحليل المطلقة (ثلاثا).
- مجموعة من الإجازات لكثير من تلاميذه إقرارا بقدرتهم على الدرس والفتوى.

ومات فى ٢٧ ربيع الأول ١١٨١هـ.

الشيخ عبد الرؤوف بن محمد السجينى

وُلِد ببلدة (سجين) بمحافظة الغربية عام ١١٥٤هـ ولقبه (أبو الجود).

حفظ القرآن ولزم عمه (الشمس السجينى) وكان من العلماء كما كان والده أيضا رغم أنه كفيف من كبار العلماء وأنه كان فقيها نحويا أصوليا شافعيا.

ولما مات عمه خلفه فى دراسة المنهج (وهو منهج الطلاب للأنصارى) وكان من الكتب المقررة فى مذهب الشافعى.

وكان الشيخ السجينى ذا مكانة بين الناس فقد حدث أن أحد التجار تشاجر مع خادم فضربه الخادم فجمع التاجر أعوانه وطارده فلاذ الخادم بمنزل الشيخ السجينى فأطلق التاجر النار فأصابت رصاصة أحد أقارب الشيخ وهرب التاجر فثارت الجماهير من أجل الشيخ وحاصرت الحى الذى اعتصم به التاجر لولا أن تدخل الوالى والأمراء والأعيان وأرضوا الشيخ مما يدل على مكانة العلماء.

وتولى رواق الشراقوة بالأزهر قبل أن يتولى المشيخة سنة ١١٨١هـ.

ولكن لم يطل بها فقد مات سنة ١١٨٢هـ.

ولم يعثر له على مؤلفات يبدو لأنه آثر التفرغ للدراسة والاهتمام بطلابه.

الشيخ أحمد بن عبد المنعم بن صيام الدمنهورى

ولد بمدينة (دمنهور) سنة ١١٠١هـ وقدم الأزهر وهو صغير يتيم لم يكفله أحد فاشتغل بالعلم وجد فى التحصيل وأجازه علماء المذاهب الأربعة وكان ذا حافظة قوية وقدرة على التأليف وبرع فى الافتاء على (المذاهب الأربعة).

ولم يكتف بدراسة علوم الدين فقد شغف بدراسة الطب والفلك والهندسة والمنطق رغم نفور الكثيرين من هذه العلوم فسبق أوانه وكأنه تنبأ أن يدرس الأزهر يوما هذه المواد وجلس إلى (الشيخ على الزعترى) وكان عالما بالحساب والهندسة ودرس آثار (ابن الهيثم) فى الرياضيات والبصريات وآثار (ابن سينا) فى الطب والفلسفة.

ولم يترك كتابا قديما إلا استوعبه وترك مصنفات فى كل فن فى عصر اشتهر بالتخلف ولما زار مكة حاجا سنة ١١٧٧هـ استقبل أعظم الاستقبال وأقبل عليه العلماء إذ سبقته شهرته، وأجله (على بك الكبير) وكان يجلس إلى دروسه وتولى المشيخة سنة ١١٨٢هـ وكان مهيبا لدى أمراء المماليك فلما نشبت الفتنة بين زعماء المماليك وأتباعهم من طائفتى (العلوية والمحمدية) فر (حسن بك الجداوى) من زعماء العلوية أمام مطارديه فلجأ لبيت الشيخ الدمنهورى فلم يجرؤ أحد على اقتحامه حتى أجاره (إبراهيم بك) وكان لا يعود من درسه إلا فى وقت متأخر من الليل ويحرص على صلاة الفجر وتحدى علماء عصره بما كان يطرح من أسئلة معجزة لم يقم بالإجابة عنها مما جعل (على بك الكبير) يتخذه أستاذا ويستشيره فى كثير من أمور الدولة وتركزت هذه الأسئلة فى خمسة.

١- (فى إبطال الجزء الذى لا يتجزأ) وكان السائد أن المادة لا تتجزأ وكأنما سبق علماء الذرة فى ذلك واستدل بقول الله ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٣]. والأصغر من الذرة هو نواتها (البروتون) والكويكبات الدائرة حول النواة (الالكترونات).

٢- سأل (ما معنى قول ابن سينا ذات الله نفس الوجود المطلق) وهو سؤال عما يسميه الصوفية (بوحدة الوجود) وعلماء الإسلام ينزهون الله عن (الحلول والاتحاد).

٣- سأل ما معنى قول أبى منصور الماتريدى (معرفة الله واجبة بالعقل مع أن المجهول من كل وجه يستحيل طلبه) وشرح آراء المعتزلة وفلاسفة اليونان.

٤- ما معنى قول البرجلى (إن من مات من المسلمين لسنا نتحقق موته على الإسلام) واستدل بحديث رسول الله (إن قلوب بنى آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يعرفه حيث يشاء) فالعبرة بالخواتيم.

٥- هل الاستثناء فى الكلمة المشرفة (لا إله إلا الله) متصل أو منفصل وقد اختلف النحويون فى إعراب (لا إله إلا الله).

ومن مؤلفاته:

١- كشف اللثام عن مخدرات الأفهام فى البسملة والحمدلة.

٢- حلية اللب المصون فى شرح الجوهر المكنون (فى البلاغة).

٣- اللطائف الفورية فى المنح الدمنهورية.

٤- نهاية التعريف بأقسام الحديث الضعيف.

٥- درة التوحيد (منظومة فى علم التوحيد).

٦- القول المقيد فى شرح در التوحيد.

٧- شرح الأوفاق العددية (وهو بحث فى استنباط آفاق المستقبل عن طريق الأعداد.

٨- شفاء الظمآن بسر (يس قلب القرآن).

٩- عقد الفرائد بما للمثلث من فوائد.

١٠- منتهى الارادات فى تحقيق الاستعارات (فى البلاغة).

١١- سبيل الرشاد إلى نفع العباد فى الأخلاق.

١٢- الفتح الربانى بمفردات ابن حنبل الشيبانى (فى فقه الحنابلة).

١٣- رسالة عين الحياة فى استنباط المياه (فى الجيولوجيا).

١٤- القول الصريح فى علم التشريح (فى الطب).

١٥- منهج السلوك فى نصيحة الملوك (فى السياسة والأخلاق).

١٦- الدرة اليتيمة فى الصنعة الكريمة (فى الكيمياء).

١٧- طريق الاهتداء بأحكام الأمانة والاقتداء (على مذهب أبى حنيفة).

١٨- إحياء الفؤاد بمعرفة خواص الأعداد (فى الحساب).

١٩- منع الأثيم الحائر عن التمادى فى فعل الكبائر (أخلاق دينية).

٢٠- الأنوار الساطعات على أشرف المربعات (فى الهندسة).

٢١- خلاصة الكلام على وقف حمزة وهشام (فى القراءات).

٢٢- تحفة الملوك فى علم التوحيد والسلوك (منظومة طويلة).

٢٣- حسن الإنابة فى إحياء ليلة الإجابة (ليلة النصف من شعبان).

٢٤- الزهر الباسم فى علم الطلاسم (رموز سحرية).

ومات فى ١١ رجب سنة ١١٩٢هـ.

●●●

الشيخ أحمد بن موسى العروسى

ولد بقرية (منية عروس) من أعمال أشمون بمحافظة المنوفية سنة ١١٣٣هـ حفظ القرآن وأحب العلوم على اختلاف أنواعها فتفوق فى العلوم الدينية واللغوية كما تفوق فى الرياضيات والفلك والمنطق ومال للصوفية فأخذ العهد على يد (الشيخ البكرى) ودرس كل علم على مشاهير عصره ولازم (الشيخ أحمد الصعيدى) وكان بمثابة معيدا له يلخص دروسه ويوضح ما غمض منها (وهو عمل المعيد بالنسبة للأستاذ الآن فى الجامعة) وكان عالمًا محققًا حقق كثيراً من كتب التراث وكان يكره السطحية فى العلم ويوصى تلاميذه بالتعميق وقراءة أمهات الكتب.

وأحبه الشيخ البكرى فزوجه إحدى بناته وتولى المشيخة سنة ١١٩٢هـ وكان ذا مكانة بين العلماء ولهذا لما أراد (إبراهيم بك) أن يولى (الشيخ عبد الرحمن

العريشى) مشيخة الأزهر ثار العلماء واعتصموا بمسجد الأمام الشافعى والتف حولهم الناس وطالبوا أن يكون الشيخ العروسى هو شيخ الأزهر فنزل على رغبتهم ولما عاد (الشيخ محمد المصيلحى الشافعى) من الحجاز أغراه أعوانه أن يطلب المشيخة لنفسه فهو أحق بها وسايرهم واقتحم المدرسة الصلاحية ودرس بها وكانت وقفا على شيخ الأزهر فثار عليه العلماء ولكن الشيخ العروسى هدأ من ثورتهم وترك الشيخ المصيلحى يدرس بها احترامًا لعلمه ومنعًا للفتنة.

كان الشيخ العروسى قوالاً للحق لا يحب الجدال العقيم وكانت شفاعته مقبولة لدى الحكام وكان الأمراء يستشيرونه ويستفتونه فى مسائلهم ورفض أن تأتى جنود من خارج مصر لحفظ الأمن، وبين للوالى (إسماعيل بك) خطر ذلك فعمل بنصيحته وطالب بزيادة أرزاق الجند المصريين فقاموا بواجبهم ولما طغى (أحمد أغا) الوالى على أهل الحسينية لجأ إليه الناس فقام معهم وأقنع (إسماعيل بك) بعزله اتقاء للفتنة فعزله.

ولما اشد الغلاء وضج الناس بالشكوى ذهب إلى (الوالى حسن باشا) واتفق معه على وضع (تسعيرة للخبز واللحم والسمن) وخرج المحتسب ليعلن فى الأسواق السياسة التموينية الجديدة ويهدد من يخرج عليها فزالت الغمة.

ورغم صلاحه وتقواه ومهابته فقد كان ينشد الشعر ليسهل به على الطلاب بعض العلوم ولما مات رثاه كثير من الشعراء بروائع القصائد تخليدا لذكره. ومات سنة ١٢١٨هـ.

ومن آثاره العلمية:

- شرح نظم التنوير فى إسقاط التدبير للشيخ الملوى (فى التصوف).
- حاشية على الملوى على المسرقندية (فى البلاغة).

●●●

الشيخ عبد الله الشرقاوى

ولد بقرية (الطويلة) من ضواحى بلبيس بمحافظة الشرقية سنة ١١٥٠هـ.

حفظ القرآن ورحل إلى الأزهر حيث درس على مشاهير العلماء مثل (الشهاب الملوى) (الشهاب الصعيدى) (الشيخ الجوهرى) (والإمام الدمنهورى) ومال بفطرته (للتصوف) واتصل بالصوفى الشهير (الشيخ الكردى) فلازمه وأدبه.

وتقلبت به الأيام بين مرارة الفقر وحلاوة اليسر وعاش مغمورا فترة طويلة ثم رفعته الأقدار إلى مصاف العلماء الكبار.

وأشتهر بالزهد والتقشف فى مأكله وملبسه حتى بعد أن أقبلت عليه الدنيا وتولى مشيخة الأزهر بعد موت الشيخ العروسى سنة ١٢١٨هـ وعرف بعمامته الكبيرة وفى حياته وقعت أحداث جسام إذ أتت الحملة الفرنسية على مصر وما صحبها من آلام وتعرض لكثير من الدسائس والمؤامرات ولكن الله نصره إذ حاول خصومه إحياء منصب (ناظر الأزهر) وكان يشبه (شيخ الأزهر) وساندهم كبار الشخصيات (كالشيخ السادات) (والقاضى العثمانى) لكن الشيخ بحكمته تغلب على كل هذا ورغم ما عاناه المصريون من المماليك فقد رأوا فى الفرنسيين خطرا داهمًا يجب التصدى له وارتفع الشيخ الشرقاوى إلى مرتبة الزعامة الشعبية فقاوم طغيان (محمد بك الألفى) وجمع المشايخ وأغلق المسجد وأمر الناس بإغلاق الحوانيت وجاء إليه (إبراهيم بك) ليسأله عن سر ذلك فقال (نريد العدل ورفع الظلم وإقامة الشرع وإبطال المكوس) واضطر إبراهيم بك إلى تحقيق مطالب الشيخ نيابة عن الأمة وصمم الشيخ أن تكون الاستجابة كتابة يوقع عليها أمراء المماليك (وعرفت بالشرطة) ولما أنشأ نابليون (الديوان الوطنى) ضم عشرة من العلماء رأسهم (الشرقاوى) وأمر نابليون أن تؤدى للعلماء التحية العسكرية إجلالا لهم وكان يستقبلهم عند الباب الخارجى لمقر قيادته (وخصص للعلماء الخيل) ككبار رجال الدولة وشارك فى الأعياد الدينية وأمر جنوده بإطلاق المدافع فى هذه المناسبات لكن الشيخ الشرقاوى أحس أنها مجرد مظاهر لتأليف العلماء ولم ير فى نابليون إلا غازيًا معتديًا لكنه رأى مهادنته حتى تنتظم صفوف الشعب على عكس (الشيخ السادات) وأعوانه الذين رأوا مناوأته.

واستغل الشيخ الشرقاوى علاقته الطيبة بالفرنسيين فكان يشفع للأهالى فى رد المظالم ومنع جنود الحملة من العبث والخروج على التقاليد الإسلامية وكان نابليون

يلبى طلباته، لكن نابليون أحس بعداوة الشرقاوى للحملة فقبض عليه وسجنه فى القلعة مع زعماء الجهاد لكنه سرعان ما أخرجه لحاجته إليه وحاول التقرب إليه بكل السبل وتنبه الشيخ الشرقاوى إلى المدنية الحديثة والعلوم المتطورة التى جاءت بها الحملة الفرنسية وقارنها بالتخلف الذى عليه مصر وكل الولايات الخاضعة للحكم العثمانى وكان نابليون دائمًا يقول لرجاله (إذا كسبتم ثقة العلماء وخاصة هذا الشيخ -يقصد الشيخ الشرقاوى- فستكسبون الرأى العام فى مصر كلها).

وعلم نابليون أن الشيخ الشرقاوى يتلقى رسائل سرية من الخليفة العثمانى ولكنه لم يستطع إثبات ذلك ولا الوصول إلى طريقة تسللها للبلاد ولما قتل (سليمان الحلبى) القائد كليبر قبض على (الشيخ الشرقاوى والشيخ العريشى) واتهما بأنهما المحرضان على ذلك ولكن خاف قادة الحملة من آثار ذلك فسرعان ما أطلقوا سراحهما ويعتبر (الشيخ الشرقاوى) رجل السياسة الهادى الذى جنب شعبه كثيرا من النكبات ولو تشدد لفقد هذا الخيط الرفيع.

وبعد رحيل الحملة الفرنسية عانت البلاد من ظلم وطغيان الفرق الأجنبية والقوى المتعددة (العسكر العثمانيون) (فرقة الانكشارية) (فرقة الارناءود) (فريق الدلاة وهو الاكراد) الذين استجلبهم (خورشيد) لضرب الفرق الأخرى وأخذوا جميعًا ينهبون ويستبيحون الحرمات فضج الناس بالشكوى ولجأوا (للشيخ الشرقاوى) فقاد مجموعة العلماء وآلاف المواطنين وذهب إلى الوالى فكتب إلى رؤساء الفرق للكف عن النهب والسلب لكنهم لم يسمعوا إليه فأعلن العلماء وعلى رأسهم الشرقاوى (عزل خورشيد) وتولية (محمد على) ورفض (خورشيد العزل) لكن السلطان أقر ما فعله العلماء وعلل سبب الموافقة بقوله (حيث رضى العلماء والرعية) كانت هذه فاتحة للشعب ليقرر مصيره وليختار زعامته.

وبينما كان (محمد على) يطارد المماليك فى الصعيد جاءت (حملة فريزر ١٨٠٧م) واحتلت الإسكندرية وزحفت إلى رشيد فحمس (الشيخ الشرقاوى) ومجموعة العلماء الشعب للمقاومة فهزموها ورحلت بعد أن تكبدت خسائر فادحة.

وأصبح كل من (الشيخ الشـرقاوى وعمر مكرم) بمثابة زعيـمين للشعب واضطر (محـمد على) إلى مهـادنة الشيخ الشرقـاوى حتى لقى ربه ثم فـرق العلماء ونفى (عمر مكرم) إلى دمياط ولقى ربه فى ٢ شوال سنة ١٢٢٧هـ.

وكان ذا رأى مسموع فلما حدث أن القاضى العثمانى أعلن أن يوم الأثنين متمم لشهر شعبان ثم جاءت جماعة للشيخ الشرقاوى وأكدوا له أنهم رأوا الهلال فأعلن الصيام وصامت الأمة.

وترك مؤلفات عدة منها:

١- التحفة البهية فى طبقات الشافعية.

٢- العقائد المشرقية فى علم التوحيد.

- حاشية الشرقاوى على كتاب التحرير للشيخ أبى زكريا الأنصارى.
- حاشية على شرح الهدهدى على أم البـراهين المسماة بالصغرى لأبى عبد الله بن يوسف السنوسى.
- شرح حكم ابن عطاء الله السكندرى.
- ثبت الشرقاوى (ذكر فيه شيوخه).
- مختصر الشمائل وشرح المختصر.
- رسالة فى (لا إله إلا الله).
- رسالة فى مسألة أصولية (فى جمع الجوامع).
- شرح رسالة عبد الفتاح العادل (فى العقائد).
- شرح مختصر فى العقائد والفقه والتصوف.
- شرح الحكم والوصايا الكردية (فى التصوف).
- شرح ورد السحر للبكرى.
- مختصر مغنى اللبيب لابن هشام (فى النحو والإعراب).

- فتح المبدى شرح مختصر الزبيدى (فى الحديث).
- تحفة الناظرين فيمن ولى مصر من الولاة والسلاطين.

●●●

الشيخ محمد بن على بن منصور الشنوانى

ولد بقرية (شنوان) بالغربية وتلقى تعليمه على أيدى أشهر علماء عصره فى الحديث والفقه والتفسير واللغة وعرف بالتواضع والسماحة وشدة الحياء وكان مولعا بالنظافة وخاصة المسجد فكان يخلع ثيابه ويقوم بتنظيف المسجد حتى المراحيض (ويحث الناس على النظافة وأنها قاعدة من قواعد الدين).

ولما مات الشيخ الشرقاوى تطلعت إليه العيون لكنه عاف المنصب واختبأ ولكن الباشا جمع العلماء وطلب منهم أن يختاروا واحدًا بعيدًا عن كل شبهة فوقع الاختيار عليه فأمر جنده بالبحث عنه حتى وجده فأوكل إليه المشيخة لكنه حاول الاعتذار فأصر الوالى وأصر العلماء ولما كانت داره صغيرة لا تستوعب مهام المنصب فقد نزل فى دار أوسع وكان ذلك سنة ١٢٢٧هـ.

وكان عزوفًا عن زيارة الأمراء وكبار الشخصيات ولكنه كان من قادة الشعب وشارك فى مقاومة الحملة الفرنسية وقد حاول الوالى أن يستولى على كل أراضى الدولة وإن يتخذ العلماء مطية حيث أفهمهم أنه سيترك أراضيهم لهم يزرعونها بمعرفتهم ويستغلونها وتصدى له الإمام الشنوانى وطالبه بالإفراج عن الأوقاف المحبوسة للطلبة فوافقه ثم طالبه بإلغاء أمر الاستيلاء على بقية الأراضى فرفض.

ولم يترك مكانه فى الدرس بعد تولى المشيخة وكان متبحرا فى علوم اللغة كما كان مولعا بعلم الكلام والرياضيات. ومات سنة ١٢٣٣هـ.

ومن مؤلفاته:

١- حاشية على شرح الجوهرى (جوهرة التوحيد).

٢- الجواهر السنية بمولد خير البرية.

٣- حاشية الشنوانى على مختصر البخارى.

٤- ثبت الشنوانى (إجازة أجاز بها تلميذه. المبلط الشهير).

٥- حاشية على السمرقندية (فى علوم البلاغة).

٦- حاشية على (العضدية فى آداب البحث).

●●●

الشيخ محمد بن أحمد بن مرسى بن داود العروسى

ولد بالقاهرة وكان أبوه شيخًا للأزهر كما قدمنا وكان مزاحما للشيخ الشنوانى لولا أن (محمد على) فضل عليه (الشيخ الشنوانى) لأنه ضاق بالمشايخ الشعبيين (كالشرقاوى وعمر مكرم) واشتغل بالدرس فكان يقضى وقته من الصباح للمساء لا يقوم إلا للصلاة وهذا ما عوقه عن التأليف الذى يحتاج إلى وقت وتولى المشيخة سنة ١٢٣٣هـ وحدثت فى عهده (فتنة حول أكل ذبائح أهل الكتاب) ذلك أن (الشيخ إبراهيم المالكى الشهير بـإبراهيم باشا) قرأ فى درس الفقه (إن ذبائح أهل الكتاب فى حكم الميتة لا يجوز أكلها) وسمع (فقهاء الثغر) بذلك فانكروه وناقشوه فقال إنى أخذت ذلك عن الشيخ على الميلى المغربى وهو عالم جليل ورع فأرسلوا إليه فبعث برسالة مفصلة ساق فيها الأسانيد على رأيه واستند هو أيضًا لرأى (الشيخ الطرطوشى) فى المنع وعدم الحل وأمر الوالى بجمع العلماء والنظر فى هذه المسألة الخطيرة.

وتقدم الشيخ العروسى وامتدح (الشيخ على الميلى المغربى) ووصفه بأنه عالم جليل ولكنه حاد المزاج وبعقله بعض الخلل اعتذارا عن طعنه فى العلماء المعاصرين) وطلب الاجتماع به لمناظرته لكن (الشيخ على) رفض فذهب إلى الجند فوجدوه وقد اختفى وأصدر الأمير أمرا بنفى (الشيخ إبراهيم المالكى) إلى بنى غازى.

وظل الإمام موضع التكريم من الطلبة والعلماء والأمراء.

ولم يترك مصنفات لانشغاله بالتدريس ومهام المنصب ومات سنة ١٢٤٥هـ.

الشيخ أحمد زين على بن أحمد الدمهوجى

ولد بقرية (دمهوج) بمحافظة المنوفية سنة ١١٧٠هـ ولى مشيخة الأزهر سنة ١٢٤٦ وظل بها ستة أشهر حتى لقى ربه فى نفس العام سنة ١٢٤٦.

ولم يعرف عن حياته إلا القليل وذلك لشدة زهده وبعده عن مظاهر الدنيا وانقطاعه للدرس والعبادة فكان يدرس من الصباح حتى المساء لا يخلو إلا فى أوقات الصلاة فإذا ما عاد لبيته لزم الصلاة متعبدا متهجداً ولما مات خرجت جماهير غفيرة لوداعه فى مشهد مهيب.

●●●

الشيخ حسن بن محمد بن العطار

أصله مغربى ولكنه ولد بالقاهرة سنة ١١٨٢هـ كان أبوه عطارا وأراد أن يعاونه ولده فى حانوته لكنه مال لطلب العلم فتركه أبوه وكان ذا حافظة قوية وشغف بالعلم وخاصة لما رأى أترابه يروحون ويغدون للأزهر وفى زمن قصير أجازه أساتذته للتدريس والفتوى ولم يقنع بالعلوم الدينية بل أقبل على العلوم العصرية ودرس الفلك والهندسة وكان حاد البصر يقرأ أدق الخطوط فى ضوء القمر أو الشموع الضعيفة ولا يترك الكتاب حتى يستوعبه وكان كثير الاستعارة وبذلك استوعب علوم عصره وامتدحه (رفاعه الطهطاوى) واعتبره سابقًا لعصره.

وله هوامش على كتب الطب غاية فى الروعة واتقن الرصد للنجوم ودرس التشريح فكان (موسوعة علمية) واتصل (بعلماء الحملة الفرنسية) واتقن الفرنسية ودرس علومهم الحديثة رغم أنه فر عند مجىء الحملة إلى أسيوط وعانى من الفقر والاضطراب ومرض الطاعون الذى اجتاح أسيوط.

وكتب فى ذلك إلى (العلامة الجبرتى رسالة غاية فى الأهمية ووصف الطاعون وأعراضه وآراءه فى مقاومته).

وعاد للقاهرة بعد أن استقر الأمن وكان يرى فى مجىء الحملة الفرنسية إلى مصر مكسبا علميًا وبركة لأنها فتحت أعين العلماء على حقائق خفية، وبهذا جمع الشيخ بين الثقافة العربية والثقافة الغربية، ورحل كثيراً إلى الخارج وأجاد عدة

لغات منها التركية والفرنسية والألبانية وزار كثيرًا من أوطان العرب، وكان فى كل بلد يلقى محاضراته، ويقبل عليه العلماء، وكان شاعرًا مجيدًا وكاتبًا عميقًا، ولهذا أسندت إليه (جريدة الوقائع المصرية) فرأس تحريرها وأعلن آراءه، ودعا إلى إدخال العلوم الحديثة وجلاء التراث العربى، وحث على الرجوع إلى أمهات الكتب وعدم الاكتفاء بالحواشى والمتون (ومنه تلقى رفاعة الطهطاوى) الذى أسهم فى نقل مصر من عصر التخلف إلى عصر النهضة والاحتكاك بالثقافات العالمية، وكان شعار الشيخ العطار (أن بلادنا يجب أن تتغير أحوالها وتتجدد بها المعارف) وهو الذى وجه تلميذه (رفاعة الطهطاوى) لتسجيل كل ما تقع عليه عينه فى فرنسا وأن يستجلب معه كل ما تقع عليه يده من ذخائر الكتب وهو الذى شجعه على الترجمة (وتأسيس مدرسة الألسن).

وعالج علم الجغرافيا معالجة جديدة واهتم بالخرائط واستفاد من خبرة علماء الحملة واكب على عيون الكتب المهجورة وبسطها لطلابه وبدا أول خطوة فى (فن الفهرسة) بحيث يعود الطلاب إلى المراجع القديمة بسهولة.

وكان خلية دائبة يدرس ويصنف المؤلفات ويشرح الكتب ودفع طلابه إلى الخروج من التراكيب اللغوية العقيمة وتحرير الكتابة من قيود الصنعة التى شاعت فى عصور الانحطاط ورغم طغيان محمد على فقد كان يجله ويستشيره وأطلق يده فى النهضة العلمية ففتح الأبواب للعلوم الحديثة وأشرف على إنشاء المدارس المتعددة (ثم ولاه مشيخة الأزهر) سنة ١٢٤٦هـ وجدد فى الشعر العربى وفتح الطريق أمام شعراء النهضة (كالبارودى وشوقى وحافظ) وأراد الرحيل إلى مكة ولكن طلابه تعلقوا به وهددوا بترك الدراسة حتى رضخ لهم وبقى فى مصر.

ومن مصنفاته:

- حاشية العطار على الجواهر المنتظمات فى عقود المقولات.
- حاشية العطار على التهذيب للإمام الخبيصى (شرح على تهذيب المنطق والكلام).
- حاشية العطار على شرح ايساغوجى فى المنطق (وكان من أهم الكتب).
- حاشية العطار على شرح العصام على الرسالة العضدية.

- حاشية العطار على كتاب نيل السعادات فى علم المقولات.
- حاشية العطار على جمع الجوامع فى أصول الفقه.
- رسالة فى علم الكلام.
- حاشية العطار على شرح الكتاب المسمى (بموصل الطلاب إلى قواعد الإعراب).
- حاشية على شرح الآجرومية (فى النحو).
- شرح السمرقندية فى علم البيان.
- منظومة العطار فى علم النحو.
- إنشاء العطار فى المراسلات.
- ديوان العطار (ويجمع مئات القصائد).
- مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس.
- رسالة فى كيفية العمل (بالاسطرلاب) وهو علم الرصد.
- جمع وترتيب وشرح ديوان ابن سهل الاندلسى.
- شرح كتاب الكامل للمبرد.
- نبذة فى علم الجراحة.

ولقى ربه سنة ١٢٥٠هـ.

●●●

الشيخ حسن بن درويش القويسنى

ولد (بقويسنا) ولم يعرف تاريخ مولده وإن عرف تاريخ وفاته حيث مات سنة ١٢٥٤هـ وتميز عن سائر شيوخ الأزهر بأنه كان كفيف البصر واشتهر بلقب (البرهان القويسنى الشافعى) وكان مهيبا عند العلماء والأمراء، ونافس الشيخ

العطار فى علمه وشعره، ومال للتصوف، وبلغ فيه منزلة سامية، وكان يعتبر حجة فى فقه الشافعى، وكان عزيز النفس عازفًا عن الدنيا حاول (محمد على) كثيرًا أن يتقرب إليه بالعطايا فكان يأبى، وعابه أنه استغرق فى الصوفية لدرجة الشطحات، كان إذا ما استغرق لا يدرى بما حوله، ويظل فيما يشبه الغيبوبة حتى يفيق.

وتخرج على يديه كبار العلماء (كالشيخ إبراهيم الباجورى) (والسيد مصطفى الذهبى) وكان من ألمع تلاميذه (رفاعة الطهطاوى) وتولى المشيخة سنة ١٢٥٠هـ وحدثت جفوة بينه وبين (الشيخ الأمير) وبلغت الجفوة أسماع الحاكم فاستدعى الحاكم (الشيخ الأمير) وسأله عن الشيخ القويسنى فقال (ليس بيننا إلا الخير) فأتى إلى الشيخ القويسنى فسمع منه نفس الإجابة (اتباعا للحفاظ على عروة الإسلام).

ومن مؤلفاته:

١- شرح السلم المنورق لعبد الرحمن الأخضرى.

٢- سند القويسنى (جمع فيه أصح الأحاديث).

٣- رسالة فى المواريث.

●●●

الشيخ أحمد بن عبد الجواد السفطى

ولد (بسفط العرفاء) من ضواحى مدينة (الفشن) بمحافظة بنى سويف واشتهر (بالشيخ أحمد الصائم) ولم يعرف تاريخ مولده.

وتلقى العلم على نخبة من العلماء فتلقى على (الشيخ السنباوى الشهير بالأمير) والشيخ الدمهوجى وتولى مشيخة الأزهر سنة ١٢٥٤.

وكان شاعرا موهوبًا، وسجل كثيرًا من الأحداث فى شعره، واشتهر بالعفة والصلاح، ولم يعثر على مؤلفاته اللهم إلا إجازتين (الأولى للشيخ أحمد الجرجاوى) (والثانية للشيخ حسنين الملط الحنفى)، لكن شهرته كفقيه طبقت الآفاق وكان دءوبا على دراسة أمهات الكتب بعيدًا عن زخرف الدنيا. وتوفى سنة ١٢٦٣هـ.

الشيخ إبراهيم بن محمد أحمد الباجورى

ولد ببلدة (الباجور) بالمنوفية سنة ١١٩٨هـ وقدم الأزهر سنة ١٢١٢.

واجتهد فى دراسته وتتلمذ على مشاهير عصره مثل (الشيخ الأمير) (والشيخ الشرقاوى) (والشيخ القويسنى) (والشيخ القلعاوى).

وكان يقضى النهار وجزءًا من الليل فى طلب العلم أو التدريس، ثم يقضى وقتا من الليل فى ترتيل القرآن بصوت شجى يسعى لسماعه المئات.

تولى مشيخة الأزهر سنة ١٢٦٣هـ وظل يدرس لطلابه مع مهام المشيخة وكان مهيبا، يسعى (عباس الأول) لزيارته والجلوس للاستماع إلى دروسه، فلا يقوم له عند حضوره أو انصرافه وكان يقبل يده.

ثم مرض فى عهد (سعيد باشا) فقام أربعة من العلماء بشئون المشيخة حتى مات سنة ١٢٧٧هـ.

وقد تعرض فى حياته لعدة أحداث منها:

- ثورة المغاربة لأمور تتعلق بالجراية، وأساءوا الأدب معه، ولما علم عباس الأول أرسل الجند ونفاهم.

- وهرب كثير من الشباب من التجنيد وسعوا إلى دروسه وطاردهم الجند لكنهم لم يجرؤا على اقتحام مجلسه، ولما علم طرد هؤلاء الشباب ،وحثهم على الجندية وأنها خير من طلب العلم دفاعًا عن الوطن.

- وحدث أن وقع نزاع بين فريق الشوام وفريق الصعايدة من طلبة العلم فأرسل الحاكم فرقة اعتدت على الصعايدة بدون تحقيق وانتهكوا حرمة المسجد فلما عاد سعيد باشا من الحج أخبره الشيخ فعزل الحاكم واعتذر لما وقع.

ومن مؤلفاته:

١- مجموعة من الإجازات لتلاميذه النجباء.

٢- المسلسلات (تعرض فيه لعلم الأحاديث وتبويبها).

٣- حاشية على متن الجوهرة سماها تحفة المريد على جوهر التوحيد.

٤- حاشية على متن السنوسية المسماة أم البراهين.

٥- حاشية على تحقيق المقام على كفاية العوام.

٦- حاشية على شرح السعد للعقائد النسفية (للإمام النسفى).

٧- فتح القريب المجيد على شرح بداية المريد.

٨- منح الفتاح على ضوء المصباح فى النطاح (فقه شافعى).

٩- تعليق على الكشاف (فى تفسير القرآن الكريم).

١٠- الدرر الحسان فيما يحصل به الإسلام والإيمان.

●●●

الشيخ مصطفى بن محمد بن أحمد بن موسى بن داود العروسى

ولد فى سنة ١٢١٣هـ ولى مشيخة الأزهر سنة ١٢٨١هـ كما وليها من قبل أبوه وجده، فنشأ فى بيت علم وأدب ومناخ أزهرى، اشتهر بحبه للنظام، وترك التدريس وكان لا تأخذه فى الحق لومة لائم، قوى الشخصية وتتبع البدع المعاصرة التى جرت فى البلاد، وأعاد الناس إلى الدين الصحيح، ومنع التسول، وكان كثير من المستولين يتخذون من ساحة الأزهر مجالاً لحرفتهم.

ولم يسمح أن يقوم أحد بالتدريس إلا بعد اجتياز امتحان من لجنة كان يرأسها بنفسه، وأن يكون ملما بكل علوم الدين واللغة، مما أوغر صدور أدعياء التدريس فأوعزوا إلى الحاكم فتعذر عزله بدون مقدمات فى سنة ١٢٨٧هـ، ويقال إن (إسماعيل باشا) كان وراء العزل، فقد خشى من شخصية الإمام الذى كان يندد بالظلم فى خطبه ودروسه وخشى الخديوى أن يقود ثورة ضده بعد أن ارتفع صوت الشعب بالشكوى عندما عرض البلاد للإفلاس ومكن الأجانب من السيطرة على تقاليد البلاد.

ومن مصنفاته:

١- حاشية على شرح الشيخ زكريا الأنصارى للرسالة القشيرية (فى التصوف).

٢- كشف الغمة وتفنيد معانى أدعية سيد الأمة.

٣- رسالة الاكتساب سماها (القول الفصل فى مذهب ذوى الفضل).

٤- العقود الفرائد فى بيان معانى العقائد.

٥- أحكام المفاكهات فى أنواع الفنون المتفرقات.

٦- الأنوار البهية فى بيان أحقية المذهب الشافعى.

٧- الفرائد المستحسنة فيما يتعلق بالبسملة والحمد له.

٨- الهداية بالولاية.

●●●

الشيخ محمد المهدى العباس الحنفى

ولد بالإسكندرية سنة ١٢٤٣هـ.

وكان جده مسيحيًا وأسلم على يد (الشيخ محمد الحفنى) وهو صغير فضمه لأسرته وأقبل على حفظ القرآن ودراسة الإسلام ورشحه (الشيخ الشرقاوى) لمشيخة الإسلام، ولكن (محمد على) آثر بها (الشيخ الشنوانى).

وأنجب ابنه (محمد الأمين) من خيرة العلماء الذى أنجب (الشيخ محمد المهدى) الذى كان ذكيا واعيًا، فدرس على خيرة العلماء وأحبه (إبراهيم باشا) فأوكل إليه منصب (الإفتاء) سنة ١٢٦٤هـ وهو فى نحو العشرين دليل تقديره ولكنها أثارت العلماء عليه لصغر سنه ثم تولى مشيخة الأزهر سنة ١٢٨٧هـ.

واشتهر بالحزم وحب العلم وعدم ممالاة الحكام، وكانت فتاواه دليل ذلك وتصدى (العباس الأول) حينما أراد أن يصادر كل أملاك أسرة محمد على بحجة أنه جاء إلى مصر ولم يكن يملك شيئًا، ويجب أن ترد هذه الأموال للدولة (وهى كلمة حق أريد بها باطل)، وطلب من الشيخ المهدى أن يصدر فتوى بذلك فرفض، فهدده بالعقاب الرادع، ولكنه لم يلن وارتفع قدره عند الحاكم وعند العلماء لموقفه هذا ويعتبر أول (حنفى) يتولى مشيخة الأزهر إذ كانت وقفًا على (الشافعيين).

وكان أول شيخ للأزهر يقوم بتنظيمات مالية وإدارية، وأعاد للأزهر كل الأوقاف والمخصصات التى سلبت منه، وكان موفقًا فى إنفاق الأموال على مستحقيها، وصمم على ألا يقوم بالتدريس فى الأزهر إلا من تجيزه لجنة من العلماء، فكان أول من سن (قانون تنظيم الامتحان)، وجعل الامتحان فى أحد عشر علما من علوم الدين واللغة وهى الأساس الآن للدراسة فى الأزهر، وكان يحرص أن يشهد بنفسه الامتحان ويناقش الممتحن مما حفز الطلاب على استيعاب هذه العلوم فتخرج جيل عالم. ولما قامت (الثورة العرابية) لم يتجاوب معها فطلب (عرابى) من الخديوى عزله فأجابه لطلبه سنة ١٢٩٩هـ وتولى (الشيخ الأنبابى) مكانه.

وظل الشيخ المهدى على الإفتاء فطلب منه قادة الثورة فتوى بعزل الخديوى فرفض لأنه رأى أن الذى يملك عزل الخديوى هو الخليفة العثمانى فوضعه العرابيون تحت المراقبة ولما فشلت الثورة العرابية إعاده الخديوى إلى المشيخة بجانب الإفتاء حتى سنة ١٣٠٤هـ عندما علم الخديوى أن الشيخ يستقبل فى بيته بعض من يتكلمون فى السياسة ويظهرون سخطهم على الاحتلال البريطانى.

والتقى الشيخ بالخديوى فقابله مقابلة جافة فطلب اعفاءه من المنصب فقال الخديوى: (ومن الإفتاء أيضًا) فقبل ذلك. ويقال أن الخديوى حنق عليه لعدة فتاوى أضرت بمركز الخديوى وظل ملازمًا بيته حتى مات سنة ١٣١٥هـ.

ومن مؤلفاته:

١- الفتاوى المهدية فى الوقائع المصرية.

٢- رسالة فى مسألة الحرام (على مذهب الحنفية).

●●●

الشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن حسين الأنبابى

ولد بمدينة (إنبابة) المعروفة الآن (بإمبابة) بمحافظة الجيزة سنة ١٢٤٠هـ وكان والده يعمل بالتجارة وله وكالة بالغورية. لكن الولد مال للعلم فحفظ القرآن ودرس بالأزهر وتتلمذ على أيدى (الشيخ الباجورى)، (الشيخ إبراهيم السقا)، (الشيخ البولاقى) ولفت الأنظار إلى علمه وسعة مداركه فأجازه الأساتذة للتدريس

بالأزهر سنة ١٢٦٧هـ وكان رجلاً خيراً جواداً سمح النفس فانتخب أمينًا للفتوى عن الشيخ العروسى ووكيلاً عنه فى إدارة الأزهر.

وكان إذا ما درس كتابًا وضع حاشيته وشروحًا وتعليقات أفادت طلابه.

وتخرج على يديه علماء كبار (الشيخ حسونه النواوى) (والشيخ البـبلاوى)، (والإمام أبو الفضل الجيزاوى)، (والشيخ الطويل)، (والشيخ القاياتى).

ثم عين شيخًا للأزهر سنة ١٢٩٩هـ أثناء الثورة العرابية وكرمه السلطان العثمانى، ولكنه استقال لما رأى من إقبال الخديوى توفيق على الشيخ المهدى (كما أشرنا) ثم صدر تعيينه ثانية سنة ١٣٠٤هـ وظل إلى أن استقال سنة ١٣١٢ لاعتلال صحته ونال (النيشان المجيدى) (والنيشان العثمانى) من الدرجة الأولى وتوفى سنة ١٣١٣هـ.

وكان جريئًا فى الحق ورغم طغيان (اللورد كرومر) فقد كان لا يقوم له وسأله (لماذا تقوم للخديوى ولا تقوم لنا) قال. (لأنه ولى الأمر وأنت أجنبى عنا) فزاد (كرومر) احتراما له وكتب بهذه الإجابة لحكومته.

ومن مكارم الشيخ الأنبابى أنه أفتى بجواز دراسة العلوم الحديثة وكان الشيوخ يحرمونها.

من مصنفاته:

- مجموعة إجازات لتلاميذه الذين تأهلوا للتدريس.
- تقرير الأنبابى على حاشية الصبان.
- رسالة فى علم الوضع.
- تقرير على مختصر السعد وحواشيه.
- رسالة فى بيان الربا وأقسامه.
- فتاوى فقهية.

مجموعة تقارير وحواشى على أهم المؤلفات القديمة.

الشيخ حسونة بن عبد الله النواوى

ولد بقرية (نواى) من أعمال ملوى محافظة أسيوط سنة ١٢٥٥هـ وحفظ القرآن ووفد إلى الأزهر وحضر دروسه على العلماء الكبار (كالشيخ الأنبابى)، (والشيخ البحرى)، (والشيخ الأسيوطى) وعمل استاذًا بدار العلوم ومدرسة الحقوق ثم ألف كتابًا هامًا هو (سلم المسترشدين فى أحكام الفقه والدين) أوضح فيه المشكلات الفقهية، وتقرر تدريسه بكل المدارس، ولما مرض الشيخ الأنبابى انتدب للقيام بشئون الأزهر سنة ١٣١١هـ وعين فى لجنة خماسية كان من أعضائها (الشيخ محمد عبده)، (والشيخ سليمان العبد)، (والشيخ أبو الفضل الجيزاوى) للبحث فى إصلاح الأزهر سنة ١٣١٢هـ ثم عين شيخًا للأزهر سنة ١٣١٣هـ ثم أخذ الإفتاء أيضًا سنة ١٣١٥ وانتخب عضوًا فى المجلس العالى بالمحكمة الشرعية إلى أن عزل من مشيخة الأزهر سنة ١٣١٧هـ وتولاها ابن عمه (الشيخ عبد الرحمن النواوى) لأنه عارض إصلاح المحاكم الشرعية.. وعرض على مجلس شورى القوانين اقتراح بندب قاضيين مدنيين من محكمة الاستئناف الأهلية، ليشاركا قضاة المحكمة الشرعية العليا فى الحكم، فوقف ضد هذا الاقتراح وأشيع أن الحكومة تريد هدم الشريعة، وحاول الخديوى أن يقنع الشيخ بقبول هذا الاقتراح فرفض، فتم عزله وبعد محاولة تعيين نحو ستة فى منصب المشيخة لم يستقروا فى المنصب، عاد الشيخ حسونة إلى مشيخة الأزهر سنة ١٣٢٤ لكنه آثر ترك المنصب بعد قليل لاختلال الأحوال واستقال سنة ١٣٢٧هـ حتى لقى ربه سنة ١٣٤٣هـ.

وفى عهده صدر قانون شامل بإصلاح الأزهر نظمت بمقتضاه إدارته وأجهزته وفى عهده أيضًا تم جمع (مكتبات الأزهر والمساجد الأخرى) فى مكتبة واحدة وساعده (الشيخ محمد عبده) فى كل محاولات الإصلاح.

ومن مصنفاته:

- غير كتاب (سلم المسترشدين) الذى سبقت الإشارة إليه.
- قانون تنظيم الأزهر.

●●●

الشيخ عبد الرحمن القطب النواوى

ابن عم الشيخ حسونه ومن بلدة (نواى) ولد سنة ١٢٥٥هـ وتتلمذ على نفس الأساتذة وتخرج فشغل عدة مناصب هامة قضائية منها:

- أمانة فتوى مجلس الأحكام مساعدا للشيخ البقلى سنة ١٢٨٠هـ.
- قضاء مديرية الجيزة سنة ١٢٩٠ ثم قضاء الغربية سنة ١٢٩٦.
- ثم نقل إلى المحكمة الشرعية بالقاهرة سنة ١٣٠٦ ثم إلى قضاء الأسكندرية.
- ثم تولى الإفتاء بوزارة العدل سنة ٣١٣هـ.
- وأخيرا تولى مشيخة الأزهر سننة ١٣١٧هـ.

وانشغل بمهام هذه المناصب عن التأليف فلم يعثر له على مؤلفات.

●●●

الشيخ سليم بن أبى فراج البشرى

ولد (بمحلة النشر) من قرى (شبراخيت) بمحافظة البحيرة ١٢٤٨هـ.

وقدم القاهرة للدراسة فى الأزهر ونزل على خاله، وكان يعمل بمسجد السيدة زينب فدرس القراءات وعلوم الدين واللغة ودرس فقه الإمام مالك وتتلمذ على يد (الشيخ الباجورى) و(الشيخ عليش).

ولما مرض شيخه (الخنانى) أوكل إليه أن يقوم مكانه بالتدريس لما أنس فيه من علم وأقبل الطلاب على دروسه، ونبغ فى علوم كثيرة، وكان يجد لكل مسألة حلا حتى قصده العلماء، ثم عين شيخًا لمسجد السيدة زينب فقرأ على الناس أمهات.

ثم عين شيخًا للسادة المالكية وهو منصب كبير بالأزهر.

ووقع عليه الاختيار ضمن من قاموا بالإصلاح فى الأزهر، ثم عين شيخًا للأزهر سنة ١٣١٧هـ وكان معتزًا برأيه، فقد حدث أن ولى (الشيخ أحمد المنصورى) شيخًا لأحد أروقة الأزهر، وتدخلت الحكومة فى هذا وأصر على رأيه فهدده بعزله فرحب بذلك وقدم استقالته.

ثم عين مرة ثانية سنة ١٣٢٧هـ وظل إلى أن مات سنة ١٣٣٥هـ.

وواصل قيادة حركة الإسلام وإلقاء الدروس والتصنيف العلمى.

وكان جريئًا لما قدم استقالته أول مرة لم يترك درس العلم، ولم يحاول أحد أن يزحزحه من مكانه، وفى عهده طبق نظام امتحان الراغبين فى التدريس بالأزهر، وكان أول من طالب بزيادة مقررات العلماء والطلاب، ورخص لكل طالب أو عالم بالسفر بالسكة الحديدية بنصف الأجر، ولم يقبض مرتبه بنفسه أبدا، ولم يدر عنه شيئًا، وكان كثيراً ما يعطى لأصحاب الحاجات وعرف بالحزم الإدارى.

وترك مصنفات عدة منها:

١- حاشية تحفة الطلاب على شرح رسالة الآداب.

٢- حاشية على رسالة الشيخ عليش فى التوحيد.

٣- المقامات السنية فى الرد على القادح فى البعثة النبوية.

٤- عقود الجمان فى عقائد أهل الإيمان.

٥- الاستئناس فى بيان الإعلام وأسماء الأجناس.

٦- شرح نهج البردة لشوقى.

●●●

الشيخ على بن محمد الببلاوى

ولد بقرية (ببلا) من أعمال ديروط بمحافظة أسيوط سنة ١٢٥١هـ، وحفظ القرآن ثم وفد للأزهر، ودرس فيه واختار حلقات خيرة الأساتذة (كالشيخ الأنبابى) (والشيخ عليش) وكان صديقًا حميما (للشيخ حسونة النواوى)، وباشر التدريس بالمسجد الحسينى والجامع الأزهر وأقبل عليه الطلاب.

وسافر للحجاز سنة ١٢٨٠هـ، والتقى بمجموعة من كبار العلماء وناقشهم، ثم عين بدار الكتب، حتى رأسها سنة ١٢٩٩ فى وزارة محمود سامى البارودى فنظم الفهارس ونهض بها نهضة عظيمة، ولما فشلت الثورة فصله الخديوى توفيق، ولكنه

ظل خطيبا للمسجد الحسينى ثم عين سنة ١٣١١ شيخًا لمسجد الحسين لنسبه الشريف ثم اختير نقيبًا للإشراف سنة ١٣١٢هـ ثم عين شيخًا للأزهر سنة ١٣٢٠هـ.

ورغم إكرام الخديوى له إلا أنه لم يرض أن يقف ضد الشيخ محمد عبده إرضاء للخديوى، ووافقه فى كل مساعيه الإصلاحية، ولكن الخديوى اضطهده، فقدم استقالته سنة ١٣٢٣هـ ومات فى نفس السنة ١٣٢٣هـ.

ومن مصنفاته:

١- رسالة فى فضائل ليلة النصف من شعبان.

٢- إجازة إلى الشيخ محمد بن حامد المراغى المالكى.

٣- إعجاز القرآن وهو مجموعة مقالات.

٤- الأنوار الحسينية فى شرح الحديث المسلسل يوم عاشوراء.

●●●

الشيخ عبد الرحمن بن محمد ابن أحمد الشربينى

حفظ القرآن وتلقى المذهب الشافعى على أساتذته وأحب التعميق فى المصادر القديمة وأجيز للتدريس فى الأزهر.

ولما انقسم العلماء فريقين (فريق يريد الإصلاح)، (وفريق يتمسك بالتقاليد الأزهرية) ويعارض التجديد انضم (الشيخ عبد الرحمن) إلى الفريق الثانى مما لفت نظر الحكام إليه وكانوا يتوجسون خيفة من الإصلاح ورأوا فيه رجلاً صالحًا عازفًا عن الدنيا فعرضوا عليه مشيخة الأزهر مرارًا، لكنه كان يعتذر، وكان الخديوى يطمع أن تطلق يديه بعد تولية الشيخ عبد الرحمن وكان يعمد إلى استئجار الأقلام لشن حملة ضد الإصلاح ودعاته مما دفع الشيخ محمد عبده إلى الاستقالة من منصبه سنة ١٩٠٥م وحاول الخديوى زحزحته عن (الإفتاء) أيضًا وعارض (كرومر) ذلك لأنه يخشى من آثار اضطهاد الشيخ محمد عبده من ناحية، ولا يريد للخديوى أن تطلق يديه من ناحية أخرى ولأن (كرومر) يريد جذب الطبقة المثقفة إليه.

وأخيراً قبل الشيخ الشربينى تولى منصب شيخ الأزهر سنة ١٣٢٣هـ وشن حملة شديدة على حركة الإصلاح واضطهد كل من يتعاون فيها ولم يكن هدفه إلا الخوف من تهاون الطلبة فى دراسة العلوم الدينية . .

وحدث أن (الشيخ الظواهرى) الذى تولى مشيخة الأزهر فيما بعد ألف كتابًا أسماه (العلم والعلماء) ودعا إلى إصلاح الأزهر فقام (الشيخ الشربينى) بحرقه وجمع كل نسخه وكان يعزل كل من يثبت أن لديه نسخة منه مما جعل الخديوى يزداد تمسكًا به واضطر (الشيخ محمد عبده) إلى مهاجمته فى جريدة المقطم وتفنيد آرائه لكن الشيخ الشربينى رفض أن يكون العوبة فى يد الخديوى واستقال من منصبه سنة ١٣٢٤هـ وأعيد الشيخ حسونة النواوى . . ومات الشيخ الشربينى سننة ١٣٢٦هـ.

ومن مؤلفاته:

- تقرير على حاشية البنانى على شرح المحلى على جمع الجوامع للسبكى فى أصول الفقه.
- تقرير على حاشية ابن قاسم.
- تقرير على حاشية عبد الحكيم.
- فيض الفتاح على شرح المفتاح فى البلاغة.

●●●

الشيخ محمد أبو الفضل الجيزاوى

ولد (بوراق الحضر) من أعمال مركز إمبابة محافظة الجيزة سنة ١٢٦٤هـ وحفظ القرآن الكريم والتحق بالأزهر ودرس القراءات وفقه الإمام مالك وتلقى علوم الدين واللغة على يد (الشيخ عليش)، (والشيخ العدوى) (والشيخ السقا)، (والشيخ الأنبابى) وقام بالتدريس وتخرج على يديه جيل من العلماء.

وفى سنة ١٣١٣ عين عضوا فى إدارة الأزهر فى مدة (مشيخة الشيخ البشرى) ثم وكيلاً للأزهر سنة ١٣٢٦هـ. وعين شيخًا لمعهد الإسكندرية ومكث ٨ سنوات وأخيراً عين شيخًا للأزهر فى سنة ١٣٣٥هـ وأضيفت إليه مشيخة السادة المالكية سنة ١٣٣٦هـ.

الفهرس

الباب الخامس

صور من الأزهر القديم والحديث

الباب السادس

صورة عن النشاط العلمى فى الأزهر

❁❁❁